



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

كِتَاب

الْفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ

كِتَابٌ

المشاهير أئمة الدين والعلم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

القرن سنة 1329 هـ

تأليف

عبد الرحمن الشاذلي

« ٤ »

دار المطبوعات

1329 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفرج بعد الشده

كاتب:

محسن بن على التنوخى

نشرت فى الطباعة:

دار صادر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٢	الفرج بعد الشده المجلد ٤
١٢	اشاره
١٢	اشاره
١٦	تتمه الباب الثامن
١٦	٣٦٩
١٩	٣٧٠
٢١	٣٧١
٢٤	٣٧٢
٢٧	٣٧٣
٢٨	٣٧٤
٢٨	اشاره
٣٠	عمر بن فرج الرخجى
٣١	٣٧٥
٣٣	٣٧٦
٣٦	٣٧٧
٣٩	٣٧٨
٥٤	٣٧٩
٥٧	٣٨٠
٦٠	٣٨١
٦٣	٣٨٢
٦٦	٣٨٣
٦٨	٣٨٤
٧٣	٣٨٥

٧٥	٣٨٦
٨١	٣٨٧
٨٥	٣٨٨
٨٧	٣٨٩
٩٥	٣٩٠
٩٨	٣٩١
٩٩	٣٩٢
١٠١	٣٩٣
١٠٣	٣٩٤
١٠٤	٣٩٥
١٠٦	٣٩٦
١٠٩	٣٩٧
١١٤	٣٩٨
١١٦	٣٩٩
١١٩	٤٠٠
١٢٠	٤٠١
١٢٢	٤٠٢
١٢٥	٤٠٣
١٢٨	٤٠٤
١٣١	٤٠٥
١٣٣	٤٠٦
١٣٣	اشاره
١٣٣	ا-قتل الحجاج عامه يومه الأسرى من أصحاب ابن الأشعث.
١٣٣	ب-قتل جميع أسراه إلا واحدا
١٣٥	ج-احتج لقتله بأتفه حجه، فخلصه الله منه بأهون سبيل
١٣٧	٤٠٧

١٣٨	٤٠٨
١٣٨	اشاره
١٣٩	النرد
١٤١	الباب التاسع
١٤١	اشاره
١٤١	٤٠٩
١٤٥	٤١٠
١٤٧	٤١١
١٥١	٤١٢
١٥٨	٤١٣
١٦٠	٤١٤
١٦٢	٤١٥
١٦٤	٤١٦
١٦٦	٤١٧
١٦٨	٤١٨
١٧٢	٤١٩
١٧٤	٤٢٠
١٧٨	٤٢١
١٨٠	٤٢٢
١٨٢	٤٢٣
١٨٤	٤٢٤
١٨٩	٤٢٥
١٩٢	٤٢٦
١٩٣	٤٢٧
١٩٧	٤٢٨
١٩٨	٤٢٩

٢٠٠	٤٣٠
٢٠٢	٤٣١
٢٠٤	الباب العاشر
٢٠٤	اشاره
٢٠٤	٤٣٢
٢٠٦	٤٣٣
٢٠٨	٤٣٤
٢١١	٤٣٥
٢١٣	٤٣٦
٢١٦	٤٣٧
٢١٨	٤٣٨
٢٢٠	٤٣٩
٢٢٢	٤٤٠
٢٢٥	٤٤١
٢٢٧	٤٤٢
٢٣٠	٤٤٣
٢٣١	٤٤٤
٢٣١	اشاره
٢٣٣	الحجامه
٢٣٤	٤٤٥
٢٣٥	٤٤٦
٢٣٩	الباب الحادى عشر
٢٣٩	اشاره
٢٣٩	٤٤٧
٢٤٢	٤٤٨
٢٤٦	٤٤٩

٢٥٠	٤٥٠
٢٥٣	٤٥١
٢٥٦	٤٥٢
٢٦١	٤٥٣
٢٦٤	٤٥٤
٢٦٩	٤٥٥
٢٧٢	٤٥٦
٢٧٧	٤٥٧
٢٨١	الباب الثاني عشر
٢٨١	اشاره
٢٨١	٤٥٨
٢٨٣	٤٥٩
٢٨٥	٤٦٠
٢٩١	٤٦١
٢٩٤	٤٦٢
٣٠١	٤٦٣
٣٠٥	٤٦٤
٣٠٧	٤٦٥
٣١٤	٤٦٦
٣٢٠	الباب الثالث عشر
٣٢٠	اشاره
٣٢٠	٤٦٧
٣٢٣	٤٦٨
٣٣٠	٤٦٩
٣٤٢	٤٧٠
٣٤٥	٤٧١

٣٥٣	٤٧٢
٣٥٧	٤٧٣
٣٥٩	٤٧٤
٣٦٣	٤٧٥
٣٦٦	٤٧٦
٣٦٨	٤٧٧
٣٧٢	٤٧٨
٣٧٢	اشاره
٣٨٤	القهرمانه
٣٨٦	٤٧٩
٣٩١	٤٨٠
٣٩٢	٤٨١
٣٩٧	٤٨٢
٤٠٧	٤٨٣
٤٠٨	٤٨٤
٤١٣	٤٨٥
٤١٦	٤٨٦
٤٢٥	٤٨٧
٤٢٥	اشاره
٤٢٨	الورد
٤٣٠	٤٨٨
٤٣٢	٤٨٩
٤٣٦	٤٩٠
٤٣٧	٤٩١
٤٤٠	٤٩٢
٤٤٢	محتويات الكتاب

عنوان و نام پدیدآور: الفرج بعد الشده/محسن بن علی التنوخی ؛ مصحح- شالجي، عبود

مشخصات نشر: بیروت- لبنان: دارصادر

مشخصات ظاهری: ۵ج.

کد کنگره: ۳۹۱۰ PJA / ف ۴

موضوع: تربیت اخلاقی -- جنبه های مذهبی -- اسلام

موضوع: تربیت اخلاقی -- جنبه های قرآنی

موضوع: نثر عربی - قرن ۴ق.

موضوع: داستانهای عربی - قرن ۴ق.

در کتاب به داستان هایی پرداخته شده که موضوعش فرج بعد از شدت است و دعاهایی نیز در این باب ذکر شده است.

ص: ۱

الفرج بعد الشده

محسن بن على التنوخى ؛ مصحح - شالجى، عبود

ص: ٣

إسحاق المصعبى

تحركه رقاع أصحاب الأرباع ببغداد

[حدّثنى عبد الله بن محمّد بن داسه البصرى رحمه الله، قال: حدّثنى أبو يحيى بن مكرم، القاضى البغدادى، قال: حدّثنى أبى، قال: (١).]

كان فى جوارى، رجل يعرف بأبى عبيده، حسن الأدب، كثير الروايه للأخبار، و كان قديما ينادم إسحاق بن إبراهيم المصعبى، فحدّثنى: أنّ إسحاق استدعاه ذات ليله، فى نصف الليل.

قال: فهالنى ذلك، و أفزعنى، لما كنت أعرفه منه، من زعاره الأخلاق (٢)، و شدّه الإسراع إلى القتل، و خفت أن يكون قد نقم علىّ شيئاً فى العشره، أو بلغ عنى باطلا، فأحفظه (٣)، فيسرع إلى قتلى، قبل كشف حالى.

فخرجت طائر العقل، حتى أتيت داره، فأدخلت إلى بعض دور الحرم، فاشتدّ جزعى، و ذهب علىّ أمرى.

فانتهى بى إليه، و هو فى حجره لطيفه [٢١٦ غ]، فسمعت فى دهليزها بكاء امرأه و نحيبها، و دخلت، فإذا هو جالس على كرسى، و بيده سيف مسلول، و هو مطرق، فأيقنت بالقتل.

فسلمت، و وقفت، فرفع رأسه و قال: اجلس أبا عبيده، فسكن روعى، و جلست.

فرمى إلىّ رقاعا كانت بين يديه، و قال: اقرأ هذه

ص: ٥

١- الزيادة من ن.

٢- الزعاره: شراسه الأخلاق.

٣- الحفيظه: الغضب.

فقرأت جميعها، فإذا رقع أصحاب الشرط في الأرباع (1)، يخبره كل واحد منهم بخبر يومه، و ما جرى في عمله [٣٦ ن]، و في [٢٠٧ ر] جميعها ذكر كبسات وقعت على نساء وجدن على فساد، من بنات الوزراء، و الأمراء، و الأجلاء، الذين بادوا، أو ذهبت مراتبهم، و يستأذنون في أمرهن.

فقلت: قد وقفت على هذه الرقاع، فما يأمرني به الأمير أعزه الله؟

فقال: ويحك يا أبا عبيده، هؤلاء الناس الذين ورد ذكر حال بناتهم، كلهم كانوا أجل مني، أو مثلي، و قد أفضى بهم الدهر في حرمهم إلى ما قد سمعت، و قد وقع لي أن بناتي بعدى، سيبلغن هذا المبلغ، و قد جمعتهن - و هنّ خمس في هذه الحجره، لأقتلهنّ الساعة، و أستريح، ثم أدركتني رقة البشريه، و الخوف من الله تعالى، فأردت أن أشاورك في [٢١٤ م] إمضاء الرأي، أو شيء تشير به عليّ فيهنّ.

فقلت: أصلح الله الأمير، إن آباء هؤلاء النساء اللواتي قرأت رقع أصحاب الأخبار بما جرى عليهنّ، أخطأوا في تدبيرهنّ، لأنهم خلفوا عليهنّ النعم، و لم يحفظوهنّ بالأزواج، فخلون بأنفسهنّ، و نعمهنّ، ففسدن، و لو كانوا جعلوهنّ في أعناق الأكفاء، ما جرى منهنّ هذا.

و الذي أرى أن تستدعي فلانا القائد، فله خمسه بنين، كلهم جميل

ص: ٦

١- أصحاب الأرباع: من رجال الشرطه، و كانت البلد تقسم أرباعاً، و يعين لكل ربع صاحب، ثم يقسم كل ربع إلى أرباع، و يعين لكل جزء من يناط به، و يقدم هؤلاء الأخبار إلى صاحب الربع، و يقدمه أصحاب الأرباع الأربعة إلى عامل البلد، فيطلع على جميع أخبار البلد، و كانت قسمه الأرباع ببغداد كما يلي: الربع الأول: من حدّ المخرم (مدينة الطب الآن)، إلى الطرف الأعلى، من الجانب الشرقي، الربع الثاني: من حدّ المخرم إلى اسفل من الجانب الشرقي، الربع الثالث: مدينة أبي جعفر المنصور، و ما يتصل بها إلى أعلى من الجانب الغربي، الربع الرابع: الشرقي، إلى طرف الجانب الغربي الأسفل (تجارب الأمم ٣٩٩/٢ و ٤٠٠).

الوجه، حسن اللبس و النشوه (١)، فتزوّج كلّ واحد من بناتك، واحدا منهم، فتكفى العار و النار، و تكون قد أخذت بأمر الله عزّ و جلّ، و الحزم، و يراك الله تعالى قد أردت طاعته في حفظهنّ، فيحفظك فيهنّ.

فقال: امض الساعه إليه، [فقرر معه ما يكون لنا فيه المصلحه] (٢)، و افرغ لى معه من هذا الأمر.

قال: فمضيت إلى الرجل، و قررت الأمر معه، و أخذت الفتیان، و أباهم، و جئت إلى دار إسحاق بن إبراهيم، [و عقدت النكاح لهم، على بنات إسحاق، في خطبه واحده] (٣)، و جعل إسحاق بين يدي كلّ واحد منهم، خمس آلاف دينار عينا، و شيئا كثيرا من الطيب، و الثياب، و حمل كلا منهم على فرس بمركب ذهب، و أعطاني كلّ واحد من الأزواج مالا مما دفع إليه، و أمر لى إسحاق بخمسائه دينار، و خلعه، و طيب.

و أنفذ إلى أمّهات البنات هدايا و أموالا جليله، و شكرننى على تخليص بناتهنّ من القتل، و انقلبت تلك الغمّه فرحا.

فعدت إلى دارى، و معى ما قيمته ثلاثه آلاف دينار و أكثر.

ص: ٧

١- النشوه: النشأه، قلب البغداديون همزتها واوا على طريقتهم فى قلب الهمزه إذا كانت فى وسط الكلمه واوا أو ياء، و حذفها إذا كانت فى آخر الكلمه، راجع حاشيه القصّه ١٦٧ من هذا الكتاب.

٢- الزياده من غ.

٣- فى غ: فما طلع الفجر حتى عقدت للخمسه على الخمس بنات فى خطبه واحده.

ما خاب من استشار

[و حكى محمد بن عبدوس الجهشياري، في كتاب الوزراء] (١): أنّ المنصور لما حجّ (٢)، بعد تقليد المهدي العهد، و تقديمه فيه على عيسى بن موسى (٣)، دفع عمّه عبد الله بن علي، إلى عيسى بن موسى (٤)، ليعتقله، و أمره سرّاً بقتله، و كان يونس بن أبي فروه يكتب لعيسى بن موسى.

فغزم عيسى على قتل عبد الله بن علي، ثم تعقب الرأي، فدعا بيونس، فخبّره بالخبر، و شاوره.

فقال له يونس: نشدتك الله أن لا تفعل، فإنّه يريد أن [٢١٧ غ] يقتله بك، و يقتلك به، لأنّه أمرك بقتله سرّاً، و يجحدك ذلك في العلانية، و لكن استره حيث لا- يطلع عليه أحد، فإن طلبه منك علانية، دفعته إليه، و إياك أن تردّه إليه سرّاً أبداً، بعد أن قد ظهر حصوله في يدك علانية، ففعل عيسى ذلك

و انصرف المنصور من حجّه، و عنده أنّ عيسى قد قتل عبد الله، فمدّس إلى عمومته، من يشير عليهم بمسألته في أخيهم عبد الله، فجاءوه يسألونه ذلك، فدعا بعيسى بن موسى، و سأله عنه بحضرتهم.

فدنا منه عيسى بن موسى، و قال له، فيما بينه و بينه: ألم تأمرني بقتله؟

ص: ٨

١- الزيادة من ر، و غ.

٢- حجّ المنصور سنة ١٤٧ (العيون و الحقائق ٣/٢٥٧).

٣- في العيون و الحقائق ٣/٢٥٧: أنّ المنصور لما أسلم عمّه عبد الله، إلى عيسى بن موسى، قال له. أنت تعلم أنّ الخلافة صائره إليك، و أنّ عمّي عبد الله أراد أن يزيل النعمة عنّي و عنك، و طلب منه أن يقتله، و هذا يعني أنّ حجّ المنصور كان قبل عزل عيسى عن ولايه العهد، و أنا أميل إلى ترجيح هذا الرأي، لأنّه إذا كان المنصور قد عزل عيسى عن ولايه العهد، فلا محلّ لقوله أنّ الخلافة صائره إليه.

٤- أبو موسى عيسى بن موسى بن محمد العباسي: ترجمته في حاشية القصّه ١٥٦ من الكتاب.

قال: معاذ الله، ما أمرتك بذلك، كذبت.

ثم أقبل على عمومته، فقال: هذا قد أقرّ بقتل عبد الله، وادّعى علىّ أنّي أمرته بذلك، وقد كذب، فشأنكم به.

قال: فوثبوا عليه ليقتلوه، فلما رأى صورته أمره، صدق أبا جعفر، وأحضر عبد الله، فسلمه إليه بمحضر من الجماعة.

فكان عيسى يشكر ليونس بن أبي فروه ذلك، مدّه عمره (١).

ص: ٩

١- وردت هذه القصّة في العيون و الحقائق ٢٥٧/٣، و في الطبري ٨/٨ و في ابن الأثير ٥٨١/٥، و [١] قد اتّفقت جميعها على أنّ اسم الكاتب: يونس بن فروه، و أنّه كان يكتب للأمير عيسى بن موسى، و الظاهر أنّ نصيحته التي حفظت للأمير عيسى حياته، أثارت حفيظه المهدي و أولاده عليه، فاتّهم بالزندقة، تلك التهمة التي كانت تنصبّ على كلّ من أثار حفيظه الحاكمين، فاستتر، و ظلّ مستترا إلى أيام الرشيد (الطبري ٢٣٤/٨ و [٢] ابن الأثير ١٠٨/٦).

منصور بن زياد يجحد نعمه يحيى البرمكى

[و ذكر في هذا الكتاب] (١): دعا الرشيد صالحا صاحب المصلى (٢)، حين تنكر للبرامكة، فقال له: اخرج إلى منصور بن زياد (٣)، فقل له: قد صحت عليك عشرة آلاف ألف درهم، فاحملها إلينا في هذا اليوم، و انطلق معه، فإذا دفعها إليك كامله [٢١٥ م] قبل مغيب الشمس، و إلا فاحمل رأسه إلى، و إياك و مراجعتى في شيء من أمره.

قال صالح: فخرجت إلى منصور بن زياد، و عزفته الخبر.

فقال: إننا لله و إننا إليه راجعون، ذهبت -و الله- نفسى، ثم حلف أنه لا يعرف موضع ثلثمائة ألف درهم، فكيف عشرة آلاف ألف درهم.

فقال له صالح: فخذ في عملك.

فقال له: امض بي إلى منزلى، حتى أوصى، فمضى معه، فما هو إلا - أن دخل منزله، حتى ارتفع الصياح من منازل و حجر نسائه، فأوصى، و خرج و ما فيه دم.

فقال لصالح: امض بنا إلى أبى على يحيى بن خالد، لعل الله أن يأتينا بفرج من عنده، فمضى معه إلى يحيى و هو يبكى.

فقال له: ما وراءك؟

فقص عليه القصه، فقلق يحيى لأمره، و أطرق مفكراً، ثم دعا بخازنه،

ص: ١٠

١- الزيادة من ن.

٢- صالح صاحب المصلى: ترجمته في حاشية القصه ٢٦ من هذا الكتاب.

٣- منصور بن زياد: كان يكتب للوزير يحيى بن خالد البرمكى (الطبرى ٢٥٦/٨) و [١] كان محل ثقة البرامكة في جميع أمورهم، لتقديم صحبته لهم، و حرمة بهم، و استخلفه الفضل البرمكى باب الرشيد لما شخص لمحاربه يحيى بن عبد الله العلوى الثائر بالديلم (الطبرى ٢٤٢/٨).

فقال له: كم عندك من المال؟

قال: خمسة آلاف ألف درهم.

فقال له: أحضرنىها، فأحضرها.

ثم وجّه إلى الفضل ابنه، يقول له: إنك أعلمتني فداك أبوك - أن عندك ألفي ألف درهم، تريد أن تشتري بها ضيعة، وقد وجدت لك ضيعة يبقى لك ذكرها، وتحمد ثمرتها، فوجه إليّ بالمال، فوجه به.

ثم قال للرسول: امض إلي جعفر، وقل له: ابعث فداك أبوك - إليّ ألف ألف درهم، لحقّ لزمني، فوجه بها.

ثم قال لصالح: هذه ثمانيه آلاف درهم، ثم أطرق إطراقه، لأنه لم يكن عنده شيء.

ثم رفع رأسه إلى خادم له، فقال: امض إلي دنانير (1)، فقل لها: وجهي إليّ بالعقد الذي كان أمير المؤمنين وهبه لك.

قال: فجاء به فإذا بعقد في عظم الذراع، فقال لصالح: اشترت هذا لأمر المؤمنين بمائة و عشرين ألف دينار، فوهبه لدنانير، وقد حسبه بألفي ألف درهم، وهذا تمام حقك، فانصرف، وخلّ عن صاحبنا، فلا سبيل لك عليه.

قال صالح: فأخذت ذلك، ورددت منصورا معي، فلمّا صرت بالباب، أنشأ منصور يقول متمثلاً:

و ما بقيا على تركتmani و لكن خفتما صرد (2) النبال

فقال صالح: ما على وجه الأرض أنبل من هذا الذي خرجنا من عنده،

ص: ١١

١- دنانير: جاريه البرامكة، نبغت في بيت الوزير يحيى البرمكي، و كان الرشيد معجبا بها، و لما نكب البرامكة، أرادها الرشيد على الغناء له، فأبت، فأمر بصفعها، ثم أطلقها، و خطبت للزواج، فأبت، و لزمت حالها إلى أن توفيت (الأعلام ٢١/٣).

٢- صرد الرامي السهم: أنفذه.

ولا سمعت بمثله فيما مضى من الدهر، ولا على وجه الأرض أخبث سريره، ولا أكفر لنعمه، ولا أدنأ طبعاً من هذا النبطي الذي لا يشكر من أعطاه، ووزن عنه هذا المال العظيم.

قال: وصرت إلى الرشيد، وقصصت عليه القصة [٣٧ ن]، وطويت عنه ما تمثّل به منصور، خوفاً أن يقتله إذا سمع ذلك.

فقال الرشيد: قد علمت أنه إن نجا فإنما ينجو بأهل هذا البيت، أطلق الرجل، واقبض المال، وردد العقد، فإنّي لم أكن أهب هبه، وترجع إلى مالي.

قال صالح: فلم أطب نفساً إلا بتعريف يحيى ما قاله منصور، فرجعت إليه و أطنبت في شكره، و وصف ما كان منه.

و قلت له: ولكنك أنعمت على غير شاكر، قابل أكرم فعل، بالألم قول.

قال: فأخبرته بما كان، فجعل -و الله- يطلب له المعاذير، ويقول: يا أبا عليّ إنّ المنخوب القلب، ربما سبقه لسانه، بما ليس في ضميره. وقد كان الرجل في حال عظيمه.

فقلت: و الله، ما أدري من أيّ أمريك أعجب، من أوله، أو من آخره، ولكنني أعلم أنّ الدهر لا يخلف مثلك أبداً (١).

ص: ١٢

١- هذه القصة لا- توجد في ر، و لا- في غ، و قد وردت في كتاب المستجد من فعلايت الأجواد للقاضي التنوخي مؤلف هذا الكتاب.

قال محمّد بن عبدوس في كتابه الوزراء: حدّثني محمّد بن عبد الله بن الوليد، قال: حدّثني (١) عليّ بن [٢١٦ م] عيسى القمّي (٢)، و كان ضامنا لأعمال الخراج و الضياع ببلده (٣)، فبقيت عليه أربعون ألف دينار.

و ألحّ المأمون في مطالبته، حتى قال لعلّي بن صالح، حاجبه (٤): طالبه بالمال، و أنظره ثلاثة أيّام، فإن أحضر المال قبل انقضائها، و إلّا فاضربه بالسياط، حتى يؤدّيها أو يتلف.

و كانت بين عليّ بن عيسى و غسان بن عبّاد عداوه، فانصرف عليّ بن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه، لا يقدر عليّ شيء من المال.

فقال له كاتبه: لو عزّجت عليّ غسان (٥)، و أخبرته بخبرك، لرجوت أن

ص: ١٣

١- الزيادة من ن.

٢- عليّ بن عيسى القمّي: من رجال الدولة العبّاسيّة، أناط به الحسن بن سهل، أمر خراج العراق (العيون و الحدائق ٣/٣٤٤)، و لمّا خرج جعفر بن داود القمّي، بقم، في السنه ٢١٧ خرج عليّ لمحاربتة، فأسره، و بعث به إلى أبي اسحاق بن الرشيد (المعتصم) فضرب عنقه (ابن الأثير ٤٢٢، ٦/٤٢٠ و [١] الطبري ٨/٦٣٠).

٣- أي بمدينه قم.

٤- عليّ بن صالح صاحب المصلّي: خدم المهدي (الطبري ٨/١٧٢) و حجب الهادي (الطبري ٨/٢١٥) و ولي ديوان الرسائل و التوقيعات للأمين (الطبري ٨/٣٨٧) و [٣] ابن الأثير ٦/٢٣٥ و [٤] خلاصه الذهب المسبوك (١٧٤) [٥] ثمّ تولى حجاب المأمون (الطبري ٨/٦٥٦) و العيون و الحدائق ٣/٣٧٩ و خلاصه الذهب المسبوك (١٩١) و كان رزقه عليّ حجاب المأمون ثلاثمائة ألف درهم في السنه (الهفوات النادره ص ٢٨٧ رقم القصّه ٢٨١).

٥- غسان بن عباد بن أبي الفرج: من رجال المأمون، و هو ابن عمّ الفضل بن سهل، و لاه الحسن بن سهل خراسان، و ولاه المأمون السند، إقرأ في لباب الآداب ١١٥ و [٦] في كتاب المستجاد من فعلايت الأجواد ١٥٦-١٥٨ قصّه عن غسان تدلّ عليّ نجده و شهامه، و خلق كريم

يعينك على أمرك [٢٠٨ ر].

[فقال: على ما بيني وبينه؟]

قال: نعم، فإن الرجل أريحي كريم [١].

قال: فحملته حاله على قبول ذلك، فدخل إلى غسان، فقام إليه، و تلقاه بجميل، و وفاه حقه.

[فقال له: إن الحال الذي بيني وبينك، لا يوجب ما أبديته من تكرمتي.

فقال: ذاك حيث تقع المنافسه عليه و المضايقه فيه، و الذي بيني و بينك بحاله، و لدخول داري حرمه توجب لك على بلوغ ما ترجوه، فإن كانت لك حاجه فاذكرها [٦، فقصص كاتبه عليه قصته.

فقال غسان: أرجو أن يكفيه الله تعالى [و لم يزد على هذا شيئاً] [٢].

فمضى على بن عيسى، آيسا من نفسه، كاسف البال، نادما على قصده، و قال لكاتبه لما انصرف: ما أددتني بقصد غسان إلا تعجل المهانه و الذل.

و تشاغل في طريقه بلقاء بعض إخوانه، و عاد إلى داره، فوجد على بابة بغالا - عليها أربعون ألف دينار، مع رسول غسان بن عبّاد، فأبلغه سلامه، و عرفه غمه بما دفع إليه، و سلم إليه المال، و تقدّم إليه بحضور دار المأمون من غد ذلك اليوم.

فبكر على بن عيسى، [فوجد غسان بن عبّاد قد سبقه إليها] [٧، فلمّا وصل الناس إلى المأمون، مثل غسان بن عبّاد بين الصفيين، و قال: يا أمير المؤمنين إنّ لعليّ بن عيسى حرمه و خدمه، و سالف أصل، و لأمير المؤمنين عليه سالف إحسان، و قد لحقه من الخسران في ضمانه ما قد تعارفه الناس، و قد جرى عليه من حدّه المطالبه، و شدّتها، و الوعيد بضرب السياط إلى أن يتلف، ما حيّره، و قطعه

ص: ١٤

١- الزيادة من ر، و غ.

٢- الزيادة من غ.

[٢١٨ غ] عن الاحتياال فيما عليه من المال، فإن رأى أمير المؤمنين، أن يجرينى على حسن عاداته فى كرمه، و يشفّعنى فى بعض ما عليه، و يضعه عنه، فعل.

قال: فلم يزل به بهذا و نحوه، حتى حطّه النصف، و اقتصر منه على عشرين ألف دينار.

قال غسان: إن رأى أمير المؤمنين أن يجدّد عليه الضمان، و يشرفه بخلع.

فأجابه المأمون إلى ذلك.

قال: فيأذن أمير المؤمنين، أن أحمل الدواء إليه، ليوقع بذلك، و يبقى شرف حملها على و على عقبى.

قال: افعل.

ففعل، و خرج على بن عيسى، و التوقيع معه بذلك، و عليه الخلع.

فلما وصل إلى منزله، ردّ العشرين ألف دينار، إلى غسان، و شكره.

فردّها غسان، و قال: إنى لم أستحطّها لنفسى، و إنّما أحببت توفيرها عليك، و استحطّتها لك، و ليس -و الله- يعود شىء من المال إلى ملكى [أبدا].

و عرف على بن عيسى، ما فعله معه غسان، فلم يزل يخدمه إلى آخر العمر. [١]

ص: ١٥

١- الزيادة من غ، و قد وردت القصّه فى كتاب المستجاد من فعلاات الأجواد للقاضى التنوخى مؤلّف هذا الكتاب (المستجاد ص ١٥٦-١٥٩)، و وردت كذلك فى كتاب لباب الآداب لأسامه بن منقذ ص ١١٥-١١٧.

[وجدت في بعض كتبى بغير إسناد] (١).

حضر الشعبي (٢)، عند مصعب بن الزبير (٣)، و هو أمير الكوفه، و قد أتى بقوم، فأمر بضرب أعناقهم، فأخذوا ليقتلوا.

فقال له الشعبي: أيها الأمير، إن أول من أخذ السجن كان حكيما، و أنت على العقوبه، اقدر منك على نزعها (٤).

فأمر مصعب بحبس القوم، ثم نظر في أمرهم بعد، فوجدهم براء (٥)، فأطلقهم (٦).

ص: ١٦

١- الزيادة من ن.

٢- أبو عمرو و عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار الحميرى (١٩-١٠٣): ترجمته فى حاشيه القصه ٩٣ من هذا الكتاب.

٣- أبو عبد الله مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى (٢٦-٧١): أحد كبار الولاه فى الإسلام، كان العضد الأقوى لأخيه عبد الله بن الزبير فى تثبيت ملكه بالحجاز و العراق، ضبط له العراق، و قتل المختار بن أبى عبيد الثقفى، ثم حاربه عبد الملك، و قتله بمسكن (الاعلام ١٤٩/٨) أقول: مسكن، موضع قريب من أوانا، عل نهر دجيل، عند دير الجائليق (معجم البلدان ٥٢٩/٤) و [١] آثار مسكن ما تزال ماثله، و يسميها أهل المنطقه: خرائب مسكين، و تبعد ثلاثه كيلومترات جنوبى قريه سميكه، و قبر مصعب ما زالت عليه قبه، و قد حرّف اسمه، فصار: الامام منصور (الديارات للشابشتى، تحقيق كوركيس عواد ٣٥٠ و ٣٥١)، [٢] أقول: لعلّ تقليد زياره قبر المصعب، بدأ فى السنه ٤٢٥ (المنتظم ٧٨/٨) و [٣] كان عبد الملك بن مروان، يشهد لمصعب بكمال المروءه (القصه ١٠/٧ من نشوار المحاضره).

٤- كذا فى الأصل.

٥- البرئ، جمعه بريئون، و أبراء، و أبرياء، و براء، و براء.

٦- لا توجد فى ر، و لا فى غ، و قد وردت فى كتاب إعتاب الكتاب ص ١٢٠ و ١٢١.

ما صحب السلطان أخبث

من عمر بن فرج الرخجى

[قال محمّد بن عبدوس فى كتاب الوزراء] (١)، حكى عن أبى عبد الله أحمد ابن أبى دؤاد، أنّه قال:

ما صحب السلطان أرجل (٢)، و لا أخبث (٣) من عمر بن فرج الرخجى (٤)، غضب عليه المعتصم يوما [٢١٧ م] و همّ بقتله، و أمر بإحضاره، فجاءوا به و قد نرف دمه.

فقال المعتصم: السيف، يا غلام، فجعلت ركبتا عمر تصطكان.

فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يسأله عن ذنبه، فلعله أن يخرج منه بعدر.

فقال له: يا ابن الفاعله، أمرتك فى ولد أبى طالب أن تتعرف خبر منازلهم؟ قال: لا.

قال: فلم فعلت ذلك؟

قال عمر: إنّما فعلت ذلك لأنّه بلغنى عن واحد منهم أن أهل قم (٥) يكاتبونه،

ص: ١٧

١- الزيادة من ن.

٢- الرجوليه: الجلاده.

٣- الخبث: اللؤم و المكر و الرداءه.

٤- عمر بن فرج الرخجى: ترجمته فى آخر القصه.

٥- قم: مدينه إسلاميه، أبنيتها بالآجر، سراديبها فى نهايه الطيب، و بينها و بين الرى مفازه سبخه، و أهلها شيعه إماميون بأجمعهم (معجم البلدان ١٧٥/٤، و [١] القصه ١١٠/٨ من نشوار المحاضره)، و تعصب أهل قم للعلويين مشهور بحيث أصبح مثارا للنكته (البصائر و الذخائر م ٣ ق ٢ ص ٥٣٦) أقول: زرت قم فى السنه ١٩٦٨ عبرت إليها المفازه بينها و بين طهران، فلم أستسغ ماءها، و لا هواءها، و لا طعامها.

فأردت أن أعلم ما فى الكتب الوارده عليه.

و جعل عمر فى خلال ذلك يلمس البساط الذى كان تحت المعتصم، فزاد ذلك فى غضبه.

و قال: يا ابن الفاعله، ما شغلک ما أنت فيه عن لمس البساط، كأنک غير مكرث بما أريده بک؟

فقال: لا و الله- يا أمير المؤمنين- و لكنّ العبد يعنى من أمر سيّده، بكلّ شىء، على جميع الأحوال، فإنّى استخشنت هذا البساط، و ليس هو من بسط الخلافه.

فقال له: ويلىک، هذا البساط ذكر محمّد بن عبد الملك أنّه قام علينا بخمسين ألف درهم.

فقال: يا سيّدى عندى خير منه قيمته سبعمائه دينار.

قال: فذهب عن المعتصم- و الله- ذلك الفور الذى كان به، و سكن غضبه.

و قال: [٢٠٩ ر] و وجه الساعه من يحضره.

فجاء ببساط قد قام عليه- فيما أظنّ- بأكثر من خمسة آلاف دينار (١)، و استحسنة المعتصم، و استلانه.

و قال: هذا- و الله- أحسن من بساطنا، و أرخص، و قد أخذناه منك بما قام عليك.

و و الله ما برح ذلك اليوم، حتى نادمه، و خلع عليه.

ص: ١٨

١- فى غ: ثلاثه آلاف دينار.

عمر بن فرج بن زياد الرّحجى: ذكرنا أصله و نسبه فى ترجمه أبيه، فى حاشيه القصّه ١٢٩ من هذا الكتاب.

و كان عمر، و أبوه فرج، من شرار الخلق، تقلّد عمر الأهواز للمأمون، فسرق، و خان (القصّه ٣٤١ من هذا الكتاب) ثم تقلّد الديوان فى أيام المعتصم، و عزل (القصّه ٣٧٩ من هذا الكتاب، و البصائر و الذخائر م ١ ص ٥٤) ثم تقلّد الأهواز للمتوكّل (القصّه ٢/٢ من النشوار) و كان من أهل الرشا (القصّه ٣/٢ من النشوار) فاعتقله المتوكّل، و قبض ضياعه، و أمواله، و جواريه و كنّ مائه، ثم صولح على أن يؤدّى عشره آلاف درهم، على أن يردّ عليه ما حيز عنه من ضياع الأهواز فقط (الطبرى ١٦١/٩ و الكامل لابن الأثير ٣٩/٧) ثم غضب عليه ثانية، فأمر بأن يصفع فى كلّ يوم، فأحصى ما صفع فكان ستة آلاف صفعه، و ألبس جبّه صوف، ثم سخط عليه آخر مرّه فأحدره إلى بغداد، فأقام بها إلى أن مات (مروج الذهب ٢/٢٠٣).

و كان عمر من المعروفين ببغض الإمام على و أهل بيته (ابن الأثير ٥٦/٧)، و كان يتبرّع بالتجسس على العلويين (البصائر و الذخائر م ٣ ق ١ ص ٣١٩ و هذه القصّه)، و عرف المتوكّل فيه ذلك، فولّاه أمر الطالبين، فعسفهم، و أخذ يحيى بن عمر، فضربه ثمانى عشره مفرعه، و حبسه فى المطبق، فاضطرّه بذلك إلى الخروج، فخرج بالكوفه، و قتل بعد معارك عنيفه (الطبرى ١٨٢/٩ و ٢٦٦-٢٧١ و الكامل لابن الأثير ١٢٦/٧-١٣٠).

ثم استعمله المتوكّل على مكّه و المدينة، فمنع آل أبى طالب أرزاقهم و عطاءهم، و منعهم من التعرّض لمسأله الناس، و منع الناس من البرّ بهم، و كان لا يبلغه أنّ أحدا، برّ أحدا منهم بشىء إلاّ أنهكه عقوبه، و أثقله غرما، حتى كان القميص يكون بين جماعه من العلويّات يصلّين فيه واحده بعد واحده، ثم يرفعه، و يجلسن على مغازلهنّ، عوارى، حواسر، إلى أن قتل المتوكّل، فعطف المنتصر عليهم، و أحسن إليهم (مقاتل الطالبين ٥٩٩).

و وصفت للمتوكّل عائشه بنت عمر بن فرج الرّحجى، فوجّه فى جوف الليل، و السماء تهطل، إلى عمر، أن احمل إلى عائشه، فسأله أن يصفح عنها فإنّها القيمه بأمره، فأبى، فانصرف عمر، و هو يقول: اللهمّ قنى شرّ عبدك جعفر، ثم حملها بالليل، فوطئها، ثم ردّها إلى منزل أبيها (المحاسن و الأضداد للجاحظ ١١٨)، و كذلك نوّلّى بعض الظالمين بعضا، بما كانوا يكسبون (١٢٩ ك الأنعام ٦).

مصعب بن الزبير يعفو عن أحد أسراه

و يجعله من ندمائه

و قرأت في بعض الكتب:

أن مصعب بن الزبير، أخذ رجلا من أصحاب المختار بن أبي عبيد (١)، فأمر بضرب عنقه.

فقال: أيها الأمير، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنه، و وجهك هذا الجميل الذي يستضاء به، فأتعلق بك، ثم أقول:

يا رب، سل مصعبا فيم قتلني؟

فقال له مصعب: قد عفوت عنك.

فقال: أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش، فإنه لا عيش لفقير.

فقال: ردوا عليه عطاءه، و أعطوه مائه ألف درهم.

ص: ٢٠

١- أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي (١-٦٧): من زعماء الثائرين على بني أمية، و أحد الشجعان الأنداز، أبوه أبو عبيد، كان قائد جيش المسلمين الذي توجه لفتح العراق، فالتقى بجيش الفرس، و وجد أبو عبيد أن الفيل عظيم النكايه في المسلمين، فدنا من الفيل، و شد عليه، و طعنه بالرمح في عينيه، ثم ضرب مشفره بالسيف فقطعه، فخطب الفيل أبا عبيد بقوائمه، و برك عليه، فقتله (مروج الذهب ١/٥٢٤ و [١] الطبري ٨/٤٥٨) و [٢] مكث المختار في المدينه منقطعا إلى بني هاشم، ثم كان مع الإمام على بالعراق، و أقام بالبصره من بعده، و لَمَّا قتل الحسين، انحرف عن عبيد الله بن زياد، فقبض عليه، و جلده، و ضربه بالسوط، فذهبت إحدى عينيه (لطائف المعارف ١٠٩) فخرج و دعا إلى بني هاشم، و استولى على الكوفه و الموصل، و تبع قتله الحسين، فاستأصلهم، و قتل عبيد الله بن زياد في وقعه الخازر على نهر الزاب، ثم حصره مصعب بن الزبير بالكوفه، و قتله (الاعلام ٧٠/٨) [٣] أقول: للمختار ترجمه مفصلة في أنساب الأشراف للبلاذري ٥/٢١٤-٢٥٢.

قال: أشهد الله، أنى قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات.

قال: لم؟

قال لقوله:

إنما مصعب شهاب من الل ه تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

يتقى الله فى الأمور و قد أف لح من كان همّه الاتقاء

فضحك مصعب، و قال: أرى فىك للصنيعه موضعاً، و جعله من ندمائه، و أحسن صلته (١).

ص: ٢١

١- لا توجد فى غ.

عمارہ بن حمزہ فی کرمہ و کبریائہ

و حکى أنه قيل للفضل بن يحيى بن خالد البرمكى، قد أفسدت جودك بكبرك، فقال [٢١٩ غ]:

و اللّٰه ما لى حيله فى النزوع عنه، و ما كان سبب حصوله فىّ إلاّ- أننى حملت نفسى عليه، لما رأيت من عماره بن حمزه (١)، فتشبهت به، فصار طبعاً، و لا أقدر على الإقلاع عنه.

و ذلك إنّ أبى كان يضمن فارس من المهدي، فحلت عليه ألف ألف درهم.

و كان المهدي قد ساء رأيه فيه، فحرّك ذلك ما كان فى نفسه، و أمر أبا عون [عبد الملك بن يزيد] (٢)، أن يأخذ أبى، فيطالبه بالمال، فإن غربت الشمس فى يومه ذاك، و لم يصحّ جميعه، أو بقى درهم منه، أتاه برأسه من غير [٢١٨ م] أن يستأذنه أو يراجعه.

قال: فأخذه أبو عون، فاستدعانى، و قال: يا بنى، قد ترى ما نحن فيه، فلا تدعوا فى منازلكم شيئاً إلاّ أحضرتموه.

ص: ٢٢

١- عماره بن حمزه بن ميمون: من كبار العمّال فى الدوله العبّاسيّه، كاتب، شاعر، جواد، داهيه، كان وافر الحرمة عند السّفاح و المنصور و المهدي، جمعت له ولايه البصره، و فارس، و الأهواز، و اليمامة، و البحرين، أخباره فى الكرم عجيبه، و أخباره فى التيه أعجب، توفى سنة ١٩٩ (الأعلام ١٩٢/٥).

٢- الزيادة من غ، و هو أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي الخراسانى: من قدماء الدعاه العبّاسيين، و كان من قواد أبى مسلم الخراسانى، و قحطبه، و اشترك فى الحروب التى رافقت تأسيس الدوله العبّاسيّه، و لما استقرّ الأمر للعبّاسيين و لآه السّفاح مصر، ثم بعثه المنصور إلى خراسان، و سيّره المهدي لحرب المقتنع، ثم استعمله على خراسان، و عزله، و فى السنه ١٦٩ مرض، فعاده المهدي، و توجّع له، و لم أجد له خبراً بعد ذلك، و أحسب أنه مات فى السنه ١٦٩ (ابن الأثير ٣٩٧، ٣٨٦، ٣٦٣/٥، ٤١٩، ٤١٦، ٤٠٠، ٤٦٦، ٤٦٥، ٤٢٦، ٤٢٥، [٢] الطبرى ١٨٠/٨).

قال: فجمعنا كل ما في منازلنا، من صامت وغيره، فلم يبلغ عشر المال.

فقال: يا بنى، إن كانت لنا حيله في الحياه، فمن قبل عماره بن حمزه، و إلا فأنا مقتول العشيّه، فالقه، و اذكر له الصوره.

فمضيت إلى باب، فاستؤذن لى عليه.

فدخلت، و هو مضطجع قد غاص فى فرش له، ما يكاد يبين إلا وجهه، فو الله ما تحرك، و سلمت، فأوما إلى بالجلوس، فجلست بعيدا منه، فلم يعرنى الطرف.

فانكسرت نفسى، و قلت: أى خير عند من هذا لقاءه، و هذا عنوان أمره، فأمسكت لا أتكلّم، مفكرا فى الكلام، أو القيام، فقال: اذكر حاجه إن كنت أتيت لها.

فقصصت عليه القصّه، فو الله ما أجابنى بحرف، أكثر من قوله: إمض، فإنّ الله يكفيك.

فقمت متحيّرا، أجزّ رجلى، لا أشكّ فى أنه قد آيسنى، و قلت: إن عدت إلى أبى بهذا الجواب مات غما قبل ضرب العنق.

فتوقّفت ساعه، لا أدرى ما أصنع، ثم قلت: على كلّ حال، أمضى إليه فأوتّسه، فإن كانت له حيله أخرى شرعنا فيها قبل انصرام النهار.

فجئت، فوجدت على الباب بغالا كثيره محمله.

فقلت لمن معها: من أنتم؟

قالوا: أنفدنا عماره إليكم بمال على هذه البغال.

فدخلت، فعرفت أبى بما جرى لى، و أخذنا المال فصحّحناه، و ما صلّيت العصر حتى عرف المهدي الصوره، و أفرج عن أبى [٢١٠ ر] و كان ذلك سبب رضاه عنه، و صلاح تيّته له.

فلما كان بعد شهرين، وورد لنا من فارس مال عظيم كثير، فقال لى أبى:

خذ هذا المال، و امض به إلى عماره، و اشكره، و رده عليه.

فحملت المال على بغال، و مضيت به إلى بابه.

فوقفت، حتى استؤذن لي، فدخلت، و هو على فرشه، فما زادني على ما عاملني به أولاً، و لا نقصني.

فشكرته عن أبي، و دعوت له، و عرفته إحضاري المال، و سألته الأمر بقبضه.

فقال لي: أ كنت قسطارا (1) لأبيك، أقرضه، و أرتجع منه؟

فقلت: لا، و لكن أحييته، و حقنت دمه، و مننت عليه، و ما أحب أن يتغنمك، فلما حصل له المال، أنفذه.

فقال: أمّا إذ رده أبوك، فقد وهبته لك، خذه و انصرف.

فقلت، و قد أعطاني ما لم يعط أحد أحدا.

فجئت إلى أبي فعرفته ما جرى، فقال: لا و الله -يا بني- ما تطيب لك به نفسى كله و لكن خذ منه مائتي ألف درهم، فأعطانيها، و هي أول مال جاءني كثيرا مجتمعا، و هي أصل نعمتي.

فتعلمت من عماره الجود و الكبر معا، فصارا لي طبعاً. [٢٢٠ غ]

ص: ٢٤

١- القسطار: الجهيد، أو الصيرفي.

الهائم الراويه يقتل أسودا مصابا بداء الكلب

و حدّثني الهائم الراويه (١)، قال:

كنت أسير من الشام، أريد العراق، فلما انتهيت إلى قريه في بعض الطريق، لقيني خراسانيّ معه مخلاه.

فقال: أين تريد؟

فقلت: بغداد.

فقال: أنا رفيقك، فاصطحبنا و سرنا إلى قريه خراب على شاطئ الفرات في بريّه الشام.

فرأينا على باب القريه رجلا أسود، منكر الخلقه، عريانا، لا يواريه شيء البتّه [٢١٩ م]، فعدا مجفلا عنا.

فدخلنا القريه، و جلسنا في دار خراب على شاطئ الفرات، و أخرجنا زادا [٣٩ ن] كان معنا، و أقبلنا نأكل.

فرأينا الحجاره تجيئنا متداركه (٢)، حتى خفنا أن نهلك بها، و ما تمالكنا أن نقوم إلاّ بجهد.

ص: ٢٥

١- في غ: و حكى أبو علي أحمد بن محمّد، أقول: و الهائم لقب لأبي علي أحمد بن علي المدائني: نسبة إلى المدائن (راجع حاشيه القصّه ١٢٦ من هذا الكتاب)، كان من ندماء عضد الدوله، و يتّضح من القصّه ٤٢/٤ من نشوار المحاضره، [١] أنّه كان يقوم في مجلس عضد الدوله حيث يكون القاضي التنوخي جالسا، و قد غضب عليه عضد الدوله مرّه، لأنّه أبدى في شعره رأيا لم يرضه، فأمر بضربه مائتي سوط (الهفوات النادره ٥٧) و غضب عليه ثانيه، فأمر بضربه مائتي مقرعه، فلما انتهى منها، نهض و نفّض ثيابه، و قال: أكثر الله خيركم، فغضب عليه، و أمر بضربه مائه مقرعه أخرى، (راجع القصّه في تجارب الأمم ١٩/٢ و معجم الأدباء ٢٦٠/٦ و [٢] تاريخ بغداد للخطيب ٣١٧/٤).

٢- متداركه: متلاحقه، و التدارك: التلاحق.

و تأملنا أمرنا، فرأينا الأسود يرجمنا، فطلبناه، و طلبنا.

فلَمَّا تداخَلنا، رام الأسود أن يقبض عليّ، فزغت منه، فقبض على الخراساني، و كان الخراساني أَيْدًا، فما زالَ - يتعاركان ساعه طويله، ثم انكبَّ الأسود على كتف الخراسانيّ فعَضّه.

فصاح الخراسانيّ: يا بغداديّ أدركني، فقد قتلتني.

فدنوت من خلف الأسود فقبضت على خصيتيه، و لکمتها لکمات شديده فخرّ مغشيا عليه، و قام الخراساني، فجلس على صدره، و خنقه بيده حتى تلف.

و سرنا، و الخراساني يصيح من ألم العَضّه، حتى انتهينا إلى حيال قريه عامره.

فصحننا بملاح، فقدم (1) زورقه لنعبر إلى القريه، فطرح الخراساني نفسه على الشطّ كالتالف.

فشجعته، و قلت له: مالک؟ و أيّ شيء قدر عَضّه؟

فقال: ويحك أنظر إليها، فنظرت إليها، فإذا هي قد أخذت كتفه کلّها، و اسودّت، و احمرّ بدنه کلّه.

فحملته أنا و الملاح، حتى حصّلناه في الزورق، و عبرنا، فلَمَّا صرنا بقرب الشطّ، تلف، فأخرجناه ميتا.

فاجتمع أهل القريه و سألوا عن شأنه، فحدّثتهم الحديث.

ص: ٢٦

١- قدّم الزورق: اصطلاح بغداديّ، بمعنى: أرساه على الشاطئ، و هذه الكلمه مستعمله إلى الآن عند القواربيه ببغداد. و العامّه ببغداد يسمّون القارب: بلم و يجمعونه على: أبلام، و بلمات، و يسمّون القواربيّ: بلاّم، و أحسب أنّ لفظه بلم، محرّفه عن برم، جمعها: برمات، نوع من القوارب التي كان استعمالها شائعاً ببغداد في القرن الرابع الهجري في العهد العباسي، راجع حكاية أبي القاسم البغدادي ص ١٠٧، و للإطلاع على تفصيل أنواع و أسماء المراكب و السفن في ذلك العهد، راجع معجم المراكب و السفن في الإسلام للعلامه حبيب زيات نشر بمجله المشرق، آب- كانون الأول ١٩٤٩ السنه ٤٣.

فقالوا: قد فتحتم فتحنا، [وقد سلّمك الله أنت، و أراحنا من ذلك العبد] (١) هذا عبد آل فلان، أصابه داء الكلب و تغرّب في تلك الخرابات، و قد قتل خلقا بالعضّ.

قال: و تبادل قوم منهم يريدون الموضوع للنظر للأسود، و سرت أنا في طريقي، و حمدت الله تعالى على سلامتي من الأسود.

ص: ٢٧

١- الزيادة من غ.

أبو جعفر بن شيرزاد

كان لداره أربعة عشر بابا

حدّثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شيرزاد، قال: حدّثني خالي، و ابن عمّ أبي، أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد (١)، قال:

لما سعى عليّ عند بجكم (٢)، حتى صرفني عن كتبه (٣)، و نكبتني، و ألزمني

ص: ٢٨

١- أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد: كان يكتب لهارون بن غريب الخال (خال المقتدر)، ثم كتب لابن رائق، ثم وّرّ لبجكم، ثم قبض عليه، و لمّا قتل بجكم، وّرّ لتوزون، و حكم بغداد باسمه، و في أيّامه بلغ تفلّت الأمور في بغداد، إلى حدّ عجيب، لا يكاد يصدّق، فإنّ لصا اسمه ابن حمدي، عظم شأنه، و كثر أتباعه، فأمنه ابن شيرزاد، و خلع عليه، و شرط معه أن يوصل إليه في كلّ شهر، خمسة عشر ألف دينار، ممّا يسرقه هو و أصحابه، و كان ابن شيرزاد يستوفّيها من ابن حمدي بالروزات، أي مقابل وصولات رسميه، و هذا ما لم يسمع بمثله قط، و لمّا مات توزون، نصب الجند ابن شيرزاد في مكانه، و لمّا سار معزّ الدوله يريد العراق، اختفى، ثمّ ظهر، فولاه معزّ الدوله الخراج و الجبايه، ثمّ فرّ منه، و لحق بناصر الدوله، و احتلّ بغداد باسمه، و دبرّ الأمور نيابه عنه، ففكر معزّ الدوله على بغداد، و نهبا جنوده، قيل إنهم نهبا عشرة آلاف دينار، ففكر ابن شيرزاد راجعا إلى ناصر الدوله، ثمّ اختلف معه، فسلمه إلى معزّ الدوله الذي صادره على خمسمائه ألف درهم (تجارب الأمم ١/١٦٣-١٦٤ و ٢/١٣-١١١، و الكامل لابن الأثير ٨/٣٥٤-٤٦٧) [١] راجع القصّه ١٧٧/٢ من نشوار المحاضر.

٢- بجكم، بفتح الباء و الكاف: كان من غلمان مرداويج، و اشترك في قتله، ثمّ غامر، فأصبح أمير الأمراء، و استولى على الدوله العبّاسيه في أيّام الراضي، و كان عاقلا، يفهم العرييه، و لا يتكلّم بها، مخافه الخطأ، و كان يقول: الخطأ من الرئيس قبيح، و كان استوطن واسط، و أظهر العدل، و بنى دار ضيافه للفقراء، و بدأ بعمل المارستان ببغداد، و هو الذي أتمّه عضد الدوله، و طالت إمارته سنتين و ثمانيه أشهر، و قتل في السنه ٣٢٩، و قال فيه الشاعر: إنّما العزّ فاعلم للأمير المعظم سيّد الناس بجكم و كان يلقّب بالماكاني، لأنّه كان ينتسب إلى ما كان، أحد قواد الديلم، (المنتظم ٦/٣٢٠ و [٣] تجارب الأمم ٧/٢).

٣- كان ذلك في السنه ٣٢٩ راجع تفصيل ذلك في تجارب الأمم ١/٤١٥.

بمائتي ألف دينار (١)، فأدّيت أكثرها من غير أن أبيع شيئاً من أملاكى الظاهره.

فلَمَّا قاربت وفاءها (٢)، استحضرنى أحمد بن على الكوفى (٣) كاتبه [و كانت له مروءة] (٤)، و أخذ [٧٧ ن] يخاطبني بكلام طويل، هو تقدمه و اعتذار لشيء يريد أن يخاطبني به.

فقلت له: يا سيدي ما تريد؟ و ما بك حاجه إلى التسبب، فأني بمودتك واثق.

فقال: إن هذا الرجل -يعنى بجكم- قد رجع عليك فى صلحك، و طمع فيك، و طالبني أن آخذ منك مائتي ألف دينار أخرى، و والله، ما هذا عن رأيي، و لا لى فيه مدخل، [و لا هو من فعلى] (٥) و لو قدرت على إزالته عنك لفعلت.

قال: فأخذت أحلف له أنى لا -أهتدى إليها، و لا- إلى عشرها، و أن [٢٧٣ غ] النكبه قد استنفدت مالى، و لم يبق لى شيء، إلا دارى، وضيعتى، و أنا أسميها، و لا أكنم شيئاً منهما، و أخرج له عنهما، ليهب لى روحى.

قال: فطال الخطاب بيننا، فلَمَّا قام فى نفسه صدقى، ففكر طويلاً.

ثم قال: يا سيدي، هذا رجل أعجمي، و عنده أن وراءك أضعاف هذا المال، و أن فيك من الفضل ما يصلح لقلب دولته عليه، و أنت -و الله- معه فى طريق القتل، إلا أن يكفيك الله عزّ و جلّ، و والله، ما أحبّ أن يجرى مثل هذا

ص: ٢٩

١- فى ر: بمائه ألف دينار.

٢- فى ن: فلَمَّا قاربت إغلاقها.

٣- أبو عبد الله أحمد بن على الكوفى: ترجمته فى حاشيه القصه ٧٧ من هذا الكتاب.

٤- الزيادة من ن.

٥- الزيادة من غ.

على يدي، ولا في أيامي، فيلزمي عاره إلى الأبد، وأجسره على قتل كتابه، فدبر خلاصك.

فتحيرت، ثم سكنت، وقلت له (١): تعطيني ميثاقك، وتحلف لي أن سرّك في محبته خلاصى كعلائيتك، حتى أقول لك ما عندي؟ ففعل.

فحلفت له أنني قد صدقته، وأننى لا أمتنع مما يجربه على [من بعد هذا اليمين، ولو شاء منى أن أفتح دواتي، وأكتب بين يديه.

وقلت له: أنت وقتك مقبل، ووقتي مدبر، وأنت فارغ القلب، وأنا ذاهل بالمحنة، فدبر أمرى الآن كيف شئت، فإنه يفتح لك بهاتين الخلتين، ما قد استبهم على [٢].

قال: ففكر، ثم قال: أنا إن آيست هذا الرجل من مالك، لم آمنه على دمك، وإن أطمعته في مالك، وليس لك ما تعلله به، أدت بك المطالبة إلى التلف، ولكن الصواب عندي أن أطمعه في ضيعتك، [و أصف له جلالها] (٣) فأشترىها له منك، وأقول له: [إن ضياع السواد الخراجي، قد أجمع شيوخ الكتاب بالحضره، قديما و حديثا، على أن كل ما كان منه غلته درهم، فقيمته أربعة دراهم، وأبو جعفر يقول: (٤) إن غله الضيعة - بعد الخراج - خمسة وعشرون ألف دينار، وإنه يضمنها بذلك، خالصا، بعد الخراج والمؤن، و يقيم بذلك كفلاء، فاشترها منه بمائتي ألف دينار كملا، ويحصل لعقبك ملك جليل، وهو مع هذا يؤدي باقى المصادر الأولى، وتصير ضامنا للضيعة، فأدفعها إليك، ومن ساعه إلى ساعه فرج، وأنا أحتال بحيله فى أن

ص: ٣٠

١- فى غ: قال: فتحيرت فى النكبه، و ذهلت، ثم أتاب إلى رأى فقلت.

٢- ساقطه من غ.

٣- الزيادة من غ.

٤- ساقطه من غ.

يكون الكتاب عندي، فلا أسلمه إليه، فلعلّ حادثه تحدث، و ترجع إليك ضيعتك، و تكون بالعاجل قد تخلصت، و سلم دمك أربع سنين.

قال: فعلمت أنّه قد نصحتني، و آثر خلاصتي، و أجبته.

فدخل إلى بجكم، و لم يزل معه في محادثات، إلى أن تقرّر الأمر على ما قالوني عليه، و أحضر الشهود، و كتب على الكتاب بالابتياح، و الكتاب بالإجازة.

و قال لي: ألوجه أن تقيم كفلاء ببقية المصادر الأولى، فقد استأذنته في صرفك إلى منزلك، و إذا انصرفت، فانضمم، و لا يراك أحد، و كن متحذرا، و لا تظهر أنك مستتر، فتغريه بك.

قال: فشكرته، و أقيمت الكفلاء بالمال، إلى أيام معلومه، فصرفني.

فعدت إلى داري، و كنت متحذرا، أجلس في كلّ يوم، فيدخل إليّ بعض الناس، بمقدار ما يعلم أنني بداري، فإذا كان نصف النهار، خرجت إلى منازل إخواني، و أقيمت يوما عند هذا، [٢٥٦ ر] و يوما عند الآخر، و راعيت أخبار داري، أتوقع أن يجيئها من يكبسها، فأكون بحيث لا يعرف خبري، فأنجو.

فطال ذلك، و السلامه مستمره، و انحدر بجكم إلى واسط، فأنست بالجلوس و الاستقرار في داري.

فلما كان [٢٧٤ غ] في بعض الأيام، ضاق صدري ضيقا لا أعرف سببه، و استوحشت، و فكّرت في أمري، و قلت: إن كبست على غفله، فماذا أصنع؟

قال: و كان لداري أربعة عشر بابا، إلى أربعة عشر سكه، و شارعاً، و زقاقا نافذا، و منها عدّه أبواب لا يعرف جيرانها أنها تفضي إلى داري، و أكثرها عليه الأبواب الحديد (١).

ص: ٣١

١- كانت دار أبي جعفر بن شيرزاد، في محلّه قصر فرج، بالجانب الشرقي (تجارب الأمم ٧٩/٢)،

قال: فترأى لى، أن أرسلت إلى غلمانى المقاتله، و كانوا متفرّقين عنى، قد صرفتهم لئلا يصير لى حديث، فجاءونى، و اجتمع منهم، و من أولادهم، نحو ثلاثائه غلام.

فقلت لهم: إذا كان الليله فاحضروا جميعا بسلاحكم، و بيتوا عندى ليلا، و أقيموا نهرا، إلى أن أدبر أمرى.

قال: ففعلوا ذلك، و فرّقتهم فى الحجر المقاربه للمجلس الذى كنت أجلس فيه، و قلت: إن كبست، فشاغلوا عنى من يطلبنى، لأنجو.

قال: و كنت أدبر كيف أعمل فى قلب الدوله، أو استصلاح بجمكم، فلم يقع لى الرأى، و لا أجد إلى ذلك طريقا.

و كنت أوصيت بوابى، أن يغلق بابى المعلوم للناس، و لا يفتحه لأحد من خلق الله، إلا بأمرى.

و أجلست غلاما كان يحجبنى فى أيام الدوله، و معه عشرون غلاما بسلاح خلف الباب، و أمرته أن لا يفتح لأحد.

فما مضى لهذا إلا يومان أو ثلاثه، حتى جاءنى حاجبى، و قال: قد دقّ الباب.

فقلت: من الطارق؟

فقال: أنا غلام محمّد بن ينال الترجمان، و هو و أبو بكر النقيب [\(1\)](#) بالباب، يستأذنان على سيّدنا بالدخول.

ص: ٣٢

١- أبو بكر النقيب: من أتباع أبى طاهر محمّد بن عبد الصمد، الذى كان صاحب الشرطه ببغداد، و قام بتنفيذ حكم الإعدام فى الحلاج سنه ٣٠٩، و لمّا انتقل محمّد إلى خدمه البريدى، انتقل أبو بكر معه، ثمّ خدم أبو بكر يحكم (تجارب الأمم ٣٤١، ١/٨١).

فقلت فى نفسى: بئيه و الله.

و أمرت الغلمان، فاجتمعوا بأسرهم، متسلحين، فى بيت له قبه كبيره، كنت جالسا فى أحد أروقته، و أمرتهم أن لا ينبسوا بكلمه.

و قلت للحاجب: اصعد إلى السطح، فانظر ما ترى، و أخبرنى به، ففعل.

و عاد، فقال: رأيت الشارع مملوءا بالخيال و الرجال، و قد أحاطوا بالدار من جنبات كثيره، و لما رأونى أراقبهم تنحيت.

فصاح بى الترجمان، قائلا: كَلْمَنى، و ما عليك بأس.

فأخرجت رأسى، فقال: ويحك، ما جئنا لمكروه، و ما جئنا إلا لبشاره، فعرف سيدنا بذلك.

فقلت: ليس هو فى الدار، و لكن أرسله، ثم أخبر الأمير أيده الله، فى غد، برسول إلى داره.

فقال: أنا ها هنا واقف ساعه، إلى أن يرى [٧٨ ن] رأيه.

ففكرت، و قلت: هذه حيله للقبض علىّ، لا شك فى ذلك.

ثم رجعت، فقلت: يجوز أن يكون بكم، قد تغير على الكوفى، و لا يجد لخدمته غيرى، و اعترضنى الطمع، و كاد أن يفسد رأى.

ثم قلت للغلمان: إن قلت لكم اخرجوا، فضعوا على أبى بكر النقيب، و الترجمان (١) أيديكم، فاخرجوا و خذوا رأسيهما، و لا تستأذنوا البتّه، فأجابوا.

فقلت: احذروا أن تخالفوا فأهلك.

فقالوا: نعم.

ثم قلت للحاجب: اطلع السطح، و قل له: إنى على حال من إختلال الفرش و الكسوه، لا أحبّ معه دخول أحد إلىّ، فإن رضيت أن تدخل أنت و أبو بكر النقيب فقط، و إلا فأنا أصلح أمرى و أجيء إلى دارك الليله.

ص: ٣٣

١- محمّد بن ينال الترجمان، القائد: ترجمته فى حاشيه القصّه ٣٥٩ من الكتاب.

قال: فعاد الغلام، و قال: كلمته، فقال: رضينا بذلك.

فقلت: يا فلان، أخرج، و احذر أن يفتح الباب كله فتدخل الجماعه، و أرى أن تقول له، أن يتباعد عن الباب إلى الشارع قليلا، و ينزل، و يقصده هو و أبو بكر النقيب فقط، و اجعل في الدهليز نفسين يمسان الباب من نواوه الغلمان.

فقال: نعم.

ثم قمت بنفسى، فأغلقت باب حديد كان بين [٢٧٥ غ] صحن الدار و الدهليز، و جعلت خلفه جماعه غلمان بالسلاح.

و قلت: قل لهما أن يدخلوا، و افتح من الباب الذى على الشارع قليلا] (١)

فإن ازدحم الناس، و تكاثروا، فهى حيله، فدعهم يدخلون، و صح: ما هذا؟ فأعلم أنها حيله، فأخرج من بعض الأبواب، أمّا هم فيفضون إلى هذا الباب، و هو مقفل، و وراءه الغلمان.

و إن حضرا و حيدين، فقل لهما: الشرط أن أقفل الباب [من وراء ظهر يكما] ١٦ بينكما و بين أصحابكما، ثم افتح الباب الذى يلى الشارع، حتى يدخلان، ثم اقله، و ارم مفاتيحه من تحت الباب الثانى إلينا إلى الصحن، و دقّ هذا الباب، فإتى واقف وراءه، لآتقدم بفتحه، فيدخلان.

ففعل الحاجب ذلك، و حصل أبو بكر [٢٥٧ ر] النقيب و الترجمان فى الدهليز و حيدين.

فلما سمعت صوت قفل الباب الخارجى، و أنا عند الباب الداخلى، و دقّ الحاجب الباب الثانى، و رمى بالمفتاح، عدت إلى مجلسى، فجلست فيه، و نحت من كنت أقمته وراء الباب الثانى بالسلاح، و أعدت عليهم الوصيه بقتلهما إن صحت: يا غلمان اخرجوا.

ص: ٣٤

١- الزيادة من غ.

ثم تقدّمت إلى غلام لي كان واقفا بلا سلاح (١)، أن يفتح الباب، و يدخلهما، ففعل ذلك.

و ألقيت نفسي على الفراش كأني عليل، و دخلا، فلم أوفّهما الحقّ، و أخفيت كلامي، كما يفعل العليل.

فقالا: أيش خبرك؟

فقلت: أنا منذ أيام عليل، و ارتعت بحضور كما.

فأخذ الترجمان يحلف أنّه ما حضر إلا ليردّني إلى منزلي، و استكتابي لبجكم، فشكرته على ذلك.

و قلت: أنا تائب من التصرف، و لا أصلح له.

فقال: قد أمرني الأمير بمخاطبتك في الخروج إليه، إلى واسط، لتقرير هذا الأمر، و لا يجوز أن أكتب إليه بمثل هذا عنك، و لكن

إذا كنت زاهدا في الحقيقه، فاخرج إليه، و أحدث بخدمته عهدا، و استعفه، فإنّه لا يجبرك.

فقلت: هل كاتبني بشيء توصله إليّ.

فقال: لا، و لكنّه اقتصر على ما كتب به إليّ، لعلمه بمودّتي لك، و لئلا يفشو الخبر.

فقلت: تقفني على كتابه إليك.

فقال: لم أحمله معي.

فعلمت أنّه قد كوتب بالقبض عليّ، و أنّه يتوصّل بالحيله لتحصيلي.

فقلت: أنا عليل كما ترى، و لا فضل فيّ للسفر، و لكن تجيب الأمير أطال الله بقاءه بالسمع و الطاعة، و أنّي أخرج بعد أسبوع، إذا

استقلت قليلا.

فقال: يقبح هذا، و الوجه أن تخرج.

فقلت: لا أقدر.

ص: ٣٥

١- في غ: كان واقفا بالسلاح.

فراجعني، و راجعته، إلى أن قال: لا بد من خروجك.

فقلت: إني لا أخرج.

فقال: تخرج طائعا أو كارها.

فجلست، و ظهر [٢٢٠ م] فأتى أثر الاحتداد مع القدره، و قلت: إني لا- أخرج، و لا- كرامه لك، فاجهد جهدك، و ذهبت لأصيح بالغلما.

و كان أبو بكر النقيب خبيثا، فقال: أسأل سيدنا بالله العظيم أن لا يتكلم بحرف، و يدعني و هذا الأمر.

ثم أخذ بيد الترجمان و قاما إلى ناحيه في المجلس بعيدة، لا أسمع ما يجري بينهما، فأطالا السرار، ثم جاء إليّ.

فأخذ أبو بكر يعتذر إليّ مما جرى، و يخاطبني باللين، و يقول: فبعد كم يخرج سيدنا؟ حتى نقتنع بوعدده، و ننصرف.

فقلت: بعد عشره أيام.

فقال: قد رضينا.

فأخذ الترجمان [ينزق (١) على في الكلام، و أبو بكر يغمزه، و يرفق به.

فلما بلغا إلى قريب من الدهليز، رجع أبو بكر، و جرّ الترجمان، معه [٢]، و قال: هذا ليس يعرفك حق معرفتك، و عنده أنه يقدر يستوفى عليك الحجّه، فبالله إلا ما عرفته [٢٧٦ غ] ما كان في نفسك أن تعمله بنا، لو استوفينا عليك المطالبه، لثلا أقع في مكروه معه و مع الأمير.

فقلت في نفسي: أنا أريد الهرب الساعه، فما معنى مساترتي لهما ما أردت أن أفعله، و لم لا أظهره ليكون أهيب في نفوسهما؟

فقلت للغلام الذي كان واقفا على رأسي بلا سلاح: إمض إلى أصحابنا،

ص: ٣٦

١- النزق: الطيش و الخفّه عند الغضب.

٢- ساقطه من غ.

و قل لهم أن يخرجوا، ولا يعملوا ما كنت قلت لهم.

فمضى الغلام، وفتح الباب عليهم، وقال: أخرجوا، ولا تحدثوا على القوم حادثه، فخرج القوم بالسلاح.

فقلت: هؤلاء أعددتهم لدفعكما عن نفسي، إن رمتما قسرى على ما لا أوثره.

قال: فمات الترجمان في جلده، و اصفّر و تحيّر (١).

فقال له أبو بكر: أنت تظنّ أنّك بالجبل (٢)، و ليس تعلم بين يدي من أنت الآن؟ عرفت أنّ الرأى كان في يدي، لا في يدك؟ و الله، لو زدت في المعنى، لخرج هؤلاء فأخذوا رأسك و رأسى.

فقلت: معاذ الله، و لكن كانوا يمنعوكما من أذى.

ثم قلت للغلمان: كونوا معهما، إلى أن يخرجوا، و تغلقوا الأبواب خلفهما، ففعلوا.

و قمت في الحال فلبست خفًا و إزارا على صورة النساء، و استصحبت جماعه من عجائز دارى، و خرجت معهنّ من باب من تلك الأبواب الخفيّه، متحيّرا، لا أدري أين أقصد.

فقصدت عدّه مواضع، كلّما قصدت موضعا، علمت أنّه لا- يحملنى، فأتجاوزه، إلى أن كدّنى المشى، [٢٥٨ ر] و قربت من الرصافه، فعنّ لى أن أقصد خاله المقتدر (٣)، و أطرح نفسى عليها.

فصرفت جميع من كان معى، إلا واحده، و قصدت دار الخاله، و دخلت دهليزها.

ص: ٣٧

١- فى غ: و اصفّر لونه، و تغيّر وجهه.

٢- فى غ: أنت تظنّ أنّك تقدر عليه بالحيل، و لمعرفه الجبل، راجع حاشيه القصّه ٦٥ من هذا الكتاب.

٣- خاله المقتدر، و اسمها: خاطف، واحده من الثالث الحاكم الذى كان يحكم و يدير أمور الدوله فى أيام المقتدر، و هم خاطف خاله المقتدر، و دستنبويه أمّ ولد المعتضد، و السیده شغب والده المقتدر، و كانوا يلقبون بالسّاده (الوزراء ١١٩).

فقام إلى الخادم، وقال: من أقول؟

فقال العجوز: امرأه لا تحب أن تسمى نفسها، فدخل و إذا بالخاله قد خرجت إلى الدهليز.

فقال لها الامراه: يا ستي، تأمرين الخادم بالانصراف، فأمرته، فانصرف.

فكشفت وجهي، و قلت: يا ستي (١) [٧٩ ن]، الله، الله، في دمي، اشتريني، فقالت: يا أبا جعفر، ما الخبر؟

فقلت: أدخليني، أحدثك.

فقال: كن مكانك، فإنني قد علمت أنك ما جئتني إلا مستترا.

ثم دخلت، فأبطأت، حتى قلت: قد كرهت دخولي، و ستخرج إلي من يصرفني، و تعتذر، و هممت بالانصراف.

و إذا بها قد خرجت، ثم قالت: أربعتك بالانتظار، و ما كان ذلك إلا عن احتياط لك، فادخل.

فدخلت فإذا دارها الأولى -على عظمها- فارغه، ما فيها أحد.

فسلكت بي، و بالمرأه العجوز، إلى موضع من الدار، فدخلت إلى حجره، فأففلتها بيدها، و مشت بين أيدينا، حتى انتهت بنا إلى سرداب، فأنزلتنا فيه، و مشينا فيه طويلا، و هي بين أيدينا، حتى صعدت منه إلى درجه طويله، أفضت بنا إلى دار في نهايه الحسن و السرو، و فيها من [٢٢١ م] الفرش، و الآلات، كل شيء حسن.

و قالت: إنما احتبست عنك، حتى أصلحت لك هذه الدار، و أخليت الأولى، حتى لا يراك الذين كانوا فيها، فيعرف خبرك، [فعرّفتني قصتك].

فذكرتها لها، من أولها إلى آخرها.

فقال: [٢] اجلس ها هنا ما شئت، فوالله، إنك تسرّني بذلك، فاحفظ

ص: ٣٨

١- في ن: يا مولاتي.

٢- الزيادة من غ.

نفسك من أن ينتشر خبرك من جهتك، فليس معي من جهتي من يدخل عليك [٢٧٧ غ] أو يخرج منك، فتهلك نفسك، و تهلكني، فإنك تعلم أن هذا الرجل ظالم جاهل، لا يعرف حقّ مثلي.

فقلت: ما معي غير هذه العجوز، و لست أدعها تخرج.

فقلت: هذا هو الصواب.

فأقمت عندها مدّة، فكانت تجيئني كلّ يوم، و تعرّفني أخبار الدنيا، و تحادثني ساعه، و تنصرف، و تحمل إليّ كل شيء فاخر، من المأكول، و المشروب، و البخور، و أخدم بما لم أخدم بمثله في أيام دولتي.

فلما كان في غداه يوم بعد حصولي عندها، قالت: يا أبا جعفر، أنت وحدك، و ليس يصلح أن يخدمك كلّ أحد، و قد حملت إليك هذه الجارية - أو مأت إلى وصيفه كانت معها، في نهايه الحسن و الجمال - فاستخدمها، و إنّها تقوم مقام فراشه، و قد أهديتها لك، و إن احتجت إلى ما يحتاج إليه الرجال، صلحت لذلك أيضا.

فقبلت ذلك، و شكرتها، [و دعوت لها] (٢٤).

و تأملت (١) الجارية، فإذا هي تغني أحسن غناء و أطيبه، فكان عيشي معها أطيب من عيشي أيام الدوله.

و مضى على استتاري نحو شهرين، لا يخرج من عندي أحد، و لا يدخل إليّ غير الجارية.

فقلت لها يوما: قد تطلعت نفسي إلى معرفه الأخبار، و إنفاذ هذه العجوز إلى من تتعرّف ذلك منه.

فقلت: افعّل، و احتفظ جهديك.

فكتبت مع العجوز كتابا إلى وكيل لي أثق به، أمره أن يتعرّف لي الأخبار،

ص: ٣٩

١- في غ: و تأنست.

و يكتب إلّى بها مع العجوز.

و رسمت له أن ينفذ طيوراً مع غلام أسميته له و كنت به واثقاً من دون سائر غلمانى، و يأمره بالمقام بواسط، و المكاتبه على الطيور فى كلّ يوم بالأخبار (١)، و أن يكتب عَنّى إلى جماعه بواسط-كنت أتق بهم- بأن يمدّوا الغلام بالأخبار.

و رسمت للعجوز أن لا تعرّف الوكيل موضعى، لئلا يظهر شىء من الأمر، و يقع الوكيل، و يطالب بى، فيدلّ علىّ.

فعاد الجواب إلّى، بما عنده [٢٥٩ ر] من الأخبار، و أنه لا ينقضى يومه، حتى ينفذ الغلام و الطيور.

فأمهلته عشره أيام، ثم رددت العجوز، فأنفذ لى على يدها، كتباً وردت على الطيور، فقرأتها، و مضى على ذلك مدّه.

فأصبحت يوماً و أنا على نهايه النشاط، و السرور، و الانبساط، من غير سبب أعرفه، فقلت للعجوز: امضى إلى فلان، و اعرفى هل ورد عليه كتاب من واسط؟

فمضت العجوز إلى الوكيل، فهى عنده، إذ سقط عليه طائر بكتاب، فحلّه، و سلّمه إليها، من غير أن يقف عليه.

فجاءتنى به، فإذا هو من الغلام المرتّب بواسط، بتاريخ يومه، [و أكثره رطب، كتب فى الحال] (٢) يذكر فيه ورود الأخبار إلى واسط، بقتل الأكراد لبعكم (٣)، و أنّ الناس قد اختلطوا و ماجوا.

ص: ٤٠

١- الطيور المقصوده بالذكر هى الحمام الزاجل، و الزجل، فى اللّغه: الرمى بشىء، و فى الاصطلاح: إرسال الحمام الهادى من مزجل بعيد (لسان العرب)، للتفصيل، راجع كتاب الحيوان للجاحظ، و خطط المقرئى، و دائره المعارف الاسلاميه.

٢- الزيادة من غ.

٣- مقتل بعكم: راجع التفصيل فى تجارب الأمم ٩/٢-١١ و ابن الأثير ٣٧١/٨ و ٣٧٢.

فَقَبِلت الأَرْض شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكُتِبَتْ فِي الْحَالِ إِلَى الْكُوفِيِّ رَقْعَهُ أَشْكُرُهُ فِيهَا عَلَيَّ [٢٧٨ غ] جَمِيلُهُ، وَاعْرِفْهُ أَنِّي مَا طَوَيْتْ خَبْرِي عَنْهُ إِلَى الْآنَ، إِلَّا- إِشْفَاقًا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ عَنِّي، فَيَكُونُ مَتَى حَلَفَ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ خَبْرِي، صَادِقًا، وَ أَنْ أَقْلَّ حَقُوقَ مَا عَامَلَنِي بِهِ، أَنْ اعْرِفْهُ مَا يَجِبُ أَنْ يَتَحَرَّزَ مِنْهُ، وَ ذَكَرْتَ لَهُ مَا وَرَدَ مِنَ الْخَبْرِ، وَ أَشْرْتَ عَلَيْهِ بِالِاسْتِتَارِ.

وَ أَنْفَذْتَ رَقْعَتِي إِلَيْهِ بِذَلِكَ، طَيِّبِي رَقْعَتِي إِلَى الْوَكِيلِ، وَ أَمْرَتَهُ أَنْ يَمْضِيَ بِهَا فِي الْوَقْتِ إِلَيْهِ.

وَ قُلْتَ لِلْعَجُوزِ: إِذَا مَضَى الْوَكِيلُ فَارْجِعِي أَنْتِ، وَ لَا تَقْعُدِي فِي دَارِ الْوَكِيلِ.

فَعَادَتْ، وَ عَرَفْتَنِي أَنَّ الْوَكِيلَ تَوَجَّهَ إِلَى الْكُوفِيِّ.

فَلَمَّا كَانَ بَيْنَ الْعِشَاءِ مِنْ [٢٢٢ م] ذَلِكَ الْيَوْمِ رَدَدْتَهَا إِلَى الْوَكِيلِ، وَ قُلْتَ لَهَا: اطْرُقِي بَابَهُ، فَإِنْ كَانَ فِي بَيْتِهِ، عَلَيَّ حَالِ سَلَامِهِ فَادْخُلِي، وَ إِنْ بَانَ لَكَ أَنَّهُ مَعْتَقَلٌ، أَوْ أَنَّ دَارَهُ مَوْكَلٌ بِهَا، فَانصُرْفِي وَ لَا تَدْخُلِي.

فَعَادَتْ إِلَيَّ بِرَقْعِهِ الْوَكِيلِ، وَ طَيَّبَهَا رَقْعَهُ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيِّ.

وَ فِي رَقْعِهِ الْوَكِيلِ: إِنَّهُ حِينَ أَوْصَلَ الرَّقْعَةَ إِلَى الْكُوفِيِّ، بَانَ لَهُ فِي وَجْهِهِ الْاضْطِرَابُ، وَ إِنَّهُ مَا صَلَّى الْعَصْرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْبَلَدَ بِأَنَّ الْكُوفِيَّ قَدْ اسْتَتَرَ، وَ أَنَّ بِجُحْمٍ قَدْ حَدِثَتْ بِهِ حَادِثَةٌ لَا نَدْرِي مَا هِيَ، وَ قَدْ عَدْتُ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى دَارِ الْكُوفِيِّ، فَوَجَدْتُهَا مَغْلُقَةً، وَ لَيْسَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَ إِنِّي قَدْ أَنْفَذْتُ جَوَابَ الْكُوفِيِّ طَيِّبِي رَقْعَتِي.

وَ قَرَأْتُ رَقْعَهُ الْكُوفِيِّ، فَإِذَا هُوَ يَشْكُرُنِي، وَ يَقُولُ: [قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِثْلَكَ يَا سَيِّدِي لَا يَفْتَعَلُ مِثْلَ هَذَا الْخَبْرِ، وَ لَا يَضِيغُ مَرُوءَتَهُ، وَ أَنَّ مِثْلَهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا، وَ قَدْ تَشَاغَلَ الَّذِينَ مَعَ الْأَمِيرِ بِالْهَرَبِ، عَنْ أَنْ يَكْتُبُوا لِي بِالْحَادِثِ، وَ كُتِبَ بِهِ مِنْ رَتَّبَتِهِ أَنْتِ، كَمَا ذَكَرْتَ فِي رَقْعَتِكَ، فَأَوْجِبِ الرَّأْيَ أَنْ أَسْتَظْهَرَ لِنَفْسِي، فَإِنْ كَانَ الْخَبْرُ صَحِيحًا، وَ هُوَ عِنْدِي صَحِيحًا، فَالرَّأْيُ مَعِي، وَ إِنْ

كان باطلا، فلا يضرني ذلك عند صاحبي إن كان حيًّا، لأنه يتصورني جبانًا لا غير، فيكون أسلم في العاجل [١].

وقد أنفذت إليك -يا سيدي- طيَّ رقعتي هذه، الكتابين اللذين كتبتهما عليك في ضيعتك بالاتباع والإجاره، ابتغاء إتمام مودّتك، ولتعلم صدقي فيما كنت توسّطته، ونصحي فيما عاملتك به، فإن كان موت الرجل صحيحًا، فقد رجعت إليك ضيعتك، وإن كان باطلا -فإنه لا- يسألني عنهما، ولا يذكرهما، وإن ذكرهما جحدت أني تسلمتهما، وقضيت [٨٠ ن] حقك بذلك، وأعدت نعمتك عليك.

قال: وإذا بالكتابين في طيَّ الرقعه، فمزّقتهما في الحال.

ولبست من عند الخاله، خفًّا، وإزارًا، بعد أن عرّفتها صورته، وخرجت مع العجوز، وجمت إلى داري فدخلتها من بعض أبوابها الخفيّة.

فلما كان من الغد، قوى الخبر بقتل بجكم، ففتحت بابي، وفرّج الله عني المحنه.

فلما كان العشاء، أتاني رسول الخاله، ومع الجاربه، وقال: سيدي تقررئك السلام، وتقول لك: لم تدع جاريتك عندنا؟

قال: وإذا هي قد حملت معها، كلّ ما كانت قد أخذمتيه من فرش، وآله، وغير ذلك، من أشياء كثيره جليله المقدار.

وقالت: هذا جهاز الجاربه، وأحبّ أن تقبله مني [٢٦٠ ر].

فقبلته، ورددت الرسول شاكرًا، وقد منّ الله عليّ بالعود إلى أحسن حال [٢].

ص: ٤٢

١- ساقطه من غ.

٢- غذه القصه لم ترد في ر.

تعذيب العمال المطالبين بضربهم بالمقارع

و وضع الحجارة على أكتافهم

و ذكر محمد بن عبدوس، في كتابه «كتاب الوزراء»، قال: حدّثني أحمد بن علي بن بيان، قرابه ابن بسطام، قال: قال لي سليمان بن سهل البرقي، و كان أستاذ أبي العباس ابن بسطام.

انصرفت من بعض الأعمال (١)، فألفت عمر بن فرج (٢) يتقلد الديوان، و كان في نفسه عليّ شيء، فأخفيت نفسي، و سترت أصحابي.

فطلبني، و أذكي العيون عليّ، فلم يصلوا إليّ، فأمر أن يعمل لي مؤامره تشتمل على ثلثمائة ألف (٣).

و كانت بيني و بين نجاح بن سلمه (٤) مودّة، فأنا في عشية من العشايا، في استتاري، إذ وردت عليّ رقعة نجاح يأمرني بالمصير إليه.

فلما صرت إليه، قال لي: صر إلي عمر بن فرج، و سلّم عليه، و عرفه أنّي قد بعثت بك إليه.

قال: فقلت له: يا سيدي، انظر ما تقول، فإنّه قد نذر دمي، فكيف أمضي إليه هكذا؟

ص: ٤٣

١- يريد أنّه كان متقلدا عملا من أعمال السلطان، و صرف عنه، فعاد إلى الحضرة.

٢- عمر بن فرج بن زياد الرخجي: ترجمته في حاشية القصّة ٣٧٤ من الكتاب.

٣- المؤامرة: عمل يثبت فيه مقدار ما تحقّق على الشخص من أموال عليه أن يؤدّيها للسلطان، راجع القصّة ١٧٧/٢ من كتاب نشوار المحاضرة ج ٢ ص ٣٣٦ سطر ٦.

٤- أبو الفضل نجاح بن سلمه الكاتب: ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب.

فقال: نعم، اعلم أنه قال لي اليوم، إن فلسطين (١) قد انغلقت علينا، وفسدت، مع جلالتها، وقد أكلها العمّال، وإنه في طلب من يكفيه أمرها، و يحفظ مالها، وليس يعرف من يرضى كفايته.

فقلت له: إن أردت الكفاية، فهذا سليمان بن سهل، وفيه من الكفاية والإخلاص [٢٢٣ م] والجِدِّ، ما لا يشكّ فيه، فلم عطّلته، وأخفته؟

فقال: كيف لي به؟

فقلت: تؤمنه، وتزيل ما عليه من المطالبه، وتقلده فلسطين، فإنه يكفيك، ويوفّر عليك، ويحمّلك فيما يتصرّف لك فيه، وأنا أبعث به إليك.

فقال: ابعث به إليّ، وهو آمن.

فصر إليه، فإنه لا يعرض لك إلا بما تحبّ.

فبكرت إليه، وهو في ديوانه، فلما دخلت صحن الدار، رأيت العمّال على أكتافهم الحجارة، والمقارع (٢) تأخذهم، فهالني ما رأيت.

ص: ٤٤

١- فلسطين: راجع حاشيه القصّه ١٣٥ من الكتاب.

٢- أورد صاحب الصلّه ص ٣٤، أبياتاً، أثبت قائلها فيها، ألوانا من العذاب الذي كان يصبّ على رؤوس العمّال والمتصرّفين المصروفين، منها: أين ضرب المقارع الأرزنيّات و أين الترهيب و الانتهاز أين صفع القفا و أين التهاوى ل إذا علّقت عليها الثفار أين ضيق القيود و الألسن الفظّه أين القيام و الأخطار أين عرك الآذان و اللطم للهام م و عصر الخصا و أين الزيار أين نتف اللحي و شدّ الحيازي م و أين الجبوس و المضمّار و في وفيات الأعيان ٤/٤٦٩ و ٤٧٠ [١] أبيات لابن التعاويذي، ذكر فيها ما أنزله الوزير ابن البلدي، بالعمّال المصروفين، من ألوان العذاب و أوّل القصيده: يا قاصدا بغداد حد عن بلده للجور فيها زخره و عباب و منها:

فلما وصلت إليه، سلّمت عليه، وقلت: إنّي كنت خادم أبي الفضل، أعني فرج الرّحجي (١)، وأحد صنائعه.

فقال: لو لا ما تمّت به من هذه الخدمه، لكنت أحد هؤلاء الذين تراهم.

ثم رفع مصلاه، وأخرج الكتب بولايتي فلسطين، وسلّمها إليّ، وأمرني بكتمان أمرى عن الناس، والاستعداد للمسير.

فأخذت الكتب، وشخصت إلى هناك، فأرضيته، وقضيت حقّ نفسي (٢).

ص: ٤٥

١- أبو الفضل فرج بن زياد الرّحجي: ترجمته في حاشيه القصّه ١٢٩ من الكتاب.

٢- هذه القصّه لم ترد في رولا في غ.

اللّه يجزى سعيد الخير نائله

حدّثني أبو الفرج، المعروف بالأصبهاني، قال: أخبرني أبو دلف هشام (١) بن محمّد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخزاعي، ومحمّد بن الحسن (٢) الكندي، قالوا: حدّثنا الخليل بن أسد، قال: أخبرني العمري، عن الهيثم بن عدّي، عن الحسن (٣) بن عماره، عن الحكم بن عيينه:

أنّ حارثه بن بدر الغداني (٤)، كان قد سعى في الأرض فساداً، فنذر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه دمه، فاستجار بأشراف الناس، فلم يجره أحد.

ف قيل له: عليك بسعيد بن قيس الهمداني (٥)، فلعلّه أن يجيرك.

ص: ٤٦

١- في ن: هاشم.

٢- في ن: محمد بن الحسين.

٣- في م: الحسين بن عماره.

٤- حارثه بن بدر بن حصين التميمي الغداني: تابعي، بصري، مستهتر بالشراب، وكان جليسا لزياد بن أبيه لّمّا ولي البصره، ولّمّا مات و خلفه ولده عبيد الله، قال له: اختر من عملي ما شئت، فاختر الولاية على سرّ، لأنّ شرابها طيب، فقال أبو الأسود الدؤلي: أحرار بن بدر قد وليت ولاية فكن جرذا فيها تخون و تسرق و لا تحتقر يا حارثه و جدته فحظّك من مال العراقيين سرّ و خرج في بعث يحارب الخوارج، ثمّ بلغه، تأمير المهلب، فأقبل بمن معه نحو البصره، و ركب سفينه في نهر دجيل، فاستغاث به رجل ليحمّله معه، فقرب السفينه إلى الشاطئ فوثب الرجل إليها فغاصت بجميع من فيها، فغرقوا، و ذلك في السنه ٦٥ (وفيات الأعيان ٥٠٢/٢ و [١] ابن الأثير ١٩٦/٤).

٥- سعيد بن قيس بن زيد الهمداني: فارس، شجاع، جواد، داهيه، من سلالة ملوك همدان، اشترك في فتح فارس على عهد الخليفه عمر، و ولّاه عثمان الرّي، و حارب في صفين مع الإمام عليّ، توفّي نحو سنه ٥٠ (الاعلام ١٥٣/٣ و ابن الأثير ١٤٧، ٢٨٥، ١٠/٣).

فطلب سعيداً، فلم يجده، فجلس في طلبه، حتى جاء، فأخذ بلجام دابته، وقال: أجزني، أجزرك الله.

قال: مالك ويحك؟

قال: قد نذر أمير المؤمنين دمي.

فقال: أقم مكانك، وانصرف إلى أمير المؤمنين، فوجده قائماً يخطب على المنبر.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساداً؟

قال: أن يقتلوا، أو يصلبوا، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض.

قال: يا أمير المؤمنين، إلا من تاب.

قال: إلا من تاب.

قال: فهذا حارثه بن بدر قد جاءنا تائباً، وقد أجرته.

قال: أنت رجل من المسلمين، وقد أجرنا من أجرته.

ثم قال وهو على المنبر: أيها الناس، إنني كنت قد نذرت دم حارثه بن بدر، فمن لقيه فلا يعرض له.

فانصرف إليه سعيد، فأعلمه، وكساه، وحمله، وأجازه، فقال فيه حارثه شعراً:

الله يجزي سعيد الخير نائله أعنى سعيد بن قيس قرم همدان

أنقذني من شفا غبراء مظلمه لو لا شفاعته ألبست أكفاني

قالت تميم بن مرّ لا تخاطبه وقد أبت ذلكم قيس بن عيلان

قال الحسن بن الهيثم: لم يكن يروى الحسن بن عماره، من هذا الشعر، غير هذه الأبيات، فأخذت الشعر كله من حماد الراويه، و

قلت له: ممّن أخذته؟

فقال: من سماك بن حرب، و هو:

أساغ في الحلق ريقا كنت أجرضه و أظهر الله سرى بعد كتمان

إنى تداركنى عفّ شمائله آباؤه حين ينمى خير قحطان

و ذكر بقيه الشعر و الحديث، و لم يكن مما يدخل فى كتابى هذا، فلم أسقه (١).

ص: ٤٨

١- هذه القصه لم ترد فى ر، و لا فى غ.

فإن نلتني حجّاج فاشتف جاهدا

و أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني، قال: أخبرني عمّي الحسن بن محمّد، قال: قال لي الكراني (١)، عن الخليل بن أسد، عن العمري، عن عطاء عن عاصم بن الحدثان، قال:

كان ابن نمير الثقفي (٢)، يشبّب بزینب بنت يوسف بن الحكم (٣)، و كان الحجّاج أخوها يتهدّده، و يقول: لو لا- أن يقول قائل، لقطعت لسانه [٢٢٤ م].

فهرب إلى اليمن، ثم ركب بحر عدن، و قال في هربه:

أتنتي عن الحجّاج و البحر بيننا عقارب تسرى و العيون هواجع

فضقت بها ذرعا و أجهشت خيفه و لم آمن الحجّاج و الأمر قاطع

و حلّ بي الخطب الذي جاءني به سمیع فليست تستقرّ الأضالع [٨١ ن]

فبت أدير الأمر و الرأي ليلتي و قد أخضلت خدى الدموع الهوامع

ص: ٤٩

١- الكراني: النسبه إلى کران، محلّه بأصبهان (اللباب ٣/٣٣٣)، و [١] اسمه محمّد بن سعد من رجال سند صاحب الأغاني (كتاب الأغاني ٣١/١).

٢- محمّد بن عبد الله بن نمير الثقفي: شاعر غزل، ولد و نشأ بالطائف، و هو صاحب القصيده المشهوره شبّب فيها بزینب بنت يوسف الثقفي، ذكرها صاحب الأغاني ١٩٢/٦-١٩٤ و [٣] صاحب العقد الفريد ٣٢٥/٥ و [٤] مطلعها: تزوّع مسكا بطن نعمان إذ مشت به زینب في نسوه خفرات

٣- زینب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي: أخت الحجّاج، زوّجها من ثقفي، و ولّاه البصره، و لمّا ثار أهل العراق على الحجّاج، بعث بها ضمن أفراد عائلته إلى الشام، و لمّا انتهت الحرب، كتب إليها الحجّاج، فوردت الرساله إليها، و هي على دابّه، فلمّا فتحتها لتقرأها، وقع ورقها، فنفرت الدابّه، و ألقتها، فقتلتها (الأغاني ١٩٠/٦-٢٠٨).

فلم أر لى خيرا من الصبر إنّه أعفّ و أحرى إذ عرتنى الفواجع

و ما أمنت نفسى الذى خفت شرّه و لا طاب لى ما حبّيته (١) المضاجع

إلى أن بدا لى رأس إسييل (٢) طالعا و إسييل حصن لم تنله الأصابع

فلى عن ثقيف إن هممت بنجوه مهامه تعفى بينهنّ الهجارع (٣)

و فى الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف إذا شئت منأى لا أبالك واسع

فإن نلتنى حجّاج فاشتف جاهدا فإنّ الذى لا يحفظ الله ضائع (٤)

قال: فطلبه الحجّاج، فلم يقدر عليه، ثم طال على النميرى مقامه هاربا، و اشتاق إلى وطنه فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج.

فقال له الحجّاج: يا نميرى، أنت القائل:

فإن نلتنى حجّاج فاشتف جاهدا

فقال: بل أنا أقول:

أخاف من الحجّاج ما لست خائفا من الأسد العرباض (٥) لم يثنه دعر

أخاف يديه أن تنال مفاصلى بأبيض غضب ليس من دونه ستر

و أنا الذى أقول:

فها أنا قد طوّفت شرقا و مغربا و أبت و قد دوّخت كلّ مكان

فلو كانت العنقاء عنك تطير بى لختلك - إلا أن تصدّ - ترانى

قال: فتبسّم الحجّاج، و أمّنه، و قال: لا تعاود إلى ما تعلم، و خلّى سبيله (٦)

ص: ٥٠

١- فى الأغانى ١٩٩/٦: [١] ممّا خشيت.

٢- إسييل: جبل فى مخلاف ذمار (معجم البلدان ٢٣٩/١).

٣- المهامه، مفردها: المهمه و المهمه: المفازة البعيده، و الهجرع: الكلب السلوقى الخفيف.

٤- وردت الأبيات كامله فى الأغانى ١٩٨/٦ و ١٩٩ و [٣] فى معجم البلدان ٢٤٠/١.

٥- العرباض: الثقيل العظيم.

٦- هذه القصه لم ترد في ر، و لا في غ، و وردت في الأغانى [٥] بتفصيل ١٩٨/٦-٢٠٠.

أسود راجل رزقه عشرون درهما

بَزَّ في كرمه معن بن زائده الشيباني

أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين القرشي، قال: أخبرني حبيب بن نصر المهلبى (١)، قال: [حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: أخبرنا محمد بن نعيم البلخي، أبو يونس، قال: (٢)، حدَّثني مروان بن أبي حفصه، و كان لي صديقا، قال:

كان المنصور قد طلب معن بن زائده الشيباني طلبا شديدا، و جعل فيه مالا.

فحدَّثني معن باليمن، أنه اضطرَّ لشده الطلب أن قام في الشمس، حتى لَوَّحت وجهه، و خَفَّف من [٢٧٩ غ] عارضيه و لحيته، و لبس جبّه صوف غليظه، و ركب جملا [من جمال النقاله] (٣)، و خرج عليه ليمضي إلى البادية، [و قد كان أبلَى في الحرب بين يدي ابن هبيرة (٤) بلاء حسنا، فغاظ المنصور (٥)، و جدَّ في طلبه] ٣.

ص: ٥١

١- حبيب بن نصر المهلبى: من عمّال الدولة العبّاسية، استعمله الرشيد على إفريقيه في السنه ١٧٤ بعد وفاه أميرها روح بن حاتم بن قبيصه بن المهلب، و عزله في السنه ١٧٧ بالفضل بن روح بن حاتم (ابن الأثير ١٣٥/٦ و [١] الأعلام ٦٣/٣).

٢- الزيادة من ن، و من الأغاني ٨٤/١٠.

٣- ساقطه من غ.

٤- أبو خالد يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى (٨٧-١٣٢): من قوّاد الدوله الأمويّه. جمعت له ولايه العراقين سنه ١٢٨ في أيام مروان بن محمّد، و قاتل العبّاسيين، ثمّ انجر في واسط، و حاصره المنصور فيها، فلم يقدر عليه، فأمنه، ثمّ غدر به فقتل سنه ١٣٢ بواسط (الأعلام ٢٤٠/٩).

٥- كان معن بن زائده من قوّاد يزيد بن عمر بن هبيرة، و صمد في محاربه العبّاسيين فلما قتل يزيد بن عمر ابن هبيرة، استتر إلى أن ظهر يوم الهاشميه، لَمَّا ثار بعض الخراسانيين على المنصور، فظهر معن،

قال معن: فلما خرجت من باب حرب (١)، تبعني أسود، متقلدا سيفي، حتى إذا غبت عن الحرس، قبض على ختام الجمل، فأناخه، و قبض عليّ.

فقلت: ما لك؟

فقال: أنت طلبه أمير المؤمنين.

فقلت: و من أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين.

قال: أنت معن بن زائدة.

فقلت: يا هذا اتق الله، و أين أنا من معن بن زائدة.

فقال: دع عنك هذا، فأنا و الله أعرف بك منك.

فقلت له: فإن كانت القصّة كما تقول، فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذل المنصور لمن جاء بي، فخذ، و لا تسفك دمي.

فقال: هاته، فأخرجته إليه.

فنظر إليه ساعه، و قال: صدقت في قيمته، و لست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك.

فقلت: قل.

قال: إن الناس قد وصفوك بالجود، فأخبرني هل وهبت قطّ مالك كلّه؟

قلت: لا.

قال: فنصفه؟

قلت: لا.

قال: فثلثه؟

ص: ٥٢

١- باب حرب: إحدى أبواب مدينة المنصور، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي أحد قواد المنصور، راجع معجم البلدان ١/٤٤٤ و ٢/٢٣٤.

قلت: لا، حتى بلغ العشر.

فاستحييت، فقلت: أظنّ أنّي قد فعلت ذلك.

قال: ما أراك فعلته، وأنا والله راجل (١)، و رزقي مع أبي جعفر عشرون درهما، وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير، وقد وهبته لك، و وهبتك لنفسك، و لوجودك المأثور بين الناس، و لتعلم أنّ في الدنيا أجود منك [٢٢٥ م] فلا تعجبك نفسك، و لتحقر بعدها كل شيء عمله، و لا تتوقف عن مكرمه، ثم رمى العقد في حجري، و خلّى خظام البعير، و انصرف.

فقلت له: يا هذا، قد والله فضحتني، و لسفك دمي أهون عليّ مما فعلته، فخذ ما دفعته إليك، فإنّي عنه غنيّ.

فضحك، و قال: أردت أن تكذبني في مقالتي هذا، و الله لا أخذته، و لا آخذ لمعروف ثمنا أبدا، و تركني و مضى.

فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت، و ضمنت لمن جاءني به ما شاء، فما عرفت له خبرا، و كأنّ الأرض ابتلعتة (٢).

ص: ٥٣

١- الراجل: الجندي الذي يحارب راجلا، و هو أقلّ الجنود رزقا، سمّي بذلك تمييزا له عن الفارس الذي يرتزق رزقا أكثر، و يستخدم الراجل عادة في الخدمه في الدواوين و في مرافقه المستحثين و المستخرجين و تنفيذ أوامره فيما يتعلّق باستحصال الديون الأميرية، راجع القصّه ١٢٠/١ و ١٤٧/٢ من النشوار.

٢- هذه القصّه لم ترد في ر، و لا في غ، و وردت في الأغاني ٨٤/١٠ و ٨٥ و [١] في نهايه الأرب ٢١١/٣ و ٢١٢.

سبب رضا المنصور عن معن بن زائده

قال: و كان سبب رضا المنصور عن معن بن زائده، أنه لم يزل مستترا، حتى يوم الهاشميّه (١)، و وثب القوم على المنصور (٢) و كادوا يقتلونه، فوثب معن و هو مثلّم، و انتضى سيفه، فقاتل، و أبلى بلاء حسنا، و ذبّ القوم عنه، و المنصور راكب على بغله و لجامها بيد الربيع.

فقال له: تنحّ، فإنّي أحقّ بلجامها في هذا الوقت.

فقال له المنصور: صدق، ادفعه إليه، فأخذه، و لم يزل يقاتل، حتى انكشفت تلك الحال.

فقال له المنصور: من أنت لله أبوك؟

فقال: أنا طلبتك يا أمير المؤمنين، معن بن زائده.

فقال: قد أمّنتك الله على نفسك و مالك، و مثلك يصطنع، ثم أخذه معه، و خلع عليه، و حباه، و قرّ به.

ثم دعا به يوما، فقال: إنّي قد أهلتك لأمر، فانظر كيف تكون فيه؟

فقال: كما تحبّ يا أمير المؤمنين، فولّاه اليمن، و توجه إليها، فبسط فيهم السيف، حتى استوا.

ص: ٥٤

١- الهاشميّه: مدينه بناها أبو العباس السفّاح، أوّل الخلفاء العبّاسيين، حيال قصر ابن هبيرة، و اتخذها حاضره له، ثمّ تركها و انتقل إلى الأنبار، و مات بها، و لمّا استخلف المنصور عاد إليها فنزلها، و كان فيها لمّا ثار عليه الراونديّه، و فيها حبس عبد الله بن الحسن بن الحسن و من كان معه من أهل بيته، ثمّ بنى بغداد و انتقل إليها، راجع معجم البلدان ٩٤٦/٤.

٢- هؤلاء القوم يسمّون: الراونديّه، و كانوا على رأى أبي مسلم الخراساني، تحرّكوا على المنصور بعد قتل أبي مسلم، فحبس المنصور منهم مائتي شخص من رؤسائهم، فثاروا و أخرجوهم من الحبس، فحاربهم المنصور، و نصره العامّه و الجند، فاستعلى عليهم، و قتلهم جميعا (العيون و الحداثق ٢٢٧/٣ و ٢٢٨).

قال مروان: و قدّم معن بن زائده بعقب ذلك على المنصور، فقال له، بعد كلام طويل: قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء، لو لا مكانك عنده، و رأيه [٢٨٠ غ] فيك، لغضب عليك.

فقال: و ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فو الله ما تعرّضت لسخطك، فقال:

عطاءك مروان بن حفصه، لقوله فيك:

معن بن زائده الذي زيدت به شرفا إلى شرف بنو شيان

إن عدّ أيام الفعّال فإنما يوماه يوم ندى و يوم طعان

فقال: و الله، يا أمير المؤمنين، ما أعطيت ما بلغك، لهذا الشعر، و لكن لقوله: [٨٢ ن]

ما زلت يوم الهاشميّه معلنا بالسيف دون خليفه الرحمن [٢٦١ ر]

فمنعت حوزته و كنت وقاه من وقع كلّ مهتد و سنان

قال: فاستحيا المنصور، و قال: إننا أعطيت لمثل هذا القول؟

فقال: نعم، يا أمير المؤمنين، و لو لا مخافه الشنعه، لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال، و أبحته إيّاها.

فقال المنصور: لله درّك من أعرابي، ما أهون عليك ما يعزّ على الناس و أهل الحزم (١).

ص: ٥٥

١- هذه القصّه لم ترد في ر، و قد وردت في الأغاني ٨٥/١٠ و ٨٦.

قطن بن معاوية الغلابي يستسلم للمنصور

أخبرني علي بن أبي الطيب، قال: حدّثنا ابن الجراح، قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: أخبرني أيوب بن عمر بن أبي عثمان (١)، عن أبي سلمة الغفاري، قال: حدّثنا قطن بن معاوية الكلابي (٢)، قال:

كنت ممن سارع إلى إبراهيم، فاجتهدت معه، فلمّا قتل، طلبني المنصور، فاستخفيت منه، فقبض علي أموالي و دوري.

ولحقت بالبادية، فجاورت في بني نصر بن معاوية، و بني كلاب، من بني فزاره، ثم بني سليم، ثم تنقلت في بوادي قيس، أجاورهم.

حتى ضقت ذرعا بالاستخفاء، فأزمت القدوم على أبي جعفر، و الاعتراف له، فقدمت البصره، و نزلت في طرف منها.

ثم أرسلت إلى أبي عمرو بن العلاء (٣)، و كان لي ودا، فشاورته في الأمر الذي أزمعت عليه، فلم يقبل رأبي.

و قال: إذا يقتلك، و أنت [٢٢٦ م] المعين على نفسك.

فلم ألتفت إليه، و شخصت إلى بغداد، و قد بني أبو جعفر مدينته، و نزلها،

ص: ٥٦

١- في ن: أبو أيوب بن عمر بن أبي عمر، و في مخطوطه (د): أيوب بن عمر أبي محمّد.

٢- كذا في الأصل، و الصحيح: الغلابي، نسبه إلى غلاب و هي امرأه، أم خالد بن غلاب البصري القرشي، و لخالد صحبه، و كان واليا لعثمان بن عفان على أصبهان، و هو جد الغلابيين الذين بالبصره (الأنساب ٤١٤).

٣- أبو عمرو العريان بن العلاء بن عمّار التميمي المازني البصري: ترجمته في حاشية القصّه ٣٨٧ من الكتاب.

و ليس من الناس أحد يركب فيها، ما خلا المهدي (١).

فنزلت خانا (٢)، ثم قلت لغلماني: إنني ذاهب إلى أمير المؤمنين، فأمهلوا ثلاثاً، فإن جئكم، وإلا فانصرفوا.

و مضيت حتى دخلت المدينة، فجئت إلى دار الربيع، و الناس ينتظرونه، و هو حينئذ ينزل داخل المدينة، في الدار الشارعه على قصر الذهب.

فلم يلبث أن خرج يمشى، و قام إليه الناس، و قمت معهم، فسلمت عليه، فرد عليّ السلام.

و قال: من أنت؟

قلت: قطن بن معاوية.

فقال: انظر ما تقول؟

فقلت: أنا هو.

قال: فأقبل عليّ مسوّد (٣) كانوا معه، و قال: احتفظوا به.

قال: فلما حرست، لحقتني الندامه، و ذكرت رأي أبي عمرو.

و دخل الربيع، فلم يطل حتى خرج خصي، فأخذ بيدي، فأدخلني قصر الذهب، ثم أتى بي إلى بيت، فأدخلني إليه، و أغلق الباب عليّ، و انطلق.

فاشدت ندامتي، و أيقنت بالبلاء، و أقبلت عليّ نفسي ألومها.

فلما كان وقت الظهر، أتاني الخصي بماء، فتوضأت، و صلّيت، و أتاني بطعام، فأخبرته بأنني صائم.

ص: ٥٧

١- في معجم البلدان ١/٦٨٤: [١] لم يكن أحد يدخل إلى مدينة المنصور إلا راجلاً، ما خلا المهدي ابنه، و داود بن علي عمّه، فإنه كان منقرسا، و كان يحمل في محفّه، فقال له عمّه عبد الصمد بن علي: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير، فلو أذنت لي أن أنزل داخل الأبواب، فلم يأذن له.

٢- الخان: محلّ نزول المسافرين، راجع حاشيه القصّه ٢٤٦ من الكتاب.

٣- يريد بالمسوّد: الجند، و كانوا يلبسون السواد، شعار العباسيين.

فلَمَّا كان وقت المغرب، أتاني بماء، فتوضّأت، و صلّيت، و أرخى عليّ الليل سدوله، فأيست من الحياه، و سمعت أبواب المدينه تغلق، فامتنع عني النوم.

فلَمَّا ذهب صدر من الليل، أتاني الخصى، ففتح عني، و مضى بي، فأدخلني صحن دار، ثم أدناني من ستور مسدوله.

فخرج علينا خادم، و أدخلنا، فإذا أبو جعفر وحده، و الربيع قائم ناحيه.

فأكبّ أبو جعفر هنيهه، مطرقا، ثم رفع رأسه، فقال: هيه.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا قطن بن معاويه.

فقال: و الله لقد جهدت عليك جهدي، حتى منّ الله عليّ بك.

فقلت: يا أمير المؤمنين، قد و الله جهدت عليك جهدي، و عصيت أمرك، و واليت عدوك، و حرصت على أن أسلبك ملكك، فإن عفوت فأهل ذلك أنت، و إن عاقبت فأصغر ذنوبي تقتلني.

قال: فسكت هنيهه، ثم قال: أعد، فأعدت مقالتي.

قال: فإنّ أمير المؤمنين قد عفا عنك.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين إنني أصير وراء بابك فلا أصل إليك، و ضياعي و دوري مقبوضه، فإن رأى أمير المؤمنين أن يردها عليّ، ففعل.

قال: فدعا بدواه، ثم أمر خادما له أن يكتب بإملائه، إلى عبد الملك بن أيوب النميري (1)، و هو يومئذ على البصره: أن أمير المؤمنين قد رضى عن قطن بن معاويه، و قد ردّ عليه ضياعه و دوره و جميع ما قبض عليه، فاعلم ذلك و أنفذه إن شاء الله تعالى.

قال: ثم ختم الكتاب، و دفعه إليّ، فخرجت من ساعتى، لا أدري أين

ص: ٥٨

١- عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميري: استعمله المنصور على البصره فى السنه ١٥٤ و عزله فى السنه ١٥٥ ثم أعاده فى السنه ١٥٩ (الكامل لابن الأثير ٥/٦١٢ و ٦/٦ و ٤٠ و ٤١).

أذهب، فإذا الحرس بالباب، فجلست إلى جانب أحدهم.

فلم ألبث أن خرج الربيع، فقال: أين الرجل الذي خرج آنفاً؟ فقلت إليه.

فقال: انطلق أيها الرجل، فقد -والله- سلمت، ثم انطلق بي إلى منزله، فعشّاني، وفرش لي.

فلما أصبحت، ودّعته، وأتيت غلmani فأرسلتهم يكترون لي.

فوجدت صديقاً لي من الدهاقين (١)، من أهل ميسان (٢)، قد اكرى سميريه (٣) لنفسه، فحملني معه.

فقدمت على عبد الملك بن أيوب بكتاب أبي جعفر، فأقعدني عنده، فلم أقم حتى ردّ عليّ جميع ما اصطفي لي (٤).

وأخبرني بهذا الخبر أبو القاسم إسماعيل بن محمّد الأنباري (٥)، المعروف بابن

ص: ٥٩

١- الدهقان، وجمعه دهاقين: صاحب القرية، أو مالك الأرض، فارسيّه (المعجم الذهبي).

٢- ميسان: قال ياقوت في معجم البلدان ٧١٤/٤ إنها كوره واسعة كثيرة القرى والنخل، بين واسط والبصرة، سميت في العهد العثماني وما بعده باسم العماره، وأعيد إليها اسمها الأوّل أي ميسان في السنوات الأخيرة، وفيها قبر النبيّ العزيز، واليهود يسمّونه: عزره، كاتب التوراه، في منطقته اسمها: قلعه صالح، وقد رأيتّه معموراً يقوم بخدمته اليهود.

٣- السميريّه، والسماريّه: زورق يتخذ لنقل المسافرين ما بين بلد و بلد، أو لإجازه من يريد العبور من أحد جانبيّ النهر إلى الجانب الآخر، راجع معجم المراكب والسفن في الإسلام لحبيب زيات بمجله المشرق م ٤٣.

٤- لم ترد هذه القصّه في ر و لا في غ، ووردت في مخطوطه (د) ص ١٦٣-١٦٥، وفي نشوار المحاضره ٧٧/٦.

٥- أبو القاسم إسماعيل بن أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل الكاتب المعروف بابن بزنجي الكاتب: كان أبوه يكتب لابن الفرات قبل وزارته، وفي أيامها، وكتبا له معا أيّام الوزاره، وهما مصدر الكثير من أخبار الوزير ابن الفرات، في وزارته، وقبلها (الوزراء للصابي ٣٠-٣٢٨).

زنجى، قال: حدّثنى أبو عليّ الحسين بن القاسم الكوكبى (١)، قال: حدّثنى ابن أبى سعيد (٢)، قال: حدّثنا ابن دريد، و ذكر بإسناده مثله.

ص: ٦٠

-
- ١- أبو على الحسين بن القاسم الكوكبى: ترجم له الخطيب فى تاريخه ٨/٨٦ و قال عنه: إنّه صاحب أخبار و آداب توفى سنة ٣٢٧.
 - ٢- أبو بكر عبد الله بن أبى سعيد الورّاق: ترجم له الخطيب فى تاريخه ٩/٤٧٣.

المأمون يغضب على إبراهيم الصولي

ثم يرضى عنه

[أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، فيما أجاز لي روايته عنه، بعد ما سمعته من حديثه، قال: (١) أخبرني أبو بكر محمد بن سعيد الصوفي (٢)، قال: حدثني محمد بن صالح بن النطاح (٣)، قال:

لما عزم [٢٢٧ م] المأمون على الفتك بالفضل بن سهل، وندب إليه عبد العزيز بن عمران الطائي (٤)، و مؤنسا البصري (٥)، و خلف المصري (٦)، و علي بن أبي سعيد السلميتي (٧)، و سراج الخادم (٨)، أنهى الخبر إلى الفضل، فعاتبه عليه.

ص: ٦١

١- الزيادة من ن.

٢- أبو بكر محمد بن سعيد الحربى الصوفى: أحد شيوخ الصوفية، ترجم له الخطيب فى تاريخه ٣١٠/٥.

٣- أبو التياح محمد بن صالح بن مهران النطاح البصرى: ترجمته فى حاشية القصه ٢٦ من هذا الكتاب.

٤- عبد العزيز بن عمران الطائى: من قواد المأمون (الطبرى ٥٦٤/٨) [١] اتهمه بالاشتراك فى المؤامره على قتل وزيره ذى الرياستين الفضل بن سهل، فقتله فى السنه ٢٠٢ (الطبرى ٥٦٥/٨).

٥- سماء الطبرى: موسى أحد قواد المأمون، اتهمه بالاشتراك فى المؤامره على قتل الوزير الفضل بن سهل، فقتله (الطبرى ٥٦٥/٨).

٦- خلف المصرى: أحد قواد المأمون، اتهمه بالاشتراك فى المؤامره على قتل الوزير الفضل، فقتله (الطبرى ٥٦٥/٨).

٧- على بن أبى سعيد: ابن أخت الفضل بن سهل الوزير (الطبرى ٥٦٤/٨) [٥] أحد القواد الكبار فى جيش المأمون، ولآه فى السنه ١٩٨ خراج العراق (الطبرى ٥٢٧/٨) و [٦] حارب تحت قياده الحسن بن سهل فى العراق (الطبرى ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣١/٨)، [٧] ثم خالف على الحسن فى السنه ٢٠٠ و شخص إلى المأمون (الطبرى ٥٤١/٨) و [٨] فى السنه ٢٠٢ اتهمه المأمون بالاشتراك فى المؤامره على الوزير الفضل فقتله (الطبرى ٥٦٤/٨ و ٥٦٥).

٨- سراج الخادم: خادم المأمون، كان المأمون ينفذه فى المهم من أموره (الطبرى ٥٤١/٨).

فلما قتل الفضل (١)، قيل للمأمون: إنه عرفه من جهة إبراهيم بن العباس الصولي، فطلبه، فاستتر.

و كان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران، و كان الفضل قد استكتب إبراهيم لعبد العزيز، فعلمه منه، فأخبر الفضل.

و تحمّل إبراهيم بالناس على المأمون، و جرّد في أمره هشام الخطيب، المعروف بالعباسي، لأنّه كان جريئاً على المأمون، و لأنّه ربّاه، و شخص إلى خراسان، في فتنه إبراهيم بن المهدي، فلم يجبه إلى ما سأل.

فلقية إبراهيم بن العباس، مستترا، و سأله عمّا عمل في حاجته؟ فقال له هشام: قد وعدني في أمرك بما تحبّ.

فقال له إبراهيم: أظنّ الأمر على خلاف هذا.

قال: لم؟

قال: لأنّ محلّك عند أمير المؤمنين أجلّ من أن يعد [٨٣ ن] مثلك شيئاً و يؤخّره، و لكثرت سمعت فيّ ما لا تحبّ، فكرهت أن تغمّني به، فقلت لي هذا القول، فأحسن الله - على كلّ الأحوال - جزاءك.

فمضى هشام إلى المأمون، فعزّفه خبر إبراهيم فعجب من فطنته، و عفا عنه (٢).

ص: ٦٢

١- في الطبري ٥٦٥/٨ و [١] في ابن الأثير ٣٤٧/٦: [٢] إنّ الذين قتلوا الفضل، أربعة: غالب المسعودي الأسود، و قسطنطين الرومي، و فرج الديلمي، و موقّ الصقلبي، و إنّ المأمون قتلهم.

٢- هذه القصّة لم ترد في ر و لا في غ.

الأمير سيف الدوله

يصفح عن أحد أتباعه و يعيد إليه نعمته

حدّثني عبد الله بن أحمد بن معروف، أبو القاسم (١)، قال:

كنت بمصر، و كان بها رجل يعرف بالناصري، من تناء حلب (٢)، قد قبض سيف الدوله على ضيعته، و صادره.

فهرب منه إلى كافور الإخشيدي (٣)، فأجرى عليه جرايه سابغه في كل شهر.

و كان يجري على جميع من كان يقصده، من الجرايات التي تسمى الراتب، و كان مالا عظيما قدره في السنه خمسمائه ألف دينار (٤)، لأرباب النعم، و أجناس الناس، ليس لأحد من الجيش، و لا من الحاشيه، و لا من المتصرفين في الأعمال، شيء منها.

قال: فجرى يوما ذكر هذا الناصري بحضره كافور، و قيل له بأنه بغاء، و كثرت عليه الأقاويل في ذلك، فأمر بقطع جرايته.

فرجع إليه قصه (٥) يشكو فيها انقطاع مادّته، و يسأل التوقيع بإجرائه على رسمه.

ص: ٦٣

١- أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن معروف، أخو قاضي القضاة أبي محمّد عبيد الله بن أحمد بن معروف: ترجمته في حاشيه القصّه ٢٦٢ من الكتاب.

٢- التائي: المقيم في البلد من وجوه أهلها، و الجمع: تناء.

٣- أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي (٢٩٢-٣٥٧): كان مملوكا للإخشيدي صاحب مصر، و لما توفّي الإخشيدي، و خلفه ولده، سيطر كافور على المملكة، و حكم مصر حكما مستمرا دام ٢٢ سنه، توفّي بالقاهره، و قد خلّده المتنبّي مدحا و ذمّا (الأعلام ٦٨/٦).

٤- في القصّه ١٢٠/٣ من كتاب نشوار المحاضره: خمسون ألف دينار.

٥- القصّه، بكسر القاف: في اللغه الحديث، و في الاصطلاح الرقعته التي ترفع إلى الحاكم، إما بالتظلم (القصّه ٢٨/٥ من نشوار المحاضره)، [٢] أو للاستماحه (القصّه ١٣/١ من نشوار المحاضره)، [٣] أو التقرير

فأمر فوّقع على ظهرها: قد صحّ عندنا أنّك رجل تصرف ما نجريه عليك فيما يكره الله عزّ و جلّ، من فساد نفسك، و ما نرى أنّ نعينك على ذلك، فالحقّ بحيث شئت، فلا خير لك عندنا بعدها.

قال: فخرج التوقيع إلى الرجل، فغمّ ذلك، و عمل محضراً أدخل فيه خطّ خلق كثير ممن يعرفه، أنّه مستور، و ما قرف قط ببغاء.

و كتب رقعه إلى كافور، يحلف فيها بالطلاق و العتاق و الأيمان الغليظة، أنّه ليس ببغّاء، و احتجّ بالمحضر، و جعل الرقعه طيّ المحضر.

و قال فيها: إنّ لم يكن يدفع إليه ما يدفع لأجل حفظه فرجه أو هتكه، و إنّما كان ذلك لأنّه منقطع، و غريب، و هارب، و مفارق نعمه، و إنّ الله عزّ و جلّ أقدر على قطع أرزاق مرتكبي المعاصي، و ما فعل ذلك بهم - بل رزقهم - و أمهلهم، و أمرهم بالتوبه، و إنّه إن كان ما قذف به صحيحاً، فهو تائب إلى الله عزّ و جلّ منه، و سأله ردّ رسمه إليه، و رفع القصّه إلى كافور.

قال: فما أدري إلى أيّ شيء انتهى أمره، إلاّ أنّه صار فضيحة [٢٨١ غ] و تحدّث الناس بحديثه.

و اتفق خروجي من مصر، عقيب ذلك، إلى حضره سيف الدوله، فلقيته بحلب، و جرت أحاديث المصريين، و كان يتشوّق أن يسمع حديث صغيرهم و كبيرهم، و يعجبه أن يذكر له.

قال:فقلت:من عجيب ما جرى بها آنفا،أنه كان بها رجل يقال له الناضري،وقصصت القصه عليه.

فضحك من ذلك ضحكا عظيما،وقال:هذا المشؤوم بلغ إلى مصر؟

فقلت:نعم.

فقال لي محمّد الأسمر النديم:إعلم أنّ هذا[٢٢٨ م]الرجل صديقي جدا، وقد هلك،و افتقر،و فارق نعمته،فأحبّ أن تخاطب الأمير في أمره،عقيب ما جرى آنفا،لأعاونك،فلعلّ الله عزّ وجلّ أن يفرّج عنه.

فقلت:أفعل.

و أخذ سيف الدوله يسألني عن الأمر،فأعدت شرحه،و عاد،فضحك.

فقلت:أطال الله بقاء مولاي الأمير،قد سررت بهذا الحديث،و يجب أن يكون له ثمره،إمّا لي،و إمّا للرجل الذي تركته فضيحه بحلب،بما أخبرت من قصّته،زياده على فضيحه بمصر.

فقال:إمّا لك،فنعم،و إمّا له،فلا يستحقّ،فإنّه فعل و صنع،و جعل يطلق القول فيه.

قال:فقلت له:فوائدى من مولانا متّصله،و لست أحتاج مع إنعامه،و ترادف إحسانه،إلى التسبّب فى الفوائد،و لكن إن رأى أن يجعلها لهذا المفتضح المشؤوم.

فقال:تنفذ إليه سفتجه بثلاثه آلاف درهم.

قال:فشكرته الجماعه،و خاطبته فى أن يأذن له بالعوده[إلى وطنه،و يؤمّنه.

قال:فكتب أمانا له مؤكّدا،و أذن له فى العود[١].

قال:فغمزنى الأسمر فى الإستزاده.

فقلت:أطال الله بقاء مولانا الأمير،إنّ الثلاثه آلاف درهم لو أنفذت إلى

ص:٦٥

مصر، إلى أن يؤذن له في العود، ما كفته لمن يحمله على نفسه، لأن أكثر [٢٦٢ ر] أهل مصر بعاؤون، وقد ضايقوه في الناكه، و غلبوه باليسار، فلا يصل هو إلى شيء إلا بالغرم الثقيل.

قال: فأعجبه ذكر أهل مصر بذلك، فقال: كيف قلت هذا يا أخ؟

فقلت: إن المياسير من أهل مصر، لهم العبيد العلوج، يأتونهم، لكل واحد منهم عدّه غلمان، و المتوسّطون، يدعون العلوج، و الزنوج، المشهورين بكبير الأيور، و ينفقون عليهم أموالهم، و لا يصل الفقير المتجمل إليهم.

و لقد بلغنى أيضا، و أنا بمصر، أنّ رجلا من البغائين بها اشتدّ عليه حكاكه، فطلب من يأتيه، فلم يقدر عليه، فخرج إلى قريه، ذكر أنّها قريه من مصر، فأقام بها.

فكان إذا اجتاز به المجتازون، استغوى منهم من يختاره لهذا الحال، فحمله على نفسه.

فكان يعيش بالمجتاز بعد المجتاز، و يتمكن من إرضائه بما لا يمكنه في مصر.

فعاش بذلك برهه، حتى جاء يوما بعماء آخر، فسكن معه في الموضع، فكان إذا جاء الغلام الذى يصلح لهذا الشأن، تنافسا عليه، ففسد على الأول أمره.

فجاء إلى الثانى، فقال: يا هذا، قد أفسدت أمرى، و أبطلت عملى، و إنّما خرجت من مصر، لأجل المنافسه فى الناكه، و ليس لك أن تقيم معى ها هنا.

[فقال له الثانى: سواء العاكف فيه و الباد (١)، و ما أبرح من ها هنا] (٢).

فقال له الأول: بينى و بينك شيخنا ابن الأعجمى الكاتب (٣)، رئيس البغائين

ص: ٦٦

١- يريد بالعاكف: المقيم، و بالباد: غير المقيم، أى المجتاز.

٢- ساقطه من غ.

٣- فى غ: ابن العجمى.

بمصر، و جذبه إلى حضرته، فتحاكما إليه.

[فقال: إني لما كنت اشتدّ بي أمرى الذى تعرفه، و معنى فقرى من اتّخاذ الناكه بمصر، عدلت إلى الموضوع الفلانى، فعملت كذا، و قصّ عليه القصّه، فجاء هذا، و صنع، و قصّ عليه القصّه، و شرح له أمره، فإن رأيت أن تحكم بينى و بينه، فاحكم] (١).

فحكم ابن العجمى للأول، و منع الثانى من المقام، و قال له: ليس لك أن تفسد عليه عمله و ناحيته، فاطلب لنفسك موضعا آخر.

فكيف يمكن للناضرى [٢٨٣ غ] -أيّد الله مولانا الأمير- أن يستغنى بثلاثه آلاف درهم أمرت له بها فى بلد هذه عزّه الناكه فيه، و كثره البغائين؟ هذا لو كان مقيما، فكيف و قد أنعمت عليه بالإذن فى المسير، و يحتاج إلى بغال يركبها فى الطريق بأجره، و نفقه، و ديون عليه يقضيها، و مؤن.

قال: فضحك ضحكا شديدا من حكاية البغائين، و حكم ابن العجمى بينهما، [و كان هذا من مشهورى كتاب مصر] (٢).

قال: فاجعلوها خمسه آلاف درهم.

قال: فقلت أنا و الأسمر: فيعود الرجل -أطال الله بقاء مولانا الأمير- و قد أنفقها فى الطريق، إلى سوء المنقلب؟

و كان يعجبه أن يماكس فى الجود، فيجود مع المسأله، بأكثر مما يؤمل منه، و لكن مع السؤال، و الدخول عليه مدخل المزاح فى ذلك، و الطيبه، و اقتضاء الغرماء بعضهم لبعض فى ذلك، و ما شابهه (٣).

فقال: قد طوّلت علىّ فى أمر هذا الفاعل الصانع، أطلقوا له عن [٢٢٩ م]

ص: ٦٧

١- الزيادة من القصّه رقم ١٢٠/٣ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى.

٢- الزيادة من القصّه رقم ١٢٠/٣ من نشوار المحاضره.

٣- بشأن طبيعه الأمير سيف الدوله فى إسداء المكارم، راجع القصّه ١٦٣/٢ من نشوار المحاضره.

ضيعته بأسرها، ووقعوا له بذلك إلى الديوان، و عن مستغله، و مروا [٨٤ ن] من في داره، بالخروج عنها، و تقدّموا له بأن تفرش أحسن من الفرش الذي نهب له منها لما سخط عليه.

قال: فأكبت الجماعه، يقبلون يديه و رجله، و يحلفون أنّهم ما رأوا، و لا سمعوا، بمثل هذا الكرم قط، و يقولون: هذا مع سوء رأيك في الرجل، و سوء حديثه، فما على وجه الأرض بغاء أقبل على صاحبه بسعد، مثل هذا.

قال: فضحك، و نفذت الكتب و التوقيعات بما ذكره و رسمه.

فلما كان بعد مدّه— أنا بحلب— جاء الرجل، و عاد إلى نعمته (١).

ص: ٦٨

١- لم ترد هذه القصّه في ر، و وردت في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى مؤلّف هذا الكتاب.

ربّما تجزع النفوس من الأمر له فرجه كحلّ العقال

أخبرني أبو بكر أحمد بن كامل القاضي (١)، قال: حدّثنا أبو شبيل عبيد الله ابن عبد الرحمن بن واقد (٢)، قال: حدّثنا الأصمعيّ، قال: حدّثنا أبو عمرو بن العلاء (٣)، قال:

خرجت هاربا من الحجّاج إلى مكّه، فبينما أنا أطوف بالبيت، إذا أعرابيّ ينشد:

يا قليل العزاء في الأحوال و كثير الهموم و الأوجال

لا تضيقنّ في الأمور فقد يك شف غماؤها بغير احتيال

صبر النفس عند كلّ ملّم إنّ في الصبر راحه المحتال

ربّما تجزع النفوس من الأم ر له فرجه كحلّ العقال

ص: ٦٩

-
- ١- أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف القاضي (٢٦٠-٣٥٠): كان عالما بالأحكام و علوم القرآن و النحو و الشعر و أيام الناس، و له مصنّفات، و لاه القاضي أبو عمر قضاء الكوفه (تاريخ بغداد للخطيب ٣٥٧/٤) [١] راجع ما كتبه عنه صاحب تجارب الأمم ١٨٤/٢.
- ٢- أبو شبيل عبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد، المعروف بابن أبي مسلم الواقدي: ترجم له الخطيب في تاريخه ٣٤٠/١٠ و قال إنّهُ توفّي سنة ٢٩٨، و ورد في اللباب ٢٦٠/٣ [٢] إنّهُ أبو شبل عبد الله بن عبد الرحمن ابن واقد الواقدي الدقاق.
- ٣- أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري (٦٨-١٥٦): [٣] قيل إسمه العريان، و قيل اسمه زيان، و الأ-كثر أنّ كنيته اسمه، أحد القراء السبعة، كان أعلم الناس بالقرآن و النحو و العرييه و الشعر و الأدب، سئل: حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلّم؟ فقال: ما دامت الحياه تحسن به، و كان له في كلّ يوم فلسان، يشتري بأحدهما كوزا جديدا يشرب فيه يومه، ثمّ يتركه لأهله، و يشتري بالآخر ريحانا يشمه يومه، فإذا أمسى، قال لجاريته: جفّفيه و دقّيه في الأشنان (وفيات الأعيان ٤٦٦/٣-٤٦٨).

فقال: مات الحجاج (١).

[قال: فلا أدري بأى القولين كنت أسرّ، بقوله: فرجه، بفتح الفاء، أو بموت الحجاج] (٢).

و وجدت هذا الخبر بغير إسناد في بعض الكتب، وفيه: أنّ أبا عمرو بن العلاء سمع أعرابيا ينشد هذه الأبيات:

يا قليل العزاء في الأهوال و كثير الهموم و الأوجال

لا تضيقن في الأمور فقد تك شف غماؤها بغير احتيال

صبر النفس عند كل مهمّ إنّ في الصبر حيله المحتال (٣)

ربّما تجزع النفوس من الأم ر له فرجه كحلّ العقال

[قيل: و الفرجه: من الفرج، و الفرجه: فرجه الحائط] (٤).

و وجدت بخطّ أبي عبد الله بن مقله (٥)، في كتاب الأبيات السائرة: قال

ص: ٧٠

١- روى القاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/٤٦٧ [١] هذه القصّة عن أبي عمرو، و ذكر أنّ الهارب من الحجاج أبوه، و أنّه كان مع أبيه، و رواها كذلك صاحب الغيث المسجم ٢/١٧٢.

٢- الزيادة من غ، و ورد الخبر في مخطوطه (د) ص ١٥٧.

٣- ورد هذا البيت في غ.

٤- الزيادة من غ.

٥- أبو عبد الله الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الله، المعروف بابن مقله (٢٧٨-٣٣٨): و مقله اسم أمّ لهم، و أبو عبد الله، أخو الوزير أبو علي محمّد بن علي بن مقله، كان الوزير أوحّد الدنيا في كتبه قلم الرقاع و التوقيعات، و كان أبو عبد الله هذا أكتب من أخيه في قلم الدفاتر و النسخ، و كان منقطعاً إلى بني حمدان، يقومون بأمره، و قد أنزلوه في دار قوراء حسنه، و فيها فرش تشاكلها، و مجلس، و له دشت للنسخ، و حوض فيه أقلام و محابر، فيقوم و يتمشّى في الدار إذا ضاق صدره، ثمّ يعود فيجلس في بعض تلك المجالس، و ينسخ ما يخفّ عليه، ثمّ ينهض و يطوف على جوانب البستان، ثمّ يجلس في مجلس آخر، و ينسخ أوراقا آخر، فاجتمع في خزائهم من خطّه ما لا يحصى (معجم الأدباء ٣/١٥٠).

أمّيه بن أبي الصلت:

ربّما تكره النفوس من الشىء لها فرجه كحلّ العقال

وقال القاضي أبو الحسين فى كتابه: روى المدائنى، عن الأصمعى، عن أبي عمرو بن العلاء، قال:

كنت مستخفيا من الحجّاج بن يوسف الثقفى، فسمعت قائلا يقول:

مات الحجّاج

ربّما تجزع النفوس من الأم ر له فرجه كحلّ العقال

وقال القاضي: ووجدت أنا فى كتاب المدائنى، كتاب الفرج بعد الشده و الضيقه، هكذا:

حدّثنى على بن أبي الطيّب، قال: حدّثنا ابن الجراح، قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدّثنا أبو عدنان، قال: حدّثنا أبو عبيده معمر بن المثنى، عن يونس بن حبيب، قال: قال أبو عمرو بن العلاء (١):

كنت هاربا من الحجّاج بن يوسف، فصرت إلى اليمن، فسمعت منشدا ينشد:

ربّما تجزع النفوس من الأم ر له فرجه كحلّ العقال

فاستطرفت قوله: فرجه، فأنا كذلك، إذ سمعت قائلا يقول: مات الحجّاج، فلم أدر بأى الأمرين كنت أشدّ فرحا، بموت الحجّاج، أو بذلك البيت (٢).

و أخبرنى محمّد بن الحسن بن المظفر بن الحسن (٣)، قال: حدّثنا أبو عمر

ص: ٧١

١- فى ن: حدّثنى على بن أبي الطيّب، قال: حدّثنا ابن الجراح، قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدّثنى عبد الرحمن بن أخى الأصمعى، قال: حدّثنى عمى، قال: حدّثنى أبو عمرو بن العلاء.

٢- ورد الخبر فى مخطوطه (د) ص ١٥٣.

٣- أبو على محمّد بن الحسن بن المظفر المعروف بالحامى: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٣ من هذا الكتاب.

محمّد بن عبد الواحد الزاهد، المعروف بـغلام ثعلب، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى، ثعلب، عن أبي منصور (١) ابن أخي الأصمعي، عن أبي عمرو ابن العلاء، قال:

كنت مستخفياً من الحجّاج، و ذلك أنّ عمّي كان عاملاً له، فهرب، فهتمّ بأخذى.

فبينما أنا على حال خوفي منه، إذ سمعت منشداً ينشد:

ربّما تجزع النفوس من الأم ر لها فرجه كحل العقال

و ذكر الحديث، و زاد فيه: أنّ ثعلباً قال: إنّ أبا عمرو كان يقرأ: إلّا من اغترف غرفه، و فرجه -بفتح الفاء- شاهد في هذه القراءة (٢).

ص: ٧٢

١- في ن: عن أبي نصر عن الأصمعي.

٢- لم ترد هذه القصّة في ر.

الوليد بن عبد الملك يعفو عن القمير التغلبي

و ذكر أبو الحسن المدائني، في كتابه، بغير إسناد، أنّ القمير التغلبي (١)، قال في الوليد بن عبد الملك [٢٣٠ م]

أ تنسى يا وليد بلاء قومي بمسكن و الزبيريون صيد [٢٨٣ غ]

أتسانا إذا استغنيت عنا و تذكرنا إذا صلّ الحديد

فطلبه الوليد، فهرب منه.

فلما ضاقت به البلاد، و اشتدّ به الخوف، أتى دمشق مستخفياً، حتى حضر عشاء الوليد، فدخل مع الناس.

فلما أكل الناس بعض الأكل، عرف القمير رجل إلى جانبه، فأخبر الوليد.

فدعا بالقمير، و قال له: يا عدوّ الله، الحمد لله الذي أمكنني منك بلا عقد و لا ذمّة، أنشدني ما قلت.

فتلكأ، ثم أنشده، فقال له الوليد: ما ظنّك بي؟

فقال: إنني قلت في نفسي، إن أمهلت حتى أطأ بساطه، و آكل طعامه، فقد أمنت، و إن عوجلت قبل ذلك فقد هلكت، و قد أمهلت حتى وطئت بساطك، يا أمير المؤمنين، و أكلت طعامك، فقد أمنت.

ص: ٧٣

١- كذا ورد في م، و في غ: الفهر الثعلبي، و في ن: العمر التغلبي، و لعلّه عمير التغلبي أبو سعيد عمير ابن شليم بن عمرو بن عباد، الملقّب بالقطامي: شاعر غزل، كان نصرانياً و أسلم، و هو صاحب البيت المشهور: قد يدرك المتأني بعض حاجته و قد يكون مع المستعجل الزلل راجع ترجمته في الأعلام ٢٦٤/٥.

فقال له الوليد: فقد أمنت، فانصرف راشداً.

فلما ولي، تمثّل الوليد قائلاً:

شمس (١) العداوه حتى يستقاد لهم (٢) و أعظم الناس أحلاماً (٣) إذا قدروا

ص: ٧٤

١- الشمساس: شدة العداوه و الشر.

٢- استقاد: ذلّ و خضع.

٣- الحلم، و جمعه أحلام: الصبر و الأناة و العقل.

مزنه امرأه مروان الجعدى

تلجأ إلى الخيزران جاريه المهدي

حدّثني طلحه بن محمّد بن جعفر، المقرئ، الشاهد، قال (١): حدّثني أبو عبد الله الحرّمي بن أبي العلاء، كاتب القاضي أبي عمر، قال: حدّثنا أبو علي الحسن بن محمّد بن طالب الديناري، قال: حدّثني الفضل بن العباس ابن يعقوب بن سعيد بن الوليد بن سنان بن نافع، مولى العباس بن عبد المطلّب، قال: [حدّثني أبي] (٢)، قال:

ما أتيت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي (٣)، قط، فانصرفت من عندها إلا بشيء وإن قلّ.

و كان لها وصيفه يقال لها: كتاب، فعلقتها.

فقلت لأبي: أنا -و الله- مشغول القلب بكتاب، جاريه زينب.

فقال لي: يا بني اطلبها منها، فإنّها لا تمنعك إياها.

فقلت: قد كنت أحبّ أن تكون حاضرا لتعيني عليها.

ص: ٧٥

١- في كتاب المستجاد من فعلايت الأ-جواد للقاضي التنوخي: روى أبو موسى محمّد بن الفضل بن يعقوب، كاتب عيسى بن جعفر، و وصيه، قال: حدّثني أبي، قال... الخ.

٢- الزيادة من ن.

٣- زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس: أميره عباسيّه، من ذوات الرأي و المكانه، كان أبوها أمير البصره، و لما ظهر إبراهيم بن عبد الله العلويّ بالبصره، مضى بنفسه حتّى وقف على بابها، فنادى بالأمان لآل سليمان (الطبري ٥٣٦/٧)، و [١] كان الخلفاء العباسيون يجلبونها و يقدّمونها، و كان المهدي أمر الخيزران بأن تلزم زينب، و قال لها: اقتبسي من آدابها، و خذي من أخلاقها، فإنّها عجزونا، و قد أدركت أوائلنا، توفيت سنه ٢٠٤ ببغداد (الأعلام ١٠٧/٣).

فقال: ليس بكِ إليّ، ولا إليّ غيري من حاجه.

فغدوت إليها، فلما انقضى السلام، قلت: جعلني الله فداك، فكُرت في حاجه، فسألت أبي أن يحضر كلامي إياك فيها، لأستعين به، فأسلمني، فقالت:

يا بنى، إن حاجه لا تقضى لك حتى تحضر أباك فيها، لحاجه عظيمه القدر.

ثم قالت: ما هي؟

فقلت: كتاب، وصيفتك، أحب أن تهييها لي.

فقالت: أنت صبيّ أحمق، اقعد، حتى أحدّثك حديثاً، أحسن من كل كتاب على وجه الأرض، وأنت من كتاب على وعد.

فقلت: هاتي، جعلني الله فداك.

فقالت: كنت -من أوّل أمس- عند الخيزران [٨٥ ن]، ومجلسي ومجلسها -إذا اجتمعنا- في عتبه باب الرواق، وبالقرب منّا في صدر المكان، برذعه (١)، ووسادتان، ومسانيد، عليها سبتيه (٢)، لأمير المؤمنين.

وهو كثير الدخول إليها والجلوس عندها، فإذا جاء جلس في ذلك الموضع، وإذا انصرف، طرحت عليه السبتيه إلى وقت رجوعه، فإنّا لجلوس، إذ دخلت عليها إحدى جواريتها، فقالت: يا ستي، بالباب امرأه ما رأيت أحسن منها وجهها، ولا أسوأ حالاً، عليها قميص ما يستر بعضه موضعاً من بدنّها، إلاّ انكشف منها موضع آخر غيره، تستأذن عليك.

ص: ٧٦

١- البرذعه: الأصل فيها أنّها كساء يلقي على ظهر الدابّه، ثم استعير للفراش الذي يوضع في الحجره من أجل الراحة والاستمتاع و يسمّى عند الافرنج: شيزلونك، راجع نشوار المحاضره، القصّه ٩٠/١، ج ١ ص ١٧٥ سطر ١٤.

٢- السبتيه: ضرب من الثياب الكتيان أغلظ ما يكون (معجم البلدان ٣/٣٥٥)، و [١] هذا القماش بالنظر لمتانته كانت تتخذ منه الستائر (القصّه ٣٤/٢ و ٤٨/٨ من نشوار المحاضره) وأغطيه الفرش (كما في هذه القصّه)، ويحمل فيه المرضى والزمنى (القصّه ٥٨/٤ من نشوار المحاضره) أقول: واللفظه مستعمله إلى الآن في بغداد، وقد حرّفت إلى: شبليّه، يقال: جابوه شايليه بشبليّه.

فالتفتت إليّ، و قالت: ما ترين؟

فقلت: تسألين عن اسمها، و حالها، ثم تأذنين لها على علم، فقالت الجارية:

قد و الله جهدت [٢٨٤ غ] بها كلّ الجهد، أن تفعل، فما فعلت، و أرادت الانصراف، فمنعته.

فقلت للخيزران: و ما عليك أن تأذني لها، فأنت منها بين ثواب و مكرمه، فأذنت لها.

فدخلت امرأه على أكثر مما وصفت الجارية، و هي مستخفيه، حتى صارت إلى عضاده الباب (١)، مما يليني، و كنت متكئته.

فقالت: السلام عليكم، فرددنا عليها السلام.

ثم قالت للخيزران: أنا [مزنه] (٢) امرأه [٢٣١ م] مروان بن محمد.

قالت: فلما وقع اسمها في أذني، استويت جالسه (٣)، ثم قلت: مزنه؟

قالت: نعم.

قلت: لا حياك الله، و لا قربك، الحمد لله الذى أزال نعمتك، و أдал عزك، و صيرك نكالا و عبره، أ تذكرين يا عدوّ الله، حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمى صاحبك فى إنزال إبراهيم بن محمّد من خشبته (٤)، فلقيتيهنّ ذلك اللقاء، و أخرجتيهنّ ذلك الإخراج، الحمد لله الذى أزال نعمتك.

ص: ٧٧

١- عضاداتا الباب: خشبته من جانيه.

٢- الزيادة من المستجاد ص ٢٢.

٣- فى غ: استويت قاعده.

٤- فى المستجاد للتوخى: فى الإذن بدفن إبراهيم بن محمد، و قد اختلفت الروايات فى كيفية موت إبراهيم، فقول إنّه لم يقتل، و أنّما مات فى حبس مروان بالطاعون (الطبرى ٤٣٥/٧) و [١] قول: إنّ مروان حبسه فى بيت ثمّ هدمه عليه فقتله (الطبرى ٤٣٦/٧)، و [٢] الكامل لابن الأثير ٤٢٢/٥) و [٣] قول: إنّه سمّ فى لبن شربه فأصبح ميتا (الطبرى ٤٣٧/٧) و [٤] ابن الأثير ٤٢٣/٥) و قول: إنهم جعلوا رأسه فى جراب فيه نوره مسحوقه، فاضطرب ساعه، ثمّ حمد (مروج الذهب ١٩٣/٢)، و [٥] أنا إلى تصديق القول الأوّل أميل.

فضحكت-و الله-المرأه،حتى كادت تقهقه،و بدا لها ثغر،ما رأيت أحسن منه قط.

وقالت:أى بنت عمّ،أى شىء أعجبتك من حسن صنع الله بى على ذلك الفعل،حتى أردت أن تتأسى (١)بى،[و الله،لقد فعلت بنساء أهل بيتك،ما فعلت،فأسلمنى الله إليك جائعه،ذليله،عريانه،فكان هذا مقدار شكرك لله تعالى على ما أولاك فى،ثم قالت:] (٢)السلام عليكم.

ثم ولّت خارجه تمشى خلاف المشيه التى دخلت بها.

فقلت للخيزران:إنّها مخبأه من الله عزّ وجلّ،و هديه منه إلينا،و الله -يا خيزران-لا يتولّى إخراجها مما هى فيه أحد غيرى.

ثم نهضت على أثرها،فلمّا أحسّت بى أسرع،و أسرع خلفها،حتى وافيتها عند الستر،و لحقتنى الخيزران،فتعلقت بها.

وقلت:يا أخت،المعذره إلى الله-عزّ وجلّ-و إليك،فإنّى ذكرت،بمكانك،ما نالنا من المصيبه بصاحبنا،فكان منى ما وددت أنى غفلت عنه،و لم أملك نفسى.

و أردت معانقتها،فوضعت يدها فى صدرى،وقالت:لا تفعلى،يا أخت،فإنّى على حال،أصونك من الدنوّ منها.

فرددناها،و قلت للجوارى:أدخلن معها الحّمّام.

و قلت للمواشط:اذهبن معها،حتى تصلحن حفافها (٣)،و ما تحتاج إلى

ص:٧٨

١- التأسى:الاقتداء.

٢- الزيادة من المستجد للتوخى ص ٢٢.

٣- الحفاف:الطرّه من الشعر،أو ما سقط منه،و الحفّ:فى اللّغه:القشر،و فى الاصطلاح: إزاله الشعر،و الكلمه ما زالت مستعمله ببغداد بهذا المعنى،و البغداديات كنّ يحففن وجوههنّ و أبدانهن و يستعملن فى ذلك خيوطا من القطن و طحين الاسفيداج،و يسمّونه(سبداج)،و كان ذلك قبل أن تغمر أسواق العراق،أسباب التزيّن الافرنجيه من مساحيق و دهون،راجع حاشيه القصّه ٣٦١ من هذا الكتاب.

إصلاحه من وجهها.

فمضت، و مضين معها، و دعونا بكرسى، و جلسنا أنا و الخيزران عليه، فى صحن الدار، ننتظر خروجها.

فخرجت إلينا إحدى المواشط (١) و هى تضحك.

فقلت لها: ما يضحكك؟

فقلت: يا ستي، إنا لئرى من هذه المرأه عجبا.

فقلت: و ما هو؟

فقلت: نحن معها فى انتهار، و زجر، و خصومه، ما تفعلين أنت، و لا ستنا، مثله إذا خدمنا كما.

فقلت للخيزران: حتى تعلمين -و الله- يا أختى أنها حره رئيسه، و الحره لا تحتشم من الأحرار.

و خرجت إلينا جاريه أعلمتنا أنها قد خرجت من الحمام، فوجهت إليها الخيزران أصناف الخلع، فتخيرت منها ما لبسته، و بعثنا إليها بطيب كثير، فتطيبت، ثم خرجت إلينا.

فقمنا جميعا، فعانقناها، فقلت: الآن، نعم.

ثم جئنا إلى الموضع الذى يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي، فأقعدناها فيه.

ثم قالت الخيزران: إن غداءنا قد تأخر، فهل لك فى الطعام؟

فقلت: و الله ما فيكن من هى أحوج إليه منى.

فدعونا بالطعام، فجعلت تأكل، و تضع بين أيدينا، حتى كأنها فى منزلها.

فلما فرغنا من الأكل، قالت لها الخيزران: من لك ممن تعين به؟

قالت: ما لى وراء هذا الحائط أحد من [٢٨٥ غ] خلق الله تعالى.

ص: ٧٩

١- الماشطه: المرأه التى تخدم النساء فى الحمام و تهيبهن لهن أسباب الزينه و العناية بأبدانهن و وجوههن. و ما زال هذا اسمها ببغداد.

فقال لها الخيزران: فهل لك في المقام عندنا، على أن نخلى لك مقصوره من المقاصير، و يحول إليها جميع ما تحتاجين إليه، و يستمتع بعضنا ببعض؟

فقالت: ما درت إلا- على أقل من هذا الحال، و إذ قد تفضل الله- عزّ و جلّ- عليّ بكما، و بهذه النعمه، فلا أقلّ من الشكر لأمير المؤمنين المهدي، لكلّ نعمه، و لكما، فافعلي ما بدا لك، و ما أحببت.

فقامت الخيزران، و قمت معها، و أقمناها معنا، و دخلنا نطوف بالمقاصير، فاخترت- و الله- أو سعتها، و أحسنها.

فملأتها الخيزران، بالجوارى، و الوصائف، و الخدم، و الفرش، و الآلات، ثم قالت: ننصرف عنك، و عليك بمنزلك، حتى تصلحيه، فخلّفناها في المقصوره، و انصرفنا إلى موضعنا [٢٣٢ م].

فقال الخيزران: إنّ هذه امرأه رئيسه، و قد عضّها الفقير، و ليس يملأ عينها إلا المال، ثم بعثت إليها بخمسه آلاف دينار، و مائه ألف درهم (١).

و أرسلت إليها: تكون هذه في خزانتك، و وظيفتك، و وظيفه حشمك، قائمه في كلّ يوم، مع وظيفتنا.

ثم لم نلبث أن دخل علينا المهدي، فقلت له: يا سيدي، لك- و الله- عندي حديث طريف.

فقال: ما هو؟ فحدّثته بالخبر.

فلما قلت له ما كان منّي، من الوثوب عليها، و إسماعها، اقشعرّ، و اصفرّ.

ثم قال: يا زينب، هذا مقدار شكرك لرّبك عزّ و جلّ، و قد أمكنك من عدوّك، و أظفرك به، على هذا الحال الذي تصفين؟ و الله، لو لا مكانك منّي، لحلفت أن لا أكلمك أبداً، أين المرأه؟

قالت: فوقّيته خبرها، فالتفت إلى الخيزران، بصوّب فعلها، و جزاها خيراً.

ص: ٨٠

١- في غ: و مائتي ألف درهم، و في المستجد: خمسمائه ألف درهم (المستجد ص ٢٤).

ثم قال لخدام بين يديه: احمل إليها عشرة آلاف دينار، و مائتي ألف درهم (١)، و بلغها سلامي، و اعلمها أنه لو لا خوفي من احتشامها لسرت إليها مسلماً عليها، و مخبراً لها بسروري بها، فقل لها: أنا أخوك، و جميع ما ينفذ فيه أمري، فأمرك فيه نافذ مقبول.

قالت زينب: فإذا هي قد وردت إلينا مع الخادم، و على رأسها دواج ملحم (٢)، حتى جلست.

فلقبها المهدي أحسن لقاء، فأقعدها عنده ساعه، [٨٦ ن] اتحاده، ثم انصرفت إلى مقصورتها.

فهذا الحديث يا بني، خير لك من كتاب.

قال: فأمسكت.

فقلت لي: قد اغتممت؟

فقلت لها: ما أغتمت، ما أبقاك الله عزّ و جلّ لي.

فقلت: الليله توافيك كتاب.

فلما كان الليل، أنفذت بها إليّ، و معها ما يساوي أضعاف ثمنها من كلّ صنف من الحلّي، و الرقيق، و غير ذلك (٣).

و ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، هذا الخبر، فقال: روى أبو موسى محمد بن الفضل عن أبيه، قال:

كنت ألفت زينب بنت سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس، أكتب عنها

ص: ٨١

١- في المستجاد (ص ٢٤): مائه بدره.

٢- الدواج: فارسيه، بمعنى اللحاف (المعجم الذهبى)، و هو قطعه من القماش تتخذ غطاء للرأس (كما في هذه القصّه) و قد تتخذ غطاء للبدن بدلاً من اللحاف (القصّه ١٦٥/٣ و ٩٧/٤ من نشوار المحاضره)، راجع معجم دوزى للألبسه ١٨٦، و الملحم: القماش الذى سده ابريسم و لحمته غير ابريسم.

٣- لم ترد هذه القصّه في ر، و وردت في كتاب المستجاد للتونخى ٢١-٢٥.

أخبار أهلها، و كانت لها وصيفه يقال لها: كتاب.

فذكر الحديث بطوله، على خلاف فى الألفاظ يسير، و المعنى واحد، ليس فيه زياده، إلا فى ذكر المال، فإنه ذكر أنّ الذى حملته الخيزران خمسمائه ألف درهم، و أنّ الذى حمله المهدي، ألف ألف درهم.

و أنه لما أتاه رسول المهدي، جاءت، فقالت: ما علىّ من أمير المؤمنين حشمه، و ما أنا إلا من خدمه.

و أنّ زينب قالت فى أول الخبر: أ تذكّرين يا عدوّه الله حين جاءك عجائز أهلى يسألنك مسأله صاحبك [٢٨٦ غ] بالإذن لنا فى دفن صاحبنا إبراهيم الإمام، فوثبت عليهنّ.

و وجدت فى كتاب آخر، هذا الخبر، بمثل هذا المعنى، على خلاف فى الألفاظ، منها ما وجدتته فى كتاب القاضى أبى جعفر بن البهلول التنوخى الأنبارى (١)، حكاه عن الفضل بن العباس بمثل هذا المعنى، بغير إسناد متّصل.

ص: ٨٢

١- القاضى أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخى الأنبارى: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٢١ من الكتاب.

فرّ من إسحاق المصعبى فوجد كنزا

و ذكر أبو الحسين القاضى فى كتابه، قال: حدّثنى أبى، عن أبى الحسين عبد الله بن محمّد الباقر، قال:

كنّا نتعلّم—و نحن أحداث—فى ديوان إسحاق بن إبراهيم الطاهرى، و معنا فتى من الكتّاب، له خلق جميل، يعرف بأبى غالب.

فزوّر جماعه من الكتّاب تزويرا بمال أخذوه، فوقف إسحاق على الخبر، فطلبهم، فظفر ببعضهم، فقطع [٢٦٣ ر] أيديهم، و هرب الباقر.

و كان فيمن هرب، الفتى الذى كنت ألزم مجلسه، فغاب سنين كثيره، حتى مات إسحاق.

فبينما أنا ذات يوم فى بعض شوارع بغداد، فإذا به.

فقلت: أبو غالب؟

فقال: نعم، و إذا تحته دابّه فاره، بسرج محلّى، و ثياب حسنه.

فقلت: عزّفتى حالك؟

قال: فى المنزل.

فسرت معه، فاحتبسنى ذلك [٢٣٣ م] اليوم عنده، و رأيت له مروءه حسنه، فسألته عن خبره.

فقال: لمّا طلبنا إسحاق، استترت، فلمّا بلغنى ما عامل به من كان معى فى الجنايه، ضاقت علىّ بغداد، فخرجت على وجهى، خوفا من عقوبه إسحاق، إن ظفر بى.

و لم أزل مستخفيا، إلى أن أتيت ديار مصر، أطلب التصرف، فتعدّر علىّ، و تفرّق من كان معى، إلاّ غلام واحد.

فرّقت حالي جدا، حتى بعث ما في البيت عن آخره، على قلته.

فأصبحت يوما، فقال لي غلامي: أي شيء نعمل اليوم؟ ما معنا حاجه.

فقلت: خذ مبطنتي بعها، واشتر لنا ما نحتاج إليه.

فخرج الغلام، وبقيت في الدار وحدي، أفكر فيما دفعت إليه من الغربه و الوحده، و العطله، و الضيقه، و الشده، و تعذر المعيشه و التصرف، و كيف أصنع، و ممن أقترض، فكاد عقلي أن يزول.

فبنا أنا كذلك، و إذا بجرذ قد خرج من كوه (١) في البيت، و في فمه دينار، فوضعه ثم عاد، فما زال كذلك، حتى أخرج ثمانين دينارا، فصفاها، ثم جعل يتقلب عليها، و يتمرغ، و يلعب.

ثم أخذ دينارا و دخل إلى الكوه، فخشيت إن تركته أن يردّها جميعها إلى الموضع الذي أخرجها منه، فقمتم، و أخذت الدنانير، و شدتها.

و جاء الغلام، [و معه ما قد ابتاعه، فتغدّينا، و قلت له: خذ هذا الدينار، فابتع لنا فأسا.

فقال: ما نصنع به؟] (٢)

فحدّثته الحديث، و أريته الدنانير، و قلت له: قد عزمت على أن أقلع الكوه.

ففعل ما أمرته به، و أفضى بنا الحفر إلى برّيته (٣) فيها سبعة آلاف دينار.

فأخذتها و أصلحت الموضع كما كان، و خرجت إلى بغداد، بعد أن أخذت بالمال سفاتي، و تركت بعضه معي.

ص: ٨٤

١- الكوه، بفتح الكاف و بضمّها: الخرق في الحائط، تجمع على: كواء، و كوى، و كوات.

٢- ساقطه من غ.

٣- البرّيته: وعاء من الفخّار، يسمّيه البغداديون الآن: بستوقه، فارسّيه، بستو، أي قطر ميز فخّارى (المعجم الذهبى، و الألفاظ الفارسّيه المعربه ٢٢).

و أنفذت الغلام بالسفّاتج إلى بغداد، و أقمت، حتى ورد عليّ كتاب الغلام بصحّهِ السفّاتج، و تحصيل المال في بيتي، و كان إسحاق قد مات.

فانحدرت إلى بغداد، و ابتعت بالمال كلّ ضيعه، و لزمتهأ، فأثمرت، و نمت، و تركت التصرّف (١).

ص: ٨٥

١- لم ترد هذه القصّه في ر.

أبو أميّه الفرائضى يخلّص رجلا من القتل

و حكى أبو أميّه الفرائضى (١)، قال:

كنت فى الوفد الذى وفد على أبى جعفر من أهل البصره، فلما مثلنا بين يديه، دعا برجل، فكلمه، ثم أمر بضرب عنقه، فجذب ليقتل.

فقلت فى نفسى: يقتل رجل من المسلمين، و أنا حاضر فلا أتكلم؟

فقمت، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تأمر بالكفّ عن قتل هذا، حتى أخبرك بشيء سمعت الحسن يقوله.

فأمر بالكفّ عنه، و قال: قل.

قلت: سمعت الحسن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، إذا كان يوم القيامة، جمع الله الأولين و الآخرين، فى صعيد واحد، [٢١١ ر] ينفذهم البصر، و يسمعهم المنادى، ثم يقوم مناد من قبل الله تعالى، فيقول:

ألا من كان له على الله حقّ فليقم، فلا يقوم إلا من عفا.

فقال أبو جعفر: الله الشاهد عليك، أنك سمعت الحسن يقول ذلك؟

قلت: نعم، سمعته يقوله [٢٢٢ غ]

فعفا عن الرجل، و أطلقه، فانصرف الرجل و هو يحمد الله على السلامه (٢).

ص: ٨٦

١- فى غ: و حكى المبارك بن فضاله.

٢- هذه القصه لم ترد فى م.

المهدى يحتج على شريك برؤيا رآها في المنام

و حكى الحسن بن قحطبه (١)، قال:

استؤذن لشريك بن عبد الله القاضى (٢)، على المهدى، و أنا حاضر، فقال:

على بالسيف، فأحضر.

قال الحسن: فاستقبلتنى رعدہ لم أملكها، و دخل شريك، فسلم، فانتضى المهدى السيف، و قال: لا سلم الله عليك يا فاسق.

فقال شريك: يا أمير المؤمنين، إن للفاسق علامات يعرف بها، شرب الخمر، و سماع المعازف، و ارتكاب المحظورات، فعلى أى ذلك وجدتنى؟

قال: قتلنى الله إن لم أقتلك.

قال: و لم ذلك يا أمير المؤمنين، و دمی حرام عليك؟

قال: لأننى رأيت فى المنام، كأننى مقبل عليك أكلّمك، و أنت تكلمنى من قفاك، فأرسلت إلى المعبر، فسألته عنها، فقال: هذا رجل يطاء بساطك، و هو يسرّ خلافك.

فقال شريك: يا أمير المؤمنين، إن رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب عليهما السلام، و إن دماء المسلمين لا تسفك بالأحلام (٣).

ص: ٨٧

١- الحسن بن قحطبه بن شبيب الطائى، القائد العباسى: ترجمته فى حاشية القصة ٤٦٠ من هذا الكتاب.

٢- أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن الحارث النخعى القاضى (٩٥-١٧٧): فقيه، عالم بالحديث، ذكى، سريع البديهة، ولأه المنصور قضاء الكوفة سنة ١٥٣، ثم عزله، و أعاده المهدى، و عزله موسى الهادى، و كان عادلا، ولد ببخارى، و توفى بالكوفة (الأعلام ٢٣٩/٣).

٣- كان الربيع حاجب المهدى، يعارض شريك، و يحمل المهدى عليه، و يدسّ له عنده، و يقول له: إن شريك فاطمى محض (العقد الفريد ١٧٨/٢ و ١٧٩)، و [٢] دخل شريك على المهدى يوما، فقال له

فَنكس المهدى رأسه، و أشار إليه بيده: أن أخرج، فانصرف.

قال الحسن: فقامت فلحقته، فقال: أما رأيت صاحبك، و ما أراد أن يصنع؟

فقلت: اسكت-لله أبوك- ما ظننت أنني أعيش حتى أرى مثلك (١).

ص: ٨٨

١- لم ترد هذه القصة في م و لا في غ، و وردت بصورة أكثر تفصيلا في العقد الفريد ١٧٨/٢ و ١٧٩.

إن من البيان لسحرا

و حكى الحسن بن محمّد، قال: قال أحمد بن أبي دؤاد:

ما رأيت رجلا قط نزل به الموت، و عاينه، فما أدهشه، و لا أذهله، و لا أشغله عمّا كان أراد، و أحبّ أن يفعله، حتى بلغه، و خلّصه الله تعالى من القتل، إلاّ تميم بن جميل الخارجي (١)، فإنّه كان تغلّب على شاطئ الفرات، فأخذ، و أتى به إلى المعتصم بالله.

فرأته بين يديه، و قد بسط له النطع و السيف (٢)، فجعل تميم ينظر إليهما، و جعل المعتصم يصعد النظر فيه، و يصوّبه.

و كان تميم رجلا جميلا، و سيما، و جسيما، فأراد المعتصم أن يستنطقه، لينظر أين جنانه (٣) و لسانه، من منظره و مخبره.

فقال له المعتصم: يا تميم، تكلم، إن كان لك حجّه أو عذر فابده.

فقال: أمّا إذ أذن أمير المؤمنين بالكلام، فأقول: الحمد لله الذي أحسن كلّ شيء خلقه، و قد خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين، يا أمير المؤمنين، جبر الله بك صدع الدين، و لمّ شعث المسلمين، و أحمّد بك شهاب الباطل، و أوضح نهج الحق، إنّ الذنوب تحرس الألسنة، و تعمى الأفئدة، و أيم الله، لقد عظمت الجريره (٤)، و انقطعت الحجّه، و كبر الجرم،

ص: ٨٩

١- في المستجد ص ١١٧: تميم بن جميل السدوسي، الخارجي.

٢- في المستجد: و رأته قد جىء به أسيرا، فأدخل عليه في يوم موكب، و قد جلس المعتصم للناس مجلسا عاقما، و دعا بالسيف و النطع.

٣- الجنان من كل شيء: جوفه، و جنان المرء: قلبه.

٤- الجريره: الذنب و الجنايه.

و ساء الظنّ، و لم يبق إلاّ- عفوكم، أو انتقامكم، و أرجو أن يكون أقربهما منّي و أسرعهما إليّ، أو لهما بإمامتك، و أشبههما بخلافتك، و أنت إلى العفو أقرب، و هو بك أشبه و أليق، ثم تمثّل بهذه الآيات:

أرى الموت بين السيف و النطع كما منا يلاحظني من حيثما أتلفت

و أكبر ظنّي أنّك اليوم قاتلي و أيّ امرئ مما قضى الله يفلت [٤٣ ن]

و من ذا الذي يدلي بعذر و حجّه و سيف المنايا بين عينيه مصلت

يعزّ على الأوس بن تغلب موقف يهزّ علىّ السيف فيه و أسكت (١)

و ما جزعى من أن أموت و إنني لأعلم أنّ الموت شيء موقت

و لكنّ خلفي صبيه قد تركتهم و أكبادهم من حسره تنفّت [٢١٢ ر]

كأنّي أراهم حين أنعى إليهم و قد خمشوا حرّ الوجوه و صوّتوا (٢)

فإن عشت عاشوا سالمين بغبطه أذود الأذى عنهم و إن متّ موّتوا (٣)

فكم قائل لا يبعد الله داره و آخر جدلان يسرّ و يشمت

قال: فتبسّم المعتصم (٤)، ثم قال: أقول كما قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم: إنّ من البيان لسحرا.

ثم قال: يا تميم كاد و الله أن يسبق السيف العدل، إذهب، فقد غفرت لك الهفوه، و تركتك للصبيه، و وهبتك لله و لصبيتك.

ثم أمر بفكّ قيوده، و خلع عليه، و عقد له على ولاية على شاطيء الفرات (٥)، [و أعطاه خمسين ألف دينار] (٦).

ص: ٩٠

١- في غ: يهزّ علىّ السيف فيه و يصلت.

٢- في غ: و قد لطموا تلك الخدود و صوّتوا، و في المستجاد: و قد لطموا حرّ الخدود.

٣- هذا البيت ساقط من غ.

٤- في غ، و في المستجاد: فبكي المعتصم.

٥- هذه القصّه لا توجد في م، و وردت في المستجاد للتوخى ١١٧-١١٩.

٦- الزيادة من المستجاد ص ١١٩.

سقى معن بن زائده أسراه ماء

فأطلقهم لأنهم أصبحوا أضيافه

و حكى أنّ معن بن زائده، جىء إليه بثلاثمائة أسير، فأمر بضرب أعناقهم، و أحضر السياف، و النطع.

فقدّم واحد منهم، فقتل، ثم قدّم غلام منهم، و كان له فهم و بلاغه.

فقال: يا معن، لا تقتل أسراك و هم عطاش.

فقال: أسقوهم ماء، فشربوا.

فقال: أيها الأمير، أ تقتل أضيافك؟

فقال: خلّوا عنهم، فأطلقوا كلهم (١).

ص: ٩١

١- وردت القصّة في المستجد للتنوخي ص ١١٩ بتفصيل أكثر، فأثرت إثباتها: أتى معن بن زائده بأسرى، فعرضهم على السيف، فقال له بعضهم: نحن أسراك أيها الأمير و نحن نحتاج إلى شيء من الطعام، فأمر لهم بذلك، فأتى بأنطاع، فبسطت، و أتى بالطعام، فقال لأصحابه امضوا في الأكل، و معن ينظر إليهم، و يتعجب منهم، فلما فرغوا من أكلهم، قام، فقال: أيها الأمير، قد كنا قبل أسراك، و نحن الآن أضيافك، فانظر ما ذا تصنع بأضيافك، فعفا عنهم، و خلّى سبيلهم، فقال له بعض من حضر: ما ندرى أيها الأمير، أيّ يوميك أشرف، يوم ظفرك، أو يوم عفوك.

فتى بغدادى قدّم للقتل

و سئل ما يشتهى فطلب رأساً حارّاً و رقاقا

و حكى محمّد بن الحسن بن المظفر، قال:

حضرت العرض فى مجلس الجانب الشرقى ببغداد (١)، أيّام نازوك، فأخرج خليفه نازوك (٢) على المجلس جماعه، فقتل بعضهم.

ثم أخرج غلاما حدث السن، مليح المنظر، فرأته لمّا وقف بين يدي خليفه نازوك، تبسّم.

فقلت: يا هذا، أحسبك رابط الجأش، لأنى أراك تضحك فى مقام يوجب البكاء، فهل فى نفسك شىء تشتهيه؟

فقال: نعم، أريد رأساً حارّاً (٣) و رقاقا (٤).

فسألت صاحب المجلس أن يؤخّر قتله إلى أن أطعمه ذلك، و لم أزل ألطف

ص: ٩٢

١- كان مجلس الشرطه بالجانب الغربى من مدينه السلام إلى عهد المأمون (الهفوات النادره ١٩٢) ثم أنشئ من بعد ذلك مجلس آخر بالجانب الشرقى فى رأس الجسر بمحلّه باب الطاق (الصرافيه).

٢- كان خليفه نازوك على الشرطه غلامه عجيب (القصّه ٧٦ من هذا الكتاب) و قد قتل عجيب مع نازوك فى السنه ٣١٧ فى دار الخلافه لما هاجمه الجند و خلعوا القاهر و أعادوا المقتدر للخلافه (الكامل ٢٠٤/٨ و تجارب الأمم ١٩٦/١).

٣- الرأس: رأس الخروف المشوى أو المسلوق، و ما زال هذا اسمه ببغداد، و بائع الرؤوس: الرّء آس، و يسمّونه ببغداد: الرؤاس، و هناك مثل عامّى ببغدادى قديم: لو راسى جايب راس لو راسى عند الرؤاس

٤- الرقاق، مفرده رقاقه: الخبز المنبسط الرقيق، ما زال هذا اسمه ببغداد.

به، إلى أن أجاب، وهو يضحك مني، ويقول: أي شيء ينفع هذا، وهو يقتل؟

قال: وأنفذت من أحضر الجميع بسرعه، واستدعيت الفتى، فجلس يأكل غير مكترث بالحال، والسيف قائم، والقوم يقدمون، فتضرب أعناقهم.

فقلت: يا فتى، أراك تأكل بسكون، وقله فكر.

فأخذ قشه (١) من الأرض، فرمى بها، رافعا يده، وقال وهو يضحك:

يا هذا، إلى أن تسقط هذه إلى الأرض مائه فرج.

قال: فوالله، ما استتم كلامه، حتى وقعت صيحه عظيمه، وقيل: قد قتل نازوك.

وأغارت العامه على الموضوع، فوثبوا بصاحب المجلس، وكسروا باب الحبس، وخرج جميع من كان فيه.

فاشتغلت أنا عن الفتى، وجميع الأشياء، بنفسى، حتى ركبت دابتي مهرولا، وصرت إلى الجسر، أريد منزلى.

فوالله، ما تويّطت الطريق، حتى أحسست بإنسان قد قبض على إصبعى برفق، وقال: يا هذا، ظننا بالله -عزّ وجلّ- أجمل من ظنك، فكيف رأيت لطيف صنعه.

فالتفت، فإذا الفتى بعينه، فهنأته بالسلامه، فأخذ يشكرنى على ما فعلته، وحال الناس والزحام بيننا، وكان آخر عهدي به (٢).

ص: ٩٣

١- القشه: ما صغر و دقّ من بيبس النبات.

٢- هذه القصه لم ترد فى م ولا فى غ.

أشرف يحيى البرمكى على القتل

فخلّصه إبراهيم الحرّاني وزير الهادي

و حكى: أنّ موسى الهادي كان قد طالب أخاه هارون أن يخلع نفسه من العهد، ليصيرَه لابنه من بعده (١)، و يخرج هارون من الأمر، فلم يجب إلى ذلك.

و أحضر يحيى بن خالد البرمكى، و لطف به، و داراه، و وعده و منّاه، و سأله أن يشير على هارون بالخلع، فلم يجب يحيى إلى ذلك، و دافعه مده.

فتهدّده و توعدّه، و جرت بينهما في ذلك خطوب طويله، و أشفى يحيى معه على الهلاك، و هو مقيم على مدافعتة عن صاحبه.

إلى أن اعتلّ الهادي، علّته التي مات منها، و اشتدّت به، فدعا يحيى، و قال له: ليس ينفعني معك شيء، و قد [٢٢٢ غ] أفسدت أخى عليّ، و قويّت نفسه، حتى امتنع مما أريده، و والله لأقتلنك، ثم دعا بالسيف و النطع، و أبرك يحيى، ليضرب عنقه.

فقال إبراهيم بن ذكوان (٢) الحرّاني [٢١٣ ر] يا أمير المؤمنين: إنّ لي يحيى

ص: ٩٤

١- اسم الابن جعفر بن موسى الهادي، إذ لمّا أفضت الخلافة إلى موسى الهادي، أراد خلع أخيه هارون من ولايه العهد، و البيعه لابنه جعفر، و تابعه القوّاد على ذلك، و أمر أن لا يسار أمام الرشيد بحربه (الطبرى ٢٠٧/٨) و [١] مضى الرشيد مرّه و معه جعفر بن موسى الهادي راكبين، فبلغا قنطره من قناطر عيساباذ، فالتفت أبو عصمه، القائد المرافق لجعفر، و قال للرشيد: مكانك حتّى يجوز وليّ العهد (الطبرى ٢٣٢/٨) [٢] فكان أوّل ما صنعه الرشيد لمّا بويع أن أمر بأبى عصمه فضربت عنقه و شدّت جمّته في رأس قناه، و حملت في موكبه لمّا دخل بغداد (الطبرى ٢٣٢/٨) و [٣] لمّا أفضت الخلافة للرشيد زوج ابنته حمدونه من جعفر بن موسى الهادي (الطبرى ٢١٢/٨).

٢- إبراهيم بن ذكوان الحرّاني، وزير الهادي: ترجمته في حاشيه القصّه ٣٤٦ من هذا الكتاب، راجع

عندى يدا، أريد أن أكافئه عليها، فأحب أن تهبه لى الليله، و أنت فى غد تفعل به ما تحب.

فقال له: ما فائده ليله؟

فقال: إما أن يقود صاحبه إلى إرادتك يا أمير المؤمنين، أو يعهد فى أمر نفسه و ولده، فأجابه.

قال يحيى: فأقمت من النطح، و قد أيقنت بالموت، و أيقنت أنه لم يبق من أجلى إلا- بقيه الليله، فما اكتحلت عيناي بغمض إلى السحر.

ثم سمعت صوت القفل يفتح علىّ، فلم أشكّ أنّ الهادى قد استدعانى للقتل، لَمّا انصرف كاتبه.

و انقضت الليله، و إذا بخادم قد دخل إلىّ، و قال: أجب السيده.

فقلت: ما لى و للسيده؟

فقال: قم، فقممت، و جئت إلى الخيزران.

فقلت: إنّ موسى قد مات، و نحن نساء، فادخل، فأصلح شأنه، و أنفذ إلى هارون، فجئ به.

فأدخلت، فإذا به ميتا، فحمدت الله تعالى على لطيف صنعه، و تفريج ما كنت فيه، و بادرت إلى هارون، فوجدته نائما، فأيقظته.

فلَمّا رآنى، عجب، و قال: ويحك ما الخير؟

قلت: قم يا أمير المؤمنين إلى دار الخلافه.

فقال: أو قد مات موسى؟

قلت: نعم.

فقال: الحمد لله، هاتوا ثيابى، فإلى أن لبسها، جاءنى من عرّفى أنّه

ولد له ولد من مراجل، و لم يكن عرف الخبر، فسّماه عبد الله، و هو المأمون (١) و ركب، و أنا معه، إلى دار الخلافة.

و من العجب أنّ تلك الليلة، مات فيها خليفه، و جلس خليفه، و ولد خليفه (٢).

ص: ٩٤

١- الطبري ٢٣٢/٨.

٢- هذه القصه لم ترد في م.

رمى من أعلى القلعه أوّلا و ثانيا فنجا و سلم

و حكى الشريف أبو الحسن محمّد بن عمر العلوى الزيدى (١)، قال:

لَمَّا حصلت محبوسا بقلعه خست (٢) بنواحي نيسابور، من فارس، حين حبسنى عضد الدوله بها، كان صاحب القلعه الذى أسلمت إليه يؤنسنى بالحديث.

فحدّثنى يوما: أنّ هذه القلعه كانت فى يد رجل كان راعيا بهذه البلاد، ثم صار قائدا، و احتوى عليها، فصارت له معقلا، و انضمّ إليه اللصوص، فصار يغير بهم على النواحي، فيخرجون، و يقطعون الطريق، و ينهبون [٤٤ ن] القرى، و يفسدون، و يعودون إلى القلعه، فلا تمكن فيهم حيله، إلى أن قصدهم أبو الفضل ابن العميد (٣)، و حاصرهم مدّه، و افتتحها، و سلّمها إلى عضد الدوله.

قال: فكان فى محاصره أبى الفضل لهم، ربما نزلوا و حاربوه، فظفر منهم

ص: ٩٧

١- أبو الحسن محمّد بن عمر العلوى الكوفى (٣١٥-٣٩٠): كان المقدم على الطالبين، مع ثروه، و غنى، و جاه، و كان العوامّ يطيعونه، و كان يرأسل و كلاءه بالحمام الزاجل، و اطّلع عضد الدوله مرّه على فقره تبيّن أنّ المطلوب من أبى الحسن عن معاملاتّه بفارس ألف ألف و ثلاثمائة ألف، فانزعج منه، و تصوّره بصوره من إذا أراد شيئا تمكّن منه، فاعتقله، و استولى على أمواله، ثم أطلقه شرف الدوله، و صادره بهاء الدوله على ألف ألف دينار (المنتظم ٢١١/٧).

٢- فى غ: بقلعه خست بنواحي بلاد سابور من فارس، و خست: ناحيه من بلاد فارس قريه من البحر (معجم البلدان ٤٤١/٢ و [٢] مرصد الاطلاع ٤٦٦/١).

٣- أبو الفضل محمّد بن الحسين العميد بن محمّد: من أئمّه الكتاب، متوسّع فى الفلسفه و النجوم، لُقّب بالجاحظ الثانى فى أدبه و ترسيّله، حسن السياسه، خبير بتدبير الملك، به تخرّج عضد الدوله، أثنى عليه الثعالبي، و ابن الأثير، و زُر لركن الدوله، و دامت وزارته ٢٤ سنه و مات بهمدان سنه ٣٦٠ (الأعلام ٣٢٨/٦).

فى وقعه كانت بينه و بينهم بنحو خمسين رجلا، فأراد قتلهم قتله يرهب بها من فى القلعه.

قال: و هى على جبل عظيم، حباله بالقرب منه جبل آخر أعظم منه، و عليه نزل أبو الفضل.

فأمر بالأسارى، فرمى بهم من رأس الجبل الذى عليه القلعه، فيصل الواحد منهم إلى القرار قطعاً، قد قطعته الأضراس الخارجه فى الجبل و الحجاره.

ف فعل ذلك [٢٢٣ غ] إجميعهم، حتى بقى غلام حين بقل وجهه (١)، فلما طرح وصل إلى الأرض سالما، فما لحقه مكروه، و قد تقطع جبل كتافه، فقام الغلام يمشى فى قيده طالبا الخلاص.

فكبر الديلم، و أهل عسكر أبى الفضل استعظما للصوره، و كبر أهل القلعه.

فاغتاظ أبو الفضل، و أمر برّد الغلام، فنزل من جاء به، فأمر أن يكّنف و يرمى ثانيه.

فسأله من حضر أن يعفو عن الغلام، فلم يفعل، و ألخوا عليه، فحلف أنه لا بدّ أن يطرحه ثانيه، فأمسكوا.

و طرح الغلام، فلما بلغ القرار قام يمشى سالما، و ارتفع من التكبير و التهليل أضعاف ما ارتفع أوّلا.

فقال الحاضرون: هل بعد هذا شىء؟ و سألوه العفو عنه، و بكى بعضهم.

فاستحى أبو الفضل و عجب، و قال: ردّوه آمنا، فردّوه.

فأمر بقيوده فكّكت، و بثياب فطرحت عليه، و قال له: [٢١٤ ر] أصدقنى عن سريرتك مع الله - عزّ و جلّ - التى نجاك بها هذه النجاه.

ص: ٩٨

١- بقل: ظهر و طلع، و بقل وجه الغلام: نبت شعره.

فقال: ما أعلم لى حالا- توجب هذا، إلا أنّى كنت غلاما أمردا، مع أستاذى فلان، الذى هو أحد من قتل الساعه، و كان يأتى منى الفاحشه، و يخرجنى معه، فنقطع الطريق، و نخيف السبيل، و نقتل الأنفس، و نهب الأموال، و نهتك الحرم، و نفجر بهنّ، و نأخذ كل ما نجد، لا أعرف غير هذا.

فقال له أبو الفضل: كنت تصوم و تصلّى؟

قال: ما كنت أعرف الصلاه، و لا صمت قط، و لا فينا من يصوم.

فقال له: ويلك، فما هذا الأمر الذى نجّاك الله به، فهل كنت تتصدّق؟

قال: و من كان يجئننا حتى نتصدّق عليه؟

قال: ففكّر، و اذكر شيئا، إن كنت فعلته لله عزّ و جلّ، و إن قلّ.

ففكّر الغلام ساعه، ثم قال: نعم، سلّم إلى أستاذى منذ سنين، رجلا كان أسره فى بعض الطرقات، بعد أن أخذ جميع ما معه، و صعّد به إلى القلعه.

و قال له اشتر نفسك بمال تستدعيه من بلادك و أهلك، و إلا قتلتك.

فقال الرجل: ما أملك من الدنيا كلّها غير ما أخذته منى.

فعدّبه أيّاما و هو لا يذعن بشىء.

ثم جدّ به يوما فى العذاب جدّا شديدا، فحلف الرجل بالله تعالى، و بالطلاق، و بأيمان غليظه، أنّه لا يملك من الدنيا إلا ما أخذه منه، و أنّه ليس له فى بلده إلا نفقه جعلها لعياله، قدرها نفقه شهر، إلى أن يعود إليهم، و أنّ الصدقه الآن تحلّ له و لهم، و استسلم الرجل للموت.

فلما وقع فى نفس أستاذى أنّه صادق، قال: إنزل به، و أمض إلى الموقع الفلانى، فاذبحه، و جئنى برأسه.

فأخذت الرجل، و حدرته من القلعه، فلّمّا رآنى أعسفه، قال لى: إلى أين تمضى بى؟ و أى شىء تريد منى؟ فعرفّته ما أمرنى به أستاذى، فجعل يبكى، و يلطم، و يتضرّع، و يسألنى أن لا أفعل، و يناشدنى الله عزّ و جلّ، و ذكر لى

أَنْ لَهُ بَنَاتٌ أَطْفَالًا، لَا كَادَ لَهُمْ وَلَا كَاسِبَ سِوَاهُ، وَخَوَّفَنِي بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسَأَلَنِي أَنْ أَطْلُقَهُ.

فَأَوْقَعَ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَهُ لِي فِي قَلْبِي، فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ لَمْ أَرْجِعْ إِلَيْهِ بِرَأْسِكَ قَتَلَنِي، وَلِحَقِّكَ فَقَتَلَكِ.

فَقَالَ: يَا هَذَا أَطْلُقَنِي أَنْتِ، وَلَا تَعُدِّي [٢٢٤ غ] إِلَى صَاحِبِكَ إِلَّا بَعْدَ سَاعَةٍ، وَأَعِدْ وَأَنَا فَلَا يَلْحَقَنِي، وَإِنْ لِحَقَّنِي، كُنْتُ أَنْتِ قَدْ بَرَأْتِ مِنْ دَمِي، وَصَاحِبِكَ لَا يَقْتُلُكَ مَعَ مَحَبَّتِهِ لَكَ، فَتَكُونُ قَدْ أُجِرْتِ فِيَّ.

فَازْدَادَتْ رَحْمَتِي لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: خُذْ حِجْرًا، فَأَضْرِبْ بِهِ رَأْسِي، حَتَّى يَسِيلَ دَمِي، وَأَجْلِسْ هَاهُنَا، حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّكَ قَدْ صَرْتِ عَلَيَّ فِرَاسِخًا، ثُمَّ أَعُودُ أَنَا إِلَى الْقَلْعَةِ.

فَقَالَ: لَا أَسْتَحْسِنُ أَنْ أَكْفَيْتُكَ عَلَيَّ خِلَاصِي بِأَنْ أَشْجَبَكَ.

فَقُلْتُ: لَا طَرِيقَ إِلَى خِلَاصِكَ، وَخِلَاصَ نَفْسِي، إِلَّا هَكَذَا.

فَفَعَلْتُ، وَتَرَكْنِي، وَطَارَ عِدْوًا، وَجَلَسْتُ فِي مَوْضِعِي، حَتَّى وَقَعَ لِي أَنَّهُ صَارَ عَلَيَّ فِرَاسِخٌ كَثِيرٌ، وَجِئْتُ إِلَى أَسْتَاذِي غَرِيقًا بَدْمَائِي.

فَقَالَ: مَا بِالْكَ، وَأَيْنَ الرَّأْسِ؟

فَقُلْتُ: سَلَّمْتُ إِلَيَّ شَيْطَانًا، لَا رَجُلًا، مَا هُوَ إِلَّا- أَنْ حَصَلَ مَعِي فِي الصَّحْرَاءِ حَتَّى صَارَ عَنِّي، فَطَرَحَنِي إِلَى الْأَرْضِ، وَشَدَخَنِي بِالْحِجَارَةِ، كَمَا تَرَى، وَطَارَ يَعْدُو، فَغَشِيَ عَلَيَّ، فَمَكَّنْتُ فِي مَوْضِعِي إِلَى الْآنِ، فَلَمَّا رَقَا دَمِي (١)، وَرَجَعْتُ قَوَّتِي، جِئْتُكَ.

فَأَنْزَلَ خَلْقًا وَرَاءَهُ، فَعَادُوا مِنْ غَدٍّ، وَفَتَّشُوا عَلَيْهِ، فَمَا وَقَفُوا لَهُ عَلَى أَثَرٍ، فَإِنْ يَكُنُ اللَّهُ تَعَالَى، قَدْ خَلَّصَنِي لَشَيْءٍ فَعَلْتَهُ، فَلِهَذَا.

ص: ١٠٠

١- رَقَا الدَّمَ: جَفَّ وَانْقَطَعَ.

قال: فجعله أبو الفضل راجلا (١) على بابه برزق له قدر، و اصطنعه.

[قال لي الشريف: و حدثني بهذا الخبر جماعه ممن كانوا في القلعه، و غيرهم ممن شاهدوا القصه، و منهم من أخبر عمن شاهدها، و وجدت الخبر بعده شائعا بفارس] (٢).

ص: ١٠١

١- الراجل: راجع حاشيه القصه ٣٨٢ من هذا الكتاب.

٢- الزياده من ن، لم ترد هذه القصه في م.

سقط من علوّ ألف ذراع و نهض سالما

و قريب من هذا ما حدّثني به الشريف أبو الحسن -أيده الله- قال:

كان رجل بالكوفة، سمّاه، و أنسيت أنا اسمه، مشهور بها، يجيء إلى إصبع خفّان (١)، و هو بناء قديم مشهور بنواحي الكوفة، كالقائم (٢)، يقال إنّه كان مرقبا للأكاسره على العرب، و هو مجوّف، و في داخله درجه، فيصعد بها إلى أن يسمو فيه على تسعين ذراعا، ثم لا يبقى موضع صعود لأحد، و هناك سطيح حرّاس المناره، و يقف الإنسان فيه، و له منافذ يرى منها البرّ، و تكون المنافذ إلى أسفل صدر القائم فيه، و على باقى البناء قبة كالبيضة، لا يصل (٣) إليها من يكون هناك، كما تكون رؤوس المنائر.

ص: ١٠٢

١- إصبع خفّان: موضع بظهر الكوفة كالمسنّاه تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة و مقابرها (معجم البلدان ٧٦٠/٤)، [١] أقول: اسم النجف يطلق الآن على الغريين، و هي أرض صخريه لها حافه عاليه مطّله على أرض منخفضه تسمى: بحر النجف، سمّيت بحرا لأنّ الماء كان ينبثق إليها من أحد رواضع الفرات فيتبّطّح فيها بحرا، ثمّ نظمت سبل الرى، فانقطعت البثوق و أصبحت أرض بحر النجف أرضا زراعيه، و كنت ألى القضاء فى هذه المنطقه فى السنه ١٩٣٥ فى أبى صخير و النجف و درت فى بحر النجف و فى الموضع الذى يصفه المؤلّف، فلم أجد للبناء الذى وصفه عينا و لا أثرا.

٢- القائم مناره عاليه بالحيره مقابل دير حنّه (معجم البلدان ٦٥٦/٢) و [٢] القائم مرقب على شاطئ الفرات من الجانب الغربى فى طريق الرقه من بغداد و كان بين الروم و الفرس يرقب عليه على طرف الحدّ بين المملكتين شبه تل عقرقوف ببغداد و إصبع خفّان بظهر الكوفة (معجم البلدان ٦٨٤/٢)، و [٣] ذكر ابن الأثير فى تاريخه الكامل ٥٩٩/٩ و ٦٠٠، فى أخبار السنه ٤٤٦ أنّ قبيله خفّاجه، عاثت تلك السنه فى الجامعين، و أعمال نور الدوله ديبس، فقصدهم، و لحقهم بخفّان، و أوقع بهم، و فتح حصن خفّان، و أراد تخريب القائم به، و هو بناء من آجرّ و كلس، قيل انه كان علما تهتدى به السفن، لئلا كان البحر يجيء إلى النجف، و أنّ صاحب القائم، صانع ديبسا بمال، فترك هدمه.

٣- فى الأصل: ليصل.

و كان هذا الرجل يخرج نفسه [٤٥ ن] من بعض المنافذ، و يقلب فيصير فوق البيضة بحذق و لطف قد تعوّدهما، و كان قد جعل قديما فوق البيضة حجر مدور كالرحى، له سفود حديد (١)، لا يعرف الغرض من تصييره هناك لطول الزمان، فيقلب الرجل نفسه من النافذه فيقعد فوق تلك الرحى، و كان القائم مبتيا على حرف النجف، و طوله إلى بطن النجف أكثر من ألف ذراع أو نحوه، فيصير الرجل عاليا علوا عظيما، و يعجب الناس من ذلك، و يأخذ عليه منهم البر.

و إن رجلا أتاه و هو متبذ (٢)، فأعطاه شيئا ليصعد للقائم، ففعل ذلك جاريا على عادته، فلغلبه النيذ عليه لم يتحرز التحرز التام لما أخرج نفسه من أحد المنافذ لينقلب على الرحى، فاضطرب جسمه و علق بالرحى، و جاء ليركبه، فانقلع الرحى معه، و هوى جميعا من ذلك العلو المفرط إلى بطن النجف، و لثقل الحجر، و أنّ الرجل لم يكن تحته، ما سبق الحجر إلى الأرض، فتقطع قطعا، و دخلت الريح في ثياب الرجل، و رآه الناس فصاحوا، و كبروا عجباً، و الريح تحمل الرجل على مهل، حتى طرحته في قرار النجف، فقام يمشى، ما أصابه شيء البته، حتى صعد من موضع سهل أمكنه الصعود منه إلى إصبع خفان.

و حدّثني أنّ هذا شائع ذائع بالكوفه، لم يكن في عمره، و لكن أخبر به جماعه كبيره من شيوخ الكوفه (٣).

ص: ١٠٣

١- السفود: قضيب من الحديد له رأس مدبب يشكّ فيه اللحم و يوضع على النار، و العامه ببغداد يسمونه: سيخ، فارسياً بمعنى السفود.

٢- التتذ: شرب النيذ.

٣- انفردت بها ن.

بين المهدي و يعقوب بن داود

و قرىء على أبى بكر الصولى، و أنا حاضر أسمع، حدّثكم الحسن العنبرى، قال:

أمر المهدي بيعقوب بن داود الكاتب، بعد أن نكبه، أن يؤتى به إليه، فجاء، و قد انتضى له السيف.

فقال: يا يعقوب.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين، تلبيه مكروب [٢١٥ ر] الموجدتك، شرق بغضبك.

فقال: ألم أرفع قدرك و أنت خامل، و أسير ذكرك و أنت غافل، و ألبسك من نعم الله و نعمى، ما لم أجد عندك طاقة لحمله، و لا قياما بشكره، فكيف رأيت الله أظهر عليك، و ردّ كيدك إليك؟

قال: يا أمير المؤمنين، إن كنت قلت هذا بعلم و يقين، فأنا معترف، و إن كان بسعايه الساعين، فأنت بما فى أكثرها عالم، و أنا عائذ بكرمك، و عميم شرفك.

فقال: لو لا ما سبق لك من رعايتى لاستحقاقك، لألبستك من الموت قميصا، اذهبوا به إلى المطبق.

فذهبوا به و هو يقول: الاختلاط رحم، و الوفاء كرم، و ما على العفو يذمّ، و أنت بالمحاسن جدير، و أنا بالعفو خليق.

فلم يزل محبوبا، حتى أطلقه الرشيد (١).

ص: ١٠٤

١- لم ترد هذه القصّه فى م.

قال الصولي: و لما أوقع المهدي يعقوب بن داود، أحضر إسحاق بن الفضل ابن عبد الرحمن الربعي الهاشمي.

فقال له: أ تزعم أنكم الكبراء من ولد عبد المطلب، لأن الحارث أباكم أكبر ولده، و لذلك صرت أحق بالخلافه مني؟

فقال إسحاق: علي من قال هذا، أو نواه، لعنه الله، و إذا صح علي هذا، فاقتلني.

فقال: يعقوب بن داود قال لي هذا عنك.

فقلت في نفسي: يعقوب قد قتل، و لم أشك في ذلك، فقد أمنت من أن يبهتني.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن واجهني يعقوب بهذا فقد اعترفت به.

فأحضر يعقوب مقيدا، فقال له: أما أخبرتنى عن [٢٢٥ غ] إسحاق بكذا؟

قال إسحاق: فأحسست -و الله- بالموت، إلى أن قال يعقوب: و الله، ما قلت لك هذا قط.

قال: بلي و الله.

قال: لا و الله، فاغتاظ المهدي.

فقال له يعقوب: إن أذكرتك القول في هذا، تزيل التهمه عنّي؟

قال: نعم.

قال: أتذكر يوم شاورتنى في أمر مصر، فأشرت عليك بإسحاق.

فقلت: ذاك يزعم أنه أولى بالخلافه مني، و قد كان مبارك التركي حاضرا ذلك، فاسأله، فذكر المهدي ذلك.

ثم أقبل المهدي يوبخ يعقوب على أفعاله، و يعقوب يقوم بالحجّه.

إلى أن قال له يعقوب: يا أمير المؤمنين، أتذكر حيث أعطيتني عهد الله و ميثاقه، و ذمه رسوله، و ذمه آبائك، أن لا تقتلني، و لا

تحبسني، و لا تضربني

ص: ١٠٥

أبدا، و لو قتلت موسى و هارون (١).

قال: فوثب المهدي من مجلسه، و ردّ يعقوب إلى حبسه، و خرجت أنا (٢).

ص: ١٠٦

١- يريد ولدي المهدي: موسى الهادي و هارون الرشيد.

٢- انفردت بهاغ.

جزاء الخيانة

و حكى أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق التنوخي:

أن رجلاً أمسى في بعض محالّ الجانب الغربي من مدينة السلام، و معه دراهم لها قدر.

فخاف على نفسه من الطائف (١)، أو من بليته تقع عليه، فصار إلى رجل من أهل الموضع، و سأله أن يبيته عنده، فأدخله.

فلما تيقن أن معه مالا، حدّث نفسه بقتله، و أخذ المال.

و كان له ابن شاب، فنوّمه بحذاء الرجل، في بيت واحد، و لم يعلم ابنه ما في نفسه، و خرج من عندهما، و قد عرف مكانهما، و طغى السراج.

فقدر أن الابن انتقل من موضعه إلى موضع الضيف، و انتقل الضيف إلى موضع الابن، و جاء أبوه يطلب الضيف، فصادف الابن فيه، و هو لا يشكّ أنه الضيف، فخنقه، فاضطرب، و مات.

و انتبه الضيف باضطرابه، و عرف ما أريد به، فخرج هارباً، و صاح في الطريق، و وقف الجيران على خبره، و أغاثوه، و خرجوا إليه.

و أخذ الرجل، فقّرر، فأقرّ بقتل ولده، فحبس، و أخذ المال من داره، فردّ على الضيف، و سلم (٢).

ص: ١٠٧

١- الطائف: راجع حاشية القصّه ١٨٣ من هذا الكتاب.

٢- لم ترد هذه القصّه في م، و لا في غ، و قد وردت في كتاب نشوار المحاضر و أخبار المذاكره للقاضي التنوخي برقم القصّه ٨٧/٤.

الخائن لا يؤتمن

قال مؤلف هذا الكتاب: وقد جرى [٤٦ ن] فى عصرنا مثل هذا، فحدّثنى مبشر الرومى (١)، قال:

لما خرج معزّ الدوله فى سنه سبع و ثلاثين و ثلثمائه، و انهزم ناصر الدوله من بين يديه، أنفذنى مولاي، لأكون بحضرته، و حضره أبى جعفر الصيمرى كاتبه، و أوصل كتبه إليهما.

فسمعت حاشيه الصيمرى، يتحدّثون: أنه جاء إليه ركابى من ركابيته، و قال له: أيها الأمير، إن قتلت لك ناصر الدوله، أى شىء تعطينى؟

قال له: ألف دينار.

قال: فأذن لى أن أمضى و أحتال فى اغتياله، فأذن له.

فمضى إلى أن دخل عسكره، و عرف موضع مبيته من خيمته، فرصد الغفله حتى دخلها ليلا، و ناصر الدوله نائم، و بالقرب من مرقده شمعته مشتعله، و فى الخيمه غلام نائم.

فعرف موضع رأسه من المرقد، ثم أطفأ الشمعه، و استلّ سكيناً طويلاً ماضياً كان فى وسطه، و أقبل يمشى فى الخيمه، و يتوقّى أن يعثر بالغلام، و هو يريد موضع ناصر الدوله.

فإلى أن وصل إليه انقلب ناصر الدوله من الجانب الذى كان نائماً عليه، إلى الجانب الآخر، و زحف فى الفراش، فصار رأسه على الجانب الآخر من

ص: ١٠٨

١- مبشر الرومى: مولى أبى القاسم على بن محمّد التنوخى القاضى، والد مؤلف هذا الكتاب، نقل عنه المؤلّف فى كتابه نشوار المحاضره و أخبار المذاكره قصصاً، راجع فى كتاب نشوار المحاضره القصص ١/١٠٠ و ١٠٢ و ١٨٠ و ١٨٠/٨.

المخادّ و الفراش، و بينه و بين الموضع الذى كان فيه مسافه يسيره.

و بلغ الركابى إلى الفراش، و هو لا يظنّ إلاّ أنّه فيه و أنّه فى مكانه.

فوجأ الموضع بالسكين بجميع قوّته، و عنده أنّه قد أثبتها فى صدر ناصر الدوله، و تركها فى موضعها، و خرج من تحت أطناب الخيمه.

و صار فى الوقت إلى عسكر معزّ الدوله، فوصل إليه، فأخبره أنّه قتل ناصر الدوله، و طالب بالجعلاه، فاستشرحه كيف صنع، فشرحه.

فقال له: اصبر حتى يرد جواسيسى بصحّحه الخبر.

فلما كان بعد يومين ورد الجواسيس بأخبار عسكر [٢١٦ ر] ناصر الدوله، و ما يدلّ على سلامته [و أنّ إنسانا أراد أن يغتاله، فكان كيت و كيت] (١)، و ذكر له خبر السكين.

فأحضر معزّ الدوله الركابى، و سلّمه إلى أبى جعفر محمّد بن أحمد الصيمرى -الهلالى، فيما سمعت إذ ذاك- و قال له: إكفنى أمر هذا الركابى، فإنّ من تجاسر على الملوک لم يجر أن آمنه على نفسى.

فغرّقه الصميرى سرّاً (٢).

ص: ١٠٩

١- الزيادة من غ.

٢- لم ترد هذه القصّه فى م، و قد وردت فى تجارب الأمم ٩٤/٢ فى حوادث السنه ٣٣٤ و جاء فيها أنّ مضرب ناصر الدوله كان باب الشّمسايّه، أقول إنّ الشّمسايّه، اسمها الآن: الصليخ، و تقع شمالى بغداد.

أراد ابن المعتز قتل يحيى بن على المنجم

فلم يمهل القدر

قال مؤلف هذا الكتاب: كان يحيى بن على المنجم (١) قد ناقض أبا العباس عبد الله بن المعتز، فى أشعار جرت بينهما، فى تفضيل ما بين العرب و العجم، و الطالبين و العباسيين، و اشتدت الحال بينهما، إلى أن بادأ يحيى بالعداء و الهجاء، و ذلك طويل مشهور، و ليس هذا موضع ذكره.

فلما بوع ابن المعتز، و أطاعه الجيش، و جلس للنظر فى الأمور، و أشار أهل يحيى عليه بالهرب، و هم هو به خوفا من القتل، أتته رسل ابن المعتز يطلبونه للبيعه، فدخل إليه و هو آيس من الحياه، فبايعه، و ثار الشر فى وجهه حتى خاف أن يبادره، ثم انصرف لاشتغال ابن المعتز عنه بإحكام البيعه، و عمل يحيى على التوارى و إسلام النعمه.

فلما كان من الغد، انتقض أمر ابن المعتز، و كفى يحيى أمره (٢).

و حكى الصولى فى كتابه «كتاب الوزراء» (٣) [قال: حدثنى الحسن بن إسماعيل الجليس] (٤)، قال: دخل يحيى بن على المنجم، إلى عبد الله بن المعتز،

ص: ١١٠

١- أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى بن أبى منصور، المعروف بابن المنجم (٢٤١-٣٠٠): أديب، شاعر مطبوع، متكلم، معتزلى، عالم بعلوم الأوائل، أشعر أهل زمانه و أحسنهم أدبا، نادم الموفق و المعتضد، و له مؤلفات عدده (الأعلام ١٩٥/٩ و [١] تاريخ الحكماء ٣٦٤ و الفهرست ١٦٠ و [٢] تاريخ بغداد للخطيب ٢٣٠/١٤).

٢- انفردت بها ن.

٣- فى ن: كتاب الخلفاء.

٤- الزيادة من ن.

متقلدا سيفاء، و معه ابناه، فسلم عليه [٢٢٦ غ] بالخلافه.

فقال له، قليلا- قليلا- و من حوله يسمع: لا- سلم الله عليك، يا كلب، أ لست الهاجى سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و الفاخر [بعجمك] (٤) على أهله؟ و الله، لأطعمن الطير لحمك.

قال: و خفت أن يعجل فيأمر به، فجعلت أومىء إلى الانتظار به، فسلم، و لا أحسب ذلك إلا لأنه كان يعد له ما القتل معه راحه.

ثم قال: كلاب غدتهم نعمتنا، و أشادت بذكرهم خدمتنا، سعوا بالباطل علينا، و جحدوا إحساننا، و هجوا نبينا عليه السلام، حتى إذا أظلم العذاب، و أسلمتهم الحراب (١)، تحصنوا بالرفض، و مدحوا أهلنا، و أخص الناس بنا، لتنصرهم علينا طائفه منا، و ليتألفوا قلوبا نفرت عنهم و لم يعلم الجاهل الكافر، أننا و بنى عمنا من آل أبى طالب، لو افترقنا فى كل شىء تجتمع الناس عليه، ما افترقنا فى أن الثالب لسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم كافر، و الفاخر عليه فاجر، و أنا جميعا نرى قتله، و نستحل دمه.

فما زلنا نسكن منه و نحتال للعدر عنه و جها، و هو لا يقبل، و يعننا، و يقول:

ليس بمسلم من خالف قولى هذا (٢).

و أنشدنى يحيى بن على، لنفسه، بعد أن قتل ابن المعتز:

نفخت فى غير فحم يا قاطعا كل رحم

لما تأليت بغيا أن تطعم الطير لحمى

حميت منك فصار ال مباح ما كنت تحمى

فاذهب إلى النار فازحم سكانها أى زحم (٣)

ص: ١١١

١- فى ن: و أسكتهم الجواب.

٢- انفردت بها غ و ن.

٣- انفردت بها غ و ن، و قد أورد ابن الأثير ١٧/٨، [١] أبياتا لأبى أحمد يحيى بن على بن المنجم، هجا

قال الصولي: و لَمَّا ولى أبو الحسن بن الفرات الوزاره الأولى، دخل عليه يحيى بن عليّ فأنشده قصيده، يهنّيه بها، و ذكرها الصولي، فمنها مما يدخل في هذا المعنى، قوله:

و ليس وزاره الخلفاء نهبا و ليس خلفه الرحمن عاره

تجلّت غيره كُنّا أصبنا بها و المسلمون علي إباره (١)

فأعقبنا الزمان رضى بسخط و أبدلنا الحلاوه بالمراره (٢)

ص: ١١٢

١- الإباره: الاهلاك و الاتلاف.

٢- انفردت بهاغ و ن.

الحجاج بن خيثمه ينصح الحسن بن سهل

حدّثنا أبو محمّد عبد الرحمن الـورّاق المعروف بالصيرفي (١)، ابن أبي العباس محمّد بن أحمد الأثرم المقرئ البغدادي بالبصرة في المحرم سنة خمس و أربعين و ثلثمائة بكتاب «المبيضة» لأبي العباس أحمد بن عبيد الله [٤٧ ن] ابن عمّار (٢)، في خبر أبي السرايا الخارج بالطالبيين بعد مقتل الأمين، و شرح غلبه الطالبيين و أصحاب أبي السرايا على الكوفة، و البصرة، و أكثر السواد، و الحرمين، و اليمن، و الأهواز، و غير ذلك، قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ بن محمّد بن سليمان النوفلي (٣)، قال:

لما انصرف الطالبيون عن البصرة، تفرّقوا، فتوارى بعضهم ببغداد و بعضهم بالكوفة، و كان فيمن توارى زيد بن موسى بن جعفر بن محمّد، فطلبه الحسن (٤) طلبا شديدا حتى دلّ على موضعه، فأرسل إليه من هجم عليه فأتى به، ثم جلس مجلسا عامّا من أجله، و دعا به، فأثبه، و وبّخه، و قال: قتلت الناس، و سفكت دماء المسلمين، و فعلت، و فعلت.

ثم أقبل على من حضره من الناس و الهاشميين و غيرهم، و قال: ما ترون فيه؟ فأمسكوا جميعا.

ص: ١١٣

-
- ١- أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي العباس الأثرم محمّد بن أحمد بن حمّاد الـورّاق: ترجمته في حاشية القصّص ١٩٤.
 - ٢- أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمّار، صاحب كتاب المبيضة: ترجمته في حاشية القصّص ١٩٥.
 - ٣- أبو الحسن عليّ بن محمّد بن سليمان النوفلي: يروى عن أبيه، ذكره أبو عبيد الله المرزباني في الموشّح ٣٩٣، ٣٨٦، ٣٣٥، و [١] النوفلي نسبه إلى نوفل بن عبد مناف أو نوفل بن الحارث بن عبد المطلّب (اللباب ٣/٢٤٤)، و قد أوصل المؤلّف نسبه إلى نوفل في القصّص التاليه.
 - ٤- يريد بالحسن، الحسن بن سهل، قائد جيش المأمون.

و انبرى له قثم بن جعفر بن سليمان، فقال: أرى أيها الأمير أن تضرب عنقه، و دمه في عنقي.

فأمر به الحسن، فشدّ رأسه بالحبل، و انتضى له السيف، و لم يبق إلا أن بومئ بالضرب، فيضرب.

إذ صاح الحجاج بن خيثمه - و هي أمّه - و قد حضر المجلس ذلك اليوم، قال: و هو رجل من أهل البصرة له قدر، و أمّه أخت عبيد الله بن سالم مولى بلقين، و كان الرشيد جعل إليه أمر الصواري و البارجات (1)، و كانت له في نفسه هياه و حال و سرو، فاحتمل أن يولّى هذا، و كانت حاله، بعد، حالاً حسنه، و قدره غير وضيع.

فقال: أيها الأمير، إن رأيت أن لا تعجل، و أن تدعوني إليك، فإنّ لك عندي نصيحه.

ف فعل الحسن، و أمسك الذي بيده السيف، و استدناه.

فلما دنا، قال: أيها الأمير، أتاك بما تريد فعله أمر أمير المؤمنين؟

قال: لا.

قال: فكان قد عهد إليك، إذا ظفرت بهذا الرجل أن تقتله، و استأمرت به بعد ظفرك به، فأمرك بذلك؟

قال: لا ذا و لا ذا.

قال: أقتل ابن عمّ أمير المؤمنين عن غير أمره، و لا استطلاع رأيه فيه؟

قال: ثمّ حدّثه بحديث عبد الله بن الأفضس، و أنّ الرشيد حبسه عند جعفر بن يحيى، فأقدم عليه، فقتله من غير أمره، و بعث برأسه إليه، مع هدايا النيروز، و أنّ الرشيد لما أمر مسرورا الكبير بقتل جعفر، قال له: إذا سألك

ص: ١١٤

١- البارجات، مفردا البارجه: السفينه من سفن البحر تتخذ للقتال (لسان العرب) و الصواري، مفردا الصاري: عمود يرتكز في وسط السفينه يرتكب فيه الشراع.

عن ذنبه الذى أقتله من أجله، فقل له: إنَّما أقتلك بآبن عمى ابن الأفتس الذى قتله من غير أمرى.

ثم قال الحجاج للحسن: أفتأمن أيها الأمير حادثه تحدث بينك و بين أمير المؤمنين فيحتج عليك بمثل ما احتج به الرشيد على جعفر؟

فجزاه خيرا، و أمر أن يرفع عن زيد السيف، و أن يرَدَّ إلى محبسه فلم يزل محبوسا حتى ظهر أمر إبراهيم بن المهدي، فجدَّ أهل بغداد بالحسن بن سهل فأخرجوه منها.

قال: و كان حبسه عند الطيب بن يحيى، و كان صاحب حرسه، قال:

و حبس معه أحمد بن محمد بن عيسى الجعفرى، أخوا العباس بن محمد صاحب البصره، فضيق عليهما محبسهما حتى جعلهما فى سفينه، و أطبق عليهما ألواحا، و جعل لها فتحا يدخل منه الطعام و الشراب، و عندهما دَنٌّ مقطوع الرأس يحدثان فيه، فإذا كاد يمتلىء، أخرج فرمى ما فيه، ثم ردَّ.

فلم يزل ذلك حالهما، حتى بايع المأمون لعلى بن موسى الرضا، فكتب إلى الحسن فى إطلاقهما، ففعل الحسن ذلك. (١)

ص: ١١٥

١- انفردت بها ن، و أشار إليها صاحب مقاتل الطالبين ص ٥٤٨ و ٥٤٩.

يحيى البرمكى يغرى الرشيد بجعفر بن الأشعث

و حدّثنا أبو محمّد عبد الرحمن بن الأثرم، فى هذا الكتاب، (١) فى خبر موسى بن جعفر بن محمّد، قال: حدّثنا أبو العباس بن عمّار، قال: حدّثنى أبو الحسن النوفلى، و هو على بن محمّد بن سليمان بن عبد الملك بن الحارث بن نوفل، قال:

حدّثنى أبى، أنّ بدء سعى يحيى بن خالد البرمكى، على موسى بن جعفر، كان سببه وضع الرشيد ابنه محمّدا فى حجر جعفر بن محمّد بن الأشعث (٢)، فساء ذلك يحيى، و قال: إذا مات الرشيد، و أفضى الأمر إلى ولده محمّد (٣) انقضت دولتى، و دوله ولدى، و تحوّل الأمر إلى جعفر و ولده، و قد كان عرف مذهب جعفر فى التشيع، فأظهر له إنّه على مذهبه، فلمّا أنس به جعفر، أفضى إليه بجميع أمره، و ذكر له ما هو عليه فى موسى بن جعفر.

و كان الرشيد يرعى له موضعه، و موضع أبيه من الخلفاء (٤)، فكان يقدم فى

ص: ١١٦

١- يريد: كتاب المبيضة.

٢- أبو العباس جعفر بن محمّد بن الأشعث الخزاعى: كان أثيرا جدّا عند الرشيد، و كان قد أودع لديه خاتم الخلافة (الطبرى ٢٣٥/٨) و [١] و لاه خراسان (الطبرى ١٧٣/٨ و ٣٤٧، و [٢] ابن الأثير ١١٤/٦ و ١٢٠ و ٢١٥).

٣- فى الأصل: و أفضى الأمر إلى جعفر بن محمّد بن الأشعث، و هو خطأ من النسخ.

٤- كان محمّد بن الأشعث الخزاعى من قدماء الساعين فى إقامة دوله بنى العباس، و لاه أبو مسلم الخراسانى الطبسين (الطبرى ٣٨٩/٧ و ابن الأثير ٣٨٦/٥) و ولى للسفاح فارس (الطبرى ٤٥٨/٧ و ٤٦٠) و قاد جيشا أحمد به فتنه بالرئى فامت على المنصور فى السنه ١٣٨ (الطبرى ٤٩٧/٧) و [٤] و لاه المنصور مصر (ابن الأثير ٣١٧/٥ و ٣١٨ و [٥] الطبرى ٤٣٨، ٥١٤، ٥١١/٧) و كان فاتكا (ابن الأثير ٣٧١/٥ و الطبرى ٣٧٢/٧)، و مات فى السنه ١٤٩ و هو يقود جيش الصائفه لغزو الروم (الطبرى ٢٨/٨).

أمره و يؤخر، و يحيى لا يألو أن يحطب عليه، إلى أن دخل يوما على الرشيد، و جرى بينهما حديث، فمّت جعفر بخدمته و خدمه أبيه، فأمر له بعشرين ألف دينار، فأمسك يحيى أياما، ثم قال للرشيد: قد كنت أخبرك عن جعفر و مذهبه، فأكذب عنه، و ها هنا أمر فيه الفصل، إنّه لا- يصير إليه مال إلاّ أخرج خمسه فوجه به إلى موسى بن جعفر، و لست أشكّ أنّه فعل ذلك في العشرين ألف دينار التي أمرت له بها.

فأرسل الرشيد إلى جعفر ليلا يستدعيه، و قد كان جعفر عرف سعايه يحيى عليه، مساسا (١) للعداوه، فلما طرق جعفرا رسول الرشيد لم يشكّ أنّه سمع من يحيى فيه، فأفاض عليه ماء، و دعا بمسك و كافور، و تحنّط بهما، (٢) و لبس برده (٣)، و أقبل إلى الرشيد، فلما دنا منه ليخاطبه، شمّ منه رائحة الكافور، و رأى البرده، فقال: ما هذا يا جعفر؟

قال: يا أمير المؤمنين، قد علمت أنّه يسعى عليّ عندك، فلما جاءني رسولك في هذه الساعه، علمت أنّك أرسلت إليّ لتقتلني.

قال: كلاً، و لكن أخبرت أنّك تبعث إلى موسى بن جعفر من كلّ ما يصير إليك بخمسه (٤)، و أنّك قد فعلت ذلك في العشرين ألف دينار، و أحببت أن أعلم ذلك.

ص: ١١٧

١- كذا في الأصل.

٢- الحنوط: أخلاط ذات رائحة طيبه، أحد أجزاء الكافور، يطلى بها بدن الميت، و قد يطلى بها من استعدّ للقاء الموت.

٣- البرده: كساء من الصوف، و قد أصبح تقليدا أن تدخل البرده في جملة ما يكفّن به الميت عند المسلمين. و ذكر دوزي في معجم الألبسه ٦٠: أنّ أعرابيا طلب من النبي صلوات الله عليه برده كانت عليه، قال إنّه يريدّها كفنّا له، و اليمن مشهوره ببردها (لطائف المعارف ١٦٦) و ما يزال الحجّاج يعودون من حجّهم و معهم برده يمانيه يشترونها من مكّه و يغسلونها بماء بئر زمزم، و يعدّونها ليكفّنون بها عند موتهم.

٤- تسليم الخمس للإمام، يجري تطبيقا لأحكام الآيه: و اعلموا أنّ ما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه

فقال جعفر:الله أكبر،يا أمير المؤمنين،مر بعض خدمك يذهب فيأتيك بها بخاتمها.

فقال الرشيد لبعض الخدم:خذ خاتم جعفر و انطلق حتى تأتي بهذا المال، و أسمى له جاريته التي ماله عندها،فدفعت إليه البدر بخواتمها،فأتى بها إلى الرشيد.

فقال له جعفر:يا أمير المؤمنين،هذا أول ما تعرف به كذب من سعى بي إليك.

فقال:صدقت،انصرف آمنًا،فإنّي لا أقبل فيك،بعد هذا قول أحد (١).

ص:١١٨

١- انفردت بها ن.

هب مجرم قوم لوافدهم

[حدّثنا على بن الحسن، قال: حدّثنا ابن الجرّاح، قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا، قال: بلغني عن العريان بن الهيثم (١)، عن أبيه] (٢).

أنّ عبيد الله بن زياد، ووجهه إلى يزيد بن معاوية، رسولا في حاجته، فدخل، فإذا خارجي بين يدي يزيد يخاطبه.

فقال له الخارجى في بعض ما خاطبه: يا شقيّ.

فقال: والله لأقتلنك، فرآه يحرك شفّتيه.

فقال: ما ذا الذى تقول؟

قال: أقول: [٤٨ ن]

عسى فرج يأتى به الله إنّه له كلّ يوم فى خليقته أمر

إذا اشتدّ عسر فأرج يسرا فإنّه قضى الله أنّ العسر يتبعه اليسر

فقال: أخرجاه، فاضربا عنقه.

و دخل الهيثم بن الأسود، (٣) فقال: ما هذا؟ فأخبر بالأمر.

فقال: كفّا عنه قليلا، حتى أدخل، فدخل.

ص: ١١٩

١- العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي: قائد، من أنصار الأمويين، كان صاحب شرطتهم لَمّا تحرّك عليهم يزيد بن المهلب بالبصرة سنة ١٠٢، و كان أثيرا عند خالد القسرى أمير العراقيين (ابن الأثير ٢٢٠، ٨٤/٥ و [١] الطبرى ١٥٢/٧).

٢- الزيادة من غ.

٣- أبو العريان الهيثم بن الأسود النخعي: قائد، من أنصار الأمويين، أحد الذين شهدوا على حجر بن عدى، و كان زياد يبعث به فى مهمّاته، و لَمّا أراد المختار أن يقتل عمر بن سعد، بعث الهيثم إليه ولده العريان فأنذره (الطبرى ٢٨٩، ٢٧٠/٥ و [٣] ابن الأثير ٢٤١/٤).

فقال: يا أمير المؤمنين، هب مجرم قوم لوافدهم [٢٢٧ غ].

فقال: هو لك.

فأخذ الهيثم بيده، فأخرجه، و الخارجى يقول: الحمد لله، تعالى على الله، فأكذبه، و غالب الله، فغلبه (١).

ص: ١٢٠

١- لم ترد هذه القصه في م، و وردت في مخطوطه د ص ١٥٧.

ضراوه الحجاج على القتل

١- قتل الحجاج عامه يومه الأسرى من أصحاب ابن الأشعث.

و ذكر المدائني في كتابه، قال: حدثنا رجل كان من أسارى الحجاج، من أصحاب ابن الأشعث يوم الزاوية (١)، قال:

جعل الحجاج، يقتل عامه الأسرى، و بقيت منّا جماعه قليله، و أتى برجل ليضرب عنقه، فقال: يا حجاج، و الله لئن كنّا أسأنا في الفعل، فما أحسنت في العقوبه، و إن كنّا لؤمنا في الجنايه (٢)، فما كرمت في العفو.

فقال: ردّوه، فردّ.

فقال: أخبرني كيف قلت؟ فأعاد الكلام.

فقال الحجاج: صدقت، و الله، أفّ لهذه الجيف، أما كان فيها أحد يتبهننا كما تبهننا هذا؟ أطلقوا عنه، و عن باقي الأسرى.

فأطلقوا (٣).

ب- قتل جميع أسراه إلا واحدا

و ذكر المدائني في كتابه، قال: أتى الحجاج بقوم ممن خرجوا عليه، فأمر بهم فقتلوا، و أقيمت الصلاة، و قد بقى منهم رجل واحد.

فقال الحجاج لعنيسه: انصرف بهذا معك، و اغد به عليّ.

ص: ١٢١

١- وقعه الزاوية بالبصره، حصلت في السنه ٨٢ بين جند أهل الشام بقياده الحجاج و بين أهل العراق يقودهم عبد الرحمن بن الأشعث، راجع الطبري ٣٤٢/٦-٣٤٥.

٢- في غ: لؤمنا في الخيانه.

٣- هذه القصّه لم ترد في م.

قال عنبسه: فخرجت به، فلما كان في بعض الطريق، قال لي: هل فيك خير يا فتى؟

قلت: وما ذاك؟

قال: إنني -و الله العظيم- ما خرجت على المسلمين قط ولا استحللت قتالهم، وعندى ودائع وأموال، فتخلى عني، حتى أتى أهلي فأردّ على كل ذي حقّ حقه، وأجعل لك عهد الله عزّ وجلّ، أني أرجع إليك من غد.

فتعجبت منه، و تضحكت به.

فمضينا ساعه، فأعاد القول عليّ، فقلت له: اذهب، فذهب.

فلما تواري عني شخصه، أسقط في يدي، فأتيت أهلي وأخبرتهم الخبر، فقالوا: لقد اجترأت على الحجّاج.

و بتّ بأطول ليله، فلما طلع الفجر، إذا أنا به قد جاء.

فقلت: أرجعت؟

فقال: سبحان الله، جعلت الله عزّ وجلّ، لك كفيلا، ثم لا أرجع؟ قال:

فانطلقت به إلى الحجّاج.

فقال: أين أسيرك؟

فقلت: بالباب، أصلح الله الأمير، وقد كانت لي و له قصّه.

قال: ما هي؟ فأخبرته الخبر، وأدخلته عليه.

فقال لي: أتحبّ أن أهبه لك؟

قلت: نعم.

قال: هو لك.

فأخرجته معي، و قلت له: خذ أيّ طريق شئت، فرفع طرفه إلى السماء، و قال: الحمد لله، و انصرف، و ما كلمني بكلمه.

فقلت في نفسي: هذا مجنون.

فلما كان من غد، أتاني، فقال: يا هذا، جزاك الله خيراً، والله ما جهلت ما صنعت، ولكني كرهت أن أشرك في حمد الله تعالى أحداً (١).

ج- احتج لقتله بأنه حجه، فخلصه الله منه بأهون سبيل

أخبرني محمد بن الحسن بن المظفر، قال: أخبرني أبو بكر أحمد بن محمد السرخسي المؤدب، قال: أنبأنا أبو العباس ثعلب، عن أبي نصر ابن أخت الأصمعي، عن خاله الأصمعي، قال:

جلس الحجاج يوماً ياكل، و معه علي المائه محمد بن عمير بن عطارد ابن حاجب بن زراره التميمي ١، و حجار بن أبجر العجلي (٢)، فأقبل في وسط الطعام على محمّد بن عمير، فقال: يا محمّد، يدعوك قتيبه بن مسلم (٣) إلى نصرتي يوم رستقباد (٤)، فتقول: هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جمل (٥)!! يا حرسى (٦)

ص: ١٢٣

١- محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زراره التميمي الدارمي: من أشرف أهل الكوفة و أجوادهم، ولى للمختار الثقفي أذربيجان، و ولى لعبد الملك همدان، توفي نحو سنه ٨٥ (الطبري ٣٤/٦، ١٦٤، ٧٠ و [١] الأعلام ٢١١/٧).

٢- حجار بن أبجر العجلي: من سراه أهل الكوفة، كان أبوه نصرانياً، و مات سنه ٤٠ على نصرانيته، فشيّعه النصارى إلى قبره، و شيّعه قوم من المسلمين مع حجار لمنزلته فيهم (الطبري ١٤٦، ١٤٥/٥) [٣] راجع أخباره في الطبري ٣٥٣/٥ و ٣٦٩ و [٤] ٤٢٥، و ٢٢/٦، ١٥٨، ١٣٤، ٥٦، ٥٢.

٣- أبو حفص قتيبه بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي (٤٩-٩٦): أمير، فاتح، ولى لعبد الملك بن مروان الرى، و ولى للوليد خراسان، و غزا ما وراء النهر، و أطراف الصين، و فتح سمرقند و خوارزم، و استمرت ولايته ١٣ سنه (الأعلام ٢٨/٦) و [٥] كان من جملة الأمراء الذين وافقوا الوليد على خلع أخيه سليمان من ولايته العهد، و توليه ولده العباس، و لم يتم ذلك، فلما استخلف سليمان خافه، فخلع، فثار عليه الناس و قتلوه (العيون و الحدائق ١٧/٣-١٩).

٤- رستقباد: موضع من الأهواز من أرض دستوا (معجم البلدان ٥٧٤/٣ و ٧٧٨) نزله الحجاج لما نهض لحرب الخوارج، و اختلف مع قسم من جيشه، فثاروا عليه و حاربوه، فقتلهم، راجع التفصيل في الطبري ٢١٠/٦ و ٢١١.

٥- لا ناقة لي فيه و لا جمل: مثل سائر يقوله من لا يريد الدخول في أمر من الأمور، للتفصيل راجع مجمع الأمثال للميداني ٢٠/٢، و [٧] قال الطغرائي في لاميه العجم: فيم الإقامة في الزوراء لا سكنى بها و لا ناقتى فيها و لا جملى

٦- الحرسى: الجندي الذي يقوم بخدمه الأمير أو الملك و حراسته.

خذ بيده، فاضرب عنقه.

فجذب سيفه، وأخذ بيد محمد بن عمير فأقامه.

و حانت من الحجاج التفاته، فنظر إلى حجار بن أبحر يتبسم، فدخلته العصبية، و كان مكان حجار من ربيعه، كما كان محمد بن عمير من مضر.

فقال الحجاج: يا حرسى، شم سيفك (١).

[و جىء بفرثيه (٢)، فقال للخباز (٣): إجعلها مما يلي محمدًا، فإنّ اللبن يعجبه (٤).

ص: ١٢٤

١- شام السيف: أغمده.

٢- الفرثيه، و الفرني، و الفرانى: نسبه إلى الفرن، خبز تخين مستدير و صفها الخليل بأنّها خيزه غليظه مشكّله مصعنه تشوى ثم تروى لبنا و سمنًا و سكرًا (مفاتيح العلوم ٩٩) و [١] الصعنه ضم جوانب الخيزه و رفع رأسها (لسان العرب)، قال العماني فى وصف الفرنيّ [الأغانى ٣١٧/١٨]: [٢] جاءوا بفرنيّ لهم ملبون بات يسقى خالص السمون مصومع أكوم ذى غضون قد حشيت بالسكّر المطحون أقول: وجدت أهل النجف يسمون المهلبيه: فرني، أمّا البغداديون و من جاورهم فيسمونها: محلبى.

٣- الخباز: الأصل فيه أن يطلق على من يصنع الخبز، ثم أطلق على من يقوم بإعداد المائدة و تقديم الأطمعه و خدمه الطاعمين.

٤- انفردت بها: ن، و قد ذكرها الميدانى فى شرحه المثل: لا ناقة لى فى هذا و لا جمل، قال: ذكروا أنّ محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زراره لما خرج الناس على الحجاج، قال: لا ناقتى فى ذا و لا جملى، فلما دخل بعد ذلك على الحجاج، قال: أنت القائل لا- ناقتى فى ذا و لا جملى، لا جعل الله لك فيه ناقة و لا جملا و لا رحلا، فشمت به حجار بن أبحر العجلى، و هو عند الحجاج، فلما دعا بغدائه، جاءوا بفرثيه، قال: ضعوها بين يدى أبى عبد الله فإنّه لبنيّ يحبّ اللبن، أراد أن يدفع عنه شماته حجار (مجمع الأمثال للميدانى ٢٢٠/٢).

أمر الخليفة بضرب عنقه ثم لم يلبث أن عفا عنه

قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء: حدثني الباقراني، قال:

انصرف إلينا يوما أحمد بن إسرائيل، وهو في نهايه القلق و الاغتمام [٣٨ ن] و كأنه ميت.

فسألته عن خبره، فذكر أن رجلا- يعرف بالقاسم بن شعبان الحائك صار إلى باب المستعين ببغداد، و عليه جبّه صوف، و عمامه صوف، و خفان أحمران، و في يده عكاز معقد، فصاح: [معتز] يا منصور (١)، و أن من على باب العامه تعلقوا به، و أدخل الدار، فسئل عن خبره، فادعى عليّ أنّي أمرته بهذا، و أن يدعو الناس إليه، فأمر أمير المؤمنين بضرب عنقي، فاستوهبت منه، و عرف أمر الحائك، فعرف أنه علم، و حمل عليّ بما قاله، فأمر أمير المؤمنين بإخراجه (٢) إلى أنطاكيه.

ثم عاد معنا، و استقام أمره (٣).

ص: ١٢٥

١- انحدر المستعين إلى بغداد، إثر اختلافه مع الجند الأتراك بسرّ من رأى، فطالبه الأتراك بالعودة، فأبى، فبايعوا المعتزّ، و استمرت الحرب بينهما طيله السنه ٢٥١ حتى خلع المستعين في أول السنه ٢٥٢ ثم قتل (الطبري ٢٨٢/٩-٢٨٥) و [١] كان أحمد بن إسرائيل رافق المستعين لما انحدر إلى بغداد (الطبري ٣٢٤/٩) و [٢] توسّط في أمر الصلح، حتى تمّ، فصاعد أحمد إلى المعتزّ فاستوزره و وضع تاجا على رأسه (الطبري ٣٤٩/٩).

٢- في الأصل: بإخراجه، و هو سهو من الناسخ.

٣- انفردت بها: ن.

حسن ظنه بالله

أنجاه من القتل، وأطلقه من السجن

و ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، قال:

حبس رجل قد وجب عليه حدّ (١)، فلما رفع خبره، أمر بضرب عنقه.

قال المخبر: فدخلت إلى الحبس إلى رجل بيني وبينه صحبه، لأعرف خبره، فرأيت الذي أمر بضرب [٢١٧ ر] عنقه يلعب بالنرد (٢).

فقلت للذي دخلت عليه، وأنا لا أعلم أنّ قد أمر بضرب عنق ذلك الرجل:

ما أفرغ قلب هذا، يلعب بالنرد و هو محبوس.

فقال: إنّ أطرف من هذا أنّه قد أمر بضرب عنقه، و قد عرف بذلك، فهوذا ترى حاله.

قال: فازددت تعجّبا، و فطن الرجل لما نحن فيه، فأخذ بيده فصا من فصوص [٢٢٨ غ] النرد فرفعه، و قال: إلى أن يسقط هذا إلى

الأرض، مائه ألف فرج، و رمى بالفصّ من يده.

قال: فخرجت، و أنا متعجّب منه، مفكّر في قوله.

فما أمسينا ذلك اليوم، حتى شغب الجند، و فتحت السجون، و خرج من كان فيها، و الرجل فيهم، و سلّمه الله تعالى من القتل (٣).

ص: ١٢٤

١- الحدّ: راجع حاشيه القصّه ١٢٣ من هذا الكتاب.

٢- النرد: أنظر البحث في آخر القصّه.

٣- هذه القصّه لم ترد في م.

النرد: لعبه أصلها فارسيّ، تعرف الآن في بغداد، و ما جاورها، بلعبه الطاولي، و في لبنان و الشام و مصر، بلعبه طاوله الزهر.

و تشتمل على رقعه، و فصين اثنين مكعّبين، لكلّ فصّ أوجه ستّه، و على ثلاثين حجرا، نصفها أبيض، و النصف أسر و الرقعه مرتّبه على اثني عشر بيتا، بعدد شهور السنه، و الأحجار، و هي ثلاثون، بعدد أيّام الشهر، و الفصوص مثل الأفلاك، و رميها و تقلّبها، مثل تقلّبها و دورانها، و النقطة في الفصوص، بعدد أيّام الأسبوع، كلّ وجهين سبعة، فالشش (٦) و يقابله اليك (١)، و البنج (٥)، و يقابله الدو (٢)، و الجهار (٤)، و يقابله السي (٣) و جعل ما يأتي به اللاعب من الأرقام، كالقضاء و القدر، و هو ينقل الأحجار على ما جاءت به النقوش، لكنّه إذا كان عنده حسن نظر، عرف كيف يتأتّى، و كيف يتحيّل على الغلبه (مروج الذهب ٥٦٤/٢ و ٥٦٥)، و مطالع البدور (٧٥/١ و ٧٦).

و البغداديون يسمون الفص: زار، و في بقيه الأقطار العربيّه، يسمّى: زهر، أمّا الحجر، فيسمّيه البغداديون: پول، بالباء المثلثه المضمومه.

و يلعب النرد اثنان متقابلان، يأخذ أحدهما الأحجار البيض و عددها ١٥، و يأخذ الآخر السود، و هي بنفس العدد، ثم يرميان الفصوص، و ينقلان الأحجار تبعا للأرقام الناتجه عن رمى الفصّين، و يحاول كلّ من اللاعبين أن يسبق رسيّله في نقل كافّه أحجاره إلى جهته، فإذا جمعها، أخذ يرفع منها وفقا لما يجيء به رمى الفصّين، و كلّ من سبق رفيقه في رفع أحجاره كان رابحا، و تسمّى اللعبة الواحده: أويون، تركيه، بمعنى: لعبه، فإذا أتمّ اللاعب رفع جميع أحجاره، و رسيّله بعد لم يجمع أحجاره في مكان واحد، فإنّ غلبته تكون مضاعفه، و تسمّى: مارس، تركيه، بمعنى: مضاعف، و البغداديون يلفظونها: ملص، و إذا رمى اللاعب الفصّين، فجاء رقم كان رسيّله قد سدّه بوضع أحجاره فيه، قيل عنه: إنّه رمى (كله) بالكاف الفارسيه فتضيع منه لعبه، و عليه أن يترك الدور في رمى الفصّ لرسيله.

و الكله في لعب النرد، من أبغض الأمور، و البغداديون يتندّرون كثيرا على من يصاب

بالكله، و من جمله ذلك: أنّ بغداداً لازمه الكله ملازمه عنيفه، فاشتدّ غيظه، و عمد إلى فصوص النرد فابتلعها، و عند ما ذهب إلى المستراح، و نزلت الفصوص من بطنه، و وجد أنّها نزلت (كله) أيضاً.

و قال الشاعر البغداديّ:

لنا صاحب مولع بالفخار كثير التظاهر بالمرجله

يجيد الحديث و لكنّه إذا لعب النرد ما أجعله

فلا ينقل البول إلاّ خطأ و لا يطرح الزار إلاّ كله

أقول: شعر بارد، و لكنّي أوردته لأنّ فيه اصطلاحات بغداديّة عن لعب النرد، و هي:

بول، زار، كله.

و مما يلفت النظر أنّ لعبه النرد منتشره في جميع البلدان العربيّه، و ما جاورها من البلدان، و قد وجدت الأسماء التي تسمّى بها أرقام الفصوص، و واحده في جميع البلدان، و هي خليط من الفارسيّه و التركيّه، مثلاً: إذا كانت أرقام الفصّين ١ و ١، قيل: هيّبي يك، فارسيّه، و إذا كانت ١ و ٢ قيل: إيكي بير، تركيه، و إذا كانت ٥ و ٦ قيل شيش بيش، اللفظه الأولى فارسيّه، و الثانيه تركيه، و أعجب من ذلك أنّ هذه التسميات ما زالت كما انتقلت إلينا منذ أكثر من ألف سنه، و لم تتغيّر، فقد قال أبو الحسن بن غسان الطيب البصريّ، من رجال القرن الرابع الهجريّ (تاريخ الحكماء ٤٠٢).

فيا عضد الدوله أنهض لها فقد ضيّعت بين شيش و يك

و قال حفنى ناصف، من رجال القرنين الثالث عشر و الرابع عشر الهجريّ (١٢٧٣-١٣٣٨): [تاريخ أدب الشعب ص ١٤٦]

منّي لسيد الزجاله ألفين سلام فوقهم بوسه

مالوش شبه في الرجاله يخلق من الهيّيك دوسه

راجع محاضرات الأدباء للراغب الأصبهانيّ ٧٢٧/٢ و ٧٢٨.

ص: ١٢٨

من شارف الموت بحيوان مهلك رآه فكفَّ الله ذلك بلطفه و نَجَّاه

٤٠٩

آلى على نفسه أن لا يأكل لحم فيل أبدا

حدَّثنى أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الشاهد المعروف بابن الطبرى (١)، قال: حدَّثنا جعفر بن محمد الخلدى الصوفى (٢)، قال حدَّثنا إبراهيم الخوَّاص الصوفى (٣)، رحمه الله تعالى [٤] قال:

ركبت البحر مع جماعه من الصَّوفيه، فكسر بنا المركب، فنجا منَّا قوم على لوح من خشب المركب.

فوقفنا على ساحل لا ندرى فى أى مكان هو، فأقمنا فيه أياما لا نجد ما نقتاته،

ص: ١٢٩

١- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد الطبرى: أحد الشهود ببغداد، أمَّ الناس بالمسجد الحرام، أيام الموسم، و كانت داره مجمع أهل القرآن و الحديث، ترجم له القاضى التنوخى فى القصه ٧/٦ من كتاب نشوار المحاضره، و نقل عنه كثيرا من القصص، و ترجم له الخطيب البغدادى ١٩/٦.

٢- أبو محمّد جعفر بن محمّد بن نصير بن القاسم الخوَّاص الصوفى، المعروف بالخلدى: ينسب إلى محلّه الخلد ببغداد، سافر كثيرا، و روى علما جمعا، و حجّ ستين حجّه، ترجم له السمعانى فى الأنساب ٢٠٥، و [٢] الخطيب فى تاريخه ٢٢٨/٧ و المنتظم ٣٩١/٦، و [٣] روى عنه القاضى التنوخى كثيرا من القصص فى نشواره.

٣- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخوَّاص الصوفى: كان أوحد المشايخ فى وقته، من أقران الجنيد، ولد بسرّ من رأى، و توفى بالرّى سنه ٢٩١ (الأعلام ٢٢/١).

٤- الزيادة من غ.

فأحسنا بالموت، و أيقنَّا بتلفنا من الجوع لا محاله.

فقال بعضنا لبعض: تعالوا نجعل لله تعالى على أنفسنا أن ندع له شيئاً، فلعلَّه أن يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدَّة.

فقال بعضنا: أصوم الدهر كلَّه.

و قال الآخر: أصلي كلَّ يوم كذا و كذا ركعه.

و قال بعضنا: أدع لذات الدنيا، إلى أن قال كلَّ واحد منهم شيئاً، و أنا ساكت.

فقالوا: قل أنت الآخر شيئاً.

فلم يجر على لساني إلا أن قلت: أنا لا آكل لحم فيل أبداً.

فقالوا: ما هذا القول في مثل هذا الحال؟

فقلت: و الله، لم أتعمد هذا، [٤٩ ن] و لكنني منذ بدأت مع الله تعالى عليه، و أنا أعرض على نفسي أشياء كثيرة فلا تطاوعني بتركها، و لا خطر بيالي شيء أدعه لله تعالى، و لا مرَّ على قلبي غير الذي لفظت به، و ما أجرى هذا على لساني إلا لأمر.

فلما كان بعد ساعه، قال أحدنا: لم لا تطوف هذه الأرض متفرِّقين فنطلب قوتاً، فمن وجد شيئاً أنذر به الباقيين، و الموعد هذه الشجرة.

قال: فتفرَّقنا في الطواف، فوقع بعضنا على ولد فيل صغير، فلوّح بعضنا لبعض فاجتمعنا، فأخذه أصحابنا، و احتالوا فيه حتى شووه و قعدوا يأكلون.

فقالوا لي: تقدّم و كل معنا.

فقلت: أنتم تعلمون أنني منذ ساعه تركته لله عزّ و جلّ، و ما كنت لأرجع فيه، و لعلّ ذلك قد جرى على لساني من ذكرى له، هو سبب موتى من بينكم، لأنني ما أكلت شيئاً منذ أيّام، و لا- أطمع في شيء آخر، و لا يراني الله عزّ و جلّ أنقض عهده، و لو متّ جوعاً، فاعتزلتهم و أكل أصحابي.

و أقبل الليل، فأويت إلى أصل شجره كنت أبيت عندها، و تفرَّق أصحابي للنوم.

فلم يكن إلا لحظه، وإذا بفيل عظيم قد أقبل و هو ينعر، و الصحراء تتد كدك بنعيره و شدّه سعيه، و هو يطلبنا.

فقال بعضنا لبعض: قد حضر الأجل، فتشهدوا، فأخذنا في الاستغفار و التسييح، و طرح القوم نفوسهم على وجوههم.

فجعل الفيل يقصد واحدا واحدا منهم، فيتشتمه من أول جسده إلى آخره، فإذا لم يبق منه موضعا إلا شمّه، شال إحدى قوائمه فوضعها عليه ففسخه.

فإذا علم أنه قد تلف، قصد إلى آخر [٢٢٩ غ] ففعل به مثل فعله بالأول.

إلى أن لم يبق غيري، و أنا جالس منتصب أشاهد ما جرى و أستغفر الله عزّ و جلّ و أستبح.

فقصدني الفيل، فحين قرب مني، رميت بنفسي [٢١٨ ر] على ظهري ففعل بي من الشّم كما فعل بأصحابي، ثم عاد فشمني دفعتين أو ثلاثا، و لم يكن فعل ذلك بأحد منهم غيري، و روحى في خلال ذلك تكاد تخرج فزعا.

ثم لفّ خرطومه عليّ، و شالني في الهواء، فظننته يريد قتلي، فجهرت بالاستغفار.

ثم لفّني بخرطومه فجعلني فوق ظهره، فانتصبت جالسا، و اجتهدت في حفظ نفسي بموضعي.

و انطلق الفيل، يهرول تاره، و يسعى تاره، و أنا تاره أحمد الله تعالى على تأخير الأجل و أطمع في الحياه، و تاره أتوقّع أن يثور بي فيقتلني، فأعاود الاستغفار، و أنا أقاسي في خلال ذلك من الألم و الجزع لشده سرعه سعي الفيل أمرا عظيما.

فلم أزل على ذلك، إلى أن طلع الفجر و انتشر ضوءه (١)، فإذا به قد لفّ خرطومه عليّ.

فقلت: قد دنا الأجل و حضر الموت، و أكثرت من الاستغفار.

فإذا به قد أنزلني عن ظهره برفق، و تركني على الأرض، و رجع إلى الطريق

ص: ١٣١

التي جاء منها، وأنا لا أصدّق.

فلما غاب عني، حتى لا أسمع له حسًا، خررت ساجداً لله تعالى (١)، فما رفعت رأسي حتى أحسست بالشمس.

فإذا أنا على محجّه عظيمه، فمشيت نحو فرسخين، فانتهيت إلى بلد كبير، فدخلته.

فعجب أهله مني، وسألوني عن قصتي، فأخبرتهم بها، فزعموا أنّ الفيل قد سار بي في تلك الليله مسيره أيام، واستطروا سلامتي.

فأقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشده التي قاسيتها، وتندى بدني، ثم سرت عنهم مع التجار، فركبت في مركب، ورزقني الله السلامه، إلى أن عدت إلى بلدي (٢).

ص: ١٣٢

١- في غ: خررت ساجداً أدعو الله عزّ وجلّ وأحمده.

٢- لا توجد هذه القصة في م، وقد أدرجها القاضي التوخى في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره، برقم القصة ١٢٧/٣.

حدّثني أبو بكر [محمد بن بكر الخزاعي] (١) البسطامي، صاحب ابن دريد (٢)، و كان زوج ابنته [الغرانقه] ١ و كان شيخا من أهل الأدب و الحديث، قد استوطن الأهواز سنين، و كان ملازما لأبي رحمه الله، يتفقده و يبزّه، قال:

كان لامرأه ابن، فغاب عنها غيبه طويله، و أيست منه.

فجلست يوما تأكل، فحين كسرت اللقمه و أهوت بها إلى فيها وقف بالباب سائل يستطعم، فامتنعت من أكل اللقمه، و حملتها مع تمام الرغيف فتصدّقت بها، و بقيت جائعه يومها و ليلتها.

فما مضت إلا أيام يسيره حتى قدم ابنها، فأخبرها بشدائد عظيمه مرّت به.

و قال: أعظم ما جرى عليّ أني كنت منذ أيام أسلك في أجمه في الموضع الفلاني، إذ خرج عليّ أسد، فقبض عليّ من على ظهر حمار كنت راكبه، و غار الحمار (٣)، و نشبت مخالبا الأسد في مرقعه كانت عليّ، و ثياب تحتها و جبّه، فما وصل إلى بدني كبير شيء من مخالبه، إلا أني تحيّرت و دهشت و ذهب أكثر عقلي، و هو يحملني حتى أدخلني أجمه كانت هناك، و برك عليّ يفترسني.

فرأيت رجلا عظيم الخلق، أبيض الوجه و الثياب، قد جاء حتى قبض على الأسد من غير سلاح، و شاله و خبط به الأرض.

ص: ١٣٣

١- الزيادة من غ.

٢- أبو بكر محمّد بن بكر الخزاعي البسطامي: صاحب ابن دريد، و زوج ابنته الغرانقه، شيخ من أهل الأدب و الحديث، استوطن الأهواز سنين، ترجم له ياقوت في معجم الأدباء ٤١٨/٦ و ٤١٩.

٣- غار: تعبير بغداديّ، ما زال مستعملا، يعني أغار، أي أسرع في عدوه.

و قال: قم يا كلب، لقمه بلقمه، فقام [٢٣٠ غ] الأسد يهرول، و ثاب إليّ عقلي.

فطلبت الرجل، فلم أجده، و جلست بمكاني ساعات، إلى أن رجعت إليّ قوّتي، ثم نظرت إلى نفسي، فلم أجدها بأسا، فمشيت حتى لحقت بالقافله التي كنت فيها، فتعجبوا لما رأوني، فحدّثتهم حديثي، و لم أدر ما معنى قول الرجل:

لقمه بلقمه.

فنظرت المرأه، فإذا هو وقت أخرجت اللقمه من فيها، فتصدّقت بها (١).

ص: ١٣٤

١- لا توجد هذه القصّه في م، و قد وردت في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضي التنوخي، برقم القصّه ١٦/٢.

[وجدت في دفتر عتيق، أعطانيه أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق رحمه الله (١)، وأخبرني أنه بخط عمه أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول الأنباري رحمه الله، أحاديث من النوادر عن ابن زنبور، ممّا صار إلينا، ولم أسمع منه، وكان فيها حديث يعقوب بن إبراهيم الدورقي، قال: حدّثنا الحارث بن مرّه، قال: حدّثنا يزيد الرقاشي، قال: حدّثنا إبراهيم بن الخضر، وكان أحد أمناء القاضي ببغداد، ويخلف القضاء الغيب بحضره قاضي القضاء وغيرهم، قال: (٢) حدّثني صديق لي أثق به، قال:

خرجت إلى الحائر (٣) في أيام الحنبليّه، أنا وجماعه متخفين، فلما صرنا في أجمه بانقيا (٤)، قال لي رفيق فيهم: يا فلان، إنّ نفسي تحدّثني أنّ السبع يخرج فيفترسني من دون الجماعه، فإن كان ذلك فخذ حماري و ما عليه فأذه إلى عيالي.

فقلت [٥٠ ن]: هذا استشعار رديء، يجب أن تتعوّذ بالله منه، وتضرب عن الفكر فيه.

فما مضى على هذا إلا شيء يسير حتى خرج [٢١٩ ر] الأسد، فحين رآه الرجل سقط عن حماره، فأخذه و دخل به الأجمه.

ص: ١٣٥

١- أثبت القاضي التنوخي هذه القصّه في كتابه نشوار المحاضره، برقم القصّه ١٧/٢ عن أبي الحسن بن الأزرق، ولم يترحم عليه، و لمّا أثبتها في هذا الكتاب، ترحم عليه، و هذا يعني أنّ إثبات القصّه في هذا الكتاب، تمّ بعد السنه ٣٧٧ سنه وفاه أبي الحسن.

٢- الزيادة من غ.

٣- الحائر: قبر الحسين عليه السلام ب كربلا.

٤- في غ: أجمه بزنقا، و بانقيا من نواحي الكوفه (معجم البلدان ١/٤٨٣).

و سقت أنا الحمار، وأسرت مع القافلة، وبلغت الحائر، و زرنا، و رجعنا إلى بغداد.

فاسترحت في بيتي أياما، ثم أخذت الحمار و جئت به إلى منزله، لأسلمه إلى عياله، فدفقت الباب، فخرج إلي الرجل بعينه.

فحين رأيته طار عقلي و شككت فيه، فعانقني، و بكى و بكيت.

فقلت: حدثني حديثك.

فقال: إن السبع ساعه أخذني جزني إلى الأجمه (١)، ثم سمعت صوت شيء، و رأيت الأسد قد خلاني و مضى، ففتحت عيني، فإذا الذي سمعت صوت خنزير، و إذا السبع لما رآه عن له أن يتركني، و مضى فصاده و برك عليه يفتسه و أنا أشاهده، إلى أن فرغ منه، ثم خرج من الأجمه و غاب عني.

فسكنت، و تأملت حالني، فوجدت مخالبيه قد وصلت إلى فخذى وصولا قليلا، و قوتي قد عادت.

فقلت: لأي شيء جلوسى ها هنا؟ فقلت أمشى في الأجمه، أطلب الطريق، فإذا بجيف ناس، و بقر، و غنم، و عظام باليات، و آثار من قد [فرسهم الأسد.

فما زلت أتخطاهم، حتى انتهيت إلى رجل قد [٢) أكل الأسد بعض جسده، و بقى أكثره، و هو طري، و في وسطه هميان قد تحرق بعضه و ظهرت منه دنائير.

فتقدمت، فجمعتها، و قطعت الهميان، و أخذت جميع ما فيه، و تتبععتها، حتى لم يبق منها شيء.

و قويت نفسى، و أسرع في المشى، و طلبت الجاده فوقعت عليها، و استأجرت حمارا، و عدت إلى بغداد، و لم أمض إلى الزياره، لأنى خشيت أن تسبقونى، فتذكروا خبرى لأهلى، فيصير [٢٣١ غ] عندهم ماتم، فسبقتكم، و أنا أعالج

ص: ١٣٦

١- الأجمه: موضع الشجر الكثيف الملتف، أو مأوى الأسد.

٢- الزياره من غ.

فخذى، و إذا من الله على بالعافية عدت إلى الزياره (١).

[و قد حدّثنى بهذا الحديث، غير واحد من أهل بغداد، بقريب من هذه العبارة.

و بلغنى عن أبى الحسن على بن محمد بن مقله (٢)، أنه كان قال: كنت بالموصل مع الممتقى لله (٣) و أنا وزيره إذ ذاك فأتانى سلامه (٤)، أخو نجح الطولونى (٥)، بفيج معه كتب، فقال: اسمع ما يقول هذا، فإنه طريف.

فدعوته، و قلت: قل.

فقال: خرجت من بغداد أريدكم، و معى رفيق لى، فيج من أهل بلد (٦)،

ص: ١٣٧

١- لم ترد هذه القصه فى م، و وردت فى كتاب نشوار المحاضره برقم القصه ١٧/٢ و فيها بعض الاختلاف عما ورد فى هذا الكتاب.

٢- أبو الحسين على بن محمد بن على بن مقله، وزير الممتقى: ترجمته فى حاشيه القصه ٢٧٤ من الكتاب.

٣- الممتقى لله، أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر (٢٩٧-٣٥٧): دامت خلافته أربع سنين تقريبا، و كانت السيطره للقواد، و لم يكن له من الأمر شىء، و اختلف هو و أمير الأمراء توزون التركى، فخلعه توزون و سمله (الاعلام ٢٧/١).

٤- أبو القاسم سلامه الطولونى: أخو نجح الطولونى، و لهما أخ ثالث اسمه درك (ابن الأثير ٧٩/٨)، [٢] كان سلامه من حجاب المقتدر و عينه القاهر حاجبا له عند استتار على بن يلىق، و هرب محمّد بن ياقوت (تجارب الأمم ٢٦٥/١) و أنيط به أمر إصلاح الرؤوس المقطوعه، و حفظها فى خزانه الرؤوس (تجارب الأمم ٢٦٨/١) و أمر الخليفه بأن تجرى فى دار سلامه، مناظره أبى بكر بن مقسم الذى ابتدع قراءه لم تعرف للقرآن (تجارب الأمم ٢٨٥/١) و أصبح سلامه، و عيسى المتطبّب، فى عهد القاهر، أهمّ رجلين فى المملكه، و لما قبض على القاهر، استتر سلامه (تجارب الأمم ٢٨٨/١)، ثمّ ظهر، و عاد للخدمه، و سافر مع الممتقى إلى الموصل، و رحل فى أيام المستكفى إلى الشام، و توفّى سنة ٣٣٦ (ابن الأثير ٤٧٦/٨).

٥- نجح الطولونى: أخو سلامه الحاجب، و لى شرطه بغداد فى السنه ٣٠٧ على قول تجارب الأمم ٦٩/١ و فى السنه ٣٠٦ على قول ابن الأثير ١١٣/٨، [٤] ثمّ و لى أعمال المعاون بأصبهان، و عزل عنها، ثمّ أعيد إليها فى السنه ٣١٢ (تجارب الأمم ١٣٩/١)، و ابن الأثير (١٥٧/٨).

٦- بلد: قال ياقوت فى معجم البلدان ٧١٥/١، إنها مدينه قديمه، على دجله، شمالى الموصل، على سبعة فراسخ منها.

فأعطاني لَمَّا صرنا بين تكريت (١) و السنّ (٢) دراهم كانت معه، و قال لي: إنّ نفسه تحدّثه أنّ الأسد يخرج فيفترسه.

و ذكر قريبا من هذا الحديث [٣].

ص: ١٣٨

١- تكريت: قال ياقوت في معجم البلدان ٨٦٢/١، [١] إنّها بفتح التاء، و العامّة يكسرونها، (أقول: ما زال العامّة يكسرونها)، بلده مشهوره، شمالي بغداد، على بعد ٣٠ فرسخا منها، على الجانب الغربي من دجله فتحت سنة ١٦ على عهد الخليفة عمر، و لها قلعه حصينه في طرفها الأعلى.

٢- السنّ: قال ياقوت في معجم البلدان ١٦٩/٣: إنّها مدينه على دجله، فوق تكريت، لها سور، و جامع كبير، و عند السنّ مصب الزاب الأسفل.

٣- الزيادة من غ.

ألجأته الضرورات إلى ركوب الأسد

حدّثني أبو جعفر أصبغ بن أحمد (١)، و كان يحجب أبا محمد المهلبى رحمه الله، قبل وزارته، فلما ولى الوزارة كان يصرفه فى الاستحاث على العمال (٢)، و فى الأعمال التى يتصرف فيها العمال الصغار، قال:

كنت بشيراز مع أبى الحسن على بن خلف بن طناب (٣)، و هو يتولّى عمالتها يومئذ (٤).

فجاء مستحّ من الوزير، يطالبه بحمل الأموال، و كان أحد العمال الأكبر، و قد كوتب بإكرامه.

فأحضره أوّل يوم طعامه و شرابه، فامتنع من مؤاكلته، و ذكر أنّ له عذرا.

فقال: لا بدّ أن تأكل.

ص: ١٣٩

١- أبو جعفر أصبغ بن أحمد الكاتب: كان يخدم أبا جعفر أحمد بن محمّد الصيمرى، وزير معزّ الدوله، و حجّب أبا محمّد المهلبى، قبل وزارته لمعزّ الدوله، فلما وزّر، صرفه عن حجّبه، و صرفه فيما يتصرف فيه المستخرجون و المستحثون (القصه ٣٥/٢ نشوار المحاضره).

٢- الاستحاث: الحضّ.

٣- ابو الحسن على بن هارون بن خلف بن طناب: كان فى السنه ٣١٩ ضامنا أموال الضياع و واليا على الخراج بشيراز، و بارحها فى السنه ٣٢٢ لما احتلّها عماد الدوله بن بويه، ثمّ تقلّد فى السنه ٣٢٣ أعمال الخراج و الضياع بالموصل و ديار ربيعه ثمّ تقلّد أعمال الخراج و الضياع بكور الأهواز فى السنه ٣٢٦، و بعدها وزّر لبجكم، و اعتقله بجكم و صادره، ثمّ ولى على ديار مضر فى السنه ٣٣٠ (تجارب الأمم ٢١١/١، ٤٠٩، ٣٨٤، ٣٢٩، ٣٢٦، ٣٠١، ٢٩٨، و ابن الأثير ٣٥٥، ٣٤٣، ٣٤٣، ٣١٠، ٢٢٥/٨، ٣٨٤).

٤- كان على بن هارون بن خلف بن طناب يتولّى ضمان أموال الضياع و الخراج بشيراز فى السنه ٣١٩ (تجارب الأمم ٢١١/١).

فأكل بأطراف أصابعه، ولم يخرج يده من كمّه.

فلما كان في غد، قال عليّ بن خلف لحاشيته: [ليدعه كلّ يوم واحد منكم، فكانوا يدعونّه، و يدعون بعضهم بعضاً، فكانت صورته في الأكل واحده.

فقالوا [١]: لعلّ به برصاً أو جذاماً.

إلى أن بلغت النوبه إلىّ، فدعوته، و دعوت الحاشيه، و جلسنا نأكل، و هو يأكل معنا على هذه الصوره، فسألته إخراج يده و الانبساط في الأكل، فامتنع عن إخراج يده.

فقلت له: يلحقك تنغيص بالأكل هكذا، فأخرجها على أيّ شيء كان بها، فإننا نرضى به.

قال: فكشفها، فإذا فيها و في ذراعه أكثر من خمسين ضربه، بعضها مندمل، و بعضها فيه بقيه، و عليها أدويه، و هي على أقبح منظر.

فأكل معنا غير محتشم، و قدّم الشراب فشربنا، فلما أخذ منه الشراب، سألتناه عن سبب تلك الضربات.

فقال: هو أمر طريف أخاف أن لا أصدّق فيه.

فقلت: لا بدّ أن تتفضّل بذلك.

فقال: كنت عام أوّل قائماً بحضره الوزير، فسلمّ إلىّ كتاباً إلى عامل دمشق، و منشوراً، و أمرني بالشخص إليه، و إرهاقه بالمطالبه بحمل الأموال، و رسم لي أن أخرج على طريق السماوه (٢) لأتعيّجّل، و كتب إلى عامل هيت (٣) بإنفاذي مع خفاره.

فلما حصلت بهيت، استدعى العامل جماعه من عدّه من أحياء العرب،

ص: ١٤٠

١- ساقطه من غ.

٢- السماوه: باديه بين الكوفه و الشام (معجم البلدان ١٣١/٣)، و كانت تسمّى أيضاً: باديه كلب، و العراقيون يسمونها الآن: باديه الشام.

٣- هيت: بلده على الفرات، مجاوره البريه، ذات نخل كثير، و خيرات واسع (معجم البلدان ٩٩٧/٤).

و سلمنى إليهم، و أعطاهم مالا على ذلك، و أشهد عليهم بتسلمى، و احتاط فى أمرى.

و كانت هناك قافله تريد الخروج منذ مدّه، و تتوقى البريه، فأنسوا بى، و سألونى أن آخذ منهم لنفسى مالا، و للخفراء الأعراب مالا، و أدخلهم فى الخفاره، و يسيرون معى، ففعلت ذلك، فصرنا قافله عظيمه.

و كان معى من غلمانى ممّن يحمل السلاح نحو عشرين غلاما، و فى حمالى القافله و التجار جماعه يحملون السلاح أيضا.

فرحلنا عن هيت، و سرنا فى البريه ثلاثه أيام بليالها، فبيننا نحن نسير إذ لاحت لنا خيل.

فقلت للأعراب: [٢٣٢ غ] [٢٢٠ ر] ما هذه الخيل؟ فمضى منهم قوم إليهم ثم عادوا كالمنهزمين.

فقالوا: هؤلاء قوم من بنى فلان بيننا و بينهم شرّ و قتال، و نحن طلبتهم، و لا ثبات لنا معهم، و لا يمكننا خفارتكم معهم، و ركضوا منصرفين، و بقينا متحيرين، فلم أشكّ أنّهم كانوا من أهلهم، و أنهم فعلوا ذلك بمواطأه علينا.

فجمعت القافله، و شجعت أهلها و غلمانى، و ضمنت بعضها إلى بعض، و أمرتهم بحمل السلاح، و لأمه الحرب، فصرنا حول القافله من خارجها متساندين إليها كالدائره.

و قلت لمن معى: لو كان هؤلاء يأخذون أموالنا و يدعون جمالنا لننجو عليها كان هذا أسهل، و لكنّ الجمال و الدواب أول ما تؤخذ، و نتلف نحن فى البريه ضيعه و عطشا، فاعملوا على أن نقاتل، فإن هزمناهم سلمنا، و إن قتلنا كان أسهل من الموت بالعطش. فقالوا: نفعل.

و غشينا القوم، فقاتلناهم من انتصاف النهار إلى أن حجز الليل بيننا، و لم يقدرنا علينا، و قتلنا عدّه خيل، و جرحنا منهم جماعه، و ما ظفروا منّا بعوره، و باتوا بالقرب منّا حنقين علينا.

و تفرّق الناس للأكل و الصلاة، و اجتهدت بهم [٥١ ن] أن يجتمعوا، و بيتوا تحت السلاح، فخالفوني، و كانوا قد كلّوا و تعبوا، و نام أكثرهم.

فغشيتنا الخيل، فلم يكن عندنا امتناع، فوضعوا فينا السيوف، و كنت أنا المطلوب خاصّه، لما شاهدوه من تدبيرى القوم برأى، و علموا أنّى رئيس القافلة، فقطّعونى بالسيوف، و لحقتنى هذه الجراحات كلّها، و فى بدنى أضعافها.

قال: و قد كشف لنا عن أكثر جسده، فإذا به أمر عظيم هالنا، و لم نره فى بشر قط.

قال: و كان فى أجلى تأخير، فرميت نفسى بين القتلى، لا أشكّ فى تلفى، و ساقوا الجمال و الأمتعه و الأسارى.

فلما كان بعد ساعه، أفقت، فوجدت فى نفسى قوّه، و العطش قد اشتدّ بى، فلم أزل أتحامل، حتى قمت أطلب فى القافلة سطيحه (١) قد أفلتت، أشرب منها، فلم أجد شيئاً.

و رأيت القتلى و المجروحين الذين هم فى آخر رمق، و سمعت من أنينهم ما أضعف نفسى، و أيقنت بالتلف.

و قلت: غايه ما أعيش إلى أن تطلع الشمس.

فتحاملت أطلب شجره أو محملاً قد أفلت، لأجعله ظلّاً لى من الشمس إذا طلعت.

فإذا أنا قد عثرت بشيء لا أدرى ما هو، فى الظلمه، فإذا أنا منبطح عليه بطولى و طوله.

فتار من تحتى، و عانقته، و قدّرتة رجلا من الأعراب، فإذا هو أسد.

فحين علمت ذلك طار عقلى، و قلت: إن استرخيت افترسنى، فعانقت

ص: ١٤٢

١- السطيحه: المزاده، أى الوعاء الذى يحفظ فيه المسافر الماء، و البغداديون يسمونها: المطّاره، محرّفه عن: المطره، و هى القربه.

رقبته يدي، و نمت على ظهره، و أَلصقت بطني بظهره، و جعلت رجلى تحت مخصاه

و كانت دمائي تجرى، فحين داخلني ذلك الفزع العظيم رقا الدم، و علق شعر الأسد بأفواه أكثر الجراحات، فصار سدادا لها، و عونا على انقطاع الدم [٢٣٣ غ]، لأني حصلت كالملتصق عليه.

و ورد على الأسد مني، أطرف ممّا ورد عليّ منه و أعظم، و أقبل يجرى تحتى كما تجرى الفرس تحت الراكب القوى، و أنا أحسّ بروحى تخرج، و أعضائي تتقصف من شدّه جريه، و لم أشكّ أنّه يقصد أجمه بالقرب فيلقيني إلى لبوته فتفترسنى.

فجعلت أضبط نفسى مع ذلك و أوَمِّل الفرّج، و أدافع الموت عاجلا، و كلّما همّ أن يربض ركضت خصاه برجلى فيطير، و أنا أعجب من نفسى و مطيئى، و أدعو الله عزّ و جلّ، و أرجو الحياه مرّه، و مرّه آيس من نفسى.

إلى أن ضربنى نسيم السحر، فقويت نفسى، و أقبل الفجر يضىء، فتذكّرت طلوع الشمس فجزعت، و دعوت الله تعالى، و تضرعت إليه.

فما كان بأسرع من أن سمعت صوتا ضعيفا لا ادرى ما هو، ثم قوى، فشبّهته بصوت ناعوره، و الأسد يجرى، و قوى الصوت، فلم أشكّ فى أنّه ناعوره.

ثم صعد الأسد إلى تلّ، فرأيت منه بياض ماء الفرات [٢٢١ ر] و هو جار، و ناعوره تدور، و الأسد يمشى على شاطئ الفرات برفق، إلى أن وجد مشرعه (١)، فنزل منها إلى الماء، و أقبل يسبح ليبعد.

ص: ١٤٣

١- المشرعه: مورد الشاربه، و البغداديون يسمونها الآن: الشريعة، فصيحته، و يجمعونها على: شرايع، و يروى عن الشيخ عبد السلام الشواف البغدادى رحمه الله، و كان من الفقهاء، الفضلاء، الزهاد (١٢٣٦-١٣١٨) أنّه كان إذا ألقى على تلاميذه درسا فى علم الكلام، فى تفضيل الإسلام على غيره من الملل، ختم درسه بهذين البيتين: ياللى تريد العبر و من الغرق تبره كلّ الشرايع زلق من يمنا العبره

فقلت لنفسى: ما قعودى، لئن لم أتخلص هنا، لا تخلصت أبدا.

فما زلت أرفق به، حتى تخلصت، و سقطت عنه، و سبحت منحدرًا، و أقبل هو يشقّ الماء عرضًا.

فما سبحت إلا قليلا، حتى وقعت عيني على جزيره، فقصدتها، و حصلت فيها، و قد بطلت قوتي، و ذهب عقلى، فطرحت نفسى عليها كالتالف.

فلم أحسّ إلا بحرّ الشمس قد أنبهنى، فرجعت أطلب شجره رأيتها فى الجزيره، لأستظلّ بها من الشمس، فرأيت الأسد مقعيا على شاطئى الفرات حيال الجزيره، فقلّ فرعى منه.

و أقمت مستظلاً بالشجره، أشرب من ذلك الماء، إلى العصر، فإذا أنا بزورق منحدر، فصحت بهم، فوقفوا فى وسط الماء.

فقلت: يا قوم، احملونى معكم، و ارحمونى.

فقالوا: أنت دسيس اللصوص.

فأریتهم جراحاتى، و حلفت لهم أنه ما فى الجزيره بعلمى أحد سواى، و أو مأت لهم إلى الأسد، و قلت لهم: قصّيتى طريقه، و إن تجاوزتمونى كنتم أنتم قد قتلتمونى، فالله، الله، فى أمرى، فوقفوا، فأتوا، فحملونى.

فلما حصلت فى الزورق، ذهب عقلى، فما أفقت إلا فى اليوم الثانى، فإذا علىّ ثياب نظاف، و قد غسلت جراحاتى، و جعل فيها الزيت و الأدوية، و أنا بصوره الأحياء.

فسألنى أهل الزورق عن حالى، فحدّثتهم.

و بلغنا إلى هيت، فأنفذت إلى العامل من عزّفه خبرى، فجاءنى من حملنى إليه.

و قال: ما ظننت أنك أفلت، فالحمد لله على السلامه.

و قال لى: كيف هذا الذى جرى لك؟

فحدّثته الحديث من أوله إلى آخره، فتعجّب عجبًا شديدًا، و قال: بين الموضع الذى قطع عليكم فيه الطريق، و بين الموضع الذى حملك أهل الزورق منه

مسافه أربعين فرسخا على غير محجّه.

فأقمت عنده أياما، ثم أعطاني نفقه، و ثيابا، و زورقا، فجنّت إلى بغداد، فمكثت أعالج جراحاتي عشرة أشهر حتى صرت هكذا.
ثم خرجت و قد افتقرت، و أنفقت جميع ما كان في بيتي، فلمّا قمت بين يدي الوزير، رقّ لي، و أطلق [٢٣٤ غ] إلى مالا، و أخرجني إليكم. (١)

ص: ١٤٥

١- لا توجد هذه القصّه في م.

[حدّثني عليّ بن نضيف المتكلّم، المعروف بشهدانجه] (١) و سعيد بن عبد الله السمرقندي الفقيه الحنفي، عمّن حدّثهما:

إنّه بات في سطح خان، في بعض الأسفار، و معهم قرد، و امرأته، فباتا في خان.

قال: فلما نام الناس، رأيت القرد قد قلع المسمار الذي في السلسله، و مشى نحو المرأه، فلم أعلم ما يريد.

فقمّت، فرآني القرد، فرجع إلى مكانه، فجلست، ففعل ذلك دفعات، و فعلته.

فلما طال عليه الأمر، جاء إلى خرج القرد، ففتحه، و أخرج منه صرّه دراهم، خمنت أنّ فيها أكثر من مائه درهم، فرمى بها إلى.

فعجبت من أمره، و قلت: أمسك، لأنظر ما يفعل، فأمسكت.

فجاء إلى المرأه، فمكّنته من نفسها، فوطأها.

فاغتملت بتمكيني إياه من ذلك، و حفظت الصرّه.

فلما كان من غد، صاح القرد، يطلب ما ذهب منه.

و قال لصاحب الخان: قردى يعرف من أخذ الصرّه، فاضبط باب الخان، و أقعد أنا و أنت و القرد، و يخرج الناس، فمن علق به القرد

فهو خصمي، ففعل ذلك.

و أقبل الناس يخرجون و القرد ساكت لا يتكلّم، و خرجت فما عرض لي، فوقف

خارج الخان أنظر ما يجري، فلما لم يبق إلا يهودى، فخرج، فعلق به القرد.

فقال القزاد: هذا خصمى، و جذبه ليحمله إلى صاحب الشرطه، فلم أستحلّ السكوت [٥٢ ن].

فقلت: يا قوم ليس اليهودى صاحبكم، و الصرّه معى، و لى قصه عجيبه فى أخذها، و أخرجتها، و قصصت عليهم القصه.

فحملنا إلى صاحب الشرطه، و حضرت الرفقه، فعزّفوا صاحب الشرطه محلّى، و منزلتى، و يسارى، و أقبل القزاد يحدد عن قرده.

فما برحت حتى أمر صاحب الشرطه [٢٢٢ ر] بقتل القرد، و طلبت المرأة، فهربت، و سلم اليهودى (١).

ص: ١٤٧

١- لا توجد هذه القصه فى م.

تمكّن منه السبع ثم تخلّص منه بأهون سبيل

حدّثني الحسن بن صافي، مولى محمد بن المتوكل (١) القاضي، قال: حدّثني غلام لي أثق به، قال:

أصعدت من واسط-ماشيا-أريد بغداد، فلما صرت بين دير العاقول (٢) و السيب (٣)، و أنا وحدي، في يوم صائف له ريح شديده، رأيت بالبعد منّي غيضة (٤) عظيمة، قد خرج منها سبع.

فحين رأني وحدي أقبل يهرول نحوي، فذهب عليّ أمرى و أيقنت بالهلاك، و خدر بدني كله، و ربا لساني في فمي، و تحيرت.

إلا أنّي أخذت مندبلا، فجعلته في رأس قصبه كانت معي، و ظننت أنّي أفزعه بذلك.

فأنا في تلك الحالة من الإياس، و قد بقي بيني و بينه مقدار مائه ذراع، إذ قلعت الريح أصل حشيش يقال له: بارق عينه، و صار يلتف بالشوك حتى بقي كالكاره العظيمه، و الريح تدحرجه نحو السبع، و قد تمكّنت منه، و صار لها هفيف شديد (٥).

فحين رأى السبع ذلك و سمع الصوت رجع منصرفا و قد فزع فزعا شديدا.

ص: ١٤٨

١- في ن: ابن المتكلم.

٢- دير العاقول: قال ياقوت في معجم البلدان ٦٧٦/٢: بين المدائن (سلمان باك) و النعمانية، على بعد ١٥ فرسخا من بغداد.

٣- السيب: قال ياقوت في معجم البلدان ٢٠٨/٣: من طسوج سورا، عند قصر ابن هبيرة.

٤- الغيضة، و جمعها غياض و أغياض و غيضات: مجتمع الشجر في مغيض الماء.

٥- الهفيف: صوت الريح عند هبوبها.

و بقى يحوّل وجهه فى كلّ عشر خطوات أو أكثر، فإذا رأى ذلك الأصل فى أثره يتدحرج زاد فى الجرى.

و لم يزل كذلك إلى أن بعد عنّى بعدا كثيرا، و دخل الغيضة.

و عادت إلى نفسى [٢٣٥ غ] أو مضيت فى طريقى، و سلمت (١).

ص: ١٤٩

١- هذه القصّة لا توجد فى م.

قتل فيلا بالقبض على خرطومه

حدّثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيّار (١)، قال: حدّثني شيخ من أهل التيز (٢) و مكران (٣) رأيتهم بعمان، و وجدتهم يذكرون ثقته، و معرفته بالبحر، و أنّه دخل الهند و الصين، قال:

كنت ببعض بلاد الهند، و قد خرج على ملكها خارجي، فأنفذ إليه الجيوش، فطلب الأمان فأمنه.

فسار ليدخل إلى بلد الملك، فلما قرب، أخرج الملك جيشا لتلقيه، و خرجت العامه تنظر دخوله، فخرجت معهم.

فلما بعدنا في الصحراء، وقف الناس ينتظرون طلوع الرجل، و هو راجل، في عدّه من رجاله، و عليه ثوب حرير و مئزر، و في وسطه مديه معوّجه الرأس، و هي من سلاح الهند، و تسمى عندهم: حزي.

فتلقّوه بالإكرام و مشوا معه، حتى انتهى إلى فيله عظيمه قد اخرجت للزينة و عليها الفيتالون، و فيها فيل عظيم يختصّه الملك لنفسه، و يركبه في بعض الأوقات.

فقال له الفيتال، لما قرب منه: تنح عن طريق فيل الملك، فسكت عنه، فأعاد الفيتال عليه القول، فسكت.

فقال: يا هذا، احذر على نفسك، و تنح عن طريق فيل الملك [٤].

ص: ١٥٠

١- أبو بكر أحمد بن سيّار القاضي: وُلّي قضاء الجانب الشرقي ببغداد سنة ٣٥٦، و في السنة ٣٥٧ أضيف إليه قضاء دار السلطان، و في السنة ٣٥٩ صرف عن قضاء دار السلطان، و اقتصر على الباقي من الجانب الشرقي ببغداد، ثم صرف عن القضاء في السنة ٣٦٠ (المنتظم ٣٨٧-٥٤).

٢- تيز: بلده على ساحل بحر مكران أو السند، قبالتها من الغرب أرض عمان (معجم البلدان ٩٠٧/١).

٣- مكران: ولايه واسعه، على البحر، بين سجستان و الهند، فرضتها الملتان (معجم البلدان ٦١٣/٤-٦١٤).

٤- ساقطه من غ.

فقال له الخارجي: قل لفيل الملك يتنحى عن طريقى.

فغضب الفيال، وأغرى الفيل بكلام كلمه به، فغضب الفيل، وعمد إلى الخارجي فلَف خرطومه عليه، فقبض الخارجي بيده على الخرطوم.

و شاله الفيل إشاله عظيمه و الناس يرون، و أنا فيهم، و خبط به الأرض، فإذا به قد انتصب قائما على قدميه فوق الأرض و لم ينح يده عن الخرطوم.

فزاد غضب الفيل، فأشاله أعظم من تلك وعدا ثم رمى به الأرض، فإذا هو قد حصل عليها مستويا على قدميه منتصبا قابضا على الخرطوم.

و سقط الفيل كالجبل العظيم ميتا، لأن قبضه على الخرطوم تلك المده منعه من التنفس فقتله.

قال: فوكل به، و حمل إلى الملك، و حدث بالصورة، فأمر بقتله.

فاجتمع القحاب (١)، و هنّ النساء الفواجر، يفعلن ذلك بالهند ظاهرا عند البدّ (٢)، تقربا إلى الله بذلك عندهم.

قال: و هنّ العدول هناك، يشهدن فى الحقوق، و يقمن الشهاده، فيقطع بها حاكمهم فى سائر الأمور، و عندهم إنهنّ لما كنّ يبذلن أنفسهنّ عند البدّ بغير أجر، صرن فى حكم الزهّاد و العباد.

فقال القحاب للملك: يجب أن تستبقى مثل هذا الرجل فلا يقتل، فإنّ فيه جمالا للملك، و يقال: إنّ للملك خادما قتل الفيل العظيم بقوّته و حيلته، من غير سلاح.

فعفا عنه الملك، و خلع عليه، و استخدمه (٣).

ص: ١٥١

١- اسم هؤلاء الفتيات فى الهند: فتيات المعبد.

٢- البد: معبد الهنود، محرّفه عن: بوذا، للتفصيل راجع دائره المعارف الاسلاميه ٣/٤٣٦-٤٣٨.

٣- لم ترد هذه القصّه فى م، و قد وردت فى كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره برقم القصّه ١/٥٤ كما أثبتها الديميرى فى كتابه حياه الحيوان ٢/٢٥١ طبعه مصر ١٢٩٢.

قتلوا شبلا فاجتمع عليهم بضعه عشر سبعا

و حدّث سعيد [بن يوسف] (١) بن عبد الله السمرقندى الحنفى، [و عبد الرحمن ابن جعفر] (٢) الوكيل على أبواب القضاة بالأهواز، قالوا: حدّثنا أبو بكر محمد بن سهل الشاهد الواسطى القاضى، قال:

اخبرنى وكيلان كانا فى ضيعتى بنواحى الجامده (٣)، و نهر جعفر (٤)، قالوا:

خرجنا مع صنّاع عندنا، إلى أجمه نقطع قصباً، فرأينا شبلا كالسنّور، فقتله أحد قطّاع القصب.

فقال الباقون: قتلنا، الساعه يجىء السبع و اللبوه، فإذا لم يرياه طلبانا، و نحن نبيت فى الصحراء بين القصب، فيفرسانا.

قال: فما كان بأسرع من أن سمعنا صوت السبع، فطرنا على وجوهنا، و اجتمعنا فى دار خراب خارج [٢٢٣ ر] الأ-جمه، و علونا سطحها، و كان فيها غرفه عليها باب كنا ناوى إليها ليلا.

فلما رأى السبع ولده قتيلا قصدنا فصار فى صحن الدار الخراب [٢٣٦ غ]، و كان بين يدى الغرفه صحنين، فأخذ السبع يطفر ليصير معنا، فما قدر على ذلك.

فولّى، و علا أكمه (٥) فى الصحراء، و صاح، فجاءته اللبوه، فطفرت تريدنا، فما قدرت.

ص: ١٥٢

١- الزيادة من غ.

٢- الزيادة من ن.

٣- الجامده: قال ياقوت فى معجم البلدان ١٠/٢: إنّها قريه كبيره جامعته، من أعمال واسط بينها و بين البصره، رأيته غير مرّه.

٤- نهر جعفر: نهر بين واسط و نهر دقله، عليه قري، و هو أحد ذنائب دجله (معجم البلدان ٨٣٨/٤).

٥- الأكمه: التلّ أو الموضع الذى يكون أكثر ارتفاعا ممّا حوله.

فاجتمعوا، فصاحوا، فجاءهما عدّه من السباع، وطفروا، فما قدروا علينا،

فلم يزالوا كذلك حتى اجتمع بضعه عشر سبعا، وكلّما جاء واحد حاول أن يطفر إلينا فلا يبلغنا، ونحن كالموتى خوفاً أن يصل إلينا واحد منهم.

فبينما نحن كذلك إذ اجتمعت السباع كلّها كالحلقه، وجعلت أفواهاها في الأرض، وصاحت صيحه واحده، فرأينا حفره قد احتفرت في التراب من أنفاسها.

فما كان إلّا ساعه حتى جاء سبع أسود هزيل، منجرد الشعر، لطيف.

فلقيته السباع كلّها، وبصبت بين يديه، وحواله، وجاء يقدمها و هي خلفه حتى رأنا في الغرفه، ورأى الموضع، ثم جمع نفسه، فإذا هو في الصحن، بين يدي الغرفه.

و كنا قد أغلقنا الباب، فاجتمعنا كلّنا خلفه لندافعه عن الدخول.

فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر بعض ألواحه و أدخل عجزه إلينا.

فعمد أحدنا إلى ذنبه فقطعه بمنجل كان معنا [٥٣ ن].

فصاح صيحه منكره و هرب، ورمى بنفسه إلى الأرض، فلم يزل يخمش السباع و ينهشها و يقطعها بمخالبه، حتى قتل منها غير واحد.

و تهاربت السباع الباقية من بين يديه، و هام في الصحراء يتبع أثرها، و نزلنا نحن لَمَّا لم يبق منها شيء، فلحقنا بالقريه، و خبرناهم خبرنا.

فقال لنا شيخ منهم: هذا السبع مثل الجرذ العتيق، إذا قطع ذنبه أكل الفار (١).

ص: ١٥٣

١- لا توجد هذه القصه في م.

افترس السبع صاحب الدين و سلم الغريم

و حدّث قاضى القضاة أبو السائب عتبه بن عبيد الله الهمداني (١)، قال:

كان رجل من أهل أذربيجان له على رجل دين، فهرب منه و طالت غيبته.

فلقى صاحب الدين المدين، بعد مدّه فى الصحراء منفردا، فقبض عليه و طالبه.

فحلف له بالله تعالى أنّه معسر، و سأله الانتظار، و قال له: لو أنّى أيسر الناس ما تمكّنت هنا من دفع شىء إليك.

فأبى عليه، و أخرج قيّدا كان معه ليقيّده حتى لا يهرب.

فتضرع إليه، و سأله أن لا يفعل، و بكى، فلم ينفعه ذلك.

فقيّده بالقيّد، و مشى إلى قريه بقرب الموضع الذى التقيا فيه، فجاءها مساء و قد أغلق أهلها باب سورها، و اجتهدا فى فتحه لهما، فأبى أهل القريه ذلك عليهما.

فباتا فى مسجد خراب على باب القريه، و أدخل صاحب الدين رجله فى حلقة من حلقتى القيّد، لينتبه إذا أراد الهرب.

فجاء السبع، و هما نائمان، فقبض على صاحب الدين فافترسه، و جرّه فانجّر

ص: ١٥٤

١- أبو السائب عتبه بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمداني، قاضى القضاة (٢٦٤-٣٥٠): كان أبوه تاجرا، مستورا، دينيا، و نشأ أبو السائب فطلب العلم، و تصوّف، ثم تفقّه على مذهب الشافعى، و اتّصل بالأمير أبى القاسم بن أبى الساج، فقلّده قضاء مراغه، ثم ولاّه قضاء أذربيجان جميعها، ثم قضاء همذان، و صار إلى بغداد و تقلّد أعمالا جليله بالكوفه، و ديار مصر، و الأهواز، و عامّه الجبل، و قطعه من السواد، و تقدّم عند قاضى القضاة أبى عمر، و سمع شهادته، و استشاره فى جميع أموره، و قلّده المستكفى قضاء مدينه أبى جعفر، أى مدينه المنصور، ثم تقلّد قضاء القضاة سنه ٣٣٨ (المنتظم ٥/٧).

الغريم معه، لمكان الحلقة في إحدى رجليه.

فلم يزل ذلك حاله إلى أن فرغ السبع من أكل صاحب الدين، و شبع، و انصرف، و ترك المدين و قد تجرّح بدنه، و بقيت ركبته الغريم في القيد.

فحملها الرجل مع قيده إلى أهل القرية، و أخبرهم الخبر، فحلّوا قيده و سار لحال سبيله (١).

ص: ١٥٥

١- لم ترد هذه القصّة في م، و وردت في كتاب نشوار المحاضرته برقم القصّة ١١٧/١.

الأفعى التى أخربت الضيعه

و حدّثنى أبو جعفر مسعود بن عبد الله الضبّى، شيخ من التّناء البصريّين، كان قد انتقل عنها (١) إلى قريه له، و ضيعه، بقرب نهر الدير (٢)، فاستوطنها، قال:

كان فى هذا البستان، [٢٣٧ غ] و أشار إلى بستان بجانب داره كثيره الاشجار، أفعى تسمّى الجراب، لأنّها كانت بقدر الجراب الكبير، طولاً، وسعه، و انتفاخاً.

فكثرت جناياتها، حتى أخربت علىّ الضيعه، فانتقلت عنها إلى الجانب الآخر من النهر، و بطلت ضيعتى، و صار هذا البستان كالأجمه، لا يقدر أحد على دخوله.

و طلبت حوّاء (٣) من البصره ليصيده، و بذلت على ذلك [٢٢٤ ر] مالا جزيلا.

فجاء الحوّاء فتبخّر بدخنه (٤) معه، فظهرت الأفعى، فحين رآها هاله أمرها، و قصدته الأفعى فنهشته، فتلف فى الحال.

فصار لى حديث بذلك، و شاع الخبر، فامتنع الحوّاؤون من المجىء، و تعرّبت أنا عن الضيعه و القرية، و بطلت معيشتى منهما.

فكنت يوما جالسا فى الجانب الآخر من النهر، إذ جاءنى رجل فسلم علىّ.

و قال: بلغنى خبر أفعى عندك، قد قتل فلانا الحوّاء، و أخترب عليك ضيعتك، فجئتك لتدلّنى عليه حتى آخذه.

ص: ١٥٦

١- عنها: أى عن البصره.

٢- نهر الدير: قال ياقوت فى معجم البلدان ٨٣٩/٤ [١] إنّه نهر كبير بين البصره و مطارا، بينه و بين البصره نحو عشرين فرسخا، سمّى بذلك لدير كان على فوهته.

٣- الحوّاء: الذى يجمع الحيات.

٤- الدخنه: ذريه يدخن بها.

فقلت: ما أحبّ تعريضك لهذا، وقد صار لي بتلف ذلك الحوَّاء حديث.

فقال: إنّ ذلك الحوَّاء كان أخي، و أنا أريد أن آخذ بثأره، و أريح الناس من هذا الملعون، أو اللّحاق بأخي.

قلت: فتشهد على نفسك أهل الأنهار المجاوره، أنّ هذا باختيارك، لا بمسأله مني، ففعل، و أريته البستان.

فقال: أريد شيئا آكله، فجنّاه بطعام فأكل، ثم أخرج دهنا كان معه، فطلى به جميع بدنه.

و قال لغلام كان معه: انظر هل بقي موضع من غير ما أظليه؟

فقال له الغلام: لا.

فجلست أنا فوق السطح الذي في داري، أنظر ما يفعل، فأخرج دخنه فبخر بها، فما كان بأسرع من أن ظهر الأفعى كأنه دنّ أسود.

فحين قرب من الحوَّاء هرب، فتبعه الحوَّاء، فلحقه و قبض عليه.

فالتفت الأفعى فعصّ يده، فتركه الحوَّاء فأفلت، و ذهب عليه أمره، فجنّاه و حملناه، فمات في الليل.

و انقلبت الناحيه بحديث الأفعى.

و مضى على هذا مدّه، فجاء رجل يشبه الرّجلين، و سألتني عمّا سألتني عنه الأخوان، فأخبرته بالخبر.

فقال: الرّجلان أخوأي، و لا بدّ لي من الأخذ بثأرهما، أو اللحاق بهما.

قال: فأشهدت عليه، و أريته الموضع، و صعّدت به السطح، فأكل و شرب أقداحا كثيره، و أخرج دهنا كان معه، و طلى به دفعات

كثيره كلّ بدنه، و كلّ مره يسأل غلامه.

فيقول: هل بقي موضع لا دهن فيه؟

فيقول له الغلام: لا.

فيقول للغلام: أعد الطلاء عليّ، فيعيده الغلام.

حتى لم يبق في جسده موضع إلاّ و قد طلاه، و أعاد الطلاء ثلاث مرات، و صار الدهن ينقط من بدنه.

و بخر بدخنه، فخرج الأفعى، فطلبه الحوّاء و أخذ يحاربه، و تمكّنت يد الحوّاء من قفاه، فانشى عليه فعصّ إبهامه.

و بادر الحوّاء فخرم فاه، و جعله في سلّه، و أخرج سكيناً معه فقطع إبهام نفسه، و أغلى زيتاً و كواها به، و خرّ كالتالف.

فحملناه إلى القرية، فإذا بصبيّ من غلمانى قد جاء و معه ليمونه، و كان الليمون إذ ذاك قليلاً بالبصره جدّاً، و عندى منه شجره واحد.

فحين رأى الحوّاء الليمون [٢٣٨ غ]، قال: هذا يا سيدى عندكم موجود؟

قلت: نعم.

قال: أغثنى بكلّ ما تقدر عليه منه، فإننا نعرفه فى بلدنا يقوم مقام الدرايق.

فقلت: أين بلدك؟

قال: عمان.

فأتيته بكلّ ما كان عندى منه، فأقبل يعصّه و يسرع فى أكله، و عمد إلى بعضه فاستخرج ماءه، و أقبل يتحسّى منه، و يطلى به الموضوع، و أصبح من غد و هو صالح.

فسألته عن خبره، فقال: ما خلصنى بعد الله عزّ و جلّ، إلاّ ماء الليمون، و أظنّ أنّ أخوى لو اتفق لهما تناوله ما تلفا.

قلت: فذلك الدهن الذى انظليت منه، ما هو؟

قال: الطلق، الذى إذا طرح معه النار على الجسم حين لا- يكون فيه خلل، ما ضرّت النار الجسم، و أمّا تلف إخوانى، فالأنّ بعض أبدانهم خلا من الطلاء، أو جفّ عنه.

ص: ١٥٨

فقلت: و كيف تمكّن الأفعى منك؟

قال: لطول الوقت، و إلى أن قيدته، جفّ بعض الدهن، فتمكّن منّي، و لو لا الليمون لتلفت.

فقال: فتعلّمت منه استخراج ماء الليمون، و كنت أوّل من استخرجه بالبصره، و نبه الناس على منافعه، و جرّبته في الطبخ [٢٢٥] ر[أ]وجدته طيباً، و تداوله الناس.

قال: ثم أخرج الأفعى، و قطع رأسه، و ذنبه، و أغلاه في طنجير (١)، و استخرج [٥٤] ن[دهنه في قوارير، و انصرف (٢).

ص: ١٥٩

١- الطنجير: وعاء يعمل فيه الخبيص و نحوه، و يسمّى في لبنان: طنجره.

٢- هذه القصّه لا توجد في م.

مفلوج لسعته عقرب جرّاره فعوفى

حدّثني عبد الوهاب بن محمد بن مهدي، المعروف بأبي أحمد بن أبي سلمه، الشاهد، الفقيه، المتكلم [العسكري، في سنة خمس و خمسين و ثلثمائه بعسكر مكرم] (١): إنّه شاهد رجلا مفلوجا، حمل من أصبهان (٢)، إلى عسكر مكرم (٣) ليعالج، فطرح على باب خان في جواره، في الجانب الشرقي منها، وقد هجر، و فرّغ، لكثرة العقارب الجرّارات (٤) فيه.

و طلب له موضع آخر يسكنه، فلم يوجد إلا في هذا الخان، فأنزله غلمانه

ص: ١٦٠

١- لا توجد هذه الفقرة في غ.

٢- أصبهان: قال ياقوت في معجم البلدان ٢٩٢/١ إنّها مدينة عظيمه، من أعلام المدن و أعيانها، صحيحه الهواء، نفيسه الجوّ، أقول: تهياً لي أن أزور أصبهان مرّتين، الأولى في السنه ١٩٥٥، و الثانيه في السنه ١٩٦٨، و قد أعجبت بهوائها و مائها، و أهم ما أعجبنى فيها في زيارتي الأولى: مسجد يسمّى مسجد الجمعة، و واسع المساحه، يحوى كثيرا من المباني، و وجدت فيه حائطا من بقايا معبد النوبهار، و بقايا جامع من طراز جامع الفسطاط في أساطينه و أقواسه، أحسبه بنى في صدر الإسلام، و وجدت فيه مدرسه من بناء نظام الملك ما تزال بحاله صالحه، و رواقا من بناء المتغلّبه الأفغان، و وجدت في حيطانه المغشّاه بالقيشاني ذكر الخلفاء الأربعة، و فيه محاريب من الرخام قد نقش عليها أسماء الأئمّه الاثني عشر، قيل لي إنّها من صنع بعض أحفاد تيمور لنك. و أعجبنى في زيارتي الثانيه في السنه ١٩٦٨: فندقا اسمه فندق شاه عباس، أصله خان مسافرين بنى في عهد الشاه عباس، في القرن الحادى عشر الهجرى فحوّله المهندسون، فندقا من الدرجه الممتازه، بحيث أنّى لم أشاهد فندقا أجمل منه في جميع الأماكن التي سافرت إليها في آسيا و أفريقيا و أوروبا.

٣- عسكر مكرم: بلد مشهور من نواحي خوزستان (معجم البلدان ٦٧٦/٣).

٤- الجراره: نوع من العقارب، موجوده في الأهواز (لطائف المعارف ٢٣٤، ٢١٢) و يوجد منه في البندنيجين، المعروفه الآن باسم: مندلى، و هو أصفر اللون، سمّى بذلك لأنّه يجرّ ذنبه وراءه، و يقال أنّ لسعته قاتله، راجع وصفه في حاشيه القصّه ١٩٦ من الكتاب.

فيه، و هم لا يعلمون حاله، و أنه أخلى لكثرة الجّارات فيه.

و صعد أصحاب الرجل إلى السطح ليلا، و تركوه، لما وصف لهم أنّ المفلوج لا يجوز أن يبيت في السطح.

فلما كان من الغد وجدوه جالسا، و كان طريحا ملقى لا يمكنه أن ينقلب من جنب إلى جنب، و وجدوا لسانه فصيحاً و كان متكسرا بالعله، حتى إنّ الرجل مشى في يومه ذلك.

فأحضر بعض أهل الطبّ و سأله عن خبره، ففتّشه، فوجد أثر لسع الجّاره في إبهام رجله اليسرى.

فقال له: انتقل الساعة من هذا الخان، فإنّه مشهور بكثرة الجّارات، و قد لسعتك واحده منهن فأبرأتك، و عشت بشيء ما عاش أحد به قطّ، و قامت حرارتها ببرد الفالج فأزالته، و لم تتجاوزة فتقتلك، و سيعقب ذلك حدّه شديده و حراره، فاصبر لها حتى أعالجك باليسير من الرطوبه فلا ترجع إليك بروده الفالج، و انتقل لئلاّ تسعك أخرى فتتلف.

و انتقل الرجل، و تعاوده الطبيب، فحمّ المفلوج من غد، و تلطف في علاجه حتى برأ (1).

ص: ١٦١

١- هذه القصّه لا توجد في م.

قضى ليله فى الجبّ بجوار أفعى

و حدّثنى عبید الله بن محمد الصّروىّ، قال:

كنت أتصرّف مع المختار بن الغيث بن حمدان أحد قوّاد بنى عقيل، فسار و أنا فى جملمته، مع تكين [٢٣٩ غ] الشيرزادى (١)، لما تغلّب على الموصل، يطلب ناصر الدوله، و سار العسكر سيرا عجلا، ففتقّطع الناس.

و كانت تحتى حجره (٢)، فصرت فى أخريات الناس، ثم انقطعت عن العسكر حتى صرت وحدى.

ثم أوردت الدابّه ماء كان فى الطريق، فحمّم، و لم يمكنه أن يسير خطوه واحده.

فخفت أن يدركنى من يسلبنى نعمتى و يأسرنى، فنزلت عن الدابّه أمشى، و فى عنقى سيف بحمائل، و المقرعه فى يدى.

فسرت عدّه فراسخ، حتى صعدت جبل سنجار، و كنت أحتاج أن أمشى فيه نحو الفرسخ، ثم أنزل إلى سنجار (٣)،

ص: ١٦٢

١- تكين الشيرزادى: النسبه إلى أبى جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد، قائد تركى، كان من قوّاد توزون (تجارب الأمم ٥٠/٢) ثم قلّده أبو جعفر بن شيرزاد، الجبل (٨٤/٢) ثم انحاز إلى ناصر الدوله فى حربته مع معزّ الدوله (٩٠/٢) و لما اصطالحا، ثار الأتراك على ناصر الدوله، و أمروا تكين، فاستولى على الموصل، و سنجار، و الحديدته، و حارب ناصر الدوله، فأسره ناصر الدوله، و سمله، و اعتقله فى قلعه من قلاعه (تجارب الأمم ١١٠، ١٠٩/٢) و الكامل لابن الأثير ٤٦٦/٨ و ٤٦٧ (١) ثم أرسل به إلى معزّ الدوله الذى أحسن إليه، و أطلقه، و أقطعه إقطاعا (تجارب الأمم ١١١/٢).

٢- الحجره: الأنتى من الخيل.

٣- سنجار: مدينه مشهوره فى نواحى الجزيره، بينها و بين الموصل ثلاثه أيّام و هى فى لحف جبل سنجار (معجم البلدان ١٥٨/٣) [٢] أقول: و قد زرت سنجار فى السنه ١٩٣٦ لما كنت قاضيا فى الموصل،

فجئني الليل، واستنفذ المشى جلدى، واستوحشت، وخفت الوحوش فى الجبل، فطلبت موضعا أسكن فيه ليلتى، فلم أجد.

و رأيت جبابا كثيره منقوره فى أرض الجبل، فطلبت أقربها قعرا، و رميت فيه حجرا، فظننت أنّ قعره قامه أو نحوها، فرميت بنفسى فيه.

و كان البرد شديدا، فنمت ليلتى و أنا لا أعقل من التعب و الجوع.

فلما كان من الغد، انتبهت، و عندى أنّ الجب محفور كالآبار، و أنّى أضع رجلّى فى جوانبه، فأتسلق و أطلع، فتأملته، فإذا [هو محفور كالنتور، رأسه ضيق، و أسفله واسع شديد السعه، و جوانبه منقوشه، فقامت فى الجب] (١) فإذا هو أعلى من قامتى.

فتحيرت فى أمرى، فلم أدر كيف أعمل، و كيف السبيل إلى الصعود.

و طلعت الشمس، و أضاء الجبّ، فإذا فيه أفعى مدوّر كالطبق و قد سدر (٢) من البرد، فليس ينتشر، و لم يتحرّك من مكانه، فتجنّبت مكانه.

و هممت أن أجرد السيف و أقطع الأفعى، ثم قلت: أتعجل شرّا لا أدرى عاقبته، و لا منفعه لى فى قتله، لأننى سأألف فى هذه البئر، و هى قبرى، فما معنى قتل الأفعى؟ أدعه، فلعله أن يبتدىء بالنهش، فأتعجل التلف، و لا أرى نفسى تخرج بالجوع و العطش.

فأقامت يومى كلّ على ذلك، و الأفعى لم تتحرّك [٢٢٦ ر] و أنا أبكى و أنوح على نفسى، و قد يئست من الحياه.

فلما كان من الغد، أصبحت، و قد ضعفت، فحملنى حبّ الحياه على الفكر فى الخلاص، فقامت، و جمعت من حجاره رقيقه كانت فى الجبّ شيئا كثيرا،

ص: ١٦٣

١- الزيادة من غ.

٢- سدر: تحير.

و عيّبتها في وسط الجبّ، و علوتها لتنال يدي طرف الجبّ و أحمل نفسي إلى رأسه.

فحين جعلت رجلى على الحجارة، تدكدكت و انهارت، لرقّتها و ملاستها.

فلم أزل أعيّد تعيبتها و ركوبها، و تنزلق من تحت رجلى، و أنا متشاغل بذلك يومي كلّه، و جاء الليل فلم يمكنني أن أقوم من الجوع و الضعف، و انكسرت نفسي، ثم حملني النوم.

فلَمّا كان من الغد فكّرت في حيله أخرى، و وقع لي أن شددت المقرعه بعلائقها في حمائل السيف (١)، و دلّيت المقرعه إلى داخل الجبّ، و رميت السيف إلى رأس الجبّ، و أمسكت المقرعه بإحدى يديّ، فحصل جفن السيف فوق الجبّ معترضا لرأسه، و حمائله في المقرعه، و هي مدلاّة إلىّ.

ثم أمسكت السيف، و سللته، و لم أزل أقلع من أرض الجبّ ما يمكن قلعه و نحته من تراب قليل، ثم عيّبت ذلك بالرضراض (٢) [و الحجارة الرقاق و جعلت بين كلّ سافين منها ترابا، ثم رددت السيف إلى جفنه، و علوت الرضراض] (٣)، و تعلّقت [٢٤٠ غ] على السيف المعترض، و طفرت، فصار السيف معترضا تحت صدرى، و ظهرت يداي من الجبّ، فحصلت جوانبه تحت إبطى، و أشلت نفسي، فإذا أنا قد خرجت من الجبّ، بعد أن اعوجّ السيف، و كاد يندقّ و يدخل في بطني لثقله عليه.

فوقعت خارج الجبّ، مغشياً علىّ من هول ما نالني، و وجدت أسناني قد

ص: ١٦٤

١- حماله السيف، و جمعها حمائل: علاقه السيف، و جمعها علائق، الحبل الذي يعلّق العربي به سيفه، لأنّ العربي يعلّق سيفه إلى عنقه، بخلاف الرومىّ فإنّه يشدّ سيفه إلى وسطه، فلا يحتاج إلى علاقه، و قد وجدت في أسبانيا لَمّا زرتها في السنتين ١٩٦٠ و ١٩٦١، أنّ مصارعى الثيران، يعلّقون في صدورهم قطعة من الحرير أو القصب تتدلّى أطرافها، قيل لي أنّ اسمها عندهم: الإلكه، و أحسب أنّها بقيّة العقده التي تشدّ بها علاقه السيف، حرّف اسمها من العلاقه، إلى الإلكه.

٢- الرضراض: ما صغر و دقّ من الحصى.

٣- الزيادة من غ.

اصطكّت، و قوتى قد بطلت عن المشى، فما زلت أحيو و أطلب المحجّه حتى وقفت عليها.

و رآنى قوم مجتازون، فأخذوا بيدي، و قوى قلبى فمشيت حتى دخلت سنجار آخر النهار، و قد بلغت روحى إلى حدّ التلف.

فدخلت مسجدا فطرحت نفسى فيه و أنا لا أشكّ فى الموت، و حضرت صلاه المغرب، و اجتمع أهل المسجد فيه، و سألوني عن خبرى، فلم يكن فى فضل للكلام.

فحملوني إلى بيت أحدهم، و لم يزالوا يصّبون فى حلقى الماء، ثم المرق و الثريد، إلى أن فتحت عينى بعد العتمه، فتكلّمت، و بتّ ليلتى و أنا بحال عظيمه من الألم.

فلما كان من الغد دخلت الحمام، و أقمت عندهم أيّاما حتى قويت.

ثم أخرجت نفقه كانت معى، فاستأجرت منها مركوبا، و لحقت بصاحبى، و سلّم الله عزّ و جلّ (1).

ص: ١٦٥

١- لم ترد هذه القصّه فى م.

سقط طفل من القنطرة

فالتقطه العقاب ثم نجا سالما

و حكى أبو محمد يحيى بن فهد الأزدي [الموصلى] [٥٥ ن] رحمه الله، قال:

حدّثني أبي، قال: حدّثني [١] ديسم بن إبراهيم بن شاذلويه (٢)، المتغلب - كان - بأذربيجان، لما ورد حضره سيف الدولة يستنجده على المرزبان بن محمد بن مسافر (٣) السلار لما هزمه عنها، قال:

رأيت بناحية أذربيجان نهرا يقال له: الرسّ (٤)، شديد جريه الماء جدّا، و في أرضه حجاره كثيره، بعضها ظاهر على الماء، و بعضها يغطيه الماء، و ليس للسفن فيه مسلك، و له أجراف هائله (٥) لا مشاريع فيها، و عليه قنطره يجتاز عليها السابله.

ص: ١٦٦

١- الزيادة من ن.

٢- أبو سالم ديسم بن إبراهيم: من قواد ابن أبي الساج (تجارب الأمم ١/٤٠٤)، استولى على أذربيجان في السنه ٣٢٦ و قضى أياما صعبه، حارب فيها حروبا عنيفه ثم التجأ إلى معزّ الدوله ببغداد مستنجدا فأكرمه و أطفه، و لكنّه لم ينجده، فانصرف عنه إلى ناصر الدوله بالموصل، و أقام عنده مدّه، فلم ينجده فصار إلى الأمير سيف الدوله فأعانه سيف الدوله، فوقّ أولّا، و فشل أخيرا فانتقل إلى أرمينية، حيث قبض عليه خصمه المرزبان بن محمّد، فاعتقله، و سمله، ثمّ قتل عند وفاه المرزبان سنه ٣٤٦ (تجارب الأمم ١/٣٩٨-٣١/٢، ٤٠٤-٣٦ و ١٦١، ١٥٦، ١٥١، ١٤٨، ١٣٦، ١٣٥).

٣- المرزبان بن محمّد بن مسافر: كان أبوه محمّد سىء السيره، فاتّفق مع أخيه و هسودان، و أمهما، و استوليا على قلعتة و ثروته، ثمّ استولى على أذربيجان في السنه ٣٣٠ و طرد ديسم عنها، ثمّ هاجم الرىّ في السنه ٣٣٧ فأسره عماد الدوله بن بويه و اعتقله في قلعه سميرم، فاحتال حتّى هرب، و عاد إلى أذربيجان، و توفّى بها (تجارب الأمم ١٥١، ١٤٨، ١١٥، ٣٢، ٣١/٢).

٤- قال ياقوت في معجم البلدان (٧٧٩/٢): الرسّ، وادى أذربيجان، و يصب في بحر جرجان، و فيه أصناف كثيره من السمك.

٥- الجرف: الجانب الذى أكله الماء من النهر، أقول: إنّ البغداديين يسمّون كلّ شاطئ: جرفا، أمّا

قال: و كنت مجتازا عليها بعسكري، فلما صرت في وسط القنطرة، رأيت امرأه تمشى و قد حملت ولدا طفلا في القماط، فزحمها بغل فطرحت نفسها على القنطرة، و سقط الطفل من يدها إلى النهر، فوصل إلى الماء بعد ساعه، لبعده ما بين القنطرة و صفحه الماء، ثم غاص، و ارتفعت الضجّة في العسكر، ثم رأينا الصبيّ قد طفا على وجه الماء، و سلم من تلك الحجارة.

و كان الموضوع كثير العقبان (١)، و لها أو كار في أجراف ذلك النهر، و منه يصاد فراخها.

فحين ظهر الطفل في قماطه، صادف ذلك عقبا طائرا، فرآه، فظنّه طعمه (٢)، فانقضّ عليه، و شبك مخالبه في القماط، و طار به، و خرج إلى الصحراء.

فطمعت في تخليص الطفل، فأمرت جماعه أن يركضوا وراء العقاب، فركضوا، و تتبعت نفسى مشاهده الحال، فركضت.

و إذا العقاب قد نزل إلى الأرض، و ابتداء يمزق قماط الصبيّ ليفترسه، فحين رأوه، صاحوا بأجمعهم، و قصدوه، فأدهشوه عن استلاب الصبيّ، فطار و تركه على الأرض.

فلحقنا الصبيّ، و إذا [٢٢٧ ر] هو سالم، ما وصل إليه جرح، و هو يبكي.

فكبيناه، حتى خرج الماء من جوفه، و حملناه إلى أمه حيّا، سالما (٣).

ص: ١٦٧

١- العقاب، بضم العين: طائر من الكواسر، لا تقع على الجيف، إلا إذا عضّها الجوع، قويّه المخالب، مسروله في ساقها، و لها منسره، و العقاب مؤنثه، تقع على الأثني و الذكر، جمعها: أعقب، و عقبان، و جمع عقبان عقابين (معجم الحيوان ٩٢).

٢- في غ: فظنّه طعاما، و الطعمه، و جمعها طعم، بضم الطاء و فتح العين: المأكله.

٣- هذه القصّه لم ترد في م.

قصة ابن التماسح

و حكى أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب [٢٤١ غ] المعروف بالحاتمي، قال:

رأيت بمصر رجلا يعرف بابن التماسح، فسألت جماعه من أهل مصر، من العامه، عن ذلك.

فقالوا: هذا وطىء التماسح أمه، فولدته.

فكذبت ذلك، و بحثت عن الخبر، فأخبرني جماعه من عقلاء مصر، أنّ التماسح بها يأخذ الناس من الماء فيفترسهم.

و ربما أخذهم و هو شبعان، فيحمل المأخوذ بيده على صدره، حتى يجيء به إلى أجراف أسفل مصر بمسافه، و هي جبال حجاره فيها مغارات إلى النيل، لا يصل إليها الماشى و لا سالك الماء لبعدها عن الجهتين.

فيتسلق التماسح إلى بعض المغارات، فيودع بها الإنسان الذى أخذه، حيا أو ميتا بحسب الاتفاق و يمضى.

فإذا جاع و لم يظفر بشيء، عاد إلى الموضع فيفترس الإنسان الذى خبأه هناك.

قال: فكان قد قبض على امرأه فى بعض الأوقات، فجعلها فى المغاره، فذكرت المرأه: أنّها حينما استقرت فى المغاره، و انصرف التماسح، رأته هناك رجلا حيا، و آثار جماعه قد افترسهم التماسح.

و أنّها سألت الرجل عن أمره، فذكر أنّ التماسح تركه هناك منذ يومين.

قالت: و أخذ الرجل يؤانسنى بالحديث، إلى أن طالبنى بنفسى.

فقلت: يا هذا اتق الله.

فقال: التماسح قد مضى، و من ساعه إلى ساعه فرج، و لعل أن تجتاز بنا

سفینه قبل عودته فنطرح أنفسنا إليها.

فوعظته، فلم يلتفت إلى كلامي، و اغتصبنى نفسي، فواقعني.

و ما نزل حتى جاء التمساح، فأخذه من فوقى، و مضى، فبقيت كالميته فزعا.

فأنا كذلك، إذ سمعت وقع حوافر الخيل، و صوت أقدام كثيرين، فأخرجت رأسى من الغار، و صحت و استغثت، فأطلع أحدهم.

و قال: ما أنت؟

فقلت: حديثي طريف (١)، أرموا لى حبلا أتخلص به إليكم.

فرموا لى حبلا، فشدت نفسي، و استطهرت جهدى، و أطراف الجبل فى أيديهم.

فقلت: اجذبونى.

فجذبونى، فصرت معهم على ظهر المغاره، بعد أن توهمت، و تسلخت يدي.

فسألونى عن خبرى، فأخبرتهم، فأركبونى شيئا، و أدخلونى البلد، فلما كان وقت عاده حيضى، تأخرت عنى، ثم ظهر الحمل، فولدت ابنى هذا بعد تسعه أشهر.

و كرهت أن أخبر كل أحد بهذا الحديث، فنسبت ذلك إلى التمساح، و أستتر أمرى بذلك (٢).

ص: ١٦٩

١- طريف: غريب.

٢- هذه القصه لم ترد فى م.

أبو القاسم العلويّ يواجه الأسد

و حدّثني أبو القاسم بن الأعمى العلويّ الكوفيّ، الفيلسوف (١)، قال:

خرجت من بغداد، أريد الكوفة، فلما صرت فيما بينها وبين حمام أعين (٢) قريه قريه من الكوفة أفضيت إلى أجمه هناك.

و كنت قد تقدّمت الرفقه، و أنا راكب حماراً، و ورائي بمسافه قريه غلام لى مملوك راكب بغلا، فسرنا حتى أبعدا عن الرفقه.

فلما دخلت الأجمه، رأيت مسنّاه (٣) دقيقه فى وسط الأجمه، و عليها المسلك، يوصل إليها من هبوط.

فرمت النزول إليها، فوقف الحمار تحتى، فضربته ضرباً شديداً، فلم أجده [٢٤٢ غ] يبرح.

فالتفت إلى كفله (٤)، لأنّ تأمّل قوائمه، فرأيت أسدا قائماً، و بينه و بين قوائم الحمار نحو ذراع أو أقلّ، و إذا الحمار قد شم رائحته فأصابته رعدته شديده، و رسخت قوائمه فى الأرض، و لم يتحرّك.

ص: ١٧٠

١- أبو القاسم بن الأعمى العلويّ الكوفيّ الفيلسوف: ذكره صاحب تاريخ الحكماء ص ٢٢٦ و قال: كان عضد الدوله يقول إذا افتخر بمعلميه، إنّ معلمه فى حلّ الزيج، الشريف ابن الأعمى.

٢- حمام أعين: بالكوفه، موضع منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبى وقاص (معجم البلدان ٣٢٩/٢).

٣- المسنّاه، و جمعها مسنّيات: ما بينى فى وجه السيل، أقول: التعبير عند البغداديين اليوم، فيه بعض الاختلاف عمّا كان قبلاً، فالمسنّاه عندهم، البناء من الحجاره، يغطّى به وجه شاطئ النهر، ليصدّ عنه الماء و يمنع تأكله، و يسمّونه الآن: مسنّايه، و يجمع على مسنّيات، أمّا البناء من التراب الذى يقام لصدّ الماء عند ارتفاعه فى وقت الفيضان فيسمّونه: السدّه (فصيحه السدّ)، و كانت بغداد محاطه بسداد تحميها من مياه الفيضان فى دجله و الفرات.

٤- الكفل من الدابّه: العجز.

فلم أشك في التلّف، و أنّ الأسد سيمدّ يده، فيجذبني من على الحمار، فغمّضت عيني لئلا أرى كيف أحصل في مخالفه، و أقبلت أ تشهّد، و أقرأ، و أنا مع ذلك أجد عقلي ثابتا، و متصوّرا لهيأه الأسد، و لم يفدني التغميض شيئا.

ثم ذكرت في الحال حكاية كنت أسمعها، أنّ الأسد لا يفترس الإنسان و هو مواجه له، فاستدرت و فتحت عيني في عينيه، و أقبلت أ تشهّد خفيا، و الأسد فاتح فاه، و أنا أتأمل أسنانه، و تصل إلى أنفي من فمه روائح منتنه.

فإنّي [٢٢٨ ر] لكذلك إذ لحقني الصبيّ المملوك على البغله، و معه رجل راكب دابه، و وراءهما قوم مشاه.

فحين رأى المملوك تلك الحاله، جزع جزعا شديدا، و صاح بأعلى صوته:

يا معاشر المسلمين أدركونا، فقد افترس الأسد مولاي العلويّ.

فحين سمع الأسد الصياح من ورائه [٥٦ ن] انزعج، و التفت، فأرى الصبيّ قريبا إليه، فتناوله من أعلى السرج، و عار البغل (١) و حصل الصبيّ في فم الأسد، كالفأره في فم السنور، و أنا كالْميت إلا أني أحصل ما أرى من ذلك.

و أقبل الأسد يحمل على راكب الدابّه، و المشاه، و الصبيّ في فمه، فهربوا منه، و دخل الأجمه.

فقلت في نفسي: قد فداني الله عزّ و جلّ بمملوكي، و خلّص نفسي بيسير من مالي، فما وقوفي؟

فرميت بنفسي عن الحمار، و فررت أعدو على المسنّاه، فتلقّاني قوم قد جاءوا من الكوفه، و رأوا حيرتي، و فرعى، فسألوني عن أمرى، فأخبرتهم.

فتقدّموا يطلبون الأسد، و قويت نفسي، فزدت في العدو، إلى أن خرجت من الأجمه، و لحقني الرفقه التي كنت فيها، و قد عقلوا البغله التي كانت تحت مملوكي، و ساقوا الحمار، فركبته، و دخلت الكوفه.

ص: ١٧١

١- عار البغل: ذهب على وجهه لا يثنيه شيء.

و كان هذا الخبر يوم الثلاثاء غزه شهر المحرم سنة ثمان و ثلاثين و ثلثمائه، فصمت يومى، و اعتقدت أن أصوم كلّ ثلاثاء، أبدا، و أنا أصومه إلى الآن.

و جاءنى أبو عمر بن يحيى العلوى، مهتئا بالسلامه، و بقدمى، و كان خبرى شاع.

و قال لى فى جملة كلامه: كيف خفت الأسد؟ أو ما علمت أنّ لحومنا معاشر بنى فاطمه محرّمه على السباع؟

فقلت له: مثل سيّدنا-أطال الله بقاءه- لا يقول مثل هذا، و ما الذى كان يؤمننى أن يكون هذا الحديث باطلا فأتلف، و كيف كانت نفسى-مع طبع البشريّه-تطمئنّ فى مثل ذلك الوقت، إلى هذا الحديث؟

قال: كيف يكون هذا الحديث باطلا، مع ما روينا من خبر زينب الكذّابه مع على بن موسى الرضا عليهما السلام؟

قال: فقلت له: بلى، قد رويت ذلك، و لكن لم يخطر فى فكرى من هذا شيء فى تلك الحال.

قال مؤلّف الكتاب: فقلت أنا لأبى القاسم بن الأعلم، و ما خبر زينب الكذّابه؟ فإنى لم أسمع.

قال: هذا خبر مشهور عند الشيعة، بإسناد [٢٤٣ غ] لهم لا-أحفظه، و ذلك: أنّ امرأه يقال لها زينب ادّعت أنّها علويّه، فجىء بها إلى على بن موسى الرضا عليهما السلام، فدفع نسبها.

فخاطبته بكلام دفعت فيه نسبه، و نسبته إلى مثل ما نسبها إليه من الادّعاء، و كان ذلك بحضره السلطان.

فقال الرضا: أخرج أنا و هذه المرأه إلى بركة السباع، فإنى رويت عن آبائى عن النبى صلّى الله عليه و سلّم: أنّ لحوم ولد فاطمه صلوات الله عليها محرّمه على السباع، فمن أكلته السباع فهو دعوى.

فقال المرأه: لا أرضى بهذا، و دفعت الخبر، فأجبرها السلطان على ذلك.

فقال: فليتنزل قبلى.

فنزّل الرّضا بمحضّر من خلق عظيم، فلما رأته السّباع، أقعت على أذناها، فدنا منها، و لم يزل يمسح رأس كلّ واحد منها و يمرّ بيده إلى ذنبه، و السبع يبصص له، حتى أتى على آخرها، ثم ولى، فصعد من البركه.

و كرهت المرأه النزول، و أبته، فأجبرت على ذلك، فحين نزلت وثب عليها السباع فأفترسوها و مزّوها، فعرفت بزئيب الكذابه (1).

ص: ١٧٣

١- لم ترد هذه القصه فى م.

أعان الفيله على قتل ثعبان فكافأوه بما أغناه

و حدّث عبد الله بن محمد بن خرسان السيرافى (١)، المقيم - كان - بالبصره، قال: حدّثنى [أبى، عن جدّى، قال] (٢) ذكر جماعه من شيوخ البحرين الذين تردّوا إلى بلاد الهند، أنّهم سمعوا هناك حكاية مستفيضه، أنّ رجلا كان معاشه صيد الفيله قال:

استخفيت مرّه فى شجره كبيره عاليه كثيره الورق فى غيضة كانت تجتاز بها الفيله، من شرائع الماء التى تردّها إلى مراتعها.

فاجتاز بى قطع منها، و كانت عادتى أن أدع القطعان تجوز حتى تبلغ آخر فيل منها، فأرميه بسهم مسموم فى بعض مقاتله، فتجفل الفيله، فإذا مات الفيل المجروح، نزلت فاقتلعت أنيابه و سلخت جلده، و أخذت ذلك فبعته فى البلاد.

فلما اجتاز بى هذا [٢٢٩ ر] القطيع، رميت آخر فيل كان فيه، فخّر، فاضطربت الفيله، و أسرع عنه.

فإذا أعظمها قد عاد فوقف عليه، و تأمّل السّهم و الجرح، و رجعت معه الفيله، و وقفت بوقوفه، فما زال قائما و الفيل المجروح يضطرب إلى أن مات.

فضج ذلك الفيل ضجيجا عظيما، و ضجّت الفيله معه و انتشرت فى الغيضة، ففتشتها شجره شجره، فأيقنت بالهلاك.

و انتهى الفيل الأعظم إلى الشجره التى أنا فيها، فلما رآنى احتكّ بالشجره،

ص: ١٧٤

١- كذا نصّ على اسم الراوى فى ن، و فى بقيه النسخ: عبد الله بن محمّد السيرافى، نسبته إلى سيراف، قال ياقوت فى معجم البلدان ٢١١/٣: [١] إنّها مدينه على ساحل بحر فارس، كانت قديما فرضه الهند، فلما عمّرت جزيره قيس، و أصبحت فرضه الهند، خربت سيراف، و بينها و بين البصره سبعة أيّام.

٢- الزيادة من ن.

فإذا هي قد انكسرت، على عظمها و ضخامتها، و سقطت أنا و الشجره إلى الأرض، فلم أشكّ في أنّ الفيل يدومنى.

و إذا به قد جاء حتى وقف يتأملنى، و أحجمت الفيله عنى.

فلما رأى الفيل العظيم قوسى و سهامى، لفّ خرطومه على برفق، و شالنى من غير أذى، حتى وضعنى على ظهره، و رجع يريد الطريق التى كان أقبل منها، و هرول، و هرولت الفيله خلفه، حتى بلغ الماء، و الفيله معه.

فإذا قد خرج عليها ثعبان عظيم ينفخ، فتأخرت الفيله، و أشال الفيل الأعظم خرطومه، فلفّه علىّ، و أنزلنى، و تركنى على الأرض، و أخذ [٢٤٤ غ] يومىء بخرطومه إلى الثعبان برفق و تملّق.

فسدّدت سهما إلى الثعبان، و رميته، فأصبته، و تابعت رمية، فانصرف مثخنا.

فتقدّم إليه الفيل فداسه، ثم عاد إلىّ، فأخذنى بخرطومه، و جعلنى على ظهره و أقبل يهرول، و الفيله خلفه.

فجاء بى إلى غيظه لم أكن أعرفها، أعظم من التى أخذنى منها، و أبعد بعدّه فراسخ، و فيها فيله ميتة، لا يحصيها إلاّ الله تعالى، و أكثرها قد بلى جسده و بقيت عظامه (١).

ص: ١٧٥

١- ناقش الصياد جاد الله طانيوس، موضوع مقبره الأفيال فى كتابه: الصيد فى غايات السودان، فقال فى الصحيفه ١٢٠ و ١٢١ من كتابه: من الفريد أنّ الفكرة القائله بأنّ للأفيال مقبره فيها موتاها، و أنّ من يعثر عليها يسعد و يغنى، تسلّطت على عقول الكثيرين من عشاق الصيد، خصوصا الأوربيين، و قد قال لى كثير من الرياضيين إنّها صحيحه، و الحقيقه أنّه كثيرا ما تموت جماعه من الأفيال فى بقعه واحده بسبب مرض و بائى أو ضربه صاعقه، و قد يصل عدد الضحايا من الأفيال إلى اثنى عشر فيلا أو أكثر، فإذا جاء أحد الصيادين، و رأى مجموعه كهذه من الأفيال الميتة، وجد ثروه عظيمه، و ظن أنّه عثر على الكنز المسّمى «مقبره الأفيال» و كلّ صياد يعرف عن طبيعه الفيل أنّه عند ما يحسّ بدوّ أجله، يحاول أن يستقرّ نهائيا فى مكان فيه أشلاء الأفيال الميتة، و لكن ليس من المستطاع أن يصل كلّ فيل مجروح أو مريض أو فى حاله خطره إلى النقطه التى يريدّها، أى المكان الذى فيه أشلاء من مات

فما زال يتتبع الأنبياء و يجمعها، و يومىء إلى فيل فيل، حتى لم يدع هناك نابا إلا جمعه، و أوقر تلك الفيله، ثم أركبنى على ظهره، و أخذ بي فى طريق العماره، و اتبعته الفيله.

فلما شارف القرى وقف، و أوماً إلى الفيله فطرحت أحمالها، حتى لم يبق منها شىء، ثم أنزلنى بخرطومه برفق، و تركنى عند الأنبياء، و قد صارت تلاً عظيماً هائلاً.

فجلست عندها متعجباً من سلامتى، و رجع الفيل يريد الصحراء، و رجعت الفيله برجوعه، و أنا لا أصدق بسلامتى، و لا بما شاهدت من عظم فطنه الفيل.

فلما غابت الفيله عنى، مشيت، إلى أقرب القرى إلى، و استأجرت خلقاً كثيراً، حتى خرجوا معى، و حملوا تلك الأنبياء، فى أيام، إلى القرية.

و ما زلت أبيعها فى تلك المدن، حتى حصل لى مال عظيم، كان سبب يسارى [٥٧ ن] و غناى عن صيد الفيله (١).

ص: ١٧٤

١- لم ترد هذه القصه فى م.

حلف بالطلاق أن لا بيت بمناذر

فكان ذلك سببا لإنقاذ شخص من براثن الأسد

و حكى سعد بن محمد [بن عليّ] (١) الأزديّ، الشاعر (٢)، [المعروف بالوحيد] اقال: حدّثني [مروان بن شعيب العدويّ، من عدّيّ ربيعه] (٣)، قال: [و هو بنهر تلّ هوارا، و كان من أهلها، قال] ١:

كنت في حدائتي شديد القوّه و الأيد (٤) - و كانت بنته لما حدّثني، تدلّ على ذلك منه - و كنت عند زوجه لى من عبد القيس في مناذر (٥)، و هي قريبه من تلّ هوارا (٦)، على أربعة فراسخ، و عندي قوم من أهل هواره، و نحن نشرب.

فتفخرنا إلى أن انتهينا إلى تجريد السيوف، فحجز بيننا مشايخ القرية، و بدر لسانى، فحلفت بالطلاق أن لا أبيت بمناذر.

ص: ١٧٧

١- الزيادة من ن ص ٥٨ من المخطوط.

٢- أبو طالب سعد بن محمّد بن عليّ بن الحسن بن سعيد بن مطر بن مالك بن الحارث بن سنان الأزديّ، المعروف بالوحيد: شاعر، نحويّ، لغويّ، أديب، ذكره صاحب اليتيمه ١٣٥/٣ و أورد له مدحا في الوزير أبي نصر سابور بن أزدشير، و وصفه ياقوت في معجم الأدباء ٢٣٣/٤ بالبغدادى، و وصفه التنوخى، بالبصرى، و أحسب أنّه بغدادى أقام بالبصره، و توفى سنه ٣٨٥.

٣- كذا ورد في ن و ه، و في غ و ر: حدّثني رجل من أهل البصره.

٤- الأيد: الشدّه و القوّه.

٥- في الأصل: مناره، و لم أجد ذكرا لموضع ينفرد باسم مناره، في جنوبى العراق، و أحسب أنّ ما أثبتته هو الصحيح، و مناذر: اسم لثلاثه مواضع، مناذر من قرى البطيحه، و مناذر الصغرى، و مناذر الكبرى، بلدتان من نواحي الأهواز (المفترق صقعا لياقوت ٤٠٤).

٦- كذا ورد في غ و ن، و تلّ هوارا: و قد ذكرها صاحب معجم البلدان ٨٧٢/١ و صاحب مراصد الاطلاع ٢٧٣/١ [١] باسم تلّ هواره، قريه من قرى العراق.

فخرجت منها أريد منزلي بتل هوارا، ومعى سيفى و جحفتى (١)، و كان ذلك فى الليل.

فسرت فى الطريق وحدى، و بلغت أجمه (٢) لا بدّ من سلوكها، فلما سرت فيها قليلا، سمعت صياحا شديدا من ورائى، فجزدت سيفى، و رجعت (٣) أطلب الصوت.

فوجدت الأسد قد افترس رجلا، و هو الذى صاح، و رأيتة فى فم الأسد عرضا بشيا به.

فصحت بالأسد، فرمى بالرجل، و رجع إلى، فقالتة ساعه، ثم وثب على وثبه شديده، فلطئت (٤) بالأرض، و جمعت نفسى فى جحفتى، فلشده و ثبته [٢٣٠ ر] جاوزنى، فصار ورائى، فأسرعت الوثوب نحوه، و بعجته بالسيف فى فمه، و كان سيفا ماضيا، فدخل فى فمه و خرج من لبتة (٥)، فخر صريعا يضطرب، فتداركته بضربات كثيره حتى تلف.

و عدت إلى الرجل، فوجدته يتنفس و لا يعقل، فحملته إلى الجاده، و كانت ليله مقمره.

و تأملت الرجل، فإذا هو تاجر من تل هوارا (٦)، أعرفه، فلم تطب نفسى بتركه أصلا، فجعلته عند الجاده، و عدت فأخذت رأس السبع، و حملته و الرجل،

ص: ١٧٨

١- الجحفه: الدرقة، و الترس، راجع حاشيه القصه ٣٦٢.

٢- الأجمه: الشجر الكثير الملتف، و موطن الأسد يسمّى الأجمه، لأنّ الأسود تألف مواضع الشجر الملتف، راجع حاشيه القصه ٤١١.

٣- كذا فى غ، و فى ر: و رددت أطلب الصوت.

٤- لطا بالأرض: لصق بها، و منه سميت القلنسوه اللينه التى تنشئ حافتها على الرأس: لاطئه، لأنها تلصق بجلد الراس، و البغداديون

يلفظونها لاطيه، بالياء، جريا منهم على إبدال الهمزه إذا كانت فى وسط الكلمه بالواو أو الياء تبعا لأصلها، راجع حاشيه القصه ٢٢١

و حاشيه القصه ١٦٧.

٥- اللبّه: موضع القلاده من الصدر.

٦- فى ر: تل الأهواز، و فى ن: من أهل أهوارا.

و حصّلتها في صبيغه كانت عليّ.

و الصّبيغه إزار أحمر يّشخ به [٢٤٥ غ] عرب تلك الناحيه.

و كان الأسد في خلال قتالي إياه قد ضرب فخذي بكفّه، فأحسست به في الحال كغرز الإبره، لما كنت فيه من الهول.

فلما حصلت أمشي حاملا رأس الأسد و الرّجل، أحسست بالألم، و رأيت الدم يجري، و قوّتي تضعف، فصبّرت نفسي حتى بلغت تل هوارا (١٢) و قد أصبحت.

فأنكر أهل القرية حالي، و حال الجرح، فسألوني عن خبري، فالقيت الصّبيغه التي فيها الرّجل و الرأس، فاستهولوا الحال لما حدثهم بها.

و فتشوا الرّجل، فوجدوا في بدنه خدوشا يسيره، فأخذوه، و رمت أن أمشي إلى بيتي، فلم أقدر، حتى حملت، و مكثت في بيتي زمانا، و كنت أعالج نفسي من تلك الجراح مدّه.

و عولج الرّجل فبرأ قبلي بأيّام، و هو حيّ إلى الآن، يسمّيني مولاي، و معتقى، و جراحى -أنا- لصعوبتها تنتقض عليّ في أغلب الأوقات.

قال سعد بن محمد: و أراني الجرح، فكان عظيم الفتح، قال: فلم أعلم سببا لسكرنا و عربدتنا، إلاّ أنّه سبب النجاه لذلك الرّجل (١).

ص: ١٧٩

١- لم ترد هذه القصّه في م.

حيله ابن عرس فى قتل الأفعى

و حكى سعد بن محمد الأزديّ، قال: حدّثنى رجل [يعرف بعبد العزيز بن الحسن الأزديّ] (١) من تجار القصباء بالبصره، قال:

كنت يوما فى القصباء (٢)، و قد أخرج من النهر قصب رطب، فعمل كالباب، على العاده فيما يراد تجفيفه من القصب، و كان يوما صائفا.

و كدنى الحرّ، فدخلت إحدى تلك القباب القصب، و هى تكون بارده جدّا، و عاده التجار أن يستكنّوا بها، فنمت فى القبه، فليبردها استثقلت فى النوم.

فانتبهت بعد العصر، و قد انصرف الناس من القصباء، و هى فى موضع بالبصره، فى أعلاها، معروف، به صحراء و بساتين.

فاستوحشت للوحده، و عملت على القيام، فإذا بأفعى فى غلظ الساق أو الساعد، طويل، متدور على باب القبه كالطبق.

فلم أجد سبيلا إلى الخروج، و يئست من نفسى، و تحيرت، و جزعت جزعا شديدا، و أخذت فى التشهد، و التسبيح، و الفرع إلى الله تعالى.

فإنى لكذلك، إذ جاء ابن عرس من بعيد، فلتمّيا رأى الأفعى، و وقف يتأمّله ثم رجع من حيث جاء، و غاب قليلا، ثم جاء و معه ابن عرس آخر، فوقفا جميعا، الواحد عن يمين القبه، و الآخر عن يسارها، و صار الواحد عند رأس الأفعى، و الآخر عند ذنبها، و الأفعى غافل عنهما، ثم وثبا فى حال واحده، و إذا رأسه و ذنبه فى فم كلّ واحد منهما.

فاضطرب، فلم يفلت منهما، و جزّاه حتى بعدا عن عيني، فخرجت من القبه سالما (٣).

ص: ١٨٠

١- الزيادة من ن.

٢- القصباء: منبت القصب.

٣- لا توجد هذه القصه فى م.

ألقي نفسه على نبات البرديّ فوق علي أسد

و حدّث سعد بن محمد، الوحيد [أيضا، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ الأنصاريّ المقرئ بالرملة] (١)، و كان فارسا [فاتكا] ١ شجاعا
جلدا، قال:

خرجت في قافله من الرملة، صاحبها ابن الحدّاد، و أنا عليّ مهر لي، و عليّ سلاحى.

فبلغنا في ليله مظلمه إلى وادى غارا (٢)، و هو واد عميق جدّا، عمقه نحو فرسخ، في بطنه ماء يجرى، و عليه شجر كثير، و هو مشهور
بالسباع، و الطريق عليّ جنبه من جنباته في مضيق.

فازدحمت القافله، فسقط جمل عليه حمل بزّ، فرأيت صاحبه يلطم و يبكي، و كان موسرا.

فدعا ابن الحدّاد، و قال له: أنت رجل موسر، فما هذا الجزع؟

فقال له: في الحمل البزّ الذى سقط، عشره آلاف دينار [٢٤٦ غ] عينا.

فحطّ ابن الحدّاد القافله، و نادى: من ينزل الوادى، و يتخلّص لنا الحمل أو المال الذى فيه، و له ألف دينار، فلم يجسر أحد عليّ [٢٣١
ر] ذلك.

فلما كرّر النداء جثته، و قلت: تعجّل ليّ الدنانير.

فقال: لا، و لكن أكتب لك بها الساعه كتابا، و أشهد من فى القافله،

ص: ١٨١

١- الزيادة من ن.

٢- كذا وردت فى غ: غارا (بالغين)، و وردت فى الأغاني ٢٠/٢٦٠: قارا (بالقاف)، و فى كتاب نخبة الدهر، فى عجائب البر و
البحر: قارى (بالمقصوره)، و فى تقويم البلدان لأبى الفداء ٢٢٩ و معجم البلدان ١٢/٤ و ١٣ و مراصد الاطلاع ٣/١٠٥٦ [١] و وردت
بلفظه: قاره (بالتاء القصيره)، و هى قريه كبيره، فى منتصف الطريق بين دمشق و حمص، و هى منزله للقوافل، و هى عليّ راس قاره و
بها عيون جاريه.

فإذا صار الجمل و حمله مع ما فيه من المال عندى، فالمال لك.

فكتبنا كتابا بذلك، و أشهدنا عليه، و أعطيتهم دابتي و رحلي، ثم أخذت سيفاً، و جحفه، و شمعته مشتعله، و رمت النزول إلى الوادى.

فرأيت منزلاً - غزنى، فاستعجلت سلوكه، فنزلت ساعه، حتى صرت على جانب من الوادى مشجراً، فإذا فيه أثر الرعاه و الغنم، ثم لم أجد طريقاً إلى أسفل، و كان سيلى أن أرجع، و أرتاد النزول من جهه أخرى.

فحملنى ضيق الوقت، و الحرص على الدنانير، أن جعلت أتوغل، و أنتقل من شجره إلى شجره، و من حجر إلى حجر، حتى حصلت فى جنب الوادى على صخره ملساء بارزه كالرف، ليس لها إلى أسفل طريق البتة.

فأطلعت بالشمعه، فإذا بينى و بين القرار عشرون ذراعاً، و فى أسفل الوادى بردى (1) كثيف يجرى بينه الماء، و له خرير شديد.

فأجمعت على أن ألقى نفسى، فأطفأت الشمعه، و شدتها بحمائل السيف مع الجحفه، و ألقيت ذلك فى موضع علمته عن يمينى، ثم جمعت نفسى فوثبت [٥٨ ن] فى وسط البردى.

فوقعت على شىء ثار من تحتى و نفضنى، و صاح صيحه عظيمه ملاً بها الوادى، و اذا هو أسد، فشقّ البردى و سعى هارباً، فوقف بإزائى من جانب الوادى الآخر.

فطلبت سيفى و جحفتى حتى أخذتهما، و وقفت أنتظر أن يمضى الأسد فأطلب الجمل، فأقبل يريدنى.

فمشيت بين يديه فى البردى، و هو فى أثرى يخوض الماء، و يشقّ البردى، و أنا أخاتله من موضع إلى موضع.

ص: ١٨٢

١- البردى: نبات مائى كالتقصب، كان القدماء يكتبون على قشره، و قد أبقي لنا التاريخ عدداً من هذه الأوراق، بعد آلاف السنين، ممّا يدل على متانتها، و فى العراق يستخرج من البردى ماده صفراء، فيها حلاوه، يسمونها: الخزيط، يأكلها الأطفال.

و طلع القمر، فأبصرت بناء خفيًا، فقصدته، فإذا هو بيت رحي يديرها الماء، فدخلت فيه.

ثم فكّرت، فقلت: هنا مألّف الأسد، والساعة يجيئني، فجنّت إلى شجره كبيره، فقطعتها بالسيف من نصف ساقها، و جررتها من ورائي، و جذبت ساقها، و دخلت إلى بيت الرّحي فامتأّأ الباب بها، و فضلت عنه بشيء كثير، و جلست، و ساق الشجره فى يدى.

فما كان إلّا مقدار جلوسى، حتى أحسست بالأسد يزحم الشجره يريد الدخول إلّى.

قال: فاستندت إلى الحائط، و أمسكت ساق الشجره أدافعه بها، حتى ملّنى و مللته، ثم ربض بأزاء الباب إلى أن أسفر الصبح، فلمّا كادت أن تطلع الشمس مضى.

فأقمت إلى أن انبسطت الشمس، حتى أمنته، ثم خرجت، فما زلت أطلب أثر الجمل حتى انتهيت إليه، فإذا هو قد تقطّع من أثر السقطه، و العدلان مطروحان، و كانوا أمروني بفتقهما، و استخراج المال، و حمله، إن لم أقدر على تخليص الجمل و حمل العدلين، ففعلت ذلك.

و حملت المال على ظهري، و طلبت المصعد، و قد علا الضحى، فصعدت فيه.

فلمّا حصلت برأس الوادى، إذا بباديه مجتازين، فقصدوني، فمانعتهم بالسيف عن نفسى، فلم [٢٤٧ غ] أطقهم، و ضربوني بالسيف.

فقلت لشيخ رأيتة كالرئيس لهم: لى الذمام (١) على ما معى حتى أصدقك، و أنفعك نفعا كثيرا.

فقال: أصدقنى، و لك الذمام.

ص: ١٨٣

١- الذمام: الحرمه.

فحدّثه بالحديث، فأخذوا المال، و ساروا بي معهم، حتى وقفوا على العدلين، فاحتملوهما.

و ضرب الشيخ بيده في المال، فحثا منه ثلاث حثيات (١) فقلت: هذا لا ينفعني إن لم تبلغني مأمني.

فأناخ جملا- فحملني عليه، و سار بي سيرا حثيثا، حتى أراني القافلة على بعد، ثم أنزلني، و قال: إالحق برفقتك، فما عليك من أحد بأس.

فمشيت حتى لحقت القافلة، و قد خبأت تلك الدنانير في سراويلي، فعزّفتهم أنّ المال أخذته البادية، و كتمت ما أعطوني، و أريتهم آثار الضرب، فصدّقوني، و لم يفتّشوني.

فركبت دابّتي و سرت معهم، فدخلنا طبرية (٢)، فشكوا إلى أميرها أبي عثمان بن عقيل، فأسرى إلى الأعراب، فارتجع منهم أكثر المال، و ردّه إلى صاحبه.

و كنت أنا، لما دخلنا طبرية، فارتقتهم، و دخلت إلى دمشق، ثم لحقوني بها.

و بلغني ما ردّ عليهم، فقلت لصاحب المال: قد بذلت مهجتي، و أفلتّ من الأسد، و الموت، مرارا، و من الأعراب، حتى وصل إليك بعض مالك، فلا أقلّ من أن توصل إليّ بعض ما وعدتني، فأعطاني مائتي دينار.

فأضفتها إلى ما أعطانيه الأعراب، فإذا الجميع ستمائة دينار، مع السلامه من تلك الشدائد و الأهوال (٣).

ص: ١٨٤

١- الحثوه، و الحثيه، جمعها حثوات، و حثيات: الغرّفه ملاء الكف.

٢- طبرية: بليده مطلقه على بحيره طبرية من أعمال الأردن، فتحها المسلمون سنه ١٣ (معجم البلدان ٥٠٩/٣)

٣- هذه القصّه لم ترد في م.

كيف نجا من الأسد و الثعبان

و حكى أنّ رجلا وفد على هشام بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد رأيت في طريقى عجا.

قال: و ما هو؟

قال: بينما أنا أسير [٢٣٢ ر] بين جبلى طى (١)، إذ نظرت فإذا عن يمينى أسد كالبعغل، و عن يسارى ثعبان كالجراب، و هما مقبلان علىّ. قاصدان نحوى.

فرفعت رأسى إلى السماء، و قلت:

يا دافع المكروه قد تراهما فنّجنى يا ربّ من أذاهما

و من أذى من كادنى سواهما لا تجعلن شلوى من قراهما

قال: فقر با منى، حتى وصلنا إلى، فتشّمانى، حتى لم أشكّ فى الموت، ثم صدرا عنى، و نجوت (٢).

ص: ١٨٥

١- جيلا طىء: هما أجأ، و سلمى، و منازل طىء فيهما، راجع معجم البلدان ١/١٢٢ و ٢/٢٠ و ٣/١٢٠.

٢- هذه القصّه لم ترد فى م.

قضى ليله مع الأسد في حجره مغلقه الباب

بلغنى عن قاضى القضاء المعروف بأبى السائب، و لم أسمع ذلك منه، قال:

وافيت من همذان أريد العراق، و أنا فقير، و زرت قبر الحسين رضى الله عنه.

فلما انصرفت أريد قصر ابن هبيرة، قيل لى إن الأرض مسبعة، و أشير على أن ألحق بقريه فيها حصن سميت لى، فأوى إليها قبل المساء.

و كنت ماشيا، فأسرعت فى المشى، إلى أن وافيت القرية، فوجدت باب الحصن مغلقا.

فدقت الباب، فلم يفتح لى، و توسلت للقائمين بحراسته، بمن انصرفت من زيارته.

فقالوا: قد أتانا منذ أيام من ذكر مثل ما ذكرت، فأدخلناه، و آوينا، فدل علينا اللصوص، و فتح لهم باب الحصن ليلا، و أدخلهم، فسلمونا، و لكن الحق بذلك المسجد، و كن فيه، لئلا تمسى فيأتيك السبع.

فصرت إلى المسجد، فدخلت بيتا كان فيه، و جلست.

فلم يكن بأسرع من أن جاء رجل على حمار، منصرفا [٢٤٨ غ] من الحائر، فدخل المسجد، و شد حماره فى غلق الباب، و دخل إلى.

و كان معه كزاز (١) فيه ماء، و خرج، فأخرج منه سراجا فأصلحه، ثم أخرج قداحه، ففقدح، و أوقد، و أخرج خبزه، و أخرجت خبزي، و اجتمعنا على الأكل.

فما شعرنا إلا و السبع قد حصل فى المسجد فلما رآه الحمار، دخل إلى البيت الذى كنا فيه، فدخل السبع وراءه، فخرج الحمار و جذب باب البيت بالرسن،

ص: ١٨٦

فأغلقه علينا و على السبع، و صرنا محبوسين فيه، [فحصلنا فى أخبث محصل] (١).

و قدّرنا أنّ السبع ليس يعرض لنا، بسبب السراج، و أنّه إذا طفىء، أكلنا، أو أخذنا.

و ما طال الأمر أن فنى ما كان فى السراج من الدهن، و طفىء، و حصلنا فى الظلمه، و السبع معنا، فما كان عندنا من حاله شىء إلا إذا تنفس، فإنّا [٥٩ ن] كنا نسمع نفسه.

وراث الحمار من فزعه، فملاً المسجد روثاً، و مضى الليل و نحن على حالنا، و قد كدنا نتلف فزعا.

ثم سمعنا صوت الأذان من داخل الحصن، و بدا ضوء الصبح، فرأيناه من شقوق الباب.

و جاء المؤذن من الحصن، فدخل المسجد، فلما رأى روث الحمار، لعن و شتم، و حلّ رسن الحمار من الغلق، فمرّ يطير- من الفزع- فى الصحراء، لعلمه بما قد أفلت منه.

و فتح المؤذن باب البيت ينظر من فيه، فوثب السبع إليه، فدقّه، و حمله إلى الأجمه، و قمنا نحن، و انصرفنا سالمين (٢).

ص: ١٨٧

١- الزيادة من غ.

٢- هذه القصه لم ترد فى م.

أخذه الأسد في المكان

الذي أخذ فيه أباه

بلغنى عن أبى على محمد بن على بن مقله الكاتب، قال:

كنت عند أبى على العلوى بالكوفه، إذ دخل عليه غلام له، فقال: يا مولاي، أخذ الأسد فلانا وكيلك.

فانزعج، وقال: أين أخذه؟

فقال: فى موضع كذا و كذا، و أدخله الأجمه الفلاتيه.

فقال أبو على: لا إله إلا الله، فى هذا اليوم بعينه، أخذ الأسد أباه، و أدخله هذه الأجمه بعينها، منذ كذا و كذا سنه، و اغتم، فسليناه، فعاد إلى شأنه فى المحادثه.

فأنا قاعد عنده أحدثه، إذ دخل عليه غلمانه مبادرين، فقالوا: قد وافى فلان- يعنون ذلك الوكيل- فأذن له، فدخل.

فرحب به أبو على، و سأله عن خبره، فقال:

نعم، أخذنى الأسد، كما شاهدونى، و كنت راكبا، فحملنى بفيه، كما تحمل السنور بعض أولادها، إلا أنه ما كلمنى (١)، و أدخلنى الأجمه، و قد زال عقلى.

و لم أعلم من أمرى شيئا، إلا أنني أفقت فلم أراه، و وجدت أعضائى سالمه، و وجدت حولى من الجماجم و العظام أمرا عظيما، فلم يزل عقلى و قوتى يثوبان إلى أن قمت، و مشيت.

ص: ١٨٨

فعثرت بشيء تأملته، فإذا هو هميان، فأخذته، وشدت به وسطى [٣٣٣ ر]، و مشيت إلى أن بعدت عن الموضوع، فوصلت إلى شبيه
بوهده، فجلست فيها، و غطيت نفسى بما أمكننى من القصب بقيه ليلتى.

فلما طلعت الشمس أحسست بكلام المجتازين، و حوافر بغالهم، فخرجت و عرّفتهم قصّتى، و ركبت بغل أحدهم.

فلما بعدت عن الأجمه، و أمنت على نفسى، فتحت الهميان، فإذا فيه رقعه بخطّ أبى، بأصل ما كان فى الهميان من الدنانير، و بما
أنفقه، فإذا هو هميان أبى الذى كان فى وسطه لما افترسه السبع.

فحسبت المصروف، و وزنت [٢٤٩ غ] الباقى، فإذا هى بأزاء ما بقى من الأصل، ما نقصت شيئاً.

قال: و أخرج الهميان، و فتحه، و أخرج الرقعه، فقال أبو على: نعم، هذا خطّ أبيك.

و عجبت الجماعه من ذلك (١).

ص: ١٨٩

١- لم ترد هذه القصّه فى م.

نجا من الأسد و افترس مملوكه

و بلغنى عن رجل من أهل الأنبار، قال:

خرجت إلى ضيعه لى فى ظاهر الأنبار (١)، راكبا دابّه لى، و معى مملوك لى أسود فى نهايه الشجاعه.

فلما صرنا فى بعض الطريق، بالقرب من الموضع الذى أنا طالبه، إذ نشأت سحابه، فأمرت، و كان المساء قد أدركنا، فملنا إلى قباب كانت فى الطريق للسابله، فلجأنا إليها، فقوى المطر حتى منعنا من الحركة، فأشار الغلام علىّ بالمبيت.

فقلت له: نخاف اللصوص و يلك.

فقال لى: تخاف و أنا معك؟

قلت: فالسبع؟

قال: نصير الدابّه داخل القبّه، و أنت تليها، و أنا عند الباب، و أشدّ وسطى بالحبل الذى معنا، و أشدّ طرفه برجلك، حتى لا يأخذنى النوم، فإن جاء الأسد، أخذنى دونك.

و ما زال يحسن لى ذلك رأى حتى أطعته، و ملنا إلى إحدى القباب، و دخلناها، و فعل ما قال.

فو الله ما مضت قطعه من الليل، حتى جاء الأسد، فأخذ الأسود فدقّه، و احتمله، و جر رجلى المشدوده معه فى الحبل.

ص: ١٩٠

١- الأنبار: مدينه على الفرات، غربى بغداد، بينهما عشره فراسخ، عمرها الفرس، و جدّدها السفّاح، و أقام بها إلى أن مات، سمّيت الأنبار لأنّه كان يجمع فيها أنابير الحنطه و الشعير و القتّ و التبن، فتحها خالد بن الوليد فى السنه ١٢ فى عهد الصديق أبى بكر (معجم البلدان ١/٣٦٧) [١] أقول: حلّت محلّها الآن البلده المسّماه الفلّوجّه.

فلم يزل يجزني على الشوك و الحجاره، إلى أن صار بي إلى أجمته، و أنا لا أعقل شيئاً من أمرى، و لا أحسّ بأكثر ما يجرى، و لا تمييز لى يؤدى بي إلى الاجتهاد فى حلّ الحبل من رجلى.

ثم رمى بالأسود، و ربض عليه، و ما زال يأكل منه، حتى شبع، و ترك ما فضل منه، و ليس فى من حسّ الحياه غير النظر فقط، ثم مضى، فنام بالقرب من مكاننا.

و بقيت زماناً على تلك الحال، ثم سكن روعى، و رجعت إلى نفسى، لطول مكث الأسد فى نومه، فحللت رجلى من الحبل، و قمت أدب، فعثرت بشيء لا أدرى ما هو، فأخذته، فإذا هميان ثقيل، فشدته على وسطى، و خرجت من الأجمه، و قد قارب الصبح أن يسفر.

و صرت إلى القبه التى فيها دابّتى، فإذا هى واقفه بحالها، فأخرجتها، و ركبتها، و انصرفت إلى منزلى، و فتحت الهميان، فوجدت فيه جمله دنانير.

فحمدت الله تعالى على السلامه و بقى الرعب فى قلبى، و التأم فى بدنى، مدّه (١).

ص: ١٩١

١- لم ترد هذه القصه فى م.

فيمن اشتدّ بلاؤه بمرض ناله فعافاه الله سبحانه بأيسر سبب و أقاله

٤٣٢

دعاء يشفى من الوجع

[حدّثني علي بن عمر بن أحمد الحافظ، من حفظه، قال: حدّثنا أبو بكر النيسابوري (١)، قال: حدّثنا أبو بشر بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا عبد الله بن وهب (٢) أنّ مالكا، أخبره عن يزيد بن خصيفه (٣)، عن عمرو بن عبد الله بن كعب السلميّ (٤) عن نافع بن جبير بن مطعم (٥)، [٦] عن عثمان بن أبي العاص الثقفي (٧)، قال:

شكوت إلى رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، وجعا بي، قد كاد يبطلني، فقال لي: يا

ص: ١٩٢

-
- ١- أبو بكر عبد الله بن محمّد بن زياد النيسابوري الفقيه الشافعي (٢٣٨-٣٢٤): ترجم له صاحب اللباب ٢٥٢/٣.
 - ٢- أبو محمّد عبد الله بن وهب بن مسلم البصري: ترجم له صاحب الخلاصه، ص ١٨٥ و قال: إنّه توفّي سنة ١٩٩ عن ٧٤ سنة، و سماه صاحب ميزان الاعتدال ٥٢١/٢: المصري.
 - ٣- يزيد بن خصيفه: ذكره صاحب الخلاصه ٣٧٠.
 - ٤- عمرو بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري السلميّ: ترجم له صاحب الخلاصه ٢٤٧.
 - ٥- نافع بن جبير بن مطعم المدني: ترجم له صاحب الخلاصه ٣٤٣.
 - ٦- الزيادة من غ.
 - ٧- أبو عبد الله عثمان بن أبي العاص الثقفي، نزيل البصره: ترجم له صاحب الخلاصه ٢٢٠، و قال إنّه توفّي سنة ٥١.

عثمان، ضع يدك عليه، وقل: بسم الله، أعوذ بعزّه الله و قدرته، من شرّ هذا الوجع، و من شرّ ما أجد و أحاذر، سبع مرّات.

قال: فقلتها، فشفاني الله (١). [٢٥٠ غ]

ص: ١٩٣

١- لم ترد هذه القصّه في م.

وجأ نفسه بسكين فعوفى من مرضه

[حدّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد الوراق (١)، قال: حدّثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثني محمّد بن الضحّاك، عن أبيه، ومحمّد بن سلام] (٢) عن أبي جعده، قال:

برص (٣) أبو عزّه الجمحيّ الشاعر (٤)، فكانت قریش لا تؤاكله، ولا تجالسه، فقال: الموت خير من هذه الحياه.

فأخذ حديده، ودخل بعض شعاب مكّه، فطعن بها في معدّه. والمعدّ:

موضع عقبى الزاكب من الدابّه.

ص: ١٩٤

١- كذا ورد في جميع النسخ، ولعلّه أحمد بن عبد الله بن خلف الوراق: ترجمته في حاشيه القصّه ٢٦ من هذا الكتاب.

٢- الزيادة من غ.

٣- البرص: مرض يصيب الجلد، فيحدث فيه بقعا بيضاء، وقد يسمّى: الوضح، والبرش، للبياض الذي فيه، ولذلك لُقّب جذيمه ثالث ملوك الدوله التنوخيّه في العراق، بالأبرش، والوضّاح، لبرصه (الأعلام ١٠٥/٢)، و [١] كان العرب يجتنبون مؤاكله الأبرص و معاشرته، وقد رفض النعمان بن المنذر مناديه الربيع بن زياد و مؤاكلته، لمجرّد اتّهامه بالبرص (خزانه الأدب للبغدادي ١٧١/٤- ١٧٦) و [٢] جعل العرب للبرص ترتيبا، حسب استفحاله، فإن كان لمعا في الجسد، فهو مولّع، فإن زادت، فهو ملّمع، فإن زادت، فهو أبقع، فإن زادت فهو أقشر (فقه اللغه ١٤٢)، وقد أورد ابن قتيبه في كتابه المعارف (ص ٥٨٠-٥٨٢) ثبتا بأسماء البرص المشهورين، و أفرد الشيخ الرئيس ابن سينا في الكتاب الرابع من كتابه القانون في الطب ج ٣ ص ٢٨١-٢٨٧ فصلا في البهق و الوضح و البرص الأبيض و الأسود، و علاجها.

٤- أبو عزّه عمرو بن عبد الله بن عثمان الجمحي: شاعر جاهلي، من أهل مكّه، أدرك الإسلام، و أسر يوم بدر و هو مشرك فمنّ عليه رسول الله صلوات الله عليه، و أطلقه بعد أن تعهّد له أن لا يظاھر عليه، ثم أسره ثانيا في وقعه أحد، فقتله (الأعلام ٢٥١/٥).

قال أبو جعده: فمَرَّت الحديده بين الجلد و الصَّفاق (١)، فسال منه ماء أصفر، و برىء لوقته، فقال:

اللَّهُمَّ رَبِّ وائل و نهد و المهمات و الجبال الجرد

[قال مؤلّف هذا الكتاب: و الذى فى كتاب الطّوسى: لا همّ (٢)، و هو الصواب عندى.] (٣)

و ربّ من يرعى بياض نجد أصبحت عبدا لك و ابن عبد

أبرأتنى من وضح فى جلدى من بعد ما طعنت فى معدى (٤)

ص: ١٩٥

١- الصفاق: الجلد الأسفل الذى يمسك البطن، و هو إذا انشقّ كان منه الفتق.

٢- لا همّ: مخفّف اللّهم، للدعاء.

٣- الزيادة من ن.

٤- لا توجد هذه القصّه فى م.

يا قديم الإحسان لك الحمد

حدّثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخيّ، قال:

كان ينزل باب الشام (١) من الجانب الغربيّ من بغداد رجل [٢٣٤ ر] مشهور بالزهد و العباده، يقال له: لبيب العابد، لا يعرف إلاّ بهذا.

و كان الناس يتتابونه، و كان صديقا لأبي، فحدّثني لبيب، قال:

كنت مملوكا روميا لبعض الجند، فربّاني، و علّمني العمل بالسلاح، حتى صرت رجلا، و مات مولاي بعد أن أعتقني.

فتوصّلت إلى أن حصلت رزقه لي، و تزوّجت بامرأته، و قد علم الله أنّني لم أرد بذلك إلاّ صيانتها، فأقمت معها مدّه.

ثم اتّفق أنّي رأيت يوما حيّه داخله في جحرها، فأمسكت ذنبها، فانشئت عليّ، فنهشت يدي، فشلت.

و مضى عليّ ذلك زمان طويل، فشلت يدي الأخرى، لغير سبب أعرفه، ثم جفّت رجلاي، ثم عميت، ثم خرس.

و كنت عليّ ذلك الحال -ملقى- سنه كامله، لم تبق لي جارحه صحيحه، إلاّ سمعي، أسمع به ما أكره، و أنا طريح عليّ ظهري، لا

أقدر عليّ الكلام، و لا عليّ الحركة، و كنت أسقى و أنا ريّان، و أترك و أنا عطشان، و أهمل و أنا جائع، و أطعم و أنا شبعان.

فلما كان بعد سنه، دخلت امرأه إلى زوجتي، فقالت: كيف أبو عليّ، لبيب؟

ص: ١٩٦

١- باب الشام: محلّه كانت بالجانب الغربيّ من بغداد (معجم البلدان ١/٤٤٥).

فقال لها زوجتي: لا حى فيرجى، و لا ميت فيسلى.

فأقلقنى ذلك، و آلمنى ألما شديدا، و بكيت، و رغبت إلى الله عزّ و جلّ فى سرّى بالدعاء.

و كنت فى جميع تلك العلل لا- أجد ألما فى جسمى، فلتّما كان فى بقيه ذلك اليوم، ضرب علىّ جسمى ضربانا عظيما كاد يتلفنى، و لم أزل على ذلك الحال، إلى أن دخل الليل و انتصف، فسكن الألم قليلا، فنمت.

فما أحسست إلاّ و قد انتبهت وقت السحر، و إحدى يديّ على صدرى، و قد كانت طول هذه السنه مطروحه على الفراش لا تنشال أو تشال.

ثم وقع فى قلبى أن أتعاطى تحريكها، فحركتها، فحرّكت، ففرحت بذلك فرحا شديدا، و قوى طمعى فى تفضّل الله عزّ و جلّ علىّ بالعافيه.

فحرّكت [٢٥١ غ] الأخرى فحرّكت، فقبضت إحدى رجليّ فانقبضت، فرددتها فرجعت، ففعلت مثل ذلك مرارا.

ثم رمت الانقلاب من غير أن يقلبنى أحد، كما كان يفعل بى أولا، فانقلبت بنفسى، و جلست.

و رمت القيام فأمكننى، فقممت و نزلت عن السرير الذى كنت مطروحا عليه، و كان فى بيت من الدار.

فمشيت ألتمس الحائط فى الظلمه، لأنه لم يكن هناك سراج، إلى أن وقعت على الباب، و أنا لا أطمع فى بصرى.

فخرجت من البيت إلى صحن الدار، فرأيت السماء و الكواكب تزهر، فكادت أموت فرحا.

و انطلق لسانى بأن قلت: يا قديم الإحسان، لك الحمد.

ثم صحت بزوجتى، فقالت: أبو علىّ؟

فقلت: الساعه صرت أبو علىّ؟ أسرجى، فأسرجت.

فقلت: جيئني بمقراض، فجاءت به، فقصصت شاربا لي كان بزى الجند.

فقال زوجتي: ما تصنع؟ الساعة يعيبك رفاؤك.

فقلت: بعد هذا لا أخدم أحدا غير ربّي.

فانقطعت إلى الله عزّ وجلّ، وخرجت من الدار، وطلّقت الزوجه، و لزمّت عباده ربّي.

و قال أبو الحسن: و خبر هذا الرجل معروف مشهور، و كانت هذه الكلمه:

يا قديم الإحسان لك الحمد، صارت عادته، يقولها في حشو كلامه.

و كان يقال إنّه مجاب الدّعوه، فقلت له يوما: إنّ الناس يقولون إنك رأيت النبيّ صلّى الله عليه و سلّم في منامك، فمسح يده عليك، فبرئت.

فقال: ما كان لعافيتي سبب غير ما عرّفتك (١).

ص: ١٩٨

١- لم ترد هذه القصّه في م، و وردت القصّه في نشوار المحاضره ج ٢ ص ٢٨٧ [١] رقم القصّه ١٤٩/٢، و فيها الزيادة التاليه: قال: و قال لي: كان لي قراح على شاطئ دجله، بالمدائن، و كان فيه تلال، و أشياء ينبغي أن تستخرج، و يطمّ بها مواضع فيه، فتحتاج إلى رجال كثيره، فكنت ليله فيه، و كانت قمراء، فاجناز بي خلق كثير من الفعله، قد انصرفوا من عمل بثق، فرأوني، فعرفوني، فقلت لهم: هل لكم أن تكسحوا هذا القراح الليله، و تسوّوا تلولة بالأرض، و تأخذوا منّي كذا و كذا، فقالوا: نعم، أتحنفنا بالأجره، فعملوا ذلك، فأصبحنا، و قد صار أرضا مستويه، فقلت العامه: الملائكه أصلحوه، و كذبوا، ما كان غير هذا.

أبرأ أبو بكر الرازي

غلاما ينفث الدم بإطعامه الطحلب

حدّثني أبو الحسن محمّد بن علي الخلال البصرى، أحد أبناء القضاء، قال: حدّثني بعض أهل الطب الثقات:

أنّ غلاما من بغداد قدم الرىّ و هو ينفث الدم، و كان لحقه ذلك فى طريقه.

فاستدعى أبا بكر الرازى (١) الطبيب المشهور بالحدق، صاحب الكتب المصنّفه، فوصف له ما يجد.

فأخذ الرازى مجسّه (٢)، و رأى قارورته (٣)، و استوصف حاله، منذ ابتداء ذلك به، فلم يقيم له دليل على سلّ و لا قرحه، و لم [٢٣٥] ر[يعرف العله، فاستنظر الرجل ليفكّر فى الأمر.

فقامت على العليل قيامته، و قال: هذا إياس لى من الحياه، لحدق الطبيب، و جهله بالعه، فازداد ما به.

و وُلد الفكر للرازى أن عاد إليه و سأله عن المياہ التى شربها فى طريقه، فأخبره أنّه شرب من مستنقعات و صهاريج.

فقام فى نفس الرازى، لحدّه خاطر و جوده الذكاء، أنّ علقه كانت فى الماء و قد حصلت فى معدته، و أنّ ذلك النفث من فعلها.

ص: ١٩٩

١- أبو بكر محمّد بن زكريا الرازى (٢٥١-٣١١): فيلسوف، إمام فى الطبّ، تولّى تدبير مارستان الرىّ، ثمّ مارستان بغداد، و فى تاريخ وفاته اختلاف (تاريخ الحكماء ٢٧١-٢٧٧، الأعلام ٣٦٤/٦).

٢- المجسّ: النبض.

٣- القاروره: هنا، كناية عن البول، لأنّ الطبيب العربى كان إذا فحص المريض، عرض عليه بوله فى قاروره.

فقال له: إذا كان غدا جئتك بعلاجك، و لا- أنصرف من عندك حتى تبرأ بإذن الله تعالى، و لكن بشرط أن تأمر غلمانك يطيعونني فيما أمرهم به.

قال: نعم.

و انصرف الرازى، و جمع ملء مركنين (١) كبيرين من طحلب، و أحضرهما من غد معه، و أراه إياهما.

و قال له: ابلع جميع ما فى هذين المركنين، فبلع الرجل شيئاً يسيراً، ثم وقف.

فقال له: ابلع.

فقال: لا أستطيع.

فقال [٢٥٢ غ] للغلمان: خذوه، فتيّموه (٢)، ففعلوا به ذلك، و فتحوا فاه، و أقبل الرازى يدير (٣) الطحلب فى حلقه، و يكبسه كبساً شديداً و يطالبه ببلعه، شاء أو أبى، و يتهدّده بالضرب، إلى أن بلع كارها أحد المركنين، و هو يستغيث فلا ينفعه مع الرازى شىء.

إلى أن قال له العليل: الساعه أقذف ما فى بطنى، فزاد الرازى فيما يكبسه فى حلقه.

فذرعه القىء، ففقد، فتأمّل الرازى قذفه، فإذا فيه علقه، و إذا بها لَمّا وصل إليها الطحلب، دبّت إليه بالطبع، و تركت موضعها، فلمّا قذف العليل، خرجت مع الطحلب، و نهض العليل معافى (٤).

ص: ٢٠٠

١- المركن: و جمعها مراكن، الأجانة.

٢- تيّموه: لغه بغداديه فى: تؤمّوه، مستعمله إلى الآن ببغداد.

٣- يدير: لغه بغداديه بمعنى: يصبّ، مستعمله إلى الآن ببغداد.

٤- لا توجد فى هذه القصّه فى م.

أصيب بوجع فى المعده

و شفاه لحم جرو سمين

و حكى الحسن بن محمّد السطوى (١)، غلام كان يخدم أبى رحمه الله [٦١ ن]، قال: حدّثنى أبو الحسن على بن الحسن الصيدلانى [البناتاذرى] (٢)، خليفه القاضى أبى القاسم على بن محمّد التنوخى على القضاء بيناتاذر (٣) [٤]، قال:

كان عندنا بسوق الأربعاء (٥)، من بناتاذر، غلام حدث من أولاد التّناء (٦)، لحقه وجع فى معدته شديد، بلا سبب يعرفه، و كانت تضرب عليه فى أكثر الأوقات ضربانا عظيما، حتى كاد يتلف، و قلّ أكله، و نحل جسمه.

فحمل إلى الأهواز، فعولج بكلّ شىء، فما نجع فيه دواء، فردّ إلى بيته و قد يئس منه.

فاستدعى والده طبيبا حاذقا، و أراه ولده، فقال له الطبيب: أقعد و اشرح لى حالك، منذ حال الصحّة، فشرحها.

و طاوله فى الحديث، إلى أن قال له العليل: إنى دخلت بستانا لنا، و كان

ص: ٢٠١

١- فى ن: الشطوى، راجع اللباب ١٩/٢.

٢- فى الأصل: السارادارى، و الصحيح ما أثبتناه.

٣- فى الأصل: سارادر، محرّفه عن: بناتاذر، و هى مدينه فى أسافل الأهواز، انتقل إليها أبو عبد الله البريدى من باسيان فى السنه ٣٢٦، راجع تجارب الأمم ٣٨١/١ و ٣٨٢.

٤- الزيادة من غ.

٥- سوق الأربعاء: بليد فى نواحى الأهواز، على نهر، ذات جانين، و بها سوق، بينها و بين عسكر مكرم سته فراسخ (معجم البلدان ١٨٤/١ و ١٩٣/٣).

٦- فى ه: من أولاد آذر.

فى بيت البقر منه، رمان كثير، قد جمع للبيع، فأكلت منه رمانات عدّه.

فقال له الطيب: كيف كنت تأكل؟

قال: كنت أعضّ رأس الرمانه بفمى، و أرمى به، و أكسرهما، و أكلها، قطعاً قطعاً.

فقال له الطيب: فى غد أعالجك، و تبرأ بإذن الله تعالى، و خرج.

فلما كان من الغد، جاءه بقدر إسفيدباج (1)، قد طبخها بلحم جرو سمين، و قال للعليل: كل هذا.

فقال: ما هو؟

قال: إذا أكلت عرفتك.

قال: فأكل العليل.

فقال له الطيب: امتل من الطعام، ففعل، ثم أطعمه بطيخاً كثيراً، ثم تركه ساعه، و سقاه فقاعاً قد خلط بماء حار و شبت (2).

ثم قال: أتدرى أى شىء أكلت؟

قال: لا أدرى.

قال: أكلت لحم كلب، فحين سمع الغلام ذلك، اندفع فقذف جميع ما فى بطنه.

فأمر الطيب بعينه و رأسه فأمسكا، و أقبل يتأمل القذف، إلى أن طرح

ص: ٢٠٢

١- الاسفيدباج: طعام من اللحم و دهن الأليه و الكسفره (يسمىها البغداديون كزبره) و الكميون و الحمص و البصل و عيون البيض، راجع التفصيل فى كتاب الطيخ للبغدادى ٣١ و ٣٢.

٢- الشبت: بقله معروفه، ذات رائحه نفاذه، ذكرها ابن سينا فى القانون ١/٤٣٧ و ابن البيطار فى الجامع لمفردات الأدوية و الأغذيه ٥٠/٣ و نقل عن المنصورى: أن كأمخ هذه البقله جيّد لمن أراد أن يتقيّاً، أقول: و البغداديون يسمون هذه البقله: الشبت، و ربما أبدلوا التاء بالدال، و يكثر استعمالهم لهذه البقله، فى فصل الربيع، عند طبخ «تمن الباقلى» حيث يطبخ الأرز بالباقلى و لحم الحمل (و يسمونه القوزى)، و يضاف إليه الشبت.

الغلام شيئاً أسود، كالنواه الكبيره (١)، يتحرّك.

فأخذه الطبيب، وقال له: ارفع رأسك، فقد برئت، و فرّج الله تعالى عنك.

فرفع الغلام رأسه، وانقطع القذف، و سقاه الطبيب شيئاً يقطع الغثيان، و صبّ على رأسه ماء ورد، و سكن نفسه، ثم أخذ ذلك الشيء الذى يشبه النواه، فأراه إياه، فإذا هو قراد (٢).

و قال له: إنى قد زكنت أنّ الموضع الذى كان فيه الرمان، كان فيه قردان من البقر، و أنّه قد دخلت واحده منهمّ فى رأس إحدى الرمانات التى اقتلعت رؤوسها بفيك، فنزل القراد [٢٥٣ غ] إلى حلقك، و علق بمعدتك يمتصّها.

و علمت أنّ القراد يهشّ إلى لحم الكلب، فأطعمتك إياه، و قلت: إن صحّ [٢٣٧ ر] ظنى، فسيتعلّق القراد بلحم الكلب، تعلقاً يخرج معه إن قذفت، فتبرأ، و إن لم يكن ما ظننت صحيحاً، فما يضرك من أكل لحم الكلب.

فلما أحبّ الله تعالى من عافيتك صحّ حدسى، فلا تعاود بعد هذا إدخال شيء فى فيك لا ترى ما فيه.

و برىء الغلام، و صحّ جسمه (٣).

ص: ٢٠٣

١- النواه: عجمه التمر و نحوه، أى حبّه و بذره، جمعها نوى و نويات، و جمع الجمع: أنواء و نوى، و هى تذكّر و تؤنّث، و البغداديون يلفظونها: نوايه.

٢- القراد: راجع حاشيه القصّه ٤٤٢ من هذا الكتاب.

٣- لا توجد هذه القصّه فى م.

ذكاء طيب أهوازي

و حدّثنا الحسن [غلامنا] (١)، عن ابن الصّيدلاني [هذا] (٢)، قال:

كان لي أكار حدث، فانتفخ ذكره انتفاخا عظيما و احمزّ، و ضرب عليه ضربانا شديدا، فلم يكن ينام الليل، و لا يهدأ النهار، و عولج فلم يكن إلى برئه سبيل.

قال: فجاء مطبّب من الأهواز، يريد البصره، فسألته أن ينظر إليه.

فقال لي: قل له يصدقني عن خبره في أيام صحته، و إلى الآن، قال:

فحدّثه.

فقال له: ما صدقتني، و مالي إلى علاجك سبيل، إلا أن تصدقني.

فقال لي الغلام: إن صدقتك يا أستاذ، فأنا آمن من جهتك على نفسي؟

قلت: نعم.

فقال: أنا غلام حدث، و عذب، فوطئت حمارا لي في الصحراء ذكرا.

فقال له الطيب: الآن علمت أنك قد صدقت، و الساعه تبرأ.

ثم أمر به فأمسك إمساكا شديدا، و أخذ ذكره بيده، فجسّه جسّا شديدا، و الغلام ساكت.

إلى أن جسّ منه موضعا، فصاح الغلام، فأخذ الطيب خيط إبريسم، فشدّ الموضع شدا شديدا، و لم يزل يمرخ إحليل الغلام بيده، و يسلته (٣)، إلى أن

ص: ٢٠٤

١- الزيادة من غ و ن.

٢- أبو الحسن علي بن الحسن الصّيدلاني، الوارد ذكره في القصّه السالفه.

٣- السلت: ورد هنا بمعنى المسح، يقال: سلّت المرأة الخضاب بمعنى مسحته و ألقته.

نَدَّتْ مِنْهُ حَبَّةٌ (١) شَعِيرٍ مِنْ نَقَبِ ذَكَرِ الْغَلَامِ، وَقَدْ كَبُرَتْ وَجَرَحَتْ الْمَوْضِعَ، فَسَالَ مِنْهُ شَيْءٌ يَسِيرٌ كَمَا لَحْمٌ.

فَأَعْطَاهُ مَرْهَمًا، وَقَالَ لَهُ: اسْتَعْمَلْ هَذَا أَيَّامًا فَإِنَّكَ تَبْرَأُ، وَتَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مِثْلِ هَذَا الْفِعْلِ.

فَاسْتَعْمَلَ الْغَلَامُ ذَلِكَ الْمَرْهَمَ، فَبُرِيَءَ (٢).

ص: ٢٠٥

١- فِي غ: انْقَطَعَتِ الْقِصَّةُ، وَ مَا بَعْدَهَا فَرَاغٌ.

٢- لَمْ تَرُدْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي م.

شج رأسه فمرض

ثم شج بعدها فصلاح

و حدّثني أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن عبيد الله الدقاق، المعروف بابن العسكري (١)، [شيخ مجرّب ثقة، كان ينزل في درب الشاكريه من نهر المعلّى، في الجانب الشرقي] (٢) من بغداد، في المذاكرة، قال:

كان أبي (٣) إذا جلس يفتش في دفاتره، وأنا صبيّ، أجيء فأخذ منها الشيء بعد الشيء، استحسنه، فألعب به.

و كنت أرى في دفاتره دفتره فيه خطوط حمر، فأستحسنه و أطلبه فيمنعني منه، حتى بلغت مبلغ الرجال.

فجلس يوماً يفتش كتبه، فرأيت الدفتر، فأغفلت أبي و أخذته، ففتحتة أقرؤه، فإذا هو مولدى، و قد عمله بعض المنجمين.

فوجدت فيه، أننى إذا بلغت أربعاً و ثلاثين سنة، كان علىّ فيها قطع.

فالتفت أبى فرأى الدفتر معى، فصاح و أخذه منى، و نظر إلى أىّ موضع

ص: ٢٠٦

١- أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن عبيد بن أحمد بن مخلد بن أبان الدقاق، المعروف بابن العسكري (٢٨٦-٣٧٥): [١] ترجم له الخطيب في تاريخه ١٠٠/٨.

٢- الزيادة من ن.

٣- أبو الحسين محمّد بن عبيد بن أحمد بن مخلد بن أبان الدقاق، المعروف بابن العسكري، والد أبى عبد الله العسكري: ترجم له الخطيب في تاريخه ٣٧٠/٢.

بلغت،فتوقّف و أخذ يضعف ذلك في نفسى لثلاً أعتَمّ.

و مضت السنون،فلَمّا بلغت السنه التى ذكرها المنجّم،ركبت مهرا لى، و خرجت من دار الضرب (١)،و أبى فيها،و كان إليه العيار (٢)،فبلغت إلى ساباط (٣)بدرب سيما،بدرب الديرج.

ففر المهر من كلب كان فى الطريق رابضاً،فضرب رأسى حائطاً كان فى الساباط،فوقعت عن المهر مغشياً علىّ.

ثم حملت إلى دار الضرب،و أحضر طبيب،و قد انتفخ موضع الضربه من رأسى إنتفاخاً عظيماً،فأشار بفصدى،ففصدت فلم يخرج لى دم.

فحملت إلى بيتنا،و لم أشكّ فى أنى مَيّت لشدّه ما لحقنى،فاعتللت، و ضعفت نفسى خوفاً مما ذكرته من حكم المنجّم.

فكنت يوماً جالسا مستندا إلى سريرى،و قد أيست من الحياه،إذ حملتنى عيناي،فخفق رأسى (٤)،فضرب درابزين (٥)السرير،فشجّ الموضع المنتفخ،فخرج منه أرتال دم،فخفّ ما بى فى الحال،فصلحت،و برئت،و عشت إلى الآن.

و كان له يوم حدّثنى بهذا الحديث أربعاً و ثمانين سنه و شهور (٦)،على ما أخبرنى (٧).

ص:٢٠٧

١- دار الضرب:الموضع الذى تسكّ فيه النقود المعدّيه،و كان المكلف بسكّها يثبت فى أحد وجهيها، أنّه ضرب بمدينه كذا،فى سنه،كذا،قال الشاعر: لا يألف الدرهم المضروب صرّتنا لكن يمرّ عليها و هو منطلق

٢- العيار:النظام،و المقياس،و عيار المسكوكات النقديّه،ما فيها من الفصّه و الذهب،و كان هذا العمل يناط بالثقه الأمين،و أغلب ما يودع لأحد القضاء،كى لا يتلاعب عمّال دار الضرب بالعيار.

٣- الساباط:السقيفه بين دارين،بينهما طريق.

٤- خفق برأسه:حرّكه و هو ناعس.

٥- الدرابزين:الحاجز المتكوّن من قوائم من الخشب أو الحديد يعلوها متكأ،قال صاحب المنجد: إنّها يونانيه،و قال صاحب الألفاظ الفارسيّه المعريّه ٦٠ إنّها فارسيّه،و البغداديون يسمّون الدرابزين: المحجّر،فصيحه من الحجر،و هو المنع،لأنّ المحجّر،يحفظ من السقوط.

٦- يعنى أنّه حدّثه بهذا الحديث فى السنه ٣٧٠.

٧- لم ترد هذه القصّه فى م و لا فى غ.

القطيعى الطيب و ذكاؤه و مكارم أخلاقه

و حدّثنى أبو الحسن على بن أبى محمّد الحسن بن محمّد الصلحيّ الكاتب، قال:

رأيت بمصر طبيبا [٦٢ ن] مشهورا يعرف بالقطيعى، و كان يقال: إنّه يكسب فى كلّ يوم ألف درهم (١)، من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر، و من السلطان، و ما يأخذه من العامّة.

قال: و كان له دار قد جعلها شبه البيمارستان (٢)، من جمله داره، يأوى إليها ضعفاء الأعلّ، يعالجهم، و يقوم بأودهم [٢٣٧ ر] و أدويتهم، و أغذيتهم، و خدمتهم، و ينفق أكثر كسبه فى ذلك.

قال أبو الحسن: فأسكت (٣) بعض فتيان الرؤساء بمصر - و أسماه لى، فذهب عنى اسمه - و كنت هناك، فحمل إليه أهل الطبّ، و فيهم القطيعى، فأجمعوا على موته، إلاّ القطيعى، و عمل أهله على غسله و دفنه.

فقال القطيعى: دعونى أعالجه، فإن برىء، و إلاّ فليس يلحقه أكثر من الموت الذى أجمع هؤلاء عليه.

فخلّاه أهله معه، فقال: هاتم غلاما جلدا (٤) و مقارع، فأتى بذلك.

ص: ٢٠٨

١- فى نشوار المحاضره ج ٣ ص ١٥٢ [١] رقم القصّه ١٠٦/٣: إنّه كان يكسب فى كلّ شهر ألف دينار.

٢- البيمارستان: محلّ معدّ لمعالجه المرضى و إقامتهم، و الكلمه فارسىّه: بيمار: مريض، و ستان: محلّ، (الألفاظ الفارسىّه المعربه ٣٣) و يسمّى بالتركيه: خسته خانه، خسته: مريض، و خانه: محلّ، و البغداديون يسمّونه الآين: مستشفى، و كان عامّتهم فى العهد العثمانى، يسمّونه: قصطخانّه، تحريف: خسته خانه.

٣- أسكت: انقطع كلامه.

٤- الجلد: الشديده، القويّ.

فأمر به فمدّ، و ضرب عشر مقارع من أشدّ الضرب، ثمّ جسّ مجسّه، و ضربه عشرا أخرى شديده أيضا، ثمّ جسّ مجسّه، و ضربه عشرا أخرى.

ثمّ جسّ مجسّه، و قال للطّب: أ يكون للميت نبض يضرب؟

فقالوا: لا.

قال: فجسّوا نبض هذا.

فجسّوه، فإذا به يتحرّك، فضرب عشر مقارع أخرى، فصاح.

فقطع الضرب عنه، فجلس العليل يجسّ بدنه، و يتأوّه، و قد ثابت إليه قوّته.

فقال له الطيب: ما تجد؟

قال: أنا جائع.

قال: أطعموه الساعة، فجاءوه بما أكله، و قمنا و قد رجعت قوّته، و برىء.

فقال له الطّب: من أين لك هذا؟

قال: كنت مسافرا في قافله فيهم أعراب يخفروننا، فسقط منهم فارس عن فرسه، فأسكت، فعمد شيخ منهم إليه، فضربه ضربا عظيما، فما رفع عنه الضرب حتى أفاق، فعلمت أنّ ذلك الضرب جلب عليه حراره أزالته سكتته.

فقسّ عليه أمر هذا العليل (١).

ص: ٢٠٩

١- لم ترد هذه القصّه في م، و لا- في غ، و وردت في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى، برقم القصّه ١٠٦٣.

مريض بالاستسقاء تشفيه أكله جراد

حدّثني بعض المتطبّبين بالبصره، قال: [حدّثنا أبو منصور بن ماريه (١)]، كاتب أبي مقاتل صالح بن مرداس (٢) الكلابي، أمير حلب (٣)، و كان أبو منصور من رؤساء أهل الصّيراه الذين يضربون المثل بنعمتهم و ترفّهم، و كان ثقة أديبا، و قد شاهدته أنا، و لم أسمع منه هذه الحكايه، قال: أخبرني أحد شيوخنا، قال: [٤].

كان بعض أهلنا قد استسقى، فأيس من حياته، و حمل إلى بغداد، فشور أهل الطبّ فيه، فوصفوا له أدويه كثارا، فعرفوا أنّه قد تناولها بأسرها،

ص: ٢١٠

١- بنو ماريه: أناس من أهل الصراه (القصه ١٤٦/١ من نشوار المحاضره) [١] يضرب بهم أهل السواد الأمثال، لكبرهم في نفوسهم (مروج الذهب ٣٦٤/٢) و [٢] أحسب أنّهم من أبناء ماريه بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاويه الكندي، أم الحارث الأعرج الذي قال فيه النابغه: و الحارث الأعرج خير الأنام و إياها عنى حسان بن ثابت بقوله: أبناء جفنه حول قبر أبيهم قبر ابن ماريه الكريم المفضل بيض الوجوه كريمه أحسابهم شمّ الأنوف من الطراز الأوّل و ماريه هذه، جدّه جبله بن الأيهم، آخر ملوك العرب في الشام، و لما قدم جبله على الخليفه عمر، كان معه خمسمائه فارس ألبسهم الوشى المنسوج بالذهب و الفضة، و لبس جبله تاجه، و فيه قرط ماريه جدّته، و كان يضرب بقرطها المثل (العقد الفريد ٥٦/٢ و ٥٩ و ٦٠ و [٣] ٧٤/٣).

٢- في الأصل: ابن مدرّك.

٣- في الأصل: أمير دجله.

٤- الزيادة من ن.

فلم تنجع، فأيسوا منه، وقالوا: لا حيله لنا في برئه.

فلما سمع العليل ذلك، قال لمن معه: دعوني الآن أتزوّد من الدنيا، و آكل ما أشتهى، و لا تقتلونى قبل أجلي بالحميه.

فقالوا: كل ما تريد.

فكان يجلس على دكان بباب الدار، و مهما رأى ما يجتاز به على الطريق، شراه، و أكله.

فمرّ به رجل يبيع جرادا مطبوخا، فاشتري منه عشره أرطال، و أكلها بأسرها.

فلما كان بعد ساعه، انحلّ طبعه (١)، و تواتر قيامه (٢)، حتى قام فى ثلاثه أيام أكثر من ثلاثائه مجلس (٣)، و ضعف، و كاد يتلف.

ثم انقطع القيام، و قد زال كل ما فى جوفه، و عادت بطنه إلى حالها فى الصحه، و ثابت إليه قوّته، و برىء.

فخرج برجليه فى اليوم الخامس، يتصرّف فى حوائجه، فرآه أحد الطبّ، فعجب من أمره، و سأله عن الخبر، فعرفه.

فقال: ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا، و لا بدّ أن يكون فى الجراد الذى فعل هذا خاصيه، فأحبّ أن تدلّنى على الذى باعك

الجراد، فلم يزالوا فى طلبه حتى وجدوه.

فقال له الطيب: من أين لك هذا الجراد؟

فقال: أنا أصيده، و أجمع منه شيئا كثيرا، و أطبخه، و أبيعه.

فقال: من أين تصيده؟ فذكر قريه بالقرب من بغداد.

ص: ٢١١

١- انحلال الطبع: كناية عن الإسهال.

٢- القيام: كناية عن مراجعه بيت الخلاء.

٣- المجلس: كناية عن خروج ما فى البطن.

فقال له الطيب: أعطيك ديناراً، وتدع شغلَكَ، وتدع معي إلى الموضع.

قال: نعم، فخرجنا و عاد الطيب من غده، فذكر أنه رأى الجراد يرعى في صحراء أكثر نباتها حشيشه يقال لها: مازريون (١)، و هي دواء الاستسقاء (٢).

و إذا دفع إلى العليل منها وزن درهم، أسهله إسهالاً يزيل الإستسقاء، و لكن لا يؤمن أن لا ينضب، و لا يقف، فيقتله الذرب (٣)، و العلاج بها خطر جداً، و هي المذكورة في الكتب الطبيه، و لكنّها لفرط خطرهما لا يصفها الأطباء، فليأ وقع الجراد على هذه الحشيشه، و انطبخت في معدته، ثم طبخ الجراد، ضعف فعلها بطبخين اجتماعاً عليها، و قضى أن تناولها هذا بالاتفاق، و قد تعدلت بمقدار ما يدفع طبعه دفعا لا ينقطع، فبرأ (٤).

ص: ٢١٢

١- مازريون: فارسيه، شجر ورقه كورق الزيتون، و زهره إلى البياض، له ثمر كالكبر (الألفاظ الفارسيه المعربه ١٤٤، ابن البيطار ١٢٣/٤).

٢- الاستسقاء: داء يصيب الإنسان من جزاء تجمع سوائل مصلية في تجويف، أو أكثر، من تجاويف جسده، أو خلاياه.

٣- الذرب: الاسهال الشديد.

٤- لم ترد هذه القصه في م، و لا في غ، و وردت في نشوار المحاضره ١١٢/٣.

مريض بالاستسقاء يبرأ بعد أن طعم لحم أفعى

[و حدّثنا أبو الحسن محمّد بن طرطى الواسطى، قال: سمعت] (١) أبا على عمر بن يحيى العلوى الكوفى، قال:

كنت فى بعض حججى فى طريق مكّه، فاستسقى رجل كان معنا من أهل الكوفه، و ثقل فى علّته.

و سلّ (٢) الأعراب قطارا (٣) من القافله كان هذا العليل على جمل منه، ففقد، و جزعنا عليه، و على القطار، و كنّا راجعين إلى [٢٣٨ ر] الكوفه.

فلما كان بعد مدّه، جاء العليل إلى دارى معافى، فسألته عن قصّته و سبب عافيته.

فقال: إنّ الأعراب لما سلّوا القطار، ساقوه إلى محلّهم، و كان على فراسخ يسيره من المحجّه (٤)، فأنزّلونى، و رأوا صورتي، فطرحونى فى أواخر بيوتهم.

و تقاسموا ما كان فى القطار، فكنت أزحف و أتصدّق من البيوت ما آكله، و تمنّيت الموت، و كنت أدعو الله تعالى به أو بالعافيه.

ف رأيتهم يوما و قد عادوا من ركوبهم، و أخرجوا أفاعى قد اصطادوها، فقطعوا رؤوسها و أذناها، و اشتووها، و أكلوها.

فقلت: هؤلاء يأكلون هذه فلا تضرّهم بالعاده التى قد مرّنا عليها، و لعلّى

ص: ٢١٣

١- الزيادة من ن، و قد ورد الاسم فى كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى، فى القصّه رقم ١١٣/٣: أبو الحسن محمّد بن أحمد بن طوطو.

٢- سلّ: سرق.

٣- القطار من الإبل: المجموعه منها متقاطره أحدها وراء الآخر.

٤- المحجّه: جاده الطريق.

إذا أكلت منها شيئاً أن أتلف فأستريح مما أنا فيه.

فقلت لبعضهم: أطعمنى من هذه الحيات، فرمى إلى واحد منها مشويّه، فيها أرطال، فأكلتها بأسرها، و أمعنت، طلبا للموت، فأخذنى نوم عظيم، فانتبهت و قد عرقت عرقا عظيما، فاندفعت طبيعتى، فقممت فى بقيه يومى و ليلتى أكثر من مائه مجلس (١)، إلى أن سقطت طريحا و جوفى يجرى.

فقلت: هذا طريق الموت، فأقبلت أ تشهّد، و أدعو الله تعالى [٦٣ ن] بالرحمه و المغفره.

فلما أضاء الصبح، تأملت بطنى، فإذا هى قد ضمرت جدّا، و زال عنها ما كان بها، فقلت: أى شىء ينفعنى هذا، و أنا ميّت؟

فلما أضحى النهار، انقطع القيام، و وجبت صلاه الظّهر، فلم أحسّ بقيام، و جعلت، فجئت لأزحف على العاده، فوجدت بدنى خفيفا، و قوتى صالحه، فتحاملت و مشيت، و طلبت منهم ما كولا فأطعمونى، و قويت، و بتّ فى الليله الثانيه معافى لا أنكر شيئا من أمرى.

فأقمت أياما، إلى أن وثقت من نفسى بأنى إن مشيت نجوت، فأخذت الطريق مع بعضهم، إلى أن صرت على المحجّيه، ثم سلكتها، منزلا، منزلا، إلى الكوفه مشيا (٢).

ص: ٢١٤

١- فى ن: أكثر من مائتى مجلس.

٢- هذه القصّه لم ترد فى م، و لا- فى غ، و وردت فى كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى، برقم القصّه ١١٣/٣.

القاضي أبو الحسين بن أبي عمر

يحزن لموت يزيد المائي

حدّثني أبو الفضل محمّد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب: [قال:

حدّثني أبو بكر الجعابي الحافظ (١)، قال: (٢)

دخلت يوما على القاضي أبي الحسين بن أبي عمر، وهو مغموم، فقلت:

لا يغتم الله قاضي القضاء، ما هذا الحزن الذي أراه به؟

قال: مات يزيد المائي (٣).

فقلت: يبقى الله قاضي القضاء، و من يزيد المائي، حتى إذا مات اغتمّ عليه قاضي القضاء، هذا الغمّ كلّه؟

فقال: ويحك، مثلك يقول هذا في رجل كان أوحد زمانه في صناعته، و قد مات و ما ترك أحدا يقاربه في حذقه، و هل فخر البلدان إلا بكثرة رؤساء الصنائع، و حدّاق أهل العلوم فيها؟ فإذا مضى رجل لا مثيل له في صناعه لا

ص: ٢١٥

١- أبو بكر محمّد بن عمر بن مسلم بن البراء الجعابي الحافظ (٢٨٤-٣٥٥): قاضي الموصل، لم ير في البغداديين أحفظ منه، كان يحفظ أربعمائنه ألف حديث، و يذاكر بستمائنه ألف حديث (المنتظم ٣٧٧).

٢- الزيادة من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضي التّونخي مؤلّف هذا الكتاب، راجع كتاب نشوار المحاضره ج ٣ ص ٢٣٣، [٢] رقم القصّه ١٥١/٣.

٣- المائي: من الأَطْيَاء، نسب إلى الماء، لأنّه يعرض عليه ماء المريض (أى بوله)، فيشخص المرض، و يصف الدواء، و قد جاء في عيون الأنباء ٣٣/٢ [٣] أن منكه الطبيب الهندي، كان مارًا بالخلد، فإذا برجل من المائيين قد بسط كساءه، و ألقى عليه عقاير كثيره، و قام يصف دواء عنده معجونًا، راجع في كتاب القانون في الطب ج ١ ص ١٣٥-١٤٦ بحثًا مفصّلًا عن دلائل بول المريض، و ألوانه، و قوامه، و صفاته، و رائحته، و رسوبه، و كميته، و زبده.

بدّ للناس منها، فهل يدلّ هذا إلّا على نقصان العالم و انحطاط البلدان.

ثمّ أقبل يعدّد فضائله، والأشياء الطريفه التي عالج بها، والعلل الصعبه التي زالت بتدبيره، فذكر من ذلك أشياء كثيره، منها:

قال: أخبرني منذ مدّه رجل من جلّه أهل البلد، أنّه كان حدث بابنه له علّه طريفه، فكتمت أمرها، ثمّ أطلع عليها أبوها، فكتمها هو مديده، ثمّ انتهى أمر البنت إلى حدّ الموت.

قال: وكانت العلّه، أنّ فرج الصبيّه كان يضرب عليها ضربانا عظيما لا تنام معه الليل و لا النهار، و تصرخ أعظم صراخ، و يجرى في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم، و ليس هناك جرح يظهر، و لا ورم.

قال: فلما خفت المأثم، أحضرت يزيد، فشاورته.

فقال: أ تأذن لي في الكلام، و تبسط عذري فيه.

فقلت له: نعم.

قال: لا يمكنني أن أصف لك شيئا، دون أن أشاهد الموضوع بعيني، و أفتشه بيدي، و أسائل المرأه عن أسباب لعلّها كانت الجالبه للعلّه.

قال: فلعظم الصوره، و بلوغها حدّ التّلف، أمكنته من ذلك.

فأطال المسائله، و حدّتها بما ليس من جنس العلّه، بعد أن جسّ الموضوع من ظاهره، و عرف بقعه الألم، حتى كدت [٢٣٩ ر] أن أثب به، ثمّ صبرت، و رجعت إلى ما أعرفه عن سيرته، فصبرت على مضض.

إلى أن قال: تأمر من يمسكها، ففعلت.

فأدخل يده في الموضوع دخولا- شديدا، فصاحت الجاربه، و أغمى عليها، و انبعث الدم، و أخرج يده و فيها حيوان أقلّ من الخنفساء، فرمى به.

فجلست الجاربه في الحال، و قالت: يا أبه، استرني، فقد عوفيت.

فأخذ يزيد الحيوان بيده، و خرج من الموضوع، فلحقته، فأجلسته.

و قلت: أخبرني ما هذا؟

فقال: إنَّ تلك المسائله التي لم أشكَّ من أنَّك أنكرتها، إنّما كانت لأطلب دليلاً أستدلُّ به على سبب العله.

إلى أن قالت لي الصبيّه: إنّها في يوم من الأيام، جلست في بيت دولاب البقر، في بستان لكم، ثم حدثت العله بها، من غير سبب تعرفه، في غد ذلك اليوم.

فتخيلت أنّه قد دبَّ في فرجها من القراد (1) الذي يكون على البقر - وفي بيوت البقر قراد - قد تمكَّن من أوّل داخل الفرج، فكلّما امتصَّ الدم من موضعه ولّعد الضربان، و أنّه إذا شبع، خفَّ الضربان، لانقطاع مضمّه، و نقط من الجرح الذي يمتصّ منه إلى خارج الفرج.

فقلت: أدخل يدي، و أفتش.

فأدخلت يدي، فوجدت القراد كما حدست، فأخرجته، و هذا هو الحيوان، و قد تغيّرت صورته لكثرت ما امتصَّ من الدم، مع طول الأيام.

قال: فتأمّلنا الحيوان، فإذا هو قراد، و برئت المرأه.

قال مؤلّف هذا الكتاب: و لم يذكر القاضي أبو الحسين في كتابه هذا الخبر، و لعله اعتقد أنّه مما لا يجب إدخاله فيه (2).

ص: ٢١٧

١- القراد: دويبه تتعلّق بالحيوان، و تمتصّ دمه، و قد تتعلّق بالإنسان، و إذا تعلّقت صعب رفعها إلاّ بجذبها و اقتلاعها، و البغداديون يسمونها: قراده، و يلفظون القاف كافاً فارسيّه، و في بغداد مثل سائر لمن اشتدّ تمسكه بشيء، يقال: لزق مثل القراد.

٢- لم ترد هذه القصّه في م، و لا في غ، و وردت في نشوار المحاضره ١٥١/٣.

زمنه مقعده يشفيها الحنظل

[حدّثني المؤمّل بن يحيى بن هارون، شيخ نصرانيّ يكنّى بأبي نصر، كان ينزل بباب الشام، رأته في سنة خمسين وثلثمائه، قال: حدّثني قرّه بن السراج العقيليّ،] (١) و كان ينزل، إذا جاء من البادية، بشارع دار الرقيق (٢) بالقرب من درب سليمان (٣)، قال:

كان عندنا بالباديه، جاريه بالغ، زمنه، مقعده سنين، و من عادتنا أن نأخذ الحنظل (٤) فنقوّر رؤوسه، و نملأه باللبن الحليب، و نردّ على كلّ واحده رأسها، و ندفنها في الرماد الحارّ، حتى تغلي، فإذا غلت، حسا كلّ واحد منّا من الحنظله ما في رأسها من اللّبن، فتسهله، و تصلح بدنه.

قال: و قد كنّا أخذنا في سنه من السنين، ثلاث حناظل، لثلاثه أنفس، يشربونها، و جعلنا اللبن فيها على الصفه المازّه، فرأتها الجاربه الزمنه.

فلتبرّمها من الحياه، و ضجرها من الزمانه، خالفتنا إلى الحناظل الثلاث، فحستها كلّها، و علمنا بذلك بعد أن رأينا من قيامها ما جزعنا منه، و أيسنا من حياتها، و خشينا أن تعدينا، فأبعدناها عن البيوت.

فلما كان الليل، انقطع قيامها، فمشت برجلها إلى أن عادت إلى البيوت لا قلبه بها، و عاشت بعد ذلك سنين، و تزوّجت، و ولدت (٥).

ص: ٢١٨

١- الزيادة من ن، و في بقيه النسخ: و حكى المؤمّل بن يحيى المتطبّب.

٢- شارع دار الرقيق: راجع حاشيه القصّه ٢٩٣ من هذا الكتاب.

٣- درب سليمان: راجع حاشيه القصّه ٢١٦ من هذا الكتاب.

٤- الحنظل: نبات يمتدّ على الأرض كالبطيخ، و هو شديد المراره جدّاً، و يضرب بمرارته المثل، فيقال: أمرّ من الحنظل.

٥- هذه القصّه لم ترد في م و لا في غ.

اشترى الرشيد لطيبه ضياعا غلتها ألف ألف درهم

و حدث جبريل بن بختيشوع، قال:

كنت مع الرشيد، بالرقه، و معه المأمون و محمد (١)، و كان الرشيد رجلا كثير الأكل و الشرب، فأكل في بعض الأيام أشياء خلط فيها، و دخل المستراح، فغشى عليه فيه.

فأخرج و قد قوى عليه الغشى، حتى لم يشك [٦٤ ن] غلما نه فى موته، و حضر ابناه، و شاع عند الخاصه و العامه خبره.

و أرسل إلى، فجنّت، فجسست عرقه، فوجدت نبضا خفيفا، و أخذت عرقا فى رجله فكان كذلك، و قد كان قبل ذلك بأيام يشكو امتلاء و حر كه الدم.

فقلت لهم: إنه لم يمت، و الصواب أن يحجم (٢) الساعة.

فقال كوثر الخادم (٣)، لما يعرف من أمر الخلافة و إفضائها إلى صاحبه محمّد: يا ابن الفاعله، تقول أحجموا رجلا ميتا؟ لا يقبل قولك و لا كرامه.

فقال المأمون: الأمر قد وقع، و ليس يضرّ أن نحجمه.

و أحضر الحجام، فتقدّمت، و قلت له: ضع محاجمك، ففعل، فلما مصّ بها رأيت الموضع قد احمرّ، فطابت نفسى بذلك، و علمت أنه حى.

فقلت للحجام: اشروط، فشرط، فخرج الدم، فسجدت شكرا لله تعالى، و جعل كلما خرج الدم، تحرك رأسه، و أسفر لونه، إلى أن تكلم.

ص: ٢١٩

١- أبو عبد الله محمد الأمين بن أبى جعفر هارون الرشيد: ترجمته فى حاشيه القصه ١٣١ من الكتاب.

٢- الحجامه: راجع الشرح فى آخر القصه.

٣- كوثر خادم الأمين: ترجمته فى حاشيه القصه ١٨٥ من الكتاب.

فقال: أين أنا؟

فطُيبت نفسه، و غُدِّيناه بصدر درّاج، و سقيناها نبينا، و ما زلت أسعطه بالطيب في أنفه، حتى تراجعت إليه قوّته، و أدخل الخاصّه و القوّاد إليه، فسلموا عليه من بعد، لما كان قد شاع من خبره، ثم تكاملت قوّته، و وهب الله له العافيه.

فلَمّا برأ من غلّته، دعا صاحب حرسه، و حاجبه، و صاحب شرطته، فسأل [٢٤٠ ر] صاحب الحرس عن غلّته في كلّ سنه، فعرفه أنّها ألف ألف درهم، و سأل صاحب شرطته عن غلّته، فعرفه أنّها خمسمائه ألف درهم.

ثم قال: يا جبريل: كم غلّتك؟

فقلت: خمسون ألف درهم.

فقال: ما أنصفناك، حيث غلّيت هؤلاء و هم يحرسونى، و يحجبونى عن الناس، على ما هى عليه، و تكون غلّتك ما ذكرت، و أمر بإقطاعى ما قيمته ألف ألف درهم.

فقلت: يا سيّدى مالى حاجه إلى الإقطاع، و لكن تهب لى ما أشتري به ضياعا غلّتها ألف ألف درهم، ففعل، و تقدّم بمعاونتى على ابتياعها.

فابتعت بهباته، و جعلالاته، ضياعا غلّتها ألف ألف درهم، فجميع ما أملكه ضياعا لا إقطاع فيها (١).

ص: ٢٢٠

١- هذه القصّه لم ترد فى م، و لا فى غ.

الحجامه، استخراج الدم من قفا العنق، أسفل القذال، بالمحجم، بأن يشرط الحجام القفا بموساه، ثم يضع المحجم، وهو أداة كالكأس، فيمتصّ الدم، و يجتذبه، و الحجامه من الطبّ القديم، و هي أحد ثلاثه أشياء كان الأطباء القدماء يوصون بها في كلّ سنه، و هي: الحجامه، و الفصد، و تناول المسهل، و كان الناس يعتبرون القيام بهذه الثلاثه من الواجبات، و يكون تحت إشراف الطبيب، و يختلفون بذلك، و إذا احتجم الإنسان، أو افتصد، أو تناول مسهلاً، جاءته الهدايا من أصحابه و معارفه، و قد أفرد الشيخ الرئيس، ابن سينا، في كتابه القانون، فصلاً للحجامه، أثبت فيه شروطها، و كيفية إجرائها ح ٢١٢/١-٢١٣ و فصلاً للفصد ح ٢٠٤/١-٢١٢، و فصلاً في المسهلات ح ١٩٦/١-٢٠٠، و من الطريف أن نذكر أن جهل الأطباء في الماضي بأصول التعقيم، كان يؤدّي، في بعض الأحيان إلى إصابه من يفصدونه، إصابه قد تؤدّي إلى وفاته، فيتعرّض الطبيب للتهمة بأنّه قد سمّ المبضع الذي أجرى به الفصد، و يكون ذلك سبباً لقتله، و للتخلّص من هذه التهمه، أصبح الطبيب ملزماً بأن يضع المبضع في فمه، و يمتصّه، قبل إجراء الفصد، ثم يمسه بلحيته، و يقوم بالفصد، فكانت النتيجة، أن زادت نسبة الإصابات، و تعرّض الطبيب للاتّهام بأنّه قد وضع السمّ في لحيته، و قد أودت هذه التهم بحياه كثير من الأطباء الأبرياء.

لسعته عقرب فعوفى

و حدّثنى أبو جعفر طلحه بن عبيد الله بن قناش الطائى، الجوهريّ، البغداديّ، قال:

كان فى درب مهرويه، بالجانب الشرقى ببغداد، قديماً، رجل من كبراء الحجرية (١)، و كان متشبّهاً بـغلام من غلمانة، ربّاه صغيراً.

فاعتَلَّ الغلام عله من بلسام، و هو الذى تسميه العامه: البرسام (٢)، فبلغ إلى درجه قيحه، و زال عقله.

فتفرّقوا عنه يوماً، و هو فى موضع فيه خيش، و وكلوا صبياً بمراعاته، فسمعوا صياح الفتى الموكّل به، فبادروا إليه.

فقال: انظروا إلى ما قد أصابه.

فإذا عقرب قد نزل من المسند على رأس العليل، فلسعته فى عدّه مواضع، فإذا به قد فتح عينيه و هو لا يشكو ألماً.

فسألوه عن حاله، فطلب ما يأكل، فأطعموه، و برأ.

فلاموا طبيبه، فقال: علام تلوموننى، لو أمرتكم أن تلسعوه بعقرب، أ كنتم تفعلون (٣)؟

ص: ٢٢٢

١- الحجرية، و الساجية: صنّفان من غلمان الخلافة، فالحجرية: ينسبون إلى حجر كانت لهم ملحقة ببلاط الخليفة، و الساجية: نسبتهم إلى ابن أبى الساج، راجع أخبارهم فى تجارب الأمم ١١٦/١ و ١١٧، ٢٦١، ٢٢٢، ١٩٤، ١٦٧، ١٣٧، ١٢٥، -٣٢٥، ٣١٩، ٣٠٦، ٢٨٦، ٢٦٤، ٣٣٤، ٣٥١.

٢- الاسم الصحيح للمرض: السرسام، راجع حاشية القصة ١٨٠ من الكتاب.

٣- نقلت القصة عن ن و ه، و لم ترد فى ر و لا فى م و لا فى غ.

ابراة مضره لعقت فيها أفعى

[حدّثنى أبو بكر محمّد بن عبد الله بن محمّد الرازى، المعروف بابن حمدون، قال: حدّثنى أبو بكر أحمد بن على الرازى الفقيه رحمه الله، قال:

سمعت أبا بكر بن قارون الرازى، و كان تلميذا لأبى بكر محمّد بن زكريا الرازى الطيب، قال أبو بكر بن حمدون: و قد رأيت هذا الرجل بالرّى، و كان يحسن علوما كثيرة، منها الحديث، و يرويه، و يكتبه الناس عنه، و يوثّقونه، و لم أسمع هذا منه، قال المؤلّف رحمه الله: و لم يتهيأ لى مع كثره ملاقاتى أبا بكر الرازى الفقيه رحمه الله، أن أسمع هذا الخبر منه، قال ابن قارون] (١):

حدّثنا أبو بكر محمّد بن زكريا الرازى الطيب، بعد رجوعه من عند أمير خراسان، لما استدعاه ليعالجه من علّه صعبه، قال:

اجتزت فى طريقى إلى نيسابور، بسطام (٢)، و هى النصف من طريق نيسابور إلى الرّى.

قال: فاستقبلنى رئيسها، فأنزلىنى داره، و خدمنى أتمّ خدمه و سألتنى أن أقف على ابن له به استسقاء.

فأدخلنى إلى دار قد أفردّها له، فشاهدت العليل، و لم أطمع فى برئه، فسألنى

ص: ٢٢٣

١- كذا ورد فى ن، و فى بقيه النسخ: و عن أبى بكر بن قارون الرازى، أقول: ترخّمه على الفقيه أبى بكر الرازى، يعنى أنّه دوّن هذه القصّه بعد السنه ٣٧٠ التى توفّى فيها الرازى.

٢- بسطام: قال ياقوت فى معجم البلدان ١/٦٢٣: [١] أنّه رآها، و هى مدينة كبيره، ذات أسواق، تشرف عليها جبال عاليه، و لها نهر كبير جار، و روى عن مسعر بن مهلهل: أنّ بسطام نمتاز بخاصّتين عجيبتين الأولى: أنّه لم ير بها رمد قط، و الثانى: أنّه لم ير بها عاشق قطّ من أهلها، و متى دخل إنسان فى قلبه هوى، و شرب من مائها، زال العشق عنه.

أبوه عن السرِّ في حاله، فصدقته، و آيسته من حياه ابنه.

و قلت له:مكنه من شهواته، فإنه لا يعيش.

ثم خرجت إلى خراسان، فأقمت بها سنه كامله، و عدت، فاستقبلني الرجل أبو الصببي فلم أشك في وفاته، و تركت مساء لته عن ابنه، فإنني كنت نعيته إليه، و خشيت من تثقيلي عليه، فأنزلتني داره، و لم أجد عنده ما يدل على ذلك، و كرهت مسألته عن ابنه لثلاً أجدد عليه حزنا.

فقال لي بعد أيام: تعرف هذا الفتى؟ و أوماً إلى شاب حسن الوجه و السحنه، صحيح البدن، كثير الدم و القوه، قائم مع الغلمان يخدمنا.

فقلت: لا.

فقال: هذا ابني الذي آيستني منه عند مضيئك إلى خراسان.

فتحيرت، و قلت له: عرّفني سبب برئه.

فقال: إنه كان بعد قيامك من عندي، فظن أنك آيستني منه.

فقال لي: لست أشك أنّ هذا الرجل - هو أو أحد زمانه في الطب - قد آيسك مني، و الذي أسألك، أن تمنع هؤلاء، يعني غلmani الذين كنت قد أخدمته إياهم، فإنهم أترابي، و إذا رأيتهم معافين، و قد علمت أنني ميّت، تجدد على قلبي الهمّ و المرض، حتى يعجل لي الموت، فأرحني من هذا بأن لا أراهم، و أفرد لخدمتي دايتي.

ففعلت ما سألت، و كان يحمل إلى الدايه في كلّ يوم ما تأكله، و كانت الدايه تأتيه بما يطلب من غير حميه.

فلما كان بعد أيام يسيره، حمل إلى الدايه مضيره (1) لتأكل منها، فتركتها بحيث يقع عليها نظر ابني، و مضت في شغل لها.

ص: ٢٢٤

١- المضيره: طعام يتخذ من اللحم الأحمر أو الأبيض، يطبخ بالبصل و الكزاث و الكسفره و الكمون و المصطكي و الدارصيني، و يصبّ عليه اللبن، للتفصيل راجع كتاب الطبخ للبغدادى ٢٤.

فذكرت بعد أن عادت، أنّ ابني قد نهاها عن أكل ما فى الغضاره (١)، ووجدتها قد ذهب كثير مما كان فيها، وبقى بعضه متغير اللون.

قالت: فقلت له: ما السبب؟

فقال: رأيت أفعى عظيمه قد خرجت من موضع رذبت إليها و أكلت منها ثم قذفت فيها، فصار لونها كما ترين، فقلت: أنا ميت، و هو ذا يلحقنى ألم شديد، و متى أظفر بمثل هذا؟ و جئت، فأكلت من الغضاره ما استطعت، لأموت عاجلا و أستريح، فلما لم أستطع زياده أكل رجعت حتى جئت إلى فراشى، و جئت أنت.

قالت: و رأيت أنا المضيره على يده و فمه [٦٥ ن] أفصحت.

فقال: لا تعلمى أبى شيئا، و ادفنى الغضاره بما فيها، لئلا يأكلها إنسان فيموت، أو حيوان فيلسع إنسانا فيقتله، ففعلت ما قال، و خرجت إليك.

قال: فلما عرفتنى ذلك، ذهب علىّ أمرى، و دخلت إلى ابني، فوجدته نائما.

فقلت: لا توقظيه، حتى ننظر ما يكون من أمره.

فأتيته آخر النهار، و قد عرق عرقا شديدا، و هو يطلب المستحم (٢)، فأنهضناه إليه، فاندفع بطنه، فقام من ليلته، و من غده، أكثر من مائه مجلس، فازداد يأسنا منه، و قلّ القيام، إلاّ أنّه استمرّ أياما، ثم انقطع القيام، و قد صار بطنه مثل بطون الأصحاء، فطلب فراريج، فأكل، إلى أن صار كما ترى.

ف عجبت من ذلك، و ذكرت أنّ الحكماء الأوائل قالت: إنّ المستسقى إذا أكل من لحم حيّه عتيقه مزمنه لها مئون سنين، برأ، و لو قلت لك، إنّ هذا

ص: ٢٢٥

١- الغضاره: راجع حاشيه القصه ٢٤٩ من هذا الكتاب.

٢- المستحم: كناية عن بيت الخلاء.

علاجه، لظننت أنّي أذافعك، و من أين يعلم كم عمر الحَيّة إذا وجدت، فسكّت عنها (1). [٢٤١ ر].

ص: ٢٢٦

١- هذه القصة لم ترد في م، ولا في غ.

من امتحن من اللصوص بسرقة أو قطع، فعوض من الارتجاع و الخلف بأجمل صنع

قاطع طريق يرد على القافله ما أخذ منها

[حدّثنى على بن شيراز بن سهل القاضى بعسكر مكرم رحمه الله، قال:

حدّثنى أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الخصيبى ابن بنت ابن المدبّر، ببغداد، قال: حدّثنى محمد بن على، قال: حدّثنى الحسن بن دعبيل بن علىّ الشاعر الخزاعى، قال: حدّثنى أبى] (١) قال: لما قلت:

مدارس آيات خلت من تلاوه قصدت بها أبا الحسن علىّ بن موسى الرضا، و هو بخراسان، وليّ عهد المأمون (٢)، فوصلت إليه، و أنشدته إياها، فاستحسنها، و قال: لا تنشدها أحدا حتى آمرك.

و أتصل خبرى بالمأمون، فأحضرنى، و سألتنى عن خبرى، ثم قال لى: يا دعبيل، أنشدنى: مدارس آيات خلت من تلاوه.

فقلت: لا أعرفها يا أمير المؤمنين.

فقال: يا غلام، أحضر أبا الحسن علىّ بن موسى، فلم يكن بأسرع من أن حضر.

١- كذا ورد فى ن، و فى بقيه النسخ: حدّث أبو الحسن دعبيل بن علىّ الخزاعى الشاعر.

٢- عهد المأمون للإمام الرضا بالخلافه من بعده فى السنه ٢٠١ (خلاصه الذهب المسبوك ١٩٩).

فقال له: يا أبا الحسن، سألت دعبلا عن «مدارس آيات» فذكر أنّه لا يعرفها.

فالتفت إليّ أبو الحسن، وقال: أنشده يا دعبل.

فأنشدت القصيده، و لم ينكر المأمون ذلك، إلى أن بلغت إلى بيت فيها، و هو:

و آل رسول الله هلب رقابهم و آل زياد غلظ القصرات

فقال: و الله لأهلبنّها (١).

ثم تممتها إلى آخرها، فاستحسنها، و أمر لي بخمسين ألف درهم، و أمر لي عليّ بن موسى بقريب منها.

فقلت: يا سيدي، أريد أن تهب لي ثوبا يلي بدنك، أتبرّك به، و أجعله كفنا.

فوهب لي قميصا قد ابتدله، و منشفه، و أظنه قال: و سراويل.

قال: و وصلني ذو الرئاستين، و حملني على بردون أصفر، و كنت أسايره في يوم مطير، و عليه ممطر خزّ (٢)، فأمر لي به، و دعا بغيره

فلبسه، و قال: إنني آثرتك به، لأنّه خير الممطرين، قال: فأعطيت به ثمانين ديناراً، فلم تطب نفسي ببيعه.

و قضيت حاجتي، و كررت راجعا إلى العراق.

فلما صرت ببعض الطريق، خرج علينا أكراد يعرفون بالماريخان (٣)، فسلبوني، و سلبوا القافله، و كان ذلك في يوم مطير.

فاعترلت في قميص خلق قد بقى عليّ، و أنا متأسّف - من جميع ما كان عليّ - على القميص و المنشفه اللذين وهبهما لي عليّ بن

موسى الرضا، إذ مرّ بي واحد من

ص: ٢٢٨

١- هلب الشعر: نتفه و جزّه.

٢- الممطر: ما يلبس في المطر، يتوفى به، و الخزّ: نسج من الصوف و الحرير، أو من الحرير وحده.

٣- سمّاهم ابن الأثير في تاريخه: الماريانيه، و ذكر أنّ عامل الموصل في السنه ٣٠٩ أوقع بهم فقتل و أسر منهم جماعه بعثهم إلى

بغداد فشهروا (ابن الأثير ١٢٩/٨).

الأكراد، و تحته البرذون الأصفر الذى حملنى عليه ذو الرياستين، و عليه الممطر الخز، ثم وقف بالقرب منى، و ابتداء ينشد: مدارس آيات، و يبكى.

فلما رأيت ذلك، عجبت من لصّ كردى يتشيع، ثم (١) طمعت فى القميص و المنشفه.

فقلت: يا سيدى لمن هذه القصيده؟

فقال: ما أنت و ذاك، و يلك.

فقلت له: فيه سبب أخبرك به.

فقال: هى أشهر من أن يجهل صاحبها.

قلت: فمن هو؟

قال: دعبل بن علىّ الخزاعى، شاعر آل محمد، جزاه الله خيرا.

فقلت له: يا سيدى، أنا- و الله- دعبل، و هذه قصيدتى.

فقال: و يلك، ما تقول؟

فقلت: الأمر أشهر من ذلك، فسل أهل القافله، [٢٥٥ غ] تخبر بصحّه ما أخبرتك به.

فقال: لا جرم- و الله- لا يذهب لأحد من أهل القافله خلاله (٢) فما فوقها.

ثم نادى فى الناس: من أخذ شيئا فليردّه على صاحبه، فردّ على الناس أمتعتهم، و علىّ جميع ما كان معى، ما فقد أحد عقالا (٣).

ص: ٢٢٩

١- إلى هنا انتهى الخرم فى مخطوطه غ و بدأت من جديد.

٢- خلاله: التمره قبل أن تنضج.

٣- العقل، فى اللغه: المنع، و الحبس، و منه سمي العقل، لأنّه يمنع العاقل من الدنيا، و العقال: الحبل الذى يشدّ به البعير، فيعقله، أى يحبسه عن الحركة، و كذلك العقال الذى يوضع على الرأس، فيعقل الكوفيه التى يغطّى بها الرأس، أى يحبسها، و يمنعها من مزايه موضعها، و لمّا ارتدّ قوم من العرب عن الإسلام فى زمن الصّدّيق أبى بكر، و منعوا الزكاه، حاربهم، و قال: لو منعونى عقالا، لجاهدتهم عليه (الطبرى ٢٤٤/٣)، و [١] قال ابن عمّار الأندلسى، يهجو الرميكيه زوجه المعتمد

ثم رحلنا إلى مأمنا سالمين.

قال راوى هذا الخبر عن دعبل: فحدّثت بهذا الحديث على بن بهزاد الكردي ٩ فقال لي: ذاك -و الله- أبى الذى فعل هذا ١٠.

ص: ٢٣٠

قاطع طريق يتفلسف

و حدّثني عبد الله بن عمر بن الحارث الواسطي السراج، المعروف بأبي أحمد الحارثي، قال:

كنت مسافرا في بعض الجبال، فخرج علينا ابن سباب (١) الكردي، فقطع علينا، و كان بزّي الامراء، لا بزّي القطّاع.

فقربت منه لأنظر إليه و أسمع كلامه، فوجدته يدلّ على فهم و أدب، فداخلته فإذا برجل فاضل، يروى الشعر، و يفهم النحو، فطمعت فيه، و عملت في الحال أبياتا مدحته بها.

فقال لي: لست أعلم إن كان هذا من شعرك، و لكن اعمل لي على قافيه هذا البيت و وزنه شعرا الساعه، لأعلم أنّك قلته، و أنشدني بيتا.

قال: فعملت في الحال اجازه له ثلاثه أبيات.

فقال لي: أيّ شيء أخذ منك؟ لأردّه إليك.

قال: فذكرت له ما أخذ منّي، و أضفت إليه قماش رقيقين كانا لي.

فردّ جميع ذلك، ثم أخذ من أكياس التجار التي نهبها، كيسا فيه ألف درهم، فوهبه لي.

قال: فجزيته خيرا، و رددته عليه.

فقال لي: لم لا تأخذه؟ فورّيت (٢) عن ذلك.

ص: ٢٣١

١- كذا وردت في غ: ابن سباب، و في ن، ووردت: ابن شباب، و في ر، ووردت: ابن ساب، بلا نقط، و في ه: ابن سيار، و سقطت القصّه من م.

٢- التوريه: إرادته شيء و إظهار غيره، و منه التوريه في علم البديع، بذكر كلمه يدلّ ظاهرها على شيء، و باطنها على شيء غيره.

فقال: أحب أن تصدقني.

فقلت: و أنا آمن؟

فقال: أنت آمن.

فقلت: لأنك لا تملكه، و هو من أموال [٢٤٢ ر] الناس الذين أخذتها منهم الساعة ظلما، فكيف يحل لي أن أخذه؟

فقال لي: أما قرأت ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص، عن بعضهم، قال: إن هؤلاء التجار خانوا أماناتهم [٦٦ ن]، و منعوا زكاه أموالهم، فصارت أموالهم مستهلكه بها، و اللصوص فقراء إليها، فإذا أخذوا أموالهم - و إن كرهوا أخذها - كان ذلك مباحا لهم، لأن عين المال مستهلكه بالزكاه، و هؤلاء يستحقون أخذ الزكاه، بالفقر، شاء أرباب الأموال أم كرهوا.

قلت: بلى، قد ذكر الجاحظ هذا، و لكن من أين يعلم إن هؤلاء ممن استهلكت أموالهم الزكاه؟

فقال: لا عليك، أنا أحضر هؤلاء التجار الساعة، و أريك بالدليل الصحيح أن أموالهم لنا حلال.

ثم قال لأصحابه: هاتوا التجار، فجاءوا.

فقال لأحدهم: منذ كم أنت تتجر في هذا المال الذي قطعنا عليه؟

قال: منذ كذا و كذا سنة.

قال: فكيف كنت تخرج زكاته؟ فتلجلج، و تكلم بكلام من لا يعرف الزكاه على حقيقتها فضلا عن أن يخرجها.

ثم دعا آخر، فقال [٢٥٦ غ] له: إذا كان معك ثلاثمائة درهم، و عشره دنانير، و حالت عليك السنة، فكم تخرج منها للزكاه؟ فما أحسن أن يجيب.

ثم قال لآخر: إذا كان معك متاع للتجاره، و لك دين على نفسين، أحدهما ملىء، و الآخر معسر، و معك دراهم، و قد حال الحول على الجميع، كيف تخرج زكاه ذلك؟

ص: ٢٣٢

قال: فما فهم السؤال، فضلاً عن أن يتعاطى الجواب.

فصر فهمهم، ثم قال لي: بان لك صدق حكاية أبي عثمان الجاحظ؟ و أنّ هؤلاء التجار ما زكّوا قط؟ خذ الآن الكيس.

قال: فأخذته، و ساق القافله لينصرف بها.

فقلت: إن رأيت أيها الأمير أن تنفذ معنا من يبلغنا المأمن، كان لك الفضل.

ففعّل ذلك (١).

ص: ٢٣٣

١- هذه القصّه لم ترد في م.

القاضي التتوخي والد المؤلف

و الكرخي قاطع الطريق

و حدّثني أبي رضى الله عنه، قال:

لما كنت مقيماً بالكرخ، أتقلّد القضاء بها، [و بالمرج و أعمالها] (١)، كان بوابي رجل من أهل الكرخ، له ابن، هو ابن عشر سنين أو نحوها، و كان يدخل دارى بلا إذن، و يمرح مع غلمانى، و أهب له فى الأوقات دراهم و ثيابا، و أحمله، و أرقصه، كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم.

ثم صرفت عن الكرخ، و رحلت، و لم أعرف للرجل و لا لولده خبراً.

و مضت السنون، فأنفذنى أبو عبد الله البريدى (٢) من واسط، برسالة إلى أبى

ص: ٢٣٤

١- الزيادة من ه. أبو عبد الله محمد بن أحمد البريدى: أحد دجالي الدنيا و شياطينها (تجارب الأمم ١/١٥٨) و صفه الخليفة الراضى بأنه كان كاتباً صغيراً، فرفع بعد خمول، و عاملاً من أواسط العمال، فاصطنع، و أهل لجليل الأعمال، فطغى، و كفر النعمه، و جازى على الإحسان بالسوء، و خلع الطاعة (تجارب الأمم ١/٣٥٨) و كان أبو عبد الله فى السنه ٣١٥ يضمن الضياع الخاصه بالأهواز، و لما وزر ابن مقله رشاه أبو عبد الله بعشرين ألف دينار، فقلّده الأهواز (تجارب الأمم ١/١٥٨، ١/١٥٢) ثم تنقل بين حالات عمل و اعتقال و مصادره، حتى استولى فى السنه ٣٢٣ على جميع الأهواز تغلباً (تجارب الأمم ١/٣٢٠) و حارب الجيش العباسى، فكسره، و قتل قائده ياقوت (تجارب الأمم ١/٣٣٩) ثم ضمن الأهواز و البصره و واسط (تجارب الأمم ١/٣٥٨ و ١/٣٦٤) و لم يحمل مالا للحضره، فحاربه الجيش العباسى فقرّ البريدى من الأهواز فى طيار، و غرق الطيار، و سلم هو، و قال: و الله، ما نجونا من الغرق بصالح أعمالنا، و لكن لصاعقه يريدنا الله بهذه الدنيا (تجارب الأمم ١/٣٧١) و لما قتل بجكم، جاء إلى بغداد متغلباً، فاضطرّ المتقى إلى استيزاره، فصادر المتقى على خمسمائه ألف دينار، فانصرفت إليه أطماع الجند، و ثاروا به ففرّ، ثم استوزر مجدداً، و أرسل جيشاً إلى الحضرة، صحبه أخيه أبى الحسين، فعسف أهلها، و ظلم الناس الظلم المعروف للبريديين، فاستغاثوا بناصر الدوله الذى انحدر من الموصل، و طرده (تجارب الأمم ٢/٢٥، ٢/٢٣، ٢/١٦، ٢/١٥) و كان أبو عبد الله مبدراً، أما أبو يوسف أخوه، فكان مدبراً (القصة ١١/٣ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للتتوخي)، و كان أبو عبد الله يلحّ على أخيه أبى يوسف فى طلب القروض، فكان يعطيه اليسير، بعد اللوم و التأنيب، ثم بلغه أنّ أبى يوسف يريد القبض عليه فعاجله، بأن أقام غلمانه بباب داره بالأبله، فلما بلغ إليهم و ثبوا عليه، فقتلوه، و أراد الأخ الثالث أبو الحسين، أن يتدخل، فهدهده، فكفّ، و مات أبو عبد الله بعد أخيه أبى يوسف بشمانيه أشهر و ثلاثه أيام (تجارب الأمم ١/٥١ و ١/٥٨)، راجع حاشيه القصة ٢٥٩ من الكتاب.

بكر بن رائق، فلقيته بحدود العاقول، و انحدرت أريد واسطا (١).

و قد كان قيل لى قبل إصعادي، أنّ فى الطريق لَصًا يعرف بالكرخى، مستفحل الأمر.

و كنت خرجت من واسط، بطالع اخترته، على موجب تحويل مولدى لتلك السنه، و قد استظهرت عند نفسى، و كفانى الله تعالى - فى إصعادي - أمر اللصّ، فلم أر له أثرا.

فلما انحدرت إلى واسط، و كُنّا فى بعض الطريق، خرج علينا اللصوص فى سفن عدّه، بقسىّ، و نشاب، و سلاح شاك (٢)، و هم نحو مائه نفس، كالعسكر العظيم.

و كان معى غلمان يرمون، فحلفت أنّ من رمى منهم بسهم، ضربته إذا صرت فى البلد مائه مقرعه، و ذلك أنّى خفت أن يقصدنا اللصوص، ثم لا يرضون إلا بقتلى.

قال: و بادرت فأخذت ذلك السلاح الذى كان معهم، فرميت جميعه فى الماء، و استسلمت للأمر طلبا للسلامه.

ص: ٢٣٥

١- كان القاضى التنوخى، و والد المؤلف، يعمل عند أبى عبد الله البريدى، و كان البريدى قد استخلفه بواسط على بعض أمور النظر (معجم الأدباء ٣٣٢/٥).

٢- السلاح الشاك: هو السلاح التام المعد للقتال.

و جلست أفكر في الطالع الذي خرجت به، فإذا ليس ما يوجب -عندهم- القطع عليّ (١)، والناس قد أديروا إلى الشاطيء، وأنا في جملتهم، حيث تفرغ سفنهم، وينقل ما فيها إلى الشطّ، وهم يخبطون بالسيوف، وكنت في وسط الكار (٢)، وما انتهى الأمر إليّ. فجعلت أعجب من حصول القطع، وأنّ الطالع لا يوجهه، ولست أتّهم علمي مع هذا.

فأنا كذلك، وإذا بسفينه فيها رئيسهم قد طرح على زبزي (٣) كما يطرح على سفن التجار (٤)، ليشرف على ما يؤخذ منها. فحين رأي، منع أصحابه من انتهاب شيء من زبزي، وصعد إليّ وحده، فتأملتني طويلاً ثم انكبّ وقبل يدي، وكان مثلثاً (٥)، فلم أعرفه.

قال: فارتعت، وقلت: يا هذا مالك؟

فسفر [٢٥٧ غ]، وقال: أما تعرفني [٢٤٣ ر] يا سيدي؟ فتأملتته، وأنا جزع، فلم أعرفه.

فقلت: لا والله.

فقال: بلي، أنا عبدك، ابن فلان الكرخي حاجبك، وأنا الصبي الذي ربّيتني في دارك، وكنت تحملني على عنقك، وتطعمني بيدك.

ص: ٢٣٦

١- كان القاضي أبو القاسم التنوخي، والد المؤلف، من المولعين بعلم التنجيم، ولعلّ ولعه هذا، كان من أسباب التعجيل بوفاته، راجع القصّه ١٧٢/٢ من نشوار المحاضر.

٢- الكار: مجموعه السفن المنحدره من موضع واحد.

٣- الزبزي: ضرب من السفن، للتفصيل راجع معجم المراكب و السفن في الإسلام لحبيب زيات ص ٣٣٥ و ٣٣٦ في مجلّه المشرق سنه ٤٣ آب- كانون الأول ١٩٤٩.

٤- طرح عليه: يعني طرح على سفينه ما يمسكها عن الحركة، ثمّ يمدّ إليها لوحه تسمّى ببغداد: الدّوسه، وهي التي يدوس عليها من أراد الوصول إلى السفينه، وما زال التعبيران مستعملين ببغداد.

٥- اللّثام: حجاب يغطى به الأنف و الفم، ومنه سمى التقبيل في الفم: لثماً، لأنّ القبله تغطى الشفتين.

فتأملته، فإذا الخلقه خلقته، إلا أن اللحيه غيرته في عيني، فسكن خاطري (١)، وقلت: يا هذا، كيف بلغت إلى هذا الحال؟

قال: يا سيدي، نشأت، فلم أتعلّم غير معالجه السلاح، و جئت إلى بغداد أطلب الديوان (٢)، فما قبلني أحد، فانضاف إلي هؤلاء الرجال، و طلبت قطع الطريق و لو كان السلطان أنصفني، و نزلني بحيث أستحق من الشجاعه، و انتفع بخدمتي، ما كنت أفعل هذا بنفسى.

قال: فأقبلت عليه أعظه، و أخوّفه الله، ثم خشيت أن يشقّ ذلك عليه، فيفسد رعايته لى، فأقصرت.

ثم قال: يا سيدي، لا يكون بعض هؤلاء قد أخذ منك شيئاً؟

قلت: ما ذهب منّا إلا سلاح رميته أنا الى الماء، و شرحت له الصوره.

فضحك، و قال: قد و الله أصاب القاضى، فمن فى الكار ممّن تعنى به حتى أطلقه؟

قلت: كلهم عندى بمنزله واحده، فلو أفرجت عن الجميع كان أحسن بك.

فقال: و الله، لو لا أن أصحابى قد تفرّقوا بما أخذوا، لفعلت، و لكنهم لا يطيعونى فى ردّه، و لكننى لا أدع ما بقى من السفن فى الكار أن يؤخذ منها شىء، فجزيته خيراً.

فصعد إلى الشطّ، و أصعد جميع أصحابه، و منع أن يؤخذ شىء من باقى السفن، فما تعرّض لها أحد، و ردّ على قوم ضعفاء أشياء كثيره كانت أخذت منهم، و أطلق الكار.

و سار معى فى أصحابه، إلى أن صار بينى و بين المأمن شىء يسير ثم ودّعنى، و انصرف فى أصحابه (٣).

ص: ٢٣٧

١- فى غ: فسكن روعى.

٢- يعنى أراد أن تستخدمه الحكومه فى عمل من أعمالها.

٣- لم ترد القصّه فى م، و جاء فى كتاب الأوراق- أخبار الراضى و المتقى- للصولى، ص ٢٢٦ ما يلى: فى السنه ٣٣٠ أخذ رجل يعرف بالكرخى، يقطع فى طريق واسط، حتّى انقطع الطريق من أجله، فقتل.

ابن حمدى اللصّ البغدادى

و فتوّته و ظرفه

و حدّثنى عبد الله بن عمر الحارثى، قال: حدّثنى بعض التّجار البغداديين، قال:

خرجت بسلع لى، و متاع من بغداد أريد واسطا، و كان البريدى بها، و الدنيا مفتته [جدّا] (١).

فقطع علىّ، و على الكار الذى كنت فيه، لّصّ كان فى الطريق، يقال له:

ابن حمدى (٢)، يقطع قريبا من بغداد، فأقرنى، و كان معظم ما أملكه معى، فسهل علىّ الموت، و طرحت نفسى له.

و كنت أسمع ببغداد، أنّ ابن حمدى هذا، فيه فتوّه، و ظرف، و أنّه إذا قطع، لم يعرض لأرباب البضائع اليسيره، التى تكون دون الألف درهم، و إذا أخذ ممن حاله ضعيفه شيئا، قاسمه عليه، و ترك شطر ماله فى يديه، و أنّه لا يفتش امرأه،

ص: ٢٣٨

١- الزيادة من غ.

٢- ابن حمدى، اللّصّ البغدادى: اشتهر بفتوّته و ظرفه، و كان لا يعرض لأصحاب البضائع اليسيره، التى تكون دون الألف درهم، و إذا أخذ ممن حاله ضعيفه شيئا، قاسمه عليه، و ترك له شطر المال، و اشتهر عنه أنّه لا يفتش امرأه، و لا يسلبها، و لّمّا أعىى السلطان أمره، خلع عليه ابن شيرزاد فى السنه ٣٣٢ و أثبتّه برسم الجند، و وافقه على أن يؤدّى للسلطان فى كلّ شهر خمسة عشر ألف دينار، ممّا يسرقه و أصحابه، و أخذ خطّه بذلك، و كان يستوفىها منه، و يأخذ البراءات، و روزات الجهبذ، أى الوصولات الرسميه (تجارب الأمم ٥١/٢) ثمّ إنّ توزون قلّد أبا العباس اشكورج الديلمى الشرطه ببغداد، فقبض فى نفس السنه، أى ٣٣٢، على ابن حمدى، و قتل توسطها، أى قطع بدنه من منتصفه بالسيف، فخفّ مكروه اللصوص عن الناس، و انقطع شرّهم، بعد أن تحارس الناس بالبوقات، و امتنع عنهم النوم، خوفا من كبساته (تجارب الأمم ٥٥/٢ و الأوراق للصولى ص ٢٥٩).

و لا يسلبها، و حكايات كثيرة مثل ذلك.

فأطمعنى ذلك فى أن يرقّ لى، فصعدت إلى الموضع الذى هو جالس فيه، و خاطبته فى أمرى، و بكيت، و رققته، [٦٧ ن] و وعظته، و حلفت له أنّ جميع ما أملكه قد أخذه، و أتى أحتاج إلى أن أتصدّق (١) من بعده.

فقال لى: يا هذا، الله بيننا و بين هذا السلطان الذى أحوجنا إلى هذا، فإنه قد أسقط أرزاقنا، و أحوجنا إلى هذا الفعل، و لسنا [٢٥٨ غ] فيما نفعله نرتكب أمرا أعظم مما يرتكبه السلطان.

و أنت تعلم أنّ ابن شيرزاد ببغداد يصادر الناس و يفقرهم، حتى أنّه يأخذ الموسر المكثّر، فلا يخرج من حبسه، إلّا و هو لا يهتدى إلى شىء غير الصدقة، و كذلك يفعل البريدىّ بواسط و البصره، و الديلم بالأهواز.

و قد علمت أنّهم يأخذون أصول الضياع، و الدور، و العقار، و يتجاوزون ذلك إلى الحرم و الأولاد، فاحسب أنّنا نحن مثل هؤلاء، و أنّ واحدا منهم صادر ك.

فقلت: أعزّك الله، ظلم الظلمه، لا يكون حجّه، و القبيح لا يكون سنّه، و إذا وقفت أنا و أنت، بين يدى الله عزّ و جلّ، أترضى أن يكون هذا جوابك له؟

فأطرق مليئا، و لم أشكّ فى أنّه يقتلنى، ثم رفع رأسه، فقال: كم أخذ منك؟ فصدقتّه.

فقال: أحضروه، فأحضر، فكان كما ذكرت، فأعطانى نصفه.

فقلت له: الآن، قد وجب حقّى عليك، و صار لى بإحسانك إلّى حرمه.

فقال: أجل.

فقلت: إنّ الطريق فاسد، و ما هو إلّا أن أتجاوزك حتى يؤخذ هذا منّى أيضا، فأنفذ معى من يوصلنى إلى المأمن.

ص: ٢٣٩

١- التصدّق: طلب الصدقة، تعبير ببغدادىّ، و الصدقة: عطية يراد بها طلب المثوبه، لا المكرمه.

قال: ففعل ذلك، و سلمت [٢٤٤ ر] بما أفلت معي، فجعل الله فيه البركه، و أخلف (١).

ص: ٢٤٠

١- لم ترد هذه القصه في م.

قطع عليه الطريق فتخلص بخاتم عقيق

حدّثني الحسن بن صافي، مولى ابن المتوكل القاضي (١)، و كان أبوه يعرف بـغلام ابن مقله قال:

لما حصل المتقى لله بالرقه (٢)، و معه أبو الحسين علي بن محمد بن عليّ، ابن مقله، وزيره، كاتبني بأن أخرج إليه، فخرجت، و معي جماعه من أسبابه، و أسباب الخليفه إلى هيت.

و ضمّ إلينا ابن فتيان خفراء، يؤدّونا إلى الرقه، و رحلت من هيت، و معنا الخفراء و الغلمان، و من انحدر معنا من هيت، فصرنا نحوا من مائتي مقاتل.

فلما كان في اليوم الرابع من مسيرنا، و نحن في البرّ الأفقر، و قد نزلنا نستريح، إذا بسواد عظيم من بعيد، لا نعلم ما هو، فلم نزل نرقبه إلى أن بان لنا، و إذا هو نحوا من مائه مطيه، [علي كلّ مطيه رجلان] (٣).

فجمعنا أصحابنا و رجالنا، و قرب القوم منّا و أناخوا جمالهم و عقلوها (٤)، و أخذوا جحفهم، و سلّوا سيوفهم، و تقدّمهم رئيس لهم، فقال لنا: يا معشر المسافرين، لا يسلّن أحد منكم سيفاً، و لا يرمى بسهم، فمن فعل ذلك فهو مقتول.

ففشل كلّ من كان معنا، و قاتل قوم منّا قتالاً - ضعيفاً، و خالطنا الاعراب، و أخذوا جماعه منّا، و أخذونا، و جميع ما كان معنا، فأقتسموه، و تركونا مطرّحين في الشمس.

ص: ٢٤١

١- في ن: مولى أبي المتوكل.

٢- كان ذلك في السنه ٣٣٣ (تجارب الأمم ٦٧/٢).

٣- الزيادة من ه.

٤- عقلوها: شدّوها بالعقال، و جمعه عقل، بضم العين و القاف، راجع حاشيه القصّه ٤٤٧ من هذا الكتاب.

فإذا بي قد عريت، وبقى عليّ خلق لا- أتواري منه بشيء، وليس معي ماء أشرب به، ولا ظهر أركبه، وليس بيني وبين الموت إلاّ ساعات يسيره، فقامت عليّ القيامة، واشتدّ جزعي، ولم يكن لي حيله، فأيست من الحياه.

فأنا كذلك، إذ وجدت شستجه (1)، كان لي فيها خاتم عقيق، كبير الفصّ، كثير الماء، فأخذته، ووقع لي في الحال وجه الحيله، فجعلته في قطن، وخبأته معي [٢٥٩ غ] وقصدت رئيس القوم، وهو الذي تولّى أخذ مالي، وعرف موضعي و قدرى.

فقلت له: قد رأيت عظيم ما أخذته منّي، وأنا خادم الخليفة أطل الله بقاءه، وقد خرجت لأمر كبير من خدمته، وقد فزت بما أخذته منّي، فما قولك في أمر آخر أعظم مما أخذته، أعاملك به، وأسديه إليك حلالاً- لا يجرى مجرى الغصوب، على أنّ تؤمّني على نفسي، وترد عليّ من ثيابي ما يسترنى، وتردّ عليّ من دوائبي دابّه، وتسقيني ماء، وتسيرني حتى أحصل في مأمني؟

فقال: ما هو؟

قلت: تعطيني أمانك، وعهودك، و ذمامك، على الوفاء، ففعل.

فانفردت به، وجعلت يدي مقابله للشمس، وأريته الخاتم، وأقمت فصّه في شعاع الشمس، فكاد يخطف بصره، ورأى ما لم ير مثله.

وقال: استره، وقل لي خبره.

فقلت: هذا خاتم الخلافة، وفصّه هذا ياقوت أحمر، وهو الذي يتداوله الخلفاء منذ العهد الطويل، ويعرف بالجبل، ولا يقوم أمر الخلفاء إلاّ به، وقد كان مخبوءاً ببغداد، فأمرني الخليفة أن أحمله إليه في جملة ما حملته، وحيث حصل

ص: ٢٤٢

١- الشستجه: المنديل، أو القطعه من القماش تستعمل للمسح، ويسمّيها البغداديون اليوم: الكفّيه، قاله ميخائيل عوّاد في رسوم دار الخلافة ٧٥.

هذا الخاتم من بلاد الله، تشبّث الخلفاء إلى أخذه بكلّ ثمن، وإن حصل عندك حتى تمتنع من بيعه إلا بمائه ألف دينار-و لم يقدرُوا عليك-لأعطوك إيّاها، والرأى أن تأخذه، وتنفضه إلى ناحيه الشام، وتخفى حصول الخاتم فى يدك، فإنّى إذا حضرت بحضره الخليفه، وعزفته خبره، جاءتك رسله بالرغائب، حتى يرتجع منك بأى ثمن احتكمت.

فقال: إذا خذ من ثيابك ما تريد.

فأخذت من ثيابى ما احتجت إليه، وأخذ الخاتم فخبأه فى جيبه، وأركبني راحله موطأه، وأعطاني إداوتين (١) كبيرتين ماء، وسار معي، والناس قد هلكوا من العطش.

و لم يزل يسير معي، إلى أن بلغنا إلى حصن فى البرّيّه، يعرف بالزيتونه (٢)، من بناء هشام بن عبد الملك، وفيه رجل من بنى أمّيه، يكنى بأبى مروان، معه فى الحصن نحو من مائتى رجل.

فلما حصلت عنده، انصرف الأعرابى، وعزّفت أبا مروان خبرى فى القطع [٢٤٥ ر] و من أنا، فأعظم أمرى، وأكرمنى، وأنفذ معي من أصحابه من بلّغنى الرقه سالما (٣).

ص: ٢٤٣

١- الاداوه، جمعها اداوى: إناء من الجلد.

٢- الزيتونه: موضع فى باديه الشام، كان ينزله هشام بن عبد الملك، فلما عمّر الرصافه، انتقل إليها (مراصد الاطلاع ٦٧٩/٢).

٣- هذه القصه لم ترد فى م.

سرق ماله بالبصره و استعاده بواسط

حدّثني محمد بن عمر بن شجاع [المتكلم، و يلقّب بجنيد، قال: حدّثني] (١) رجل من الدّقاين (٢)، في دار الزبير (٣) بالبصره، قال:

أورد عليّ رجل غريب، سفتجه بأجل (٤)، فكان يتردّد عليّ، إلى أن حلّ ميعاد السفتجه.

ثم قال لي: دعها عندك حتى آخذها متفرّقه، فكان يجيء في كلّ يوم فيأخذ بقدر نفقته إلى أن نفدت، و صار بيننا معرفه، و ألف الجلوس عندي، و كان يراني أخرج من كيس من صندوق لي، فأعطيه منه.

فقال لي يوماً: إنّ قفل الرجل، صاحبه في سفره، و أمينه في حضره، و خليفته على حفظ ماله، و الذي ينفي الظنّه عن [٢٦٠ غ] أهله و عياله، فإن لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل عليه، و أرى قفلك هذا وثيقاً، فقل لي ممن ابتعته [٦٨ ن]، لأبتاع مثله.

فقلت: من فلان بن فلان الأقفاليّ. في جوار باب الصّفارين (٥).

ص: ٢٤٤

١- الزيادة من غ.

٢- الدّقاق: بائع الدقيق.

٣- دار الزبير: الموضع الذي فيه قبر الزبير بن العوام بالبصره، و كان اسم الموضع، وادى السباع، فلمّا دفن فيه أصبح اسمه دار الزبير، و اسمه الآن: الزبير، و هو ناحيه، تابعه لمحافظة البصره.

٤- السفتجه: أن تعطى مالا- لرجل، فيعطيك خطأ يمكّنك من استرداد هذا المال من عميل له في مكان آخر، و إذا كان الخطّ يشترط أداء المال في وقت مؤجّل، فهي سفتجه بأجل.

٥- كذا وردت في ر و غ و الصحيح: جوبات الصّفارين، و الجوبه: الساحة الخاليه بين الأماكن المعموره، و تتخذ عادة مواضع لإقامه الأسواق الأسبوعيّه، و لاجتماع الناس، و الجوبه: محلّه من محلات بغداد في زماننا هذا.

قال: فما شعرت يوماً، وقد جئت إلى دكانى، فطلبت صندوقى لأخرج منه شيئاً من الدراهم، فحملة الغلام إلى، ففتحته، فإذا ليس فيه شيء من الدراهم.

فقلت لغلامى، و كان غير متهم عندى: هل أنكرت من الدرابات شيئاً؟

قال: لا.

فقلت: فتش، هل ترى فى الدكان نقبا؟

قال: لا.

فقلت: فمن السقف حيله؟

قال: لا.

قلت: فاعلم أن الدراهم قد ذهبت.

فقلق الغلام، فسكنته، و قمت لا أدرى ما أصنع، و تأخر الرجل عنى، فلما غاب اتهمته، و ذكرت مسألته عن القفل.

فقلت للغلام: أخبرنى كيف تفتح دكانى و تغلقه؟

قال: رسمى أن ادرب درابتين درابتين، و الدرابات (1) فى المسجد، فأحملها فى دفعات، اثنتين أو ثلاثاً، فأشرحها، ثم أقفل، و كذلك عند ما أفتحها.

فقلت: البارحة، و اليوم، فعلت ذلك؟

قال: نعم.

فقلت: فإذا مضيت لتد الدرابات، أو تحضرها، على من تدع الدكان؟

قال: خالياً.

قلت: فمن هنا دهيت (2).

ص: ٢٤٥

١- الدرابات: أبواب من الخشب، تصف الواحده فوق الأخرى، و يمدّ عليها حديد، يربط بقفل، أو أقفال، و بذلك يتم إغلاق الدكان، و الكلمه فارسىه الأصل، إما دربان: و معناها حافظ الباب، و إما درباى: و معناها أسفل الباب.

و مضيت إلى الصانع الذي ابتعت منه القفل، فقلت: جاءك إنسان منذ أيام، و اشترى منك مثل هذا القفل؟

قال: نعم، رجل من صفته كيت و كيت، فأعطاني صفه صاحبي.

فعلمت أنه احتال على الغلام وقت المساء، لما انصرفت أنا، و مضى الغلام يحمل الدرابات، فدخل هو إلى الدكان فاختبأ فيه، و معه مفتاح القفل الذي اشتراه، و الذي يقع على قفلي، و أنه أخذ الدراهم، و جلس طول ليلته خلف الدرابات. فلما جاء الغلام، و فتح درابتين، و حملها ليرفعها، خرج، و أنه ما فعل ذلك، إلا و قد خرج إلى بغداد.

فسلّمت دكاني إلى الغلام، و قلت له: من سأل عنّي فعرفه أنّي خرجت إلى ضيعتي.

قال: فخرجت، و معي قفلي و مفتاحه، و قلت: أبتدئ بطلب الرجل بواسط.

فلما سعدت من السميريه، طلبت خاناً في الكتبيين (1) بواسط، لأنزله، فأرشدت إليه، فصعدت، فإذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت.

فقلت لقيم الخان: هذا البيت من ينزله؟

فقال: رجل قدم من البصره أمس.

فقلت: أي شيء صفته؟

فوصف لي صفه صاحبي، فلم أشك أنه هو، و أنّ الدراهم في بيته.

فاكترت بيتاً إلى جانبه، و رصدت البيت، حتى انصرف قيم الخان، و قمت ففتحت القفل بمفتاحي، فحين دخلت البيت، وجدت كيساً بعينه، فأخذته،

ص: ٢٤٦

١- بشأن سوق الكتبيين في واسط و بغداد، راجع التعليق في حاشيه القصه ٤٦٩ من هذا الكتاب.

و خرجت و أقفلت الباب، و نزلت فى الوقت إلى السفينه التى جئت فيها، و أرغبت الملاح، و أنحدرت إلى البصره.

فما أقمت بواسط إلا ساعتين من نهار، و رجعت إلى منزلى بمالى بعينه (١).

ص: ٢٤٧

١- هذه القصة لم ترد فى م، و وردت فى كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى، مؤلف هذا الكتاب، برقم القصة ٩٧/٨.

وضع السيف على عنقه ثم نجا سالما

و حدّثني عبید الله بن محمد الصروی (١)، قال [٢٦١ غ]: حدّثني أكار بنهر سابس [يقال له: سارخ] (٢)، قال:

خرجت من نهر سابس (٣)، إلى موضع في طرف البرية، يقال له: كرخ راذويه (٤)، أريد أعمال سقى الفرات.

فبلغني أن رجلا يقطع الطريق وحده، و حدّرت منه.

فلما خرجت من القرية، رأيت رجلا تدلّ فراسته على شدّته و نجدته، و في يده زقايه (٥)، فجسّرتني على الطريق.

قال: فترافقنا، حتى انتهينا إلى سقايه في البرية، فخرج علينا اللصّ متحرّما، متسلّحا، فصاح بنا.

فطرح رفيقي كاره كانت على ظهره، و أخذ زقايته، و بادر إلى اللصّ.

فلتّيا داخله اللصّ ليضربه، ضرب بعصاه يد اللصّ، فعطّل اللصّ الضربه، و ضرب الزقايه فقطعها، ثم ضرب بسيفه رجل الرجل

فأقعده، ثم وشّحه بالسيف (٦)

ص: ٢٤٨

١- أبو القاسم عبید الله بن محمد الصروی: ترجمته في حاشية القصّه ٢٤٦ من هذا الكتاب.

٢- الزيادة من غ.

٣- نهر سابس: فوق واسط بيوم، و عليه قرى (معجم البلدان ٨٤٠/٤).

٤- كرخ راذويه: موضع بقرب واسط، عمل فيه شباشي الحاجب، الملقّب بالسعيد، المتوفّي سنة ٤٠٨، مشهدا، و حفر المصانع عنده، و

في طريقه، راجع المنتظم ٢٨٨/٧.

٥- الزقايه: العصا الغليظه، و قد فسّرها التوخى في القصّه، حيث قال: و ضرب بعصاه يد اللصّ، ف ضرب اللصّ الزقايه بسيفه، فقطعها

بالسيف، و البغداديون يسمّون العصا الغليظه توثيه، فصيحته، نسبتها للتوث، لغه في التوت، و في ن: في يده عصا.

٦- الوشاح: شبه القلاده من نسيج عريض، يشدّ بين العاتقين و الكشحين، و التوشيح بالسيف: يعني

حتى قتله، و حمل عليّ ليقتلني.

فقلت له: ما حاربتك، و لا امتنعت عليك من أخذك ثيابي، فلائى شىء تقتلني؟

فقال: استكتف (١) فاستكتفت، فكثفتنى بتكتى (٢) ثم حمل الثياب و انصرف.

فبقيت متحيراً، مشفياً على التلف، بالعطش، و الشمس، و الوحوش، فما زلت أتمطى فى التكه حتى قطعته، و قمت أمشى إلى أن جئنى الليل.

فرأيت فى الصحراء -على بعد- ضوء نار خفياً، فقدّرتة فى قريه، فقصدته، فإذا هو يخرج من قبه فى الصحراء، فقربت منها، و أطلعت، فإذا اللصّ جالس فى القبه، يشرب نبيذاً، و معه امرأه.

فلمّا بصر بى صاح، و تناول سيفه و خرج إلى، فما زلت أناشده الله، و أحلف له أننى ما علمت أنه هو، و لا قصدته عمداً، و إنّما رأيت النار فقصدتها، فلم يعبأ بقولى.

و حلّفته المرأه أن لا يقتلنى بحضرتها، فجدبني إلى نهر جافّ قريب من القبه، و طرحنى تحته، و جرّد سيفه ليقتلنى.

فسمع صوت الأسد قريبا منه، فارتعدت يده، و سكت، و أخذ يسكتنى، فأنست بالسبع (٣) و زدت فى الصياح.

فما شعرت إلاّ و السبع قد تناوله من على صدرى و هرول فى الصحراء.

ص: ٢٤٩

١- استكتف: ضمّ يديه إلى صدره، و وقف منتظراً أن يكتف.

٢- التكه: ما تربط به السراويل، معرّب: جمعه: تكك (شفاء الغليل ٥٢) و فى تفسير الألفاظ الدخيله ١٩: إنّ أصلها أرامى: تكتا، معناه: رباط، و شدّ.

٣- السبع: المفترس من الحيوان مطلقاً، و السبع من الطير: ما أكل اللحم خالصاً، و البغداديون يسمّون الأسد: السبع، و يكتونه: أباً خميس، و يكونون عن الشجاع، بقولهم: سبع.

فقلت، وأخذت السيف، و جئت إلى القبة، فلم تشكّ المرأة أنني هو، فقالت:

قتلته؟

فقلت: الله عزّ وجلّ قتله، لا أنا، و قصصت عليها القصّه، و سألتها عن شأنها.

فقالت: أنا امرأة من أهل القرية الفلانيّة، أسرني هذا الرجل، و خبأني في هذا الموضع، و هو يتردّد إليّ في كل ليلة.

فأرهبته، فدلّنتني على دفائن له في الصحراء، فأخذتها، و حملت المرأة، و بلغت القرية، و سلمتها إلى أهلها.

و فزت بمال عظيم أغناني عن مقصدي، و عدت إلى بلدي (١).

ص: ٢٥٠

١- لم ترد هذه القصّه في م.

كيف استعاد التاجر البصرى ماله

و حدّثنى أيضا، قال: حدّثنى ابن الدنانيرى التّمّار الواسطى (١)، قال: حدّثنى غلام لى قال:

كنت ناقدا (٢) بالأبلة (٣)، لرجل تاجر، فاقتضيت (٤) له فى البصره نحو خمسمائه دينار عينا (٥) و ورقا (٦)، و لفتها فى فوطه، و أشفيت على المصير إلى الأبلة.

فما زلت أطلب ملاحا، حتى رأيت ملاحا مجتازا فى خيطيه (٧) خفيفه فارغه، فسألته أن يحملنى، فسهّل علىّ الأجره، و قال: أنا راجع إلى منزلى بالأبلة، فانزل [٢٦٢ غ] معى، فنزلت، و جعلت الفوطه بين يديّ.

و سرنا إلى أن تجاوزنا مسماران (٨)، فإذا رجل ضرير (٩) على الشطّ (١٠)، يقرأ أحسن قراءه تكون.

ص: ٢٥١

-
- ١- فى ن: ابن أبى الدنانير التّمّار الواسطى.
 - ٢- الناقد: الجابى.
 - ٣- الأبلة: بلده على شاطئ دجله البصره العظمى، فى زاويه الخليج الذى يدخل إلى مدينه البصره (معجم البلدان ٩٦/١).
 - ٤- الاقتضاء: المطالبه و القبض.
 - ٥- العين: الذهب، و يريد به الدنانير.
 - ٦- الورق: بفتح الواو، و كسر الراء: الفصّه، و يريد به الدراهم.
 - ٧- الخيطيه: قال صاحب معجم المراكب و السفن فى الإسلام: المراكب الخيطيه، تعمل بالأبلة، أقول: و الظاهر من تسميتها، أنّها دقيقه الشكل، سريعه الحركه.
 - ٨- مسماران: من ضواحي البصره، و كانت مقرا للبريديّين، و كان الوزير المهلبى ينزلها (تجارب الأمم ١١٢، ٦٠، ٥٣/٢)، و القصّه رقم ٢٧/١ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى).
 - ٩- الضرير: الذاهب البصر، و يقال له: البصير أيضا.
 - ١٠- الشطّ: شاطئ النهر.

فلما رآه الملاح كبر، فصاح هو بالملاح: احملنى، فقد جننى الليل، و أخاف على نفسى، فشمته الملاح.

فقلت له: احمله، فدخل إلى الشطّ فحمله، فلما حصل معنا رجع إلى قراءته، فخلب عقلى بطيها.

فلما قربنا من الأبله، قطع القراءه، و قام ليخرج فى بعض المشارع [٦٩ ن] فى الأبله، فلم أر الفوطه، فقمتم واقفا، و اضطربت، و صحت.

فاستغاث الملاح، و قال: الساعه تقلب الخيطيه، و خاطبنى خطاب من لا يعلم حالى.

فقلت له: يا هذا، كانت بين يديّ فوطه [٢٤٧ ر] فيها خمسمائه دينار.

فلما سمع الملاح ذلك، بكى، و لطم، و تعرّى من ثيابه، و قال: أدخل الشطّ ففتّش، و لا لى موضع أخبئ فيه شيئا فتّهمنى بسرقته، و لى أطفال، و أنا ضعيف، فالله، الله فى أمرى، و فعل الضرير مثل ذلك.

و فتّشت الخيطيه فلم أجد شيئا، فرحمتهما، و قلت: هذه محنه لا أدرى كيف التخلّص منها، و خرجنا، فعملت على الهرب، و أخذ كلّ واحد منا طريقا، و بتّ فى بيتى، و لم أمض إلى صاحبي، و أنا بليله عظيمه.

فلما أصبحت، عملت على الهرب إلى البصره، لأستخفى فيها أيّاما، ثم أخرج إلى بلد شاسع (١).

فانحدرت، فخرجت فى مشرعه بالبصره، و أنا أمشى و أتعثّر و أبكى قلقا على فراق أهلى و ولدى، و ذهاب معيشتى و جاهى، إذ اعترضنى رجل.

فقال: يا هذا، ما بك؟

فقلت: أنا فى شغل عنك (٢)، فاستحلفنى، فأخبرته.

ص: ٢٥٢

١- الشاسع: البعيد.

٢- فى غ: أنا فى شغل عن طنزك بى، و الطنز: السخريّه.

فقال: امض إلى السجن بيني نمير (١)، واشتر معك خبزا كثيرا، و شواء جيّدا، و حلوى، و سل السجّان أن يوصلك إلى رجل محبوس، يقال له: أبو بكر النقاش.

و قل له: أنا زائر، فإنّك لا تمنع، و إن منعت، فهب للسجّان شيئا يسيرا فإنّه يدخلك إليه، فإذا رأيته فسلم عليه و لا تخاطبه حتى تجعل بين يديه (٢) ما معك، فإن أكل و غسل يديه، فإنه يسألك عن حاجتك، فأخبره خبرك، فإنه سيدلّك على من أخذ مالك، و يرتجعه لك.

ففعلت ذلك، و وصلت إلى الرجل، فإذا هو شيخ مثقل بالحديد.

فسلمت عليه، و طرحت ما معي بين يديه، فدعا رفقاء كانوا معه فأقبلوا يأكلون معه، فلما استوفى و غسل يديه.

قال: من أنت، و ما جاء بك؟ فشرحت له قصتي.

فقال: امض الساعه لوقتك - و لا - تتأخر - إلى بني هلال (٣)، فأقصد الدرب الفلاني حتى تنتهي إلى آخره، فإنّك تشاهد بابا شعنا، فافتحه و ادخل بلا استئذان، فستجد دهليزا طويلا يؤدى إلى بايين، فادخل الأيمن منهما، فسيدخلك إلى دار فيها بيت فيه أوتاد و بوارى، و على كلّ وتد إزار و مئزر، فانزع ثيابك، و علّقها على الوتد، و اتزر بالمئزر [و اتشح بالإزار] (٤)، و اجلس، فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت، إلى أن يتكاملوا، ثم يؤتون بطعام فكل معهم، و تعمد أن تفعل كما يفعلون فى كلّ شيء.

فإذا أتوا بالنبيذ فاشرب معهم أقداحا يسيره، ثم خذ قدحا كبيرا، فاملأه،

ص: ٢٥٣

١- كان بيت العامل، و السجن، و مقرّ صاحب الشرطه، ببني نمير، راجع القصّه ١/١٢٤ و القصّه ٢/١٢٨ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التّونخى.

٢- ساقطه من غ.

٣- فى غ: إلى بني فلان.

٤- الزيادة من غ.

و قم، و قل: هذا سارى (١) لخالى أبى بكر النقاش، فسيضحكون [٢٦٣ غ] و يفرحون، و يقولون: هو خالك؟ فقل: نعم، فسيقومون و يشربون لى، فإذا تكامل شربهم لى، و جلسوا، فقل لهم: خالى يقرأ عليكم السلام، و يقول لكم:

بحياتى يا فتيان، ردّوا على ابن أختى المئزر الذى أخذتموه أمس من السفينه بنهر الأبله، فإنهم يرّدونه عليك.

فخرجت من عنده، ففعلت ما قال لى، و جرت الصوره، على ما ذكر، سواء بسواء، و ردّت الفوطه علىّ بعينها، و ما حلّ شدّها.

فلما حصلت لى، قلت لهم: يا فتيان، هذا الذى فعلتموه هو قضاء لحقّ خالى، و أنا لى حاجه تخصّنى.

فقالوا: مقضيه.

فقلت: عزّفونى كيف أخذتم الفوطه؟ فامتنعوا، فأقسمت عليهم بحياه أبى بكر النقاش.

فقال لى واحد منهم: تعرفنى؟ فتأملتّه، فإذا هو الضير الذى كان يقرأ.

و إنّما كان يتعامى حيله و مكرًا.

و أوماً إلى آخر، و قال: أ تعرف هذا؟ فتأملتّه، فإذا هو الملاح بعينه.

فقلت: أخبرانى كيف فعلكما؟

فقال الملاح: أنا أدور فى المشارع فى أوّل أوقات المساء، و قد سبقت المتعامى فأجلسته حيث رأيت، فإذا رأيت من معه شىء له قدر، ناديته و أرخصت عليه الأجره و حملته، فإذا بلغ إلى القارىء، و صاح بى، شتمته، حتى لا يشكّ الراكب فى براءه الساحه، فإن حملة الراكب فذاك، و إن لم يحمله رقّته حتى يحمله، فإذا حملة، و جلس هذا يقرأ [٢٤٨] راءته الطيبه، ذهل الرجل كما ذهلت أنت، فإذا بلغنا إلى موضع نكون قد خلينا فيه رجلا متوقّعا لنا، يسبح حتى يلاصق

ص: ٢٥٤

١- سارى: تعبير قام مقامه الآن كلمه: نخب، و قوله: هذا سارى لخالى فلان، يعنى أنه يشرب نخبه.

السفينه، و على رأسه قوصره (١)، فلا يفتن الراكب، فيستلب هذا الرجل المتعامى -بخفه- الشىء الذى قد عينا عليه، فيلقيه إلى الرجل الذى عليه القوصره، فيأخذها و يسبح إلى الشط، فإذا أراد الراكب النزول (٢)، و افتقد ما معه، عملنا كما رأيت، فلا يتهمنا، و نتفرق، فإذا كان الغد، اجتمعنا و اقتسمنا ما أخذناه، [و اليوم كان يوم القسمه] (٣)، فلما جئت برسالة خالك أستاذنا، سلمنا إليك الفوطه، قال: فأخذتها، و انصرفت (٤)

ص: ٢٥٥

-
- ١- القوصره: وعاء، مثل الكيس، يتخذ من القصب، ليوضع فيه التمر المكبوس، فان كان من خوص النخيل، فهو كيشه (بالكاف الفارسيه)، و إن كان من الجلد على هياه الزق، فهو حلان، و الحلان: صغار الغنم.
 - ٢- فى غ: فاذا أراد الراكب الصعود.
 - ٣- الزيادة من غ.
 - ٤- هذه القصه لم ترد فى م، و قد وردت فى نشوار المحاضره [١] برقم القصه ٥٣/٧.

صادف درء السيل درء ا يصدعه

حدّثني عبيد الله بن محمد الصروي، قال: حدّثني بعض إخواني:

أنّه كان ببغداد رجل يطلب التلصص في حدّاته، ثم تاب و صار بزّازا.

قال: فانصرف ليله من دكانه، وقد أغلقه، فجاء لصّ متزّي بزّي صاحب الدكان، في كمّه شمععه صغيره، و مفتاح، فصاح بالحارس، و أعطاه الشمعه في الظلمه، و قال: اشعلها و جئني بها، فإنّ لي في هذه الليله في دكاني شغلا.

فحضر الحارس و أشعل الشمعه، و ركب اللصّ المفاتيح على الأقفال ففتحها، و دخل الدكان.

فجاء الحارس بالشمعه مشعله، فأخذها منه و هو لا يتبين وجهه، و جعلها بين يديه، و فتح سفظ الحساب، و أخرج ما فيه، و جعل ينظر في الدفاتر، و يورى (١) بيده أنه يحسب، و الحارس يطالعه في تردده، و لا يشكّ في أنه صاحب الدكان.

إلى أن [٢٦٤ غ] أقارب السحر، فاستدعى اللصّ الحارس، و كلمه من بعيد، و قال له: أطلب لي حمّالا.

فجاء بحمّال، فحمل عليه من متاع الدكان أربع زرم مئمنه (٢)، و أقفل الدكان، و انصرف و معه الحمّال، و أعطى الحارس درهمين، فلمّا أصبح الناس، جاء صاحب الدكان ليفتحه، فقام إليه الحارس يدعوه له، و يقول: فعل الله بك و صنع كما أعطيتني البارحه الدرهمين.

فأنكر الرجل ما سمعه، و لم يردّ جوابا، و فتح دكانه، فوجد سيلان الشمعه،

ص: ٢٥٦

١- يورى: بمعنى يرى، تعبير استعمله التنوخي في أكثر من موضع، و لم أجد له أصلا في اللغه، و البغداديون الآن يقولون: يراوى.

٢- المئمنه: غاليه الثمن، تعبير بغدادى، ما يزال مستعملا إلى الآن.

و حسابه مطروحا، و فقد الرزم الأربع، فاستدعى الحارس، و قال له: من كان [٧٠ ن] الذى حمل معى الرزم البارحه من دكاني؟

فقال له الحارس: أ ليس استدعيت منى حمالا، فجتتك به، فحملها معك؟

قال: بلى، و لكننى كنت ناعسا متبذبا (١)، و أريد الحمال، فجننى به،

فمضى الحارس فجاءه بالحمال، فأغلق الرجل الدكان، و أخذ الحمال معه، و مشى، و قال: إلى أين حملت الرزم البارحه، فإنى كنت متبذبا.

قال: إلى المشرعه الفلاثيه، و استدعيت فلانا الملاح، فركبت معه.

فصعد الرجل المشرعه، فسأل عن الملاح فدلّ عليه و ركب معه. و قال: أين أوصلت اليوم أخى الذى كان معه الأربع رزم؟

قال: إلى المشرعه الفلاثيه.

قال: أطرحنى إليها، فطرحه.

قال: و من حملها معه؟

قال: فلان الحمال.

فدعا به، و لطفه، و قال: أين حملت الرزم الأربع البارحه؟ و استدله برفق و أعطاه شيئا، فجاء به إلى باب غرفه، فى موضع بعيد عن البلد، قريب من الصحراء، فوجد الباب مقفلا.

و استوقف الحمال إلى أن فشّ القفل (٢) و فتح الباب، و دخل، فوجد الأربع رزم بحالها، و إذا فى البيت بركان (٣) معلق على جبل، فلفّ الرزم فيه، و دعا الحمال فحملها.

ص: ٢٥٧

١- تبذ: شرب النبيذ.

٢- فشّ القفل: فتحه من دون مفتاح.

٣- البركان: اسم صنّف من أصناف القماش كان يلفّ حول البدن، فتكون القطعه الواحده منه مئزرا و رداء، ثم أطلق على المعاطف التى تصنع من ذلك القماش، للتفصيل راجع معجم دوزى فى أسماء الألبسه عند العرب ٦٨.

[فحين خرج من الغرفة، استقبله اللصّ، وفهم الأمر، فاتّبعه إلى الشطّ، فجاء إلى المشرعه، ودعا الملاح ليعبّر] (١).

فدعا الحمّال من يحطّ عنه، فجاء اللصّ، فحطّ عنه، كأنّه مجتاز متطوّع، فأدخل الرّزم إلى السفينه مع صاحبها، ثم جعل البركان على كتفه، وقال للتاجر:

يا أخي أستودعك الله، فقد استرجعت رزمك، فذع كسائي.

فضحك منه وقال: أنزل ولا خوف عليك.

فنزل معه، فاستتابه، ووهب له شيئاً، و صرفه (٢).

ص: ٢٥٨

١- ساقطه من غ.

٢- لم ترد هذه القصّه في م، ووردت في نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضي التنوخي برقم القصّه ٥٥/٧.

قصه الأخوين عاد و شدّاد

و حكى عبيد الله بن محمد بن الحسن العبقسى الشاعر، قال: حدّثنى شاعر كان يعرف بغلام أبى الغوث، قال:

كنت من أهل قريه من نواحى الشام، أسكنها أنا و أسلافى، فكنا نطحن أقواتنا فى رحى ماء على فراسخ من البلد، يخرج إليها أهل البلد و أهل القرى المجاوره بغلاتهم، فتكثر، فلا يتمكّن من الطحن إلا الأقوى فالأقوى.

فمضيت مرّه و معى غلّه، و حملت معى خبزا و لحما مطبوخا يكفينى لأيام، و كان الزمان شاتيا، لأقيم على الرحى، حتى يخفّ الناس فأطحن فيها، على عادتى تلك.

فلما صرت عند الرحى، حطّطت أعدالى (١)، و جلست فى موضع نزه، و فرشت سفرتى لآكل.

و اجتاز بى رجل عظيم الخلقه، فدعوته لياكل، فجلس فأكل كلّما كان فى سفرتى، حتى لم يدع فيها شيئا، و لا أوقيه واحده.

فعجبت من ذلك عجباً شديداً بان [٢٦٥ غ] له فى، فأمسك، و غسلنا أيدينا.

فقال لى: على أى شىء مقامك هنا؟

فقلت: لأطحن هذه الغلّه.

فقال لى: فلم لا تطحنها اليوم، فأخبرته بسبب تعدّر ذلك على.

قال: فتار كالجمل، حتى شقّ الناس و هم مزدحمون على الرحى، و هى

ص: ٢٥٩

١- العدل، بكسر العين: الغراره، تحمّل بها الدابه على أحد جانبي ظهرها، و تعدّل بأخرى تعادلها على الجانب الثانى، جمعه أعدل، و عدول.

تدور، فجعل رجله عليها فوقفت و لم تدر.

فعجب الناس، و قال: من فيكم يتقدم؟

فجاء رجل أيد شديد، فأخذ بيده، و رمى به كالكره، و جعله تحت رجله الأخرى، فما قدر أن يتحرّك.

و قال: قدّموا غلّتي إلى الطحن و إلاّ كسرت الرحي، و كسرت عظام هذا.

فقالوا: يا هذا هات الغلّة، فجنّت بها، فطحنت، و فرغت منها، و جعلتها في الأعدال.

و قال لي: قم.

قلت: إلى أين؟

قال: إلى منزلك.

قلت: لا أسلك الطريق وحدى، فإنّه مخوف، و لكن أصبر حتى يفرغ أهل قريتي، و أرجع معهم.

فقال: قم و أنا معك، و لسنا نخاف- بإذن الله عزّ و جلّ- شيئاً.

فقلت في نفسي: من كانت تلك القوّه قوّته يجب أن آنس به، فقمتم، و حملت الغلّة على الحمير، و سرنا إلى أن جننا إلى قريتي، و لم نلق في طريقنا بأساً.

فلما دخلت إلى بيتي، خرج والدى و إخوتي، و عجبوا من سرعه و رودي بالغلّة، و رأوا الرجل، فسألوني عن القصّه، فأخبرتهم.

و سألنا الرجل أن يقيم في ضيافتنا، ففعل، فذبحننا له بقره، و أصلحننا له سكباجاً، و قدّم إليه، فأكل الجميع بنحو المائه رطل خبزاً.

فقال له أبى: يا هذا، ما رأيت مثلك قطّ، فأىّ شيء أنت؟ و من أين معاشك؟

قال: أنا رجل من الناحية الفلانيه، و اسمى شدّاد، و كان لى أخ أشدّ بدنا و قلباً منّى، و اسمه عاد، و كُنّا نبذرق (١) القوافل من قريتنا إلى مواضع كثيره، و لا نستعين

ص: ٢٦٠

١- البذرقه: حمايه المسافر و خفارته، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلّه المجمع العلمى العربى بدمشق ج ٨ م ٣.

بأحد، و تخرج علينا الرجال الكثيره، فألقاهم أنا و أخي فقط فنهزمهم، فاشتهر أمرنا، حتى كان إذا قيل قافله عاد و شدّاد، لم يعرض لها أحد، فمكثنا كذلك سنين كثيره.

فخرجنا مره أنا و أخي، نسير قافله قد خفرناها، فلما صرنا بالفلاه، رأينا سوادا مقبلا نحونا، فاستطرفنا أن يقدم علينا أحد، ثم بان لنا شخص رجل أسود، على ناقه حمراء، ثم خالطنا.

و قال: هذه قافله عاد و شدّاد؟

قلنا: نعم.

فترجل و دعانا للبراز، فانتضينا سيوفنا و انقضضنا عليه، فضرب ساق أخي بالسيف ضربه أقعدته، و عدا عليّ، فقبض عليّ كتفي، فما أطق الحركه.

فكتفتني، ثم كتف أخي، و طرحنا على الناقه كالزاملتين (1)، ثم ركبها و سار بعد أن أخذ من القافله ما كان فيها من عين، و ورق، و حلّي، و شيئا من الزاد، و أوقر الراحله بذلك.

و سار بنا على غير محجّه، في طريق لا - نعرفه، بقيه يومنا و ليلتنا و بعض الثاني، حتى أتى جبلا لا نعرفه، فأوغل فيه، و بلغ إلى وجه منه فدخله، فانتهى إلى مغارات، فأناخ الراحله، ثم رمى بنا عنها، و تركنا في الكتاف.

و جاء إلى مغاره على بابها صخره عظيمه لا - يقلعها إلا الجماعه، فنحّاه عن الباب [٢٦٦ غ] و استخرج منها جاريه حسناء، فسألها عن [٢٥٠ ر] خبرها، و جلسا يأكلان ممّا جاء به من الزاد، ثم شربا، فقال لها: قومي، فقامت، و دخلت الغار.

ثم جاء إلى أخي، فذبحه و أنا أراه، و سلخه، و أكله وحده، حتى لم يدع منه إلا عظامه.

ص: ٢٦١

١- الزامله: الدابّه التي يحتمل عليها المتاع.

ثم استدعى الجارية، فخرجت، وجعل يشر بان، فلما توسط شربه، جرّني، فلم أشكّ أنّه يريد ذبحي، فإذا هو قد طرحني في غار من تلك المغارات، وحلّ كتافي، وأطبق الباب بصخره عظيمه، فأيست من الحياه، وعلمت أنّه قد أدخرنى لغد.

فلما كان في الليل، لم أحسّ إلاّ بامرأه تكلمني، فقلت لها: ما بالك؟

فقلت: إنّ هذا العبد قد سكر ونام، وهو يذبحك في غد كما ذبح [٧١ ن] صاحبك، فإن كانت لك قوه فاجهد في دفع الصخره و اخرج فاقتله، وأنج بي و بنفسك.

فقلت: و من أنت؟

قالت: أنا امرأه من البلد الفلاني، ذات نعمه، خرجت أريد أهلا لي في البلد الفلاني، فخرج علينا هذا العدو لله، فأهلك القافله التي كنت فيها، ورآني فأخذني غصبا، وأنا منذ كذا وكذا شهرا، على هذه الصوره، يرتكب مني الحرام، وأشهد ذبحه للناس و أكله لهم، ولا يوصف له إنسان بشده بدن إلاّ قصده، حتى يقهره، ثم يجيء به فيأكله، ويعتقد أنّ شدته تنتقل إليه، وإذا خرج حبسني في الغار، وخلف عندي مأكولا و ماء لأيام، ولو اتفق أنّه يحتبس عني -فضل يوم- متّ جوعا و عطشا.

فقلت: إنني ما أطيق قلع الصخره.

قالت: ويلك، فجزّب نفسك.

قال: فجئت إلى الصخره فاعتمدت عليها بقوتي، فتحركت، فإذا قد وقع تحت الصخره حصاه صغيره، وقد صارت الصخره مركبه تركيبا صحيحا، وذلك لما أراه الله تعالى من خلاصي.

فقلت: أبشري، و لم أزل أجتهد، حتى زحزحت الصخره شيئا أمكنني الخروج منه، فخرجت.

فأخذت سيف الأسود، و اعتمدت بكلتى يديّ فضربت ساقيه، فإذا قد أبنت (١) أحدهما و كسرت الأخرى، فانتبه، و رام الوثوب فلم يقدر، فضربته الأخرى على جبل عاتقه (٢) فسقط، و ضربته أخرى فأبنت رأسه.

و عمدت إلى المغارات فأخذت كلّمًا وجدت فيها من عين، و ورق، و جوهر، و ثوب فاخر خفيف الحمل، و أخذت زادا لأيام، و ركبت راحلته (٣)، و أردفت المرأه، و لم أزل أسلك في طرق لا أعرفها، حتى وقعت على محجّه، فسلكتها، فأفضت بي إلى بعض القرى، فسلمت الراحله إلى المرأه، و أعطيتها نفقه تكفيها إلى بلدها، و سيرتها مع خفراء، و عدت إلى بلدى بتلك الفوائد الجليله. و عاهدت الله تعالى، أن لا أتعرّض للطريق، و لا للخفاره أبدا.

و أنا الآن آكل من ضياع اشتريتها من ذلك المال، و أقوم بعمارتها، و أعيش من غلتها، إلى الآن (٤).

ص: ٢٦٣

١- أبان: فصل و قطع.

٢- العاتق: ما بين المنكب و العنق.

٣- الراحله من الإبل: القويّ منها على الأحمال و الأسفار.

٤- لم ترد هذه القصّه في م.

قارع سبعين من قطاع الطريق و انتصف منهم

و حكى سعد بن محمد بن عليّ الأزدي، الشاعر البصريّ المعروف بالوحيد، قال: حدّثني أبو عليّ الكرديّ، رجل رأيته بعسكر [٢٦٧] غ [عمران بن شاهين (١) قصده من عند حسنويه بن الحسين الكرديّ (٢)، فقبله، و أجرى عليه، و كان شجاعا نجدا، فحدّثني، قال: خرجنا مرّه بالجبال (٣)، في أيام موسم الحجّ، عددنا سبعون رجلا، من فارس و راجل، فاعترضنا الحاجّ الخراسانيه، و كمنا لهم. و كان لنا عين (٤) في القافله، فعاد و عرّفنا أنّ في القافله رجلا من أهل شاش (٥) و فرغانه (٦) معه اثني عشر حملا بزا، و جاريه في قبّه (٧) عليها حلى ثقيل، فجعلنا أعيننا عليه، حتى وثبنا عليه، و هو و جاريته في عمّاربه.

ص: ٢٦٤

- ١- أبو الحسين عمران بن شاهين السلمى، أمير البطائح: ترجمته في حاشيه القصّه ٥٩ من الكتاب.
- ٢- حسنويه بن الحسين الكرديّ البرزيكاني: أمير جيش البرزنيه من الأكراد البرزيكان، تغلب على منطقته واسعها ما بين أذربيجان إلى شهروزور، و دام حكمه خمسين سنه، و كان حسن السيره، ضابطا لأمره، منع أصحابه من التلصّص، و كان كثير الصدقه بالحرمين، توفّي بسرماج سنه ٣٦٩ (ابن الأثير ٧٠٥/٨ و ٧٠٦).
- ٣- الجبال، أو الجبل: اسم شامل للإقليم المعروف بعراق العجم، و من جمله مدنه همذان، و أصبهان، و الرى، و قزوين (المفترق صقعا ٩٤).
- ٤- العين: الجاسوس، و عين اللصوص، هو الذى يدلّهم على مواطن السرقات، و يسهّل لهم ارتكابها، و البغداديون يسمّونه: وتى، بكسر الواو.
- ٥- شاش: بلده بما وراء النهر، وراء سيحون، متاخمه لبلاد الترك (مراصد الاطلاع ٧٧٤/٢).
- ٦- فرغانه: كوره واسعها ببلاد ما وراء النهر، متاخمه لبلاد تركستان (مراصد الاطلاع ١٠٢٩/٣).
- ٧- فى غ: فى عمّاربه.

قال: فقطعنا قطاره و كَتَفناه، و أدخلناه و ما معه بين الجبال، و وقعنا على ما معه، و فرحنا بالغنيمه.

و كان للرجل برذون أصفر يساوى مائتى درهم، فلما رأنا نريد القفول، قال:

يا فتیان، هُنَّا كُمْ اللهُ بما أخذتم، و لكنى رجل حاج، بعيد الدار، فلا تتعرضوا لسخط الله بمنعى من الحج، و أما المال فيذهب و يجىء، و تعلمون [٢٥١ ر]، أنه لا نجاه لى إلا على هذا البرذون، فاتركوه لى، فليس يبين ثمنه فى الغنيمه التى أخذتموها، فتشاورنا على ذلك.

فقال شيخ فىنا مجرب: لا تردوه عليه، و اتركوه مكتوفاً هنا، فإن كان فى أجله تأخير، فسقيض الله له من يحلّ كتافه، و كنت فىمن عزم على هذا.

و قال بعضنا: ما مقدار دابته بمائتى درهم حتى نمنعها رجلاً حاجاً، فلا حاجه لنا فيها، و جعلوا يرققون قلوب الباقين حتى سمحنا بذلك، فأطلقناه، و لم ندع عليه إلا ثوباً يستر عورته.

فقال: يا فتیان، قد مننتم علىّ، و أحسنتم إلىّ، و رددتم دابتي، و أخشى إذا أنا سرت أن يأخذها غيركم، فأعطونى قوس و نشابى، أذب بها عن نفسى و عن فرسى.

فقلنا: إننا لا نردّ سلاحاً على أحد.

فقال بعضنا: و ما مقدار قوس قيمته درهمان، و ما نخشى من مثل هذا؟ فأعطينا قوسه و نشابه، و قلنا له: انصرف، فشكرنا، و دعا لنا، و مضى حتى غاب عن أعيننا.

فما كدنا نسير، و الجاربه تبكى، و تقول: أنا حرّه، و لا يحلّ لكم أن تأخذونى.

فنحن فى هذا، و إذا بالرجل قد كثر راجعاً، و قال: يا فتیان، أنا لكم ناصح، فإنكم قد أحسنتم إلىّ، و لا بد لى من مكافأتكم على إحسانكم، بنصيحتى لكم.

فقلنا: و ما نصيحتك؟

فقال: دعوا ما في أيديكم، وانصرفوا سالمين بأنفسكم، ولكم الفضل، فإنكم منتم على رجل واحد، وأنا آمن على سبعين رجلاً، وإذا هو قد انقلبت عيناه في وجهه، وخرج الزيد من أشداه، و صار كالجمل الهائج.

فهز أنا به، وضحكنا عليه، و لم نلتفت إلى كلامه، فأعاد علينا النصيحة، و قال: يا قوم قد مننت عليكم، فلا تجعلوا لي إلى أرواحكم سيلاً.

فزاد غيظنا عليه، فقصدناه، و حملنا عليه، فأنحاز منا، و رمى بخمس نشابات، كانت بيده، فقتل بها منا خمسة، واحداً، واحداً.

و قال: إن جماعتكم تموت على هذا، إن لم تخلوا عما في أيديكم.

فلم نزل ندافعه، و يقتل منا، حتى قتل ثلاثين رجلاً، و بقي معه نشاب في جعبته.

فقلنا: أما ترون و يحكم أنه لم يخط له سهم واحد؟ و أحجمت الجماعة عنه، و أفرجنا عن [٢٦٨ غ] الجمال و القبة، فصار القطار في حوزته.

فتنكس (١) و نحن نراه، ففتق عدلاً بسيف أخرجه من رحله، و أخرج منه جعبه نشاب، و أراناها، فلما رأينا ما صار إليه من النشاب يئسنا منه و ولينا عنه.

فقال: يا فتيان، سألتكم هذا فلم تجيبوني إليه فمن نزل عن دابته فهو آمن، و من أحب أن يكون فارساً، فهو بشأنه أبصر.

فشدنا عليه، فقتل منا جماعة، فاضطررنا إلى أن نرجلنا، فحاز دوابنا وحده، و ساقها قليلاً.

ثم رجع، و قال: أطلبكم بحكمكم، من رمى سلاحه فهو آمن، و من تمسك به فهو أبصر، فرمينا سلاحنا.

فقال: امضوا سالمين آمنين، فأخذ جميع السلاح و الدواب، و إننا لندعوها

ص: ٢٦٦

بأسمائها، فتشذَّ عنه، فيرميها فيصرعها، حتى قتل منها جماعه، و فاتتنا الغنيمه، و السّلاح.

و كان ذلك سبب توبتي، أنفه لما لحقنا منه، و أنا على ذلك الحال إلى اليوم (١).

ص: ٢٦٧

١- لم ترد هذه القصّه في م.

فيمن أَلْجَأَ الخوف إلى هرب و استتار، فأبدل بأمن و مستجدّ نعم و مسارّ

يحيى بن طالب الحنفى

بيارح وطنه مدينا، و يعود إليه موسرا

[أخبرنى أبو بكر محمّد بن يحيى الصولى، فيما أجاز لى روايته عنه، بعد ما سمعته منه، قال: حدّثنا] (١) محمّد بن زكريا الغلابى، قال:

عنى الرشيد يوما بهذا الشعر:

ألاهل إلى شمّ الخزامى (٢) و نظره إلى قرقرى (٣) قبل الممات سبيل

فيا أثلاث القاع من بطن توضح (٤) حنينى إلى أظلالكنّ طويل

أريد نهوضا نحوكم فيصدّنى إذا رمته دين علىّ ثقيل

قال مؤلّف الكتاب: و وجدت الشعر فى غير هذه الروايه:

ص: ٢٤٨

١- الزيادة من ن.

٢- الخزامى: زهر من فصيله الزنبقيات، له بصله، و أزهاره متعدّده الألوان، اشتهرت هولنده الآن بزراعته (المنجد).

٣- قرقرى: أرض باليمامة فيها قرى و زروع و نخيل، و عليها يمرّ قاصد اليمامة من البصره (معجم البلدان ٤/٤٢٢).

٤- توضح: من قرى قرقرى باليمامة (معجم البلدان ١/٨٩٤).

و يا أثلاث القاع قد ملّ صحبتى صحابى فهل فى ظلّكّن مقيل

أحدّث نفسى عنك أن لست راجعا إليك فحزنى فى الفؤاد دخيل (١)

(رجع للحديث).

فاستحسن الرشيد الشعر، و سأل عن قائله، فعرف أنه ليحيى بن طالب الحنفى اليمامى (٢).

فقال: حيّ هو أم ميت؟

فقال بعض الحاضرين: هو حيّ كميّت.

قال: و لم؟

قال: هرب من اليمامه، لدين عليه ثقل، فصار إلى الرىّ.

فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامله بالرىّ، يعرفه ذلك، و أن يدفع إليه عشره آلاف درهم، و أن يحمل إلى اليمامه (٣) على دوابّ البريد، و كتب إلى عامله باليمامه بقضاء دينه.

فلما كان بعد أيام، قال الرشيد لمن حضره: إنّ الكتب وردت بامثال ما أمرت به.

و عاد يحيى إلى وطنه موسرا، و قد قضى دينه عنه، من غير سعى منه فى ذلك (٤).

ص: ٢٦٩

١- فى معجم البلدان ٦٤/٤ [١] بيتان آخران، و هما: و يا أثلاث القاع قلبى موكل بكنّ و جدوى خير كنّ قليل فأشرب من ماء

الحجلاء شربه يداوى بها قبل الممات عليل

٢- يحيى بن طالب الحنفى: كان شيخا دينيا، سخيا، عظيم التجاره، و كان يشتري غلات السلطان بقرقرى، فأصاب الناس جذب، و جاء أهل البادية فنزلوا قرقرى، ففرّق يحيى الغلات فيهم، فباع عامل السلطان أملا-كه، و عزّه الدين، فهرب إلى العراق، ثمّ إلى خراسان (معجم البلدان ٦٢/٤-٦٤).

٣- اليمامه: منطقه فى أواسط الجزيره العربيه، معدوده من نجد، تبعد عن البحرين مسيره عشره أيام، كانت فى الجاهليّه مقر طسم و جديس (معجم البلدان ١٠٢٦/٤ و المنجد).

٤- لم ترد القصّه فى ر و لا فى م، و لا فى غ، و قد اثبتناها من ه.

العتابي يؤدب الأمين و المأمون

ذكر محمد بن عبدوس في كتابه «كتاب الوزراء» (١)، قال: حدثني عبد الواحد بن محمد، يعني الخصيبي، قال: حدثني يموت بن المزرع، قال:

كان العتابي (٢)، يقول بالاعتزال (٣)، فاتصل ذلك بالرشيد، و كثر عليه في أمره، فأمر فيه بأمر غليظ (٤)، فهرب إلى اليمن، و كان مقيما فيها على خوف و توق.

فاحتال يحيى بن خالد، إلى أن أسمع الرشيد شيئا من خطبه و رسائله، فاستحسنها الرشيد، و سأل عن الكلام لمن هو؟

فقال يحيى: هو كلام العتابي، و إن رأيت يا أمير المؤمنين، أن يحضر حتى يسمع الأمين و المأمون، و يضع لهما خطبا، لكان في ذلك صلاحا لهما.

ص: ٢٧٠

١- لم ترد هذه القصة في ر و لا في م و لا في غ، و اثبتناها من ه.

٢- العتابي، أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي: ترجمته في حاشية القصة ١٣٧ من الكتاب.

٣- القول بالاعتزال: مذهب المعتزلة، و قد أسلفنا في حاشية القصة ١٥٩ من هذا الكتاب، إيراد معلومات عامه، عن عقيدتهم، و أنهم يسمون أنفسهم أهل العدل و التوحيد، و اعتقادهم أن العبد قادر، خالق لأفعاله، خيرها و شرّها، بخلاف الجبرية الذين كانوا ينفون حقيقة الفعل عن العبد، و يضيفونه إلى الله تعالى، و كان الحكام المتسلطون، يدعون أنهم إنما جاءوا بتقدير من الله، فليس لأحد أن يعترض على تسلطهم، لأنه إنما يعارض بذلك رب العالمين، فلمّا ظهر المعتزلة، و ناقشوا هذه الجهة، خشي الحكام مغبه ذلك، فحاولوا استئصالهم، و اتهموهم بالزندقة، و هي تهمة عامه، أنهم بها كل من عارض سلطه الحاكم، راجع بشأنها حاشية القصة ١٢٣ من هذا الكتاب، و قد ذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم ص ١٨ أن المعتزلة ينقسمون إلى ست فرق، و لكن الشهرستاني في الملل و النحل ١/٥٣-١٠٨ أورد أسماء ثلاث عشره فرقه منهم.

٤- ذكر بعض المؤرخين سببا غير هذا لغضب الرشيد على العتابي، راجع حاشية القصة ١٣٧ من هذا الكتاب.

فأمنه الرشيد، وأمر بإحضاره.

ولما اتصل خبر ذلك بالعبّابي، قال يمدح يحيى بن خالد:

ما زلت في سكرات الموت مطّرحاً قد غاب عني وجه الأرض من خبلي

فلم تزل دائماً تسعى لتنقذني حتى اختلست حياتي من يد الأجل (١)

ص: ٢٧١

١- الـدى أرويه: ما زلت في سكرات الموت مطّرحاً قد غاب عني وجه الرأى من حيلي فلم تزل دائماً تسعى بلطفك لي حتى استللت حياتي من يدي أجلي

لماذا قتل أبو سلمه الخلال

و ذكر في بعض كتب الدوله:

أنّ أبا سلمه الخلال (١)، لمّا قوى الدعاه، و شارفوا العراق، و قد ملكوا خراسان و ما بينها و بين العراق، استدعى بنى العباس، فصيّروهم فى منزله بالكوفه، و كان له سرداب، فجعل فيه جميع من كان حيّا فى ذلك الوقت من ولد عبد الله ابن العباس، و فيهم السفّاح، و المنصور، و عيسى بن موسى، و هو يراعى الأخبار.

و كان الدعاه يؤمرون بقصده إذا ظهروا و غلبوا على الكوفه، ليعرفهم الإمام، فيسلمون الأمر إليه.

فلما أوقع قحطبه (٢) بابن هبيرة الوقعه العظيمه على الفرات (٣)، و غرق قحطبه، و انهزم ابن هبيرة، و لحق بواسط، و تحصّن بها، و دخل ابنا قحطبه (٤) الكوفه

ص: ٢٧٢

١- أبو سلمه حفص بن سليمان الهمداني الخلال: أوّل وزير فى الإسلام، و كان يدعى وزير آل محمّد، أنفق كثيرا من ماله فى سبيل الدعوه العباسيّة، و كان واسطه الصلّه بين إبراهيم الإمام و نقيب الدعوه العباسيّة بخراسان، و لما استقام الأمر للسفّاح استوزره فى السنه ١٣٢، و أعتل بعد أربعة أشهر من وزارته، فقال الشاعر: (الأعلام ٢/٢٩١) [١] إنّ الوزير وزير آل محمّد أودى، فمن يشناك كان وزيرا

٢- قحطبه بن شبيب الطائي: قائد عباسى، كان أحد النقباء الاثنى عشر الذين اختارهم محمّد بن على العباسى، ممن استجاب له بخراسان فى السنه ١٠٣، قاد الجيوش العباسيّة، و ظفر فى جميع وقائعه، و فى آخر معركة له، انتصر على يزيد بن هبيرة أمير العراق، و لكنّه غرق فى الفرات سنه ١٣٢ (الأعلام ٦/٣٠٠).

٣- راجع تفصيل غرق قحطبه فى العيون و الحداثق ٣/١٩٤ و ١٩٥.

٤- كان مع قحطبه فى حملته العسكريه، اثنان من أولاده: الحسن و حميد، و الحسن (٩٧-١٨١): أحد القاده الشجعان المقدمين، قاد الجيش بعد غرق أبيه فى السنه ١٣٢ (العيون و الحداثق ٣/١٩٥)

بالعسكر كلّه، قالوا لأبى سلمه: أخرج إلينا الإمام، فدافعهم، وقال: لم يحضر الوقت الذى يجوز فيه ظهور الإمام، وأخفى الخبر عن بنى العباس، وعمل على نقل الأمر عنهم، إلى ولد فاطمه رضى الله عنهم، وكاتب جماعه منهم، فتأخروا عنه.

و ساء ظنّ بنى العباس به، فاحتالوا حتى أخرجوا مولى لهم أسود كان معهم فى السرداب، وقالوا له: اعرف لنا الأخبار، فعاد إليهم، وعرفهم أنّ قحطبه غرق، وأنّ ابن هبيرة انهزم، وأنّ ابني قحطبه قد دخلا الكوفه بالعسكر منذ كذا وكذا.

فقالوا: أخرج و تعرّض لابني قحطبه، وأعلمهما بمكاننا، ومرهما بأن يكبسا الدار علينا و يخرجانا.

فخرج المولى، وكان حميد بن قحطبه (1) عارفا به، فتعرّض له، فلمّا رآه أعظم رؤيته، وقال: ويلك ما فعل سادتنا، وأين هم؟ فخبره بخبرهم، وأدى إليه رسالتهم.

فركب فى قطعه من الجيش، وأبو سلمه غافل، فجاء حتى ولج الدار، وأراه الأسود السرداب، فدخل و معه نفر من الجيش، فقال: السلام عليكم و رحمه الله و بر كاته.

فقالوا: و عليكم السلام.

فقال: أيكم ابن الحارثيه؟ وكانت أمّ أبى العباس عبد الله بن محمّد بن

ص: ٢٧٣

١- حميد بن قحطبه بن شبيب الطائى: أحد القاده العباسيين، كان فى الجيش الذى قاده أبوه قحطبه لحرب الأمويين، و وقف موقفا شديدا من أجل مبايعه أبى العباس السفّاح، و شتم أبى سلمه الخلال (العيون و الحداثق ٣/١٩٩) و ولى مصر فى السنه ١٤٣، ثمّ الجزيره، ثم ولى خراسان، و فيها مات (الأعلام ٢/٣١٨).

على بن عبد الله، و كان إبراهيم بن محمّد -الذى يقال له الإمام (١)- لما بثّ الدّعاء، قال لهم: إن حدث بعدى حدث، فالإمام ابن الحارثية الذى معه العلامة، و هى: (و نريد أن نمّن على الذين استضعفوا فى الأرض، و نجعلهم أئمة، و نجعلهم الوارثين، و نمكّن لهم فى الأرض، و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٢)).

قال: فلما قال ابن قحطبه: أيكم ابن الحارثية؟ ابتدره أبو العباس، و أبو جعفر، كلاهما يقول: أنا ابن الحارثية (٣).

فقال ابن قحطبه: فأيتكما معه العلامة؟ فقال أبو جعفر: فعلمت أنّى قد أخرجت من الأمر، لأنّه لم يكن معى علامه.

فقال أبو العباس: و نريد أن نمّن... و تلا الآية.

فقال له حميد بن قحطبه: السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته، مدّ يدك أبايعك، فبايعه.

ثم انتضى سيفه، و قال: بايعوا أمير المؤمنين، فبايعه أخوته، و بنوا عمّه، و عمومته، و الجماعه الذين كانوا معه فى السرداب.

و أخرجه إلى المنبر بالكوفه، و أجلسه عليه، فحصر (٤) أبو العباس عن الكلام، فتكلّم عنه عمّه داود بن على (٥)، فقام دونه على المنبر بمرقاه، و جاء أبو سلمه

ص: ٢٧٤

١- إبراهيم بن محمّد بن على بن عبد الله بن العباس (٨٢-١٣١): زعيم الدّعوة العباسية، و هو الذى بثّ الدّعاء فى خراسان، حبسه مروان بن محمّد، و مات فى حبسه (الأعلام ١/٥٤).

٢- ٤ و ٥ ك، القصص ٢٨.

٣- ابن الحارثية، هو أبو العباس السّفّاح، أمّا المنصور، فأمه بربرية اسمها سلامه، و أحسب أنّ هذا هو الذى أخره عن الخلافة، و قدّم أخاه أبا العباس، مع أنّ المنصور أسنّ من السّفّاح بتسع سنوات (ولد المنصور سنة ٩٥، و ولد السّفّاح سنة ١٠٤)، راجع حاشية القصّه ٨١ من هذا الكتاب.

٤- حصر: عىّ فى النطق.

٥- أبو سليمان داود بن على بن عبد الله بن العباس (٨١-١٣٣): عمّ السّفّاح و المنصور، من الخطباء،

[٧٣ ن]، و قد استوحش و خاف.

فقال حميد: يا ابا سلمه، زعمت أنّ الإمام لم يقدم بعد؟ فقال أبو سلمه:

إنّما أردت أن أدافع بخروجهم إلى أن يهلك مروان، فإن كانت له كره لم يكونوا قد عرفوا فيهلكوا، وإن هلك مروان أظهرت أمرهم على ثقه.

فأظهر أبو العباس قبول هذا العذر منه، و أقعده إلى جانبه، ثم دبّر عليه بعد مدّه حتى قتله (١).

و قد روى هذا الخبر على غير هذا السياق، فقالوا:

قدم أبو العباس السّفاح و أهله على أبي سلمه سرّاً، فستر أمرهم، و عزم على أن يجعلها شورى بين ولد عليّ و العباس، حتى يختاروا منهم من أرادوا.

ثم خاف أن لا يتفق على الأمر فعزم على أن يعدل بالأمر إلى ولد الحسن و الحسين رضى الله عنهم، و هم ثلاثة: جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين، و عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، و عمر بن علي بن الحسين.

و وّجه بكتب إليهم مع رجل من مواليهم من ساكنى الكوفه.

فبدأ بجعفر بن محمّد، فلقيه ليلاً، فأعلمه أنّه رسول أبي سلمه، و أنّ معه كتاباً إليه.

فقال: ما أنا و أبو سلمه، و هو شيعه لغيرى؟

فقال له الرسول: تقرأ الكتاب، و تجيب عنه بما رأيت.

فقال جعفر لخادمه، قزب منى السراج، فقزبه، فوضع عليه كتاب أبي سلمه، فأحرقه.

فقال: أ لا تجيب عنه؟

ص: ٢٧٥

١- لم ترد هذه القصّه فى ر و لا فى م و لا فى غ، و أثبتناها من ه.

فقال:الجواب ما رأيت.

ثم أتى عبد الله بن الحسن، فقبل كتابه، وركب إلى جعفر.

فقال جعفر:مرحبا بك أبا محمد، لو أعلمتني لجئتك.

فقال:إنه أمر يجلب عن الوصف.

فقال:و ما هو؟

قال:هذا كتاب أبي سلمه يدعوني فيه إلى الأمر، و يرانى أحق الناس به، و قد جاء به شيعتنا من خراسان.

فقال له جعفر:و متى صاروا شيعتك؟ أنت و جّهت أبا مسلم إلى خراسان، و أمرته بلبس السواد؟ أ تعرف أحدا منهم باسمه و نسبه؟

قال:لا.

قال:كيف يكونون شيعتك، و أنت لا تعرف أحدا منهم، و لا يعرفونك؟

فقال عبد الله:هذا الكلام كان منك لشيء.

فقال جعفر:قد علم الله تعالى أنى أوجب النصح على نفسى لكل مسلم، فكيف أدخره عنك، فلا تمنين نفسك الأباطيل، فإن هذه الدوله ستتم لهؤلاء القوم، و ما هى لأحد من ولد أبى طالب، و قد جاءنى مثل ما جاءك.

فانصرف غير راض بما قاله له.

و أمّا عمر بن على بن الحسين، فردّ عليه الكتاب، و قال:لا أعرف من كتبه (١).

قال:و أبطأ أبو سلمه على أبى العباس و من معه، فخرج أصحابه يطوفون بالكوفه، فلقي حميد بن قحطبه، و محمد بن صول (٢) أحد مواليهم، فعرّاه،

ص: ٢٧٤

١- راجع كتاب العيون و الحقائق ٣/١٩٦-١٩٨.

٢- محمد بن صول: من رجال الدوله العباسيه و دعواتها، و هو جد إبراهيم بن العباس الصولى (الأعلام ١/٣٨).

لأنه كان يحمل إليهم كتب محمد بن علي (١) وإبراهيم بن محمد، فسألاه عن الخبر، فأعلمهما أن القوم قد قدموا، وأنهم في سرداب يعرف بيني أود، فصارا إلى الموضع، فسلموا عليهم.

وقالا: أيكما عبد الله؟

فقال المنصور و أبو العباس: كلانا عبد الله.

فقال: أيكما ابن الحارثيه؟

فقال أبو العباس: أنا.

فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته، و دنوا فبايعوه.

و أحضروه إلى المسجد الجامع، فصعد على المنبر، فحصر، و تكلم عنه عمه داود بن علي، و قام دونه بمرقاه (٢).

ص: ٢٧٧

١- محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (٦٢-١٢٥): والـد السـفـاح و المنصور، أوّل من قام بالدعوة العباسية، و بثّ الرجال إلى الجهات (الأعلام ١٥٣/٧).

٢- لم ترد هذه القصة في ر و لا في م و لا في غ، و أثبتناها من ه.

أمير البصره العباسي يحيى أمويًا

[أخبرنا أبو الفرج علي بن الحسين، المعروف بالأصبهاني، قال: أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو، قال: أخبرني، [١] طارق بن المبارك عن أبيه، قال:

جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة (٢)، فقال لي: يقول لك عمرو: قد جاءت هذه الدوله و أنا حديث السنّ، كثير العيال، منتشر الأموال، فما أكون في قبيله إلاّ و شهر أمرى، و قد عزمت علي أن أفدى حرمى بنفسى، و أنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن علي (٣)، فصر إليّ.

فوافيته، فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض (٤)، و سراويل و شى مشدود (٥).

ص: ٢٧٨

١- الزيادة من ن.

٢- هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، جد أبي عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن معاوية الذى ترجمه صاحب اللباب ١١٨/٢ و ١١٩ و [١] قال عنه إنه صاحب أخبار و آداب، و قد ورد خطأ فى ترجمه اسم جدّيه بلفظ عمر، و هما: عمرو، فليلاحظ ذلك.

٣- سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس (٨٢-١٤٢): أمير عباسي، من الأجواد الممدوحين، و لآه السّفاح أماره البصره و أعمالها، و كور دجله، و البحرين، و عمان، سنة ١٣٣، و عزله المنصور سنة ١٣٩ فأقام بالبصره، و توفّي فيها (الأعلام ١٩٣/٣).

٤- الطيلسان: قطعه من القماش، توضع فوق الثياب على الكتفين، و قد يغطّى بها الرأس، راجع التفصيل فى حاشيه القصّه ١٦٣ من هذا الكتاب، و قوله: مطبق، ان كانت الكلمه بدون تشديد فإنّ الطيلسان إذا كان طاقين، سمّى مطبقاً (كتاب التلخيص للعسكري ٢٠٤/١) و [٣] إن كانت الكلمه بتشديد، فإنّ الثوب أو الطيلسان، يسمّى: مطبقاً، إذا كسى بعضه أو كلّه بقشر اللؤلؤ (لسان العرب، ماده طبق).

٥- السراويل: لباس يستر النصف الأسفل من الجسم (المنجد)، فارسىّ: سربال (أى فوق القامه)، راجع تفسير الألفاظ الدخيله ٣٥ و الألفاظ الفارسىّ المعرّبه ٨٨، و الوشى: ضرب من الثياب المنسوجه

فقلت: سبحان الله، ما تصنع الحادّثه بأهلها، أيها الإنسان تلقى هؤلاء القوم الذين تريد لقاءهم و عليك مثل هذا؟

قال: والله، ما ذهب عليّ ذلك، و لكن ليس عندي ثوب، إلا و هو أشهر من هذا.

فأعطيته طيلسانى، و أخذت طيلسانه، و لويت سراويله إلى ركبته، فدخل، ثم خرج مسرورا.

فقلت: حدّثنى بما جرى بينك و بين الأمير.

قال: دخلت إليه، و لم يرنى قط، فقلت: أيها الأمير، لفظتنى البلاد إليك، و دلّنى فضلك عليك، فإما قبلتنى غانما، و إما رددتنى سالما.

فقال: من أنت؟ فانتسبت إليه.

فقال: مرحبا، أقعد فتكلّم، غانما مسرورا، ثم اقبل عليّ، و قال: ما حاجتك يا ابن أخى؟

فقلت: إنّ الحرم اللواتى أنت أقرب الناس إليهنّ، قد خفن بخوفنا، و من خاف خيف عليه.

فو الله ما أجابنى إلا بدموعه تسيل على خديّ، و قال: يا ابن أخى، يحقن الله دمك، و يحفظك فى حرمك، و يوفّر عليك مالك، و الله، لو أمكننى ذلك فى جميع أهلك لفعلت، و لكن كن متواريا كظاهر، و آمنا كخائف، و لتأتنى رفاعك.

قال: و كان- و الله- يكتب إليه كما كان يكتب الرجل إلى ابن عمّه (١).

ص: ٢٧٩

١- أورد ابن الأثير ٤٣١/٥-٤٣٢ هذه القصّه، و ذكر إنّها كانت السبب فى أمان البقيّه الباقية من بنى أمية،

قال: فلما فرغ من كلامه، رددت عليه طيلسانه، فقال: مهلا، إن ثيابنا إذا خرجت عنا، لم تعد إلينا (١).

و وجدت هذا الخبر، بإسناد ليس هو لي، بروايه عن العتبي (٢)، قال:

حدّثنا طارق بن المبارك الذرّاع البصرى - ولم يتجاوزّه (٣) - قال:

قدم جدّك عمرو بن معاوية البصره، حين نكب بنو أميّه، قال: فجعل لا ينزل بحى، إلا أجهروه و اشتهر.

فقال لي: اذهب بنا أضع يدي في يد هذا الرجل، يعنى سليمان بن على، و ذكر نحوه.

و قال في آخره: فلما صار عمرو إلى منزله، دفعت إليه ثوبه، و طلبت ثوبى، فردّهما علىّ جميعا، و قال: إنّنا لم نأخذ ثوبك لنحبسه، و لم نعطك ثوبنا لترده (٤).

ص: ٢٨٠

١- لم ترد هذه القصّه فى ر و لا فى م و لا فى غ، و أثبتناها [١] من ه، و قد وردت فى كتاب الكامل لابن الأثير ٤٣١/٥ و ٤٣٢.

٢- العتبي: نسبه إلى عتبه بن أبى سفيان (اللباب ١١٨/٢ و ١١٩).

٣- يريد أنه لم يذكر تسلسل الذين استمع منهم الخبر، و إنّما اكتفى بذكر طارق الذرّاع وحده.

٤- لم ترد هذه القصّه فى ر و لا- فى م و لا فى غ و أثبتناها من ه، و قد وردت فى الكامل لابن الأثير ٤٣١/٥ و ٤٣٢ و وردت فى الأغانى ٣٤٩/٤ و ٣٥٠).

عبد الملك بن مروان

يؤمن ابن قيس الرقيات و يحرمه العطاء

[أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين، المعروف بالأصبهاني، إجازته في كتابه:

الأغاني الكبير، قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، وأبو عبد الله [٧٤ ن] الحرمي بن أبي العلاء و غيرهما، قالوا: حدثنا الزبير بن بكّار، قال: حدثنا عبد الله بن البصير البربري، مولى قيس بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: [١] قال عبيد الله بن قيس الرقيات (٢):

خرجت مع مصعب بن الزبير، حين بلغه خروج عبد الملك بن مروان، فلمّا نزل مصعب مسكن (٣)، و تبين الغدر ممن معه، دعاني، و دعا بمال، فملاً المناطق منه، و ألبسنيها.

و قال: امض حيث شئت، فإنّي مقتول.

فقلت: لا و الله، لا أروح حتى آتى سبيلك، فأقمت معه حتى قتل (٤).

و مضيت إلى الكوفة، فأول بيت دخلته إذا فيه امرأه معها بنتان كأنهما

ص: ٢٨١

١- الزيادة من ن.

٢- عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، المعروف بابن قيس الرقيات: شاعر غزل، مدح مصعب ابن الزبير، و حارب معه، و لما قتل مصعب، التجأ إلى عبد الله بن جعفر، فسأل فيه عبد الملك ابن مروان، فأمنه. و لقب بابن قيس الرقيات، لأنه كان يتغزل بثلاث نسوه، كلّ واحد منهنّ اسمها رقيه (الأعلام ٣٥٢/٤).

٣- قتل مصعب بمسكن، و ما تزال آثارها ماثله، و يسميها أهل المنطقه: خرائب مسكين.

٤- دفن مصعب حيث قتل، و بنيت عليه قبه، و يسميها أهل المنطقه الآن: شيخ منصور، راجع حاشيه القصه ٣٧٣ من الكتاب.

ظبيتان، فرقيت في درجه لها إلى مستشرق، فقعدت فيه.

قال: فأصعدت لي ما أحتاج إليه من الطعام، و الشراب، و الفرش، و الماء، و الوضوء.

فأقمت كذلك عندها أكثر من حول، تقوم بكل ما يصلحني، و تغدو عليّ في كلّ صباح، فتسألني عن حوائجي، فما سألتني من أنا، و لا أنا سألتها من هي؟ و أنا في أثناء ذلك أسمع الصياح فيّ، و الجعل (١).

فلما طال بي المقام، و فقدت الصياح و الجعل، و غرضت (٢) بمكاني، جاءت إليّ في الصباح تسألني الحاجه، فأعلمتها أني قد غرضت بموضعي، و أحببت الشخوص إلى أهلي.

فقلت لي: يا تيكيك ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى.

قال: فلما أمسيت، و ضرب الليل برواقه، رقت إليّ، و قالت: إن شئت

فنزلت، و قد أعدت راحلتين، عليهما جميع ما أحتاج إليه، و معهما عبد، و أعطت العبد نفقه الطريق، و قالت: العبد و الراحلتان لك.

فركبت، و ركب معي العبد، حتى أتيت مكه، فدققت باب منزلي، فقالوا:

من أنت يا هذا؟

فقلت: عبيد الله بن قيس الرقيات، فولولوا، و بكوا، و قالوا: لم يرتفع طلبك إلا في هذا الوقت.

فتوقفت عندهم حتى أسحرت، و نهضت، فقدمت المدينة، و معي العبد، فجئت إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٣) رضى الله عنهم، و هو يعشى

ص: ٢٨٢

١- الجعل، بضم الجيم و سكون الغين: العطييه أو المنحه.

٢- غرض، بكسر الراء: ضجر و ملّ.

٣- عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب (١-٨٠): صحابي، ولد بأرض الحبشه، لما هاجر أبواه إليها، و هو أول مولود ولد بها من المسلمين، و كان كريما، يقال له: بحر الجود، و كان أحد الأمراء في جيش الإمام عليّ في حرب صفين، توفى بالمدينه (الأعلام ٢٠٤/٤).

أصحابه، فجلست معهم، و جعلت أتعاجم، و أقول: بناريناواى طيار (١).

فلما خرج أصحابه، كشفت له عن وجهي، فقال: ابن قيس؟

فقلت: عائذا بك.

فقال: ويحك، ما أجدهم في طلبك، و أحرصهم على الظفر بك، و لكنني أكتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان - و هي زوجه الوليد بن عبد الملك - و عبد الملك أرق شئء عليها.

فكتب إليها يسألها التشفع إلى عمها عبد الملك.

فلما وصلها الكتاب، دخلت على عمها، فسألها: هل من حاجة؟

قالت: نعم، لى حاجة.

فقال: قد قضيت كل حاجة لك، إلا ابن قيس الرقيات.

فقالت: لا تستثنين علي.

فنفح بيده، فأصاب حرّ وجهها (٢)، فوضعت يدها على خدها.

فقال لها: أرفعى يدك، فقد قضيت كل حاجة لك و إن كانت ابن قيس الرقيات.

فقالت: حاجتى أن تؤمنه، فقد كتب إليّ يسألنى أن أسألك ذلك.

قال: هو آمن، فمريه يحضر المجلس العشيّه.

فحضر، و حضر الناس - حين بلغهم - مجلس عبد الملك.

قال: فأخر الإذن لابن قيس، و أذن للناس، فدخلوا، و أخذوا مجالسهم، ثم أذن له.

فلما دخل عليه، قال عبد الملك: يا أهل الشام أ تعرفون من هذا؟

قالوا: لا.

ص: ٢٨٣

٢- حرّ الوجه: ما بدا من الوجهه.

قال: هذا ابن قيس الرقيات، الذي يقول:

كيف نومي على الفراش و لَمَّا تشمل الشام غاره شعواء

تذهل الشيخ عن بنيه و تبدى عن خدام (١) العقيله العذراء

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إسقنا دم هذا المنافق.

قال: الآن، و قد أمّنته، و صار فى منزلى و على بساطى؟ قد أخّرت الإذن له لتقتلوه، فلم تفعلوا.

فاستأذنه ابن قيس، أن ينشده مديحه، فأذن له، فأنشده قصيدته التى يقول فيها:

عاد له من كثيره الطرب فعينه بالدموع تنسكب

[كوفيه نازح محلّتها لا أمم دارها و لا صعب] (٢)

و الله ما إن صبت إلّى و لا يعرف بينى و بينها نسب

إلا الذى أورثت كثيره فى القلب و للحبّ سوره عجب

حتى قال فيها:

إنّ الأغرّ الذى أبوه أبو ال عاص عليه الوقار و الحجب

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنّه الذهب

فقال له عبد الملك: يا ابن قيس، تمدحنى بالتاج، كأننى من العجم، و تقول فى مصعب ابن الزبير:

إنّما مصعب شهاب من اللّ ه تجلّت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رأفه ليس فيه جبروت منه و لا كبرياء

ص: ٢٨٤

١- الخدام، مفردة خدمه (بالتحريك): الخلخال.

٢- الزيادة من الأغاني ٧٩/٥.

أما الأمان فقد سبق لك، ولكن -و الله- لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا (١).

و أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه:

أن عبيد الله بن قيس الرقييات، منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت المال، و طلبه ليقتله، فاستجار بعبد الله بن جعفر، و قصده، فالتقاه نائما.

و كان ابن قيس صديقا لسائب خاثر (٢)، فطلب الإذن على ابن جعفر، فتعذر، فجاء بسائب خاثر ليستأذن له.

قال سائب خاثر: فجئت من قبل رجلى عبد الله بن جعفر، و نبحت نباح الجرو الصغير، فانتبه و لم يفتح عينيه، و رفسنى برجله.

قال: فدرت إلى عند رأسه، و نبحت نباح الكلب الهرم، فانتبه و فتح عينيه.

فقال: مالك، و يلك؟

فقلت: عبيد الله بن قيس الرقييات بالباب.

فقال: ائذن له، فأذنت له، و دخل، فرحّب به عبد الله و قرّبه، فعرفّه ابن قيس خبره.

فدعا بظييه (٣) فيها دنانير، و قال لى: عدّ له ما فيها.

فجعلت أعدّ له، و أطرب، و أحسن صوتى بجهدى، حتى عددت له ثلثمائة دينار، و سكت.

فقال عبد الله: لماذا سكت، و يلك؟ ما هذا وقت قطع الصوت الحسن.

ص: ٢٨٥

١- لم ترد هذه القصّة فى م، و لا فى ر، و لا فى غ، و قد أثبتناها من ه، و قد وردت فى الأغانى ٧٩-٧٦/٥.

٢- أبو جعفر سائب بن يسار، المعروف بسائب خاثر: أحد أئمّه الغناء و التّليحين عند العرب، نشأ بالمدينه، و احترف التجاره، فأثرى، و هو أول من عمل العود بالمدينه، و غنى به، و هو أستاذ معبد المشهور، قتله جيش يزيد بن معاويه فى وقعه الحرّه، لما استباح يزيد مدينه الرسول صلوات الله عليه فى السنه ٦٣ (الأعلام ١١١/٣).

٣- الظبيّه: جراب من جلد الظبى عليه شعره.

فجعلت أعدّ ما فى الظويه، و فيها ثمانمائه دينار، فدفعتها إليه.

فلما قبضها التفت إلى ابن جعفر، و قال له: تسأل أمير المؤمنين فى أمرى؟

قال: نعم، إذا دخلت عليه، ثم إنّه دعا له بطعام، فأكل أكلا فاحشا، و ركب ابن جعفر، فدخل معه إلى عبد الملك، فلما قدّم الطعام جعل يسىء الأكل.

فقال عبد الملك، لابن جعفر: من هذا؟

قال هذا رجل لا يجوز أن يكون كاذبا إن استبقى، و إن قتل كان أكذب الناس.

قال: كيف؟ قال: لأنّه يقول:

ما نقوموا سن بنى أميّه إلا أنّهم يحلمون إن غضبوا

فإن قتله بغضبك عليه أكذبكم فيما مدحك به.

قال: فهو آمن، و لكن لا أعطيه عطاء من بيت المال.

قال: أحبّ أن تهب لى عطاءه، كما وهبت لى دمه.

قال: قد فعلت، و أمر له بذلك (١).

ص: ٢٨٦

١- لم ترد القصّه فى م و لا فى ر و لا فى غ، و قد أثبتناها من ه، و قد أوردها صاحب الأغانى ٨١/٥-٨٢، [١] أقول: فى هذه القضية نظر، فإنّ سائب خاثر قتل فى السنه ٦٣ فى وقعه الحرّه، فى أيام يزيد بن معاويه، أى قبل توليه عبد الملك بن مروان فى السنه ٦٥.

هشام بن عبد الملك وحمّاد الراويه

عن حمّاد الراويه (١)، قال:

كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك (٢)، جعل هشام (٣) يجفوني دون سائر أهله من بني أميه، في أيام يزيد.

فلما مات يزيد، وأفضت الخلافة إلى هشام خفته، ومكثت في بيتي سنه، لا أخرج إلا إلى من أثق به من إخواني سراً.

فلما لم أسمع أحدا يذكرني، أمنت، فخرجت فصليت الجمعة عند باب الفيل (٤)، فإذا بشرطيين قد وقفا عليّ.

وقالا: يا حمّاد أجب الأمير يوسف بن عمر (٥).

فقلت في نفسي: من هذا كنت أحذر، ثم قلت للشرطيين: هل لكما أن تدعاني آتي بيتي، فأودع أهلي، وداع من لا يرجع إليهم أبداً، ثم أصير معكما؟

فقالا: ما إلى ذلك سبيل.

فاستسلمت في أيديهما، وصرت إلى الأمير وهو في الإيوان الأحمر، فسلمت عليه، فرد عليّ السلام، ورمى إليّ كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم،

ص: ٢٨٧

١- أبو القاسم حمّاد بن سابور بن المبارك، المعروف بحمّاد الراويه: ترجمته في حاشيه القصّه ١٧٥ من الكتاب.

٢- أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: ترجمته في حاشيه القصّه ١٠٥ من الكتاب.

٣- هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: ترجمته في حاشيه القصّه ١٢٦ من الكتاب.

٤- في وفيات الأعيان ٢/٢٠٧: [١] صليت الجمعة في جامع الرصافه.

٥- أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محكم بن الحكم الثقفي: ترجمته في حاشيه القصّه ٢٤٠ من الكتاب.

من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أمّا بعد، فإذا قرأت كتابي هذا، فابعث إلى حمّاد الراويه من يأتيك به من غير أن يروّع ولا يتعّ (١)، وادفع إليه خمسمائه دينار، وجملاً مهرًا (٢)، يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق،

فأخذت الخمسمائه دينار، وإذا جمل مرحول (٣)، فجعلت رجلى في الغرز (٤)، و سرت اثنتي عشرة ليلة، حتى دانيت دمشق.

و نزلت على باب هشام، واستأذنت عليه، فأذن لي، فدخلت عليه في دار قوراء، مفروشه بالرخام، و بين كلّ رخامتين قضيب ذهب، و حيطانه كذلك، و هشام جالس على طنفسه حمراء، و عليه ثياب خزّ حمراء، و قد تضمّخ بالمسك و العنبر، و بين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب، يقلّبه بيده، فتفوح رائحته.

فسلّمت عليه، فردّ عليّ، و استداناني، فدنوت منه، حتى قبلت رجله.

و إذا جاريتان لم أر مثلهما، في أذن كلّ واحد منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان.

قال: أ تدرى فيم بعثت إليك؟

قلت: لا.

قال: بعثت إليك بسبب بيت خطر في بالي، لم أدر من قائله.

قلت: و ما هو؟

قال:

و دعوا بالصباح يوما فجاءت قينه في يمينها إبريق

ص: ٢٨٨

١- التعتّه: القلقله، أى التحريك بعنف.

٢- الإبل المهرية: المنسوبه إلى مهره بن عيدان من عرب اليمن، لا يعدلها شيء في سرعتها.

٣- الجمل المرحول، و المرّحل: الذى شدّ عليه الرحل، و هو ما يجعل على ظهره كالسرج.

٤- الغرز: ركاب الرحل و يكون من الجلد.

فقلت: هذا يقوله عدى بن زيد العبادى (١)، فى قصيده له.

قال: أنشدنيها، فأنشدته:

بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى أما تستفيق

و يلومون فيك يا ابنه عبد ال له و القلب عندكم موثوق

لست أدري إذ أكثروا العذل فيها أعدو يلومنى أم صديق

و دعوا بالصباح يوما فجاءت قينه فى يمينها إبريق

قدّمته على عقار كعين ال ديك صفى خلالها الراوق (٢)

قال: فطرب، ثم قال: أحسنت يا حمّاد، و الله، يا جاريه: اسقيه، فسقتنى شربه ذهبث بثلث عقلى.

و قال: أعد.

فأعدته، فاستخّفه الطرب حتى نزل عن فراشه، ثم قال للجاريه الأخرى:

اسقيه، فسقتنى شربه ذهبث بثلث عقلى.

فقلت: إن سقيت الثالثة افتضحت.

ثم قال: سل حوائجك.

قلت: كائنه ما كانت؟

ص: ٢٨٩

١- عدى بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادى التميمى: شاعر من أهل الحيره، أوّل كاتب بالعربيه فى ديوان كسرى، أتخذّه كسرى أنوشروان ترجمانا بينه و بين العرب، و أقام بالمدائن، و لمّا مات أنوشروان، و خلفه ابنه هرمز، رفع منزلته، و بعثه رسولا- إلى قيصر، ثم تزوّج هند بنت النعمان، سجنه النعمان بالحيره، و قتله فى سجنه سنه ٣٥ ق.هـ. (الأعلام ٩/٥ و ١٠).

٢- فى وفيات الأعيان ٢/٢٠٩ [٢] أضيفت أبيات ثلاثه و هى: مرّه قبل مزجها فإذا ما مزجت لّدّ طعمها من يذوق و طفا فوقها فقاقيع كاليا قوت حمر يزيناها التصفيق ثم كان المزاج ماء سحاب لاصرى آجن و لا مطروق

قال: نعم.

قلت: إحدى الجاريتين.

قال: هما لك بما عليهما و مالهما.

ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتني شربه سقطت منها و لم أعقل حتى أصبحت (١)، فإذا بالجاريتين عند رأسى، و إذا عشره من الخدم مع كل واحد منهم بدره.

و قال لى أحدهم: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام، و يقول لك: خذ هذا فانتفع به فى سفرک.

فأخذتها، و الجاريتين، و انصرفت (٢).

ص: ٢٩٠

١- كان هشام بن عبد الملك لا يشرب، و لا يسقى أحدا بحضرته مسكرا، و كان ينكر ذلك، و يعاقب عليه (الأغانى ٧٧/٦)، و [١] جىء إلى هشام برجل عنده قيان و خمر و بربط، فقال هشام: اكسروا الطنبور على رأسه، فبكى الشيخ لما ضرب، فقالوا له: عليك بالصبر، فقال: أترانى أبكى للضرب؟، انما أبكى لاحتقاره البربط، إذ سمّاه طنبورا (العقد الفريد ٢٦٢/٥).

٢- لم ترد هذه القصة فى م، و لا- فى ر، و لا فى غ، و أثبتناها من ه، و قد أورد القاضى ابن خلّكان هذه القصة فى وفيات الأعيان ٢٠٧/٢-٢٠٩ و [٢] فيها زيادات، ثم أثبت عليها ملاحظات، أولها: أنّ هشام لم يكن يشرب، و ثانيها: أنّ والى العراق فى أيام هشام لم يكن يوسف بن عمر، و إنّما كان خالد بن عبد الله القسرى.

أكل على مائدته فأمضى له الأمان

عن عبد الله بن عمران أبي فروه، قال: كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي (١) من أشرف قيس، و كان مع ابن الزبير، فلما قتل، دخل عبد الله بصفه أعرابي على عبد الملك بن مروان ليلا وهو يتعشى مع الناس (٢)، فجلس و أكل معهم، ثم وثب فقال:

منع القرار (٣) فجئت نحوك هاربا جيش يجزّ و مقنب يتلمع

فقال: أي الأخييث أنت؟، فقال:

إرحم أصيبه-هديت- كأنهم حجل تدرج بالسريه جوع

فقال: أجاج الله بطونهم، فأنت أجمعهم، فقال:

ص: ٢٩١

١- عبد الله بن الحجاج: شاعر، من أشرف قيس، كان يحارب مع ابن الزبير بسيفه، و يقارع عنه بلسانه، و من جمله ما قال يخاطب عبد الملك بن مروان [أنساب الأشراف ١٩٨/٥]: [١] أ تطلب شأو ابن الزبير و لم تكن لتدركه ما حجّ لله راكب تكلفت أمرا لم تكن لتناله طوال الليالي أو تنال الكواكب فمهلا بنى مروان لستم بزاده إذا ما التقت يوم اللقاء الكتائب إذا التقت الأبطال كنتم ثعالبا و أسد الشرى فى السلم عند الكواعب

٢- راجع بحث المائدة فى حاشيه القصه ١٢٥/٣ من كتاب نشوار المحاضره للتوخى، و راجع كتاب المائدة فى الإسلام، تأليف محقق هذا الكتاب.

٣- القرار: الهدوء، و السكون، و الاطمئنان، قال النابغه: نبت أن أبا قابوس أوعدنى و لا قرار على زار من الأسد

مال لهم مما يرضنّ جمعته يوم القلب فحيز عنهم أجمع

فقال: كسب سوء خبيث، فقال:

و لقد وطئت بنى سعيد وطأه و ابن الزبير فعرشه متضعع

و أرى الذين رجوا تراث محمّد أفلت نجومهم و نجمك يسطع

فقال: الحمد لله على ذلك، فقال:

أدنو لترحمنى و تقبل توبتى و أراك تدفعنى فأين المدفع؟

فقال: إلى النار، فقال:

ضاقت ثياب الملبسين فأولنى عرفا و ألبسنى فتوبك أوسع

قال: فرمى إليه بمطرف خزّ كان عليه.

فقال عبد الله: أمنت و الله.

فقال له عبد الملك: كن من شئت إلا عبد الله بن الحجاج.

فقال: أنا- و الله- هو، و قد أمنتنى، أكلت طعامك، و لبست ثيابك، فأى خوف علىّ.

فقال: ما هداك إلا جدك، و أمضى له الأمان (١).

ص: ٢٩٢

١- لم ترد هذه القصّة فى ر، و لا فى م، و لا فى غ، و قد أثبتناها من ه.

الفضل بن الربيع

يتحدّث عمّا لاقى أيام استتاره من المأمون

[حدّثني علي بن هشام أبي قيراط الكاتب، بواسط، في سنة اثنتين و ستين و ثلثمائه، من لفظه، قال: حدّثني أبو علي بن مقله، قبل وزارته الأولى، قال:

حدّثني أبو عيسى محمّد بن سعيد الديناري، عن أبي أيّوب سليمان بن وهب^(١) عن أبي طالوت كاتب ابن طاهر^(٢)، قال: سمعت الفضل بن الربيع، يقول:

لما استترت من المأمون، أخفيت نفسي حتى عن عيالي و ولدي، و كنت أنتقل وحدى.

فلما اقترب المأمون من بغداد، ازداد حذري، و خوفي على نفسي، فتشدّدت في الاحتياط و التواري، و أفضيت إلى منزل بزّاز كنت أعرفه في درب بباب الطاق^(٣)، و شدّد المأمون في طلبي^(٤) [٢٥٢ ر] فلم يعرف لي خيرا.

فتذكّرني يوماً، فاغتاض علي إسحاق بن إبراهيم، و جدّ به في طلبي، فأغلظ له^(٤)، فخرج إسحاق من حضرته، و جدّ بأصحاب الشرط، و أوقع ببعضهم المكاره، و نادى في الجانبين^(٥)، من جاء به فله عشرة آلاف درهم و إقطاع غلّته

ص: ٢٩٣

١- الزيادة من غ، و في ن: في سنة اثنتين و ثلاثين، و هو خطأ من الناسخ.

٢- في ر: حدّثني هشام، و في ن: كاتب آل طاهر.

٣- باب الطاق: هي اليوم محلّه الصرّافيه، و كان يربطها بالجانب الغربي جسر حلّ محلّه اليوم جسر الصرّافيه الحديد.

٤- ساقطه من غ.

٥- في غ: و نادى في البلد، و قوله: في الجانبين، كناية عن جميع البلد، و البغداديون اليوم يسمّون الجانب: الصوب، و هي فصيحته، بمعنى الجبهه، فيقولون: نادى في الصوبين، بدل: الجانبين،

ثلاثه آلاف دينار فى السنه، و إن من وجد عنده بعد النداء ضرب خمسمائه سوط و هدمت داره و أخذ ماله و حبس طول الدهر، فنودى بذلك عشياً.

فما شعرت، إلا و صاحب الدار قد دخل على و أخبرنى الخبر، و قال:

و الله، ما أقدر بعد هذا على سترك، و لا آمن من زوجتى، و جاريتى، و غلامى، و أن تشره نفوسهم إلى المال، فيدلون عليك، و أهلك بهلاكك، و إن صفح الخليفه عنك، لم آمن من أن تتهمنى بأنى دلت عليك، فيكون ذلك أقبح و أشنع، و ليس الرأى لى و لك إلا أن تخرج عنى.

فورد على ذلك أعظم مورد، و قلت: إذا جاء الليل خرجت عنك.

قال: و من يطيق الصبر على هذا الضرر إلى الليل، فإنك إن وجدت عندى قبل الليل أهلكتنى و أهلكت نفسك، و هذا وقت حاز، و قد طال عهد الناس بك، فقم و تنكر [٢٦٩ غ] و اخرج.

فقلت: كيف أتنكر؟

فقال: تأخذ أكثر لحيتك، و تغطى رأسك و بعض وجهك، و تلبس قميصاً ضيقاً، و تخرج.

فقلت: أفعل.

فجاء بمقراض فأخذت أكثر لحيتى، و تنكرت، و خرجت من عنده فى أول أوقات العصر، و أنا ميت خوفاً.

فمشيت فى الشارع، حتى بلغت الجسر، فوجدته قد رش، و هو خال من الناس، مترلق.

ص: ٢٩٤

فلما توسّطته، إذا أنا بفارس من الجند الذين كانوا فى دارى فى أيام وزارتى (١)، قد قرب منى، فعرفى، وقال: طلبه أمير المؤمنين، و عدل إلى ليقبض على.

فلحلاوه النفس دفعته و دابّته، فزلق، و وقع فى بعض السفن التى فى الجسر، و تعادى الناس لخلاصه، و ظنّوا أنّه زلق بنفسه.

و تشاغل عنى بهم، و زدت أنا فى المشى، و لم أعد لثلاً ينكر حالى من يرانى، إلى أن عبرت الجسر و دخلت درب سليمان (٢).

فوجدت امرأه على باب دار مفتوح، فقلت لها: يا امرأه، أنا خائف من القتل، فأجيرينى و احقنى دمي.

فقلت: ادخل، و أومأت إلى غرفه، فصعدتها.

فلما كان بعد ساعه، إذا بالباب يدقّ، ففتحته، و إذا زوجها قد دخل، فتأمّلته، فإذا هو صاحبى على الجسر، و هو مشدود الرأس يتأوّه من شجّه [٧٥ ن] للحقته، و ثيابه مغموسه بالدم.

و سألته المرأه عن خبره، فأخبرها بالقصّه، و قال لها: قد زمنت دابّتى و أنفذتها لتباع فى سوق اللحم، و قد فاتنى الغنى، و جعل يشتمنى، و هو لا يعلم بوجودى معه فى الدار، و أقبلت المرأه تترقّق به إلى أن هدأ.

فلما صلّيت المغرب، و أقبل الظلام، صعدت المرأه إلى، و قالت: أظنّك صاحب القصّه مع هذا الرجل.

فقلت: نعم.

ص: ٢٩٥

١- و زّر الفضل بن الربيع للرشيد على أثر قتل الوزير جعفر البرمكى فى السنه ١٨٧ و استمرّ وزيراً بقيه عهد الرشيد، و لما استخلف الأمين أقرّه على وزارته، و لما أتضح ظفر المأمون استتر الفضل فى السنه ١٩٦ (الأعلام ٣٥٣/٥).

٢- درب سليمان: ينسب إلى سليمان بن أبى جعفر المنصور، و كان امتداداً للجسر، أى أنّ الذى يعبر جسر باب الطاق، ينصب رأساً إلى درب سليمان، راجع معجم البلدان ٥٦٣/٢.

فقلت: قد سمعت ما عنده، فأتق الله في نفسك و اخرج، فدعوت لها.

فنزلت، ففتحت الباب فتحا رفيقا، وقالت: اخرج، وكانت الدرجة في الدهليز، فأفضيت إلى الباب، فلما انتهيت إلى آخر الدرب وجدت الحراس قد أغلقوه، فتحيّرت.

ثم رأيت رجلا يفتح بابا بمفتاح رومى، فقلت: هذا رومى، و هو ممن يقبل مثلى.

فدنوت منه و قلت: أسترنى، سترك الله.

فقال: ادخل، فدخلت، فرأيت رجلا فقيرا وحيدا، فأقمت ليلتى عنده، و بكر من غدو، و عاد نصف النهار و معه حمّالان يحمل أحدهما حصيرا و مخذّه، و جرار، و كيزان، و غضائر جددا، و قدرا جديدا، و يحمل الآخر خبزا و فاكهه، و لحما، و ثلجا، فدخل، و ترك ذلك كله عندى، و أغلق الباب.

فنزلت، و عدلته (١)، و قلت له: لم كلفت نفسك هذا؟

فقال: أنا رجل مزين (٢)، و أخاف أن تستقدرنى، و قد أفردت لك هذا، فاطبخ أنت و أطعمنى [٢٥٣ ر] فى غضاره أجيء بها من عندى، فشكرته على ذلك، و أقمت عنده ثلاثه أيام.

فلما كان آخر اليوم الثالث، ضاق صدرى، فقلت له: يا أخى الضيافه ثلاثه أيام، و قد أحسنت و أجملت، و أريد الخروج.

فقال: لا- تفعل، فإنى و حيد، و لست ممن يطرق، و خبرك لا يخرج من عندى أبدا، فأقم إلى أن يفرج الله عنك [٢٧٠ غ]، فليست أثاقل بك.

فأبيت للحين (٣)، و خرجت على وجهى أريد منزل عجوز [باب التبن] (٤) من

ص: ٢٩٤

١- العذل: اللوم.

٢- المزين: الحلاق.

٣- الحين، بفتح الحاء: الهلاك أو المحنة.

٤- ساقطه من غ، و محلّه باب التبن، محلّه كبيره كانت ببغداد ملاصقه لمقابر قريش التى فيها قبر الإمام موسى الكاظم عليه السلام (معجم البلدان ١/٤٤٣) [١] أقول: هذا يعنى أنّ محلّه باب التبن، هى الآن جزء من مدينه الكاظميه.

موالينا، فصدقنا الباب عليها، فخرجت، فلما رأتنى بكت، وحمدت الله على رؤيتى، و أدخلتنى الدار.

فلما كان فى السحر، و أنا نائم، بكرت العجوز فغمزت على بعض أصحاب إسحاق بن إبراهيم، فما شعرت إلا بإسحاق نفسه، فى خيله و رجله، قد أحاط بالدار، ثم كبسها و استخرجنى منها، حتى أوقفنى بين يدى المأمون حافيا حاسرا.

فلما رآنى سجد طويلا ثم رفع رأسه، و قال: يا فضل، أتدى لم سجدت؟

فقلت: نعم، شكرا لله تعالى الذى أظفرك بعدو دولتك، المغرى بينك و بين أخيك.

قال: ما أردت هذا، و لكننى سجدت شكرا لله على ما ألهمنيه من العفو عنك، فحدّثنى بخبرك؟ فشرحت له من أوله إلى آخره.

فأمر بإحضار العجوز مولاتنا، و كانت فى الدار تنتظر الجائز، فقال لها:

ما حملك على ما فعلت، مع إنعامه و إنعام أهله عليك؟

قالت: رغبه فى المال.

قال: هل لك زوج أو ولد أو أخ؟

قالت: لا، فأمر بضربها مائة سوط، و تخليدها فى السجن.

ثم قال لإسحاق: أحضر الساعة الجندى، و امرأته، و المزيّن، فحضروا فى مجلس واحد، فاستثبتنى فيهم، فعرفته أنهم القوم بأعيانهم.

فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على فعله، فقال: الرغبه فى المال،

و والله، إنّه الذى أثبتنى فى الجيش، و لكنى رغبت فى المال العاجل.

فقال: أنت بأن تكون حجّاماً أولى بأن تكون من أوليائنا، و أمر بأن يسلم للمزيّنين فى الدار، و يوكل به من يعسفه حتى يتعلّم الحجّامه.

و أمر باستخدام زوجته قهرمانه فى دور حرمه، و قال: هذه المرأه عاقله أديبه.

و أمر بتسليم دار الجندى و قماشه إلى المزيّن، و أن يجعل رزقه له، و يجعل جندياً مكان ذلك الجندى، و أطلقنى إلى دارى.

فرجعت إليها آخر النهار، آمناً، مطمئناً (١).

و وجدت الخبر بخلاف هذا فى كتاب الوزراء لابن عبدوس، فإنّه ذكر:

أنّ الفضل ابن الربيع استتر، فطال استتاره، و استعجمت عليه الأخبار، فغيّر زيّه، و خرج فى السحر، و كان استتر بناحية الحرّيّه من الجانب الغربى (٢).

فمشى و هو لا يدرى أين يقصد، لحيّره، و بعد عهده بالطرق، فأدّاه المشى إلى الجسر، و قد أسفر الصبح، فأيقن بالعطب، و قصد منزلاً لرجل كانت بينه و بينه مودّه، بسويقه نصر (٣).

فلما صار ببعض المشارع، سمع النداء عليه، ببذل عشره آلاف درهم، فتخفّى حتى جاوزه الركبان و المنادى، و مشى.

فرآه رجل، فانتبه له، و قال: يا فضل، و كان فى أحد جانبي الطريق الذى الفضل فيه، فأمّه إلى الجانب الذى كان فيه، ليقبض عليه، فاعترضته

ص: ٢٩٨

١- هذه القصّه لم ترد فى م.

٢- الحرّيّه: محلّه كبيره مشهوره ببغداد قرب مقبره ابن حنبل منسوبه إلى حرب بن عبد اللّه البلخى الراوندى، أحد قوّاد المنصور (معجم البلدان ٢/٢٣٤) [١] أقول: حسب هذا الوصف، تكون محلّه الحرّيّه داخله الآن فى مدينه الكاظميه، فى جنوبها الغربى.

٣- سويقه نصر: محلّه بالجانب الشرقى من بغداد أقطعها المهدي نصر بن مالك الخزاعى (معجم البلدان ٣/٢٠١).

حمير و جمال عليها جصّ.

و نظر الفضل يمينا و شمالا، فلم يجد مذهبا، و بصر بدر، فدخله، فوجده لا ينفذ، و وجد في صدره بابا مفتوحا، فهجم على المنزل، و فيه امرأه، فاستغاث بها، فأجارتها، و بادرت إلى الباب فأغلقتة، و ناشدها الله أن تستره إلى الليل، فأمرته بالصعود إلى غرفه لها، فلم يستقرّ به القعود حتى دقّ الباب، فلما فتح الباب، دخل الرجل الذي رآه، و عزم على القبض عليه، و إذا المنزل له.

فقال لزوجته: فاتنى الساعة عشره آلاف درهم.

قالت له: و كيف ذلك؟

قال لها: مرّ بي الفضل، فمددت يدي لأقبض عليه، فابتلعتة الأرض.

فقالت له امرأته: الحمد لله - عزّ و جلّ - الذى كفاك أمره و أبقى دينك عليك، و لم تكن سببا لسفك دمه، أو مكروه يلحقه.

فلما خرج، صعّدت إليه، فقالت: قد سمعت، و ما هذا المكان لك بموضع،

فخرج إلى بعض منازل معامليه، فلما صار إليه، تبّه العامل عليه، و أسلمه إلى طالبيه، فحمل إلى المأمون، فلما رآه، و سأله عن خبره، شرح له قصّيته، فأمر للمرأة بثلاثين ألف درهم و قال للرسول: قل لها، يقول لك الفضل: هذا جزاء لك على ما فعلته من الجميل، فردّتها، و أبت قبولها، و قالت: لست آخذ على شىء فعلته لله عزّ و جلّ، جزاء، إلاّ منه (١).

ص: ٢٩٩

١- الجزء الأخير من هذه القصّه، المنقول عن الجهشياري، لم يرد في م، و لا في ر، و لا في غ، و أثبتناه من ه.

و ما قتل الأحرار كالعفو عنهم

حدّثنا أبو الحسن محمّد بن عمر بن شجاع، المتكلّم البغدادي، الملقّب بجنيّد، قال: حدّثنا الفضل بن ماهان السيرافي، و كان مشهورا بسلوك أقاصى بلاد البحر، قال، قال لى رجل من بعض بياسره الهند، و البيسر هو المولود على ملّه الإسلام هناك، قال:

كان فى أحد بلاد الهند ملك حسن السيره، و كان لا يأخذ و لا يعطى مواجهه، و إنّما كان يقبل يده إلى وراء ظهره. فيأخذ و يعطى بها، إعظاما للملك، و هى سنّه لهم هناك و لأولادهم.

و إنّّه توفى، فوثب رجل من غير أهل المملكه، فاحتوى على ملكه [٧٦ ن]، و هرب ابن له كان يصلح للملك خوفا على نفسه من المتغلب.

و رسوم ملوك الهند، أنّ الملك إذا قام عن مجلسه، لأى حاجه عرضت له، كانت عليه صدره (١)، قد جمع فيها كلّ نفيس و فاخر من اليواقيت و الجواهر، مضروب فى الإبريسم فى الصدره، و يكون فيها من الجواهر ما إن [٢٧١ غ] لو أراد أن يقيم بها ملكا أقامه.

قال: و يقولون: ليس بملك من إذا قام عن مجلسه و ليست معه، حتى إذا حدثت عليه حادثه و هرب بها أمكنه إقامه ملك منها.

فلما حدثت على الملك تلك الحادثه، أخذ ابنه صدرته و هرب بها.

فحكى عن نفسه: أنّه مشى ثلاثه أيام، قال: و لم أطعم طعاما، و لم تكن معى فضّه و لا ذهب، فأبتاع به مأكولا، و لم أقدر على إظهار ما معى، و أنفت أن أستطعم.

ص: ٣٠٠

قال: فجلست على قارعه الطريق، فإذا رجل هندي، مقبل و على كتفه كاره، فحطّها و جلس حدائى.

فقلت: أين تريد؟

قال: الرستاق (١) الفلانى.

قلت: و أنا الآخر كذلك.

قال: فنصطحب؟

قلت: نعم.

فصحبتّه طمعا فى أن يعرض علىّ شيئا من مأكوله، فلم يفعل، و لم تطب نفسى أن أبدأه بالسؤال.

فلما فرغ قام يمشى، فمشيت معه، و بتّ معه، طمعا فى أن تحمله المئانسه على العرض علىّ، فعمل بالليل كما عمل بالنهار. [٢٥٤ ر].

قال: و أصبحنا فى غد، فمشينا، فعاملنى بمثل ذلك أربعة أيام، فصار لى سبعة أيام لم أذق فيها شيئا.

فأصبحت فى الثامن ضعيفا مهوسا (٢) لا- قدره لى على المشى، فعدلت عن الطريق، و فارقت الرجل، فرأيت قوما يبنون، و قيما عليهم، فقلت للقيّم:

استعملنى مثل هؤلاء بأجره تعطينها عشيا.

فقال: نعم، ناولهم الطين.

فقلت: عجّل لى أجره يوم، ففعل، فابتعت بها ما أكلته.

و قمت أناولهم الطين، فكنت- لعاده الملك- أقلب يدى إلى ظهرى و أعطيهم الطين، فكما (٣) أذكر أنّ ذلك خطأ يتبه علىّ و يسفك دمي، أبادر بتلافى ذلك،

ص: ٣٠١

١- الرستاق: ما يحيط بالبلده من الريف و القرى.

٢- الهوس: طرف من الجنون و خفه العقل.

٣- كما أذكر: اصطلاح بغدادى فى أيام التتوخى، معناه: حالما أذكر، أما الآن فيستعمله أهل الموصل.

فأردّ يدي بسرعه من قبل أن يفظنوا بي.

قال: فلمحتني امرأه قائمه، فأخبرت سيدتها بخبري، وكانت صاحبه البناء، وقالت: لا بدّ أن يكون هذا من أولاد الملوّك.

قال: فلمّا انقضى النهار، [و انصرف الصنّاع، فأردت الانصراف معهم] (١).

تقدّمت إلى القيم أن يحبسني عن المضى مع الصنّاع، فاحتبسني.

فجاءتني بالدهن و العروق لأغتسل بهما، و هذا مقدّمه إكرامهم، و سنّه لعظماهم، فتغسّلت بذلك، و جاءوني بالأرز و السمن و السكر، فطعمت، و عرضت المرأه عليّ نفسها بالتزويج، فأجبت، و عقدت العقد، و دخلت بها من ليلتي، و أقمت معها أربع سنين، تعطيني من مالها، و تنفق عليّ، و كانت لها نعمه.

فأنا ذات يوم جالس على باب دارها، و إذا برجل من بلدي، فاستدعيتّه، فجاء، فقلت له: من أين أنت؟

فقال: من بلد كذا و كذا، فذكر بلدي.

فقلت: ما جئت تصنع ها هنا؟

قال: كان فينا ملك، حسن السيره، فمات، فوثب على ملكه رجل ليس من أهل المملكه، و كان للملك الأوّل ابن يصلح للملك، فخاف على نفسه فهرب، و إنّ الملك المتغيّب أساء عشره الرعيّه، فوثبنا عليه فقتلناه، و انتشرنا في البلاد نطلب ابن الملك المتوفى، لنجلسه مكان أبيه، فما عرفنا له خبرا.

فقلت: أ تعرفني؟

قال: لا.

قلت: أنا طلبتكم.

قال: و أعطيته العلامات، فعلم صحّه ما قلته له، فكفّر لي (٢).

ص: ٣٠٢

١- الزيادة من غ.

٢- التكفير: الخضوع بوضع اليد على الصدر و طأطأه الرأس و التظامن تعظيما.

فقلت: أكنتم أمرنا إلى أن ندخل الناحية.

قال: أفعل.

فدخلت إلى المرأة فأعلمتها بالخبر، وحدثتها [٢٧٢ غ] بأمرى كله، و أعطيتها الصدره.

و قلت: هذه قيمتها كذا و كذا، و من حالها كذا و كذا، و أنا ماض مع الرجل، فإن كان ما ذكره صحيحا، فإنّ العلامة أن يجيئك رسولى فيذكر الصدره، فانهضى إلىّ، و إن كانت مكيدة كانت الصدره لك.

قال: و مضى مع الرجل، فكان الأمر صحيحا، فأنفذ إلى زوجته من حملها إليه، فجاءت.

فحين اجتمع شمله، و استقام أمره، أمر البنّائين فبنوا له دار ضيافه عظيمه، و أمر أن لا يجوز فى عمله مجتاز إلا حمل إليها، فيضاف فيها ثلاثه أيام، و يزود لثلاثة أيام آخر، فكان يفعل ذلك، و هو يراعى الرجل الذى صحبه فى سفره، و يقدر أن يقع فى يده.

فلما كان بعد حول، استعرض الناس، و كان يستعرضهم فى كلّ يوم (١)، فلا يرى الرجل، فيصرفهم، فلما كان فى ذلك اليوم، رأى الرجل بينهم.

فحين وقعت عينه عليه، أعطاه ورقه تنبول (٢)، و هذه علامه غايه الإكرام،

ص: ٣٠٣

١- فى كتاب نشوار المحاضره، فى القصه المرقمه ٩٤/٨ (ج ٨ ص ٢١٥): و كان يستعرضهم فى كلّ شهر.

٢- التنبول: نبات هندى، يمضغ ورقه كما يمضغ العلك، من فصيله الفلفلويات (المنجد)، قال ابن بطوطه عن التنبول: إنّه شجر يغرس كما تغرس دوالى العنب، و يصنع له معرّشات من القصب، أو يغرس فى مجاوره شجره النارجيل، فيصعد فيها، و لا ثمر له، و إنّما المقصود منه ورقه، و أطيبه الأصفر، و تجنى أوراقه فى كلّ يوم، و أهل الهند يعظّمون التنبول تعظيما شديدا، و يكرمون من يأتى لهم به، فإذا أعطى السلطان أحدا منه، فهو أعظم من إعطاء الذهب و الخلع، و إذا أتى الرجل دار صاحبه، و أعطاه خمس ورقات منه فكأنما أعطاه الدنيا، و كيفيه استعماله أن يؤخذ قبله الفوفل، فيكسر، و يعلكه الإنسان فى فمه، ثمّ يأخذ ورق التنبول فيجعل عليه شيئا من النوره، و يمضغها مع الفوفل،

و نهايه رتبه الإعظام، إذا فعله الملك بإنسان من رعيتة (٩).

فحين فعل ذلك بالرجل، كَفَّر له، و قَبِل الأرض، فأمر الملك بتغيير حاله، و إحسان ضيافته.

ثم استدعاه، فقال له: أ تعرفنى؟

فقال: كيف لا أعرف الملك، و هو من عظم شأنه، و علو سلطانه، بحيث هو.

قال: لم أرد هذا، أ تعرفنى قبل هذا الحال؟

قال: لا.

فذكره الملك بالقصه، و منعه إياه من الطعام فى السفر.

قال: فهت الرجل.

فقال الملك: ردّوه إلى الدار، و زيدوا فى إكرامه، و حضر الطعام فأطعم.

فلما اراد النوم، قال الملك لزوجته: اذهبي إلى هذا الرجل فاغمزيه (١).

قال: فجاءت المرأة، فلم تزل تغمزه إلى أن نام، فجاءت إلى الملك،

ص: ٣٠٤

١- الغمز: الكبس باليد.

و قالت: إنه قد نام.

قال: ليس هذا نوم، حرّ كوه، فحرّ كوه، فإذا هو ميت.

قال: فقالت له [٢٥٥ ر] المرأة: أيّ شيء هذا؟

قال: فساق لها حديثه معه، و قال: وقع في يدي، فتناهيت في إكرامه، و الهند لهم أكباد عظيمه، و أفهام طريفه، فأدخلت عليه حسره عظيمه إذ لم يحسن إليّ، فقتلته، و قد كنت أتوقّع موته قبل هذا بما توهمه و استشعره من العله في نفسه، لفرط الحسره (١).

ص: ٣٠٥

١- لم ترد القصّه في م، و وردت في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للتوخى برقم القصّه ٩٤/٨.

فيمّن نالته شدّه في هواه، فكشفها الله عنه و ملكه من يهواه

رأى القطع خيرا من فضيحه عاتق

حدّثنا أبو بكر محمّد بن بكر البسطامي، غلام [٢٨٧ غ] ابن دريد و صهره، قال: حدّثنا أبو محمّد الحسن بن دريد، قال: حدّثنا أحمد بن عثمان العلي (١) عن أبي خالد عن الهيثم بن عدّي، قال:

كان لعمر بن دويره السحيمي (٢) أخ قد كلف بابنه عمّ له كلفا شديدا، و كان أبوها يكره ذلك و ياباه.

فشكاه إلى خالد بن عبد الله القسري، أمير العراق، أنّه يسىء جواره، فحبسه، ثم سئل خالد في أمر الفتى، فأطلقه، فبقى الفتى كلفا بابنه عمّه، و هو ناء عنها مدّه.

ثم زاد ما في نفسه، فحمله الحبّ على أن تسوّر الجدار عليها، و حصل معها.

١- كذا ورد الإسناد في م و غ، أمّا في ر فقد ورد الإسناد مختصرا، قال: حدّثنا خالد عن الهيثم بن عدّي، و في ن، و نشوار المحاضر، [١] في القصّه ١٣١/٤ ورد الإسناد عن البسطامي، عن أبي بكر ابن دريد، عن أحمد بن عيسى العكلى عن أبي خالد عن الهيثم بن عدّي، و الإسناد الأخير هو الصحيح.

٢- في القصّه ١٣١/٤ من نشوار المحاضر، [٢] ورد فيها اسم عمرو بن دويره السحيمي، و قد ذكر صاحب اللباب ١/٥٣٤ و ٥٣٥ [٣] أنّ السحيمي: نسبه إلى سحمه، بطن من ثعلبه، و السحيمي: نسبه إلى سحيم، بطن من حنيفه.

فأحسَّ به أبوها، فقبض عليه، و أتى به خالد بن عبد الله، و ادعى عليه اللصوصيَّه، و أتاه بجماعه شهدوا على أنَّهم وجدوه في بيته ليلاً، قد دخل للتلصص.

فسأل خالد الفتى، فاعترف أنَّه دخل [٨٧ ن] ليسرق، و ما سرق شيئاً، يدفع بذلك الفضيحه عن ابنه عمه، فأراد خالد أن يقطعه.

فرفع عمرو و أخوه إلى خالد رقعته فيها:

أخالد قد-و الله-أوطيت عشوه

و ما العاشق المظلوم فينا بسارق

أقر بما لم يأت به غير أنه (١)

رأى القطع خيراً من فضيحه، عاتق (٢)

و مثل الذى فى قلبه حلّ قلبها

فمنّ لتجلو الهَمّ عن قلب عاشق (٣) [٢٦٤ ر]

و لو لا الذى قد خفت من قطع كفه

لألفيت فى أمريهما غير ناطق

إذا مدّت الغايات للسبق فى العلى

فأنت ابن عبد الله أوّل سابق [٢٣٤ م]

قال: فأرسل خالد مولى له يسأل عن الخبر، و يفحص جليّه الأمر، فأتاه بصحيح ما قاله عمرو فى شعره.

فأحضر أبا الجاربه، و أمره بترويجها من الفتى، فامتنع، و قال: ليس هو كفاء لها.

ص: ٣٠٧

١- فى غ، و فى المستجد للتوخى: أقر بما لم يجنه المرء إنّه، و فى نشوار المحاضره: [١] أقر بما لم يقترفه لأنّه.

٢- فى ن، و فى المستجد، و فى نشوار المحاضره: [٢] رأى القطع خيراً من فضيحه عاشق.

٣- كذا ورد فى ر، و فى غ: فكن أنت تجلو الهَمّ عن قلب عاشق، و لم يرد هذا البيت فى القصّه ١٣١/٤ من كتاب نشوار المحاضره.

فقال له خالد: والله، إنّه لكفء لها، إذ بذل يده عنها، وإن لم تزوجه طائعا لأزوجه و أنت كاره.

فزوج العم، و ساق خالد المهر من عنده، فكان يسمّى العاشق، إلى أن مات. (١)

وجدت في كتاب العمريين، لمحمد بن داود الجراح الكاتب، (٢) و هو رساله كتب بها إلى أبي أحمد يحيى بن علي بن المنجم (٣)، فيمن يسمّى من الشعراء:

عمرا، فقال:

عمرو بن دويره البجلي، سحيمي، كوفي، أخبرني أحمد بن أبي علقمه (٤)، عن دجيل بن علي، و ذكر أبو طالب بن سواده، عن محمد بن الحسن الجعفرى، عن الحسن بن يزيد القرشى (٥)، عن أبي بكر الوالبي، قال:

كان لعمرو بن دويره، أخ قد كلف بابنه عم له... و ذكر نحوه، إلا أنه أتى في الشعر بزياده بيت، و هو بعد البيت الذى أوله: أقرّ بما لم يأت:

و مثل الذى فى قلبه حلّ قلبها فكن أنت تجلو الهم عن قلب وامق

[و أخبرني محمد بن الحسن بن المظفر، قال: أخبرني محمد بن الحسن القرشى (٦)، قال: أخبرني الحرّمى بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار، فذكره مع البيت الزيادة.] (٧)

ص: ٣٠٨

١- وردت القصّه فى كتاب نشوار المحاضرته برقم ١٣١/٤ [١] إلى هذا الحدّ.

٢- لمحمد بن داود الجراح كتاب اسمه: من سمى عمرا من الشعراء فى الجاهليّه و الإسلام، ذكره صاحب الفهرست ص ١٤٢ و [٢] صاحب الاعلام.

٣- أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور، المعروف بابن المنجم (٢٤١-٣٠٠): ترجمته فى حاشيه القصّه ٤٠٢ من هذا الكتاب.

٤- فى ن: أحمد بن خيثمه.

٥- كذا فى جميع الأصول، و أحسب أنّ الصحيح: الحسن بن زيد.

٦- فى ن: محمد بن الحسين.

٧- الزيادة من غ و ن.

من مكارم المقتدر

حدّثني أبو العلاء صاعد بن ثابت بن إبراهيم بن علي بن خداهي النصراني الكاتب (١)،[الذي كان خليفه [٢٨٨ غ]الوزراء] (٢)،قال:

حدّثني أبو الحسين بن ميمون الأفطس (٣)،الذي كان وزير المتقى،و لَمَّا

ص:٣٠٩

١- أبو العلاء صاعد بن ثابت بن إبراهيم بن علي بن خداهي (في غ:خداهي،بالحاء)النصرانيّ: من رجال الدّولة البويهية بالعراق،كان أوّل أمره يضمن النواحي من السلطان،و خدم أبا عبد الله البريدي،ثمّ اختصّ بالوزير المهلبى،فاستخلفه على الوزارة،وقدّمه معزّ الدولة،و صرّفه،و لَمَّا وُزّر أبو الفضل الشيرازى لبختيار استخلفه على الوزارة أيضا،و لَمَّا وُزّر ابن بقيه لبختيار،اعتقله،و همّ بقتله، و لكنّه سلم من القتل و أطلق(تجارب الأمم ٣٧٤،٣٦٦،٢٤٧،٢٤٣،١٤٦،٥٤/٢ و الكامل لابن الأثير ٥٥٣/٨ [١]راجع القصّه ٢٨/١ من نشوار المحاضره.

٢- هذه الفقرة ساقطه من ر.

٣- أبو الحسين أحمد بن محمّد بن ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان الكاتب المعروف بالأفطس:كان يكتب للأمير أبي إسحاق إبراهيم(المتقى)بن المقتدر،قبل الخلافة،و كان استخلاف المتقى قد تمّ باختيار الناس له،فلَمَّا توفّي الراضى جمع بجكم مشايخ بنى هاشم من ولد على و العباس،و مشايخ الكتاب، و وجوه العدول و التجار لاختيار من يخلفه،فرشّح المتقى،و مضى أبو الحسين بن ميمون إليه فأخرجه من داره التى بحضره دار البطح،و سار به فى الماء إلى دار الخلافة،فاستوزره المتقى فى السنه ٣٢٩، و بعد ٣٣ يوما ورد أبو عبد الله البريدى بغداد متغلبا،فأزال أبو الحسين عن نفسه اسم الوزارة،و لبس الدّراعه و هى لباس الكتاب،فأحدره البريدى إلى واسط،ثمّ إلى البصره،و توفّي بها سنه ٣٣٠(الأوراق [٣]للصولى-أخبار الراضى و المتقى،١٨٧،١٨٦،١٩٩،١٨٨،و الفخرى ٢٨٤ و [٤]تجارب الأمم ١١/٢،١٦،١٥،١٢،و الكامل لابن الأثير ٣٧٢/٨ و ٣٧٣) [٥]أقول:جاء ذكر دار المتقى،و أنّها بحضره دار البطح،و دار البطح،اسم لسوق الفاكهه،و كانت هذه السوق بالجانب الغربى من بغداد، و كانت دار المتقى على دجله،و كانت لإسحاق بن ابراهيم المصعبى،ثمّ صارت لإسحاق بن كنداج (كنداجيق)،و اشترت للمتقى،و هو أمير،بثلاثين ألف دينار،و أقام بها حتى استخلف،و عاد إليها بعد عزله،و توفّي بها فى ليله النصف من شعبان سنه ٣٥٧،و دفن فى دار تحاذيها،راجع معجم البلدان ٥١٧/٢ و [٦]المنتظم ١٥٣/٦ و [٧]التكملة ١٩٩ و ٢٠٠،و القصّه ١٠١/٤ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار

دخل أبو عبد الله البريدي بغداد، متقلداً وزاره الثانيه للمتنقى، قبض عليه و أحدره للبصره.

فلَمَّا وردها البريديّ منهزماً، أطلقه، و أحسن إليه، و أمرني بإنزاله بالقرب منّي، و إيناسه بملازمتي، و افتقاده بالدعوات، ففعلت، فكُنّا متلازمين لا نكاد نفترق.

و وجدته أحلى الناس حديثاً، و أحسنهم أدباً، و أعمّهم فضلاً، و لم أر قطّ أشدّ تغزّلاً، و لا تهالكاً في العشق منه.

فحدّثني يوماً، قال: عشقت مغنّيه في القيان عشقا شديداً، فراسلت مولاتها في بيعها، فاستامت فيها ثلاثه آلاف دينار.

و كنت أعرف من نفسى الملل، فخشيت أن أشتريها فأملّها، فدافعت بذلك، و مضت أيام، [و كانت هي تأتي إلى عندي، و كان يمضى لي معها أطيّب عيش]. (١)

فانصرفت من عندي يوماً، و كان المقتدر بالله أمر أن تشتري له مغنّيات، و أنا لا أعلم، و كانت الجارية حسنه الوجه جيّده الغناء، فحملت إلى المقتدر في جملة جوار، فأمر بشرائهنّ كلّهنّ، فاشتريت في جملتهنّ.

و أنفذت من غد أستدعيها من سيّدتها، فأخبرت بالخبر، فقامت على القيامه، و دخل إلى قلبي من الألم، و الاحتراق، و القلق، أمر ما دخل مثله قطّ في قلبي، فضلاً عن عشق (٢).

و زاد الأمر علىّ، حتى انتهى بي إلى حدّ الوسواس، فامتنعت عن النظر في أمر داري، و تشاغلّت بالبكاء، و لم يكن لي سبيل إلى العزاء.

ص: ٣١٠

١- الزيادة من غ.

٢- كذا في جميع الأصول، و لعلّ الصحيح: فضلاً عن عشقي.

و كنت أكتب-حينئذ-لأمّ المتقى لله، وهو حدث، فتأخرت عنهم أياما، وأخللت بأمرهما، وأنا متوفّر تلك الأيام على الطواف فى الصحارى، لا أكل، ولا أشرب، ولا أتشغل بأكثر من البكاء والهيمان.

فأنكر المتقى و أمّه تأخرى، فاستدعانى المتقى، و خاطبنى فى شىء من أمره، فوجدنى لا أعقل و لا أحصل ما يقوله، و لا أفهمه.

فسألنى عن سبب اختلالى، فصدقتة، و بكيت بين يديه، و سألته أن يسأل أباه بيع الجارىه علىّ، أو هبتها لى.

فقال: ما أجسر على هذا.

قال: و زاد علىّ الأمر، و بطلت.

و بلغ أمّ المتقى الخبر، فراسلتها أسألها مثلما سألت ابنها، فرثت لى، و حملت نفسها على أن خاطبت السيده أمّ المقتدر فى أمرى.

فقال لها أمّ المقتدر: ما العجب من الرجل، فإنّ الذى فى قلبه من العشق قد أعماه عن الرأى [٢٣٥ م] بل العجب منك، كيف وقع لك أنّه يجوز أن يقول أحد للخليفه: إنزل عن جاريتك لرجل يعشقها.

فراسلتنى أمّ المتقى بما جرى، فزاد ما بى من القلق.

و كنت لا ألقى أحدا من الرؤساء فى الدوله، كالوزير، و حاشيه الخليفه، إلّا و أقصدهم، و أبكى بين أيديهم، و أحدثهم حديثى، و أسألهم مسأله الخليفه فى تسليم الجارىه إلىّ، إمّا ببيع، أو هبه.

فمنهم من ينكر علىّ و يوبّخنى، و منهم من يرثى لى و يعذرنى، و منهم من يشير علىّ بالإمساك، و منهم من يقول: إذا علم الخليفه هذا، و أنّك تتعرّض لحرمة، كان فى [٢٨٩ غ] هذا إتلاف نفسك، و أنا ملازم أبوابهم، و تركت خدمه صاحبى.

إلى أن طال علىّ الأمر [و على المتقى و أمّه، لعدم ملازمتى الباب] (٤) و وضعت

من محلّي، و بطل أمر داري وضيعتي، و أمور صاحبي.

إلى أن طال هذا على المتّقى و أمّه، فطلبها كاتبا يصرفاني به.

و بلغني الخبر، و قد كنت أبيت من الجاربه، فعذلت نفسي، و قلت:

ليس بعد هذا الصّرف إلاّ الفقر و النكبه، و ذهاب الخير و النفس، و لو كنت اشتريت هذه الجاربه، لكنت الآن قد مللتها، فلم أفقر نفسي، و لم أقطع تصرفي؟

و أقبلت أعظ نفسي، و أسلّيتها ليلتي كلّها، إلى أن طاوعتني على الصبر [٢٦٥ ر].

و باكرت دار المتّقى، و بدأت في النظر في أمره، و رأوا منّي خلاف ما تقدّم، فسروا بذلك، و قالوا: أنت أحبّ إلينا من الغريب نستأنفه، فضمنت لهم الملازمه و تمشيه الأمور.

فأقمت على ذلك مدّه، ثم اشتقت إلى الشرب، و قد كنت فقدته و هجرته منذ فقدت الجاربه إلى ذلك اليوم.

فقلت للغلام: قم، امض، و أصلح لنا مجلسا للشرب، و ادع أصحابنا [أعني أصدقائي الذين يعاشرونني، للرواح إليّ، و لا تدع غناء، فلمّا انقضى شغلي عدت إلى داري، و اجتمع أصدقائي، فصوّبوا رأيي] (١)، و جلسنا نشرب، و نتحدّث، [٨٨ ن]، و نلعب بالشطرنج (٢).

فقالوا: لو دعوت لنا مغنّيا.

فقلت: أخاف أن أذكر به أمرى مع الجاربه.

فجلسوا عندي إلى أن صلّيت العشاء الآخره، و انصرفوا، و جلست وحدى أشرب القدح بعد القدح إلى أن مضت قطعه من الليل، و إذا أنا ببابي يدقّ دقاّ عنيفا.

ص: ٣١٢

١- الزيادة من ن.

٢- في م: و نلعب النرد.

فقال بوابي: من هذا؟

قالوا: خدم من دار الخليفة أمير المؤمنين.

فقمت، ولم أشكك أنّ حديثي قد اتصل به فأنكره، وقال: مثل هذا لا يصلح أن يكون كاتباً لحرمة (1)، ولا مدبراً أمر غلام حدث، وقد أمر بالقبض عليّ.

فقمت أمشي لأخرج من باب آخر كان لي، وأستتر، فإذا الخدم قد دخلوا، ومعهم بغله عليها عمّاريه، وشموع، وإذا قد أنزلوا من العمّاريه جاريتين، إحداهما عشيقتي، فبهت.

فقال لي أحد الخدم، وهو كالرئيس عليهم: مولانا أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول: عرفت خبرك مع الجارّيه في هذه الساعه، فرحمتك، وقد وهبتها لك مع جميع مالها، وتركها الخادم ومضى.

ودخلت معها عدّه أحمال عليها الأثقال من صنوف الثياب، والفرش، والآلات، والقماش، وعدّه جوار، وتركوا ذلك عندي، وانصرفوا.

فأخذت بيد معشوقتي، وأدخلتها المجلس، فلما رأت الشراب والمجلس معبأ، قالت: سلوت عنّي، وشربت بعدى.

فحلفت لها أنّي ما شربت نبیذا منذ فارقتها إلاّ في هذا اليوم، وحدثتها حديثي بطوله.

وقلت لها: ما السبب في مجيئك؟ وما جرى؟

فقلت: أعلم أنّ الخليفة لم يرني - منذ اعترضني وأمر بشرائي - إلاّ الليله، وكان قد اتصل مزح السيده معي، فأنتها كانت استدعتني منذ مدّه، وسألتنى عن خبري معك، فأخبرتها.

ثم قالت: هل تحببني؟

ص: ٣١٣

١- الحرمة: الأهل والزوجه، وهذا التعبير ما زال مستعملاً ببغداد، كناية عن المرأه، يقول العامي البغدادي: رأيت حرمة، أى: رأيت امرأه، ورأيت حرمة فلان، أى زوجه فلان.

فقلت: نعم، حبًا شديدًا.

فتعجبت من ذلك، وقالت: ثقلنا عليك و علي [٢٣٦ م] محبوبك، و لكن يكون الخير إن شاء الله تعالى، و وعدتني الجميل التام، و الوعد الحسن.

فلما كان هذه الليلة، قعد الخليفة [٢٩٠ غ] يشرب مع الجوارى و السيده حاضره، فاستدعيت، و غنيت.

فقال لى الخليفه: إن كنت تحسنين الصوت الفلانى، فغنّيه، و كان صوتك على، فغنّيته، و تمثّلت لى صورتك، و ذكرت شربى معك، فلم أملك دموعى، حتى جرت.

فقال المقتدر: ما هذا؟ فتحيّرت، و جزعت، و نظرت إلى السيده، فضحكت، و ضحك الجوارى.

فقال المقتدر: ما القصه؟ فدافعته السيده.

فقال: بحياتى أصدقينى.

فقلت: على أن لا تؤذى الجاربه، و لا غيرها.

فقال: نعم، و حياتك.

فحدّثته الحديث، فلما استوفاه، قال لى: يا جاربه، الأمر هكذا؟ إنّما بكيت من عشق ابن ميمون؟ فسكت.

فقال: إن صدقتنى و هبتك له.

فقلت: نعم.

فأقبل على أمه، فقال: ما هو بكثير إن و هبتها لخادم لنا.

فقلت: قد- و الله- أردت أن أسألك هذا، و لكن إن تفضلت به ابتداء منك، كان أحسن.

فقال لبعض الخدم: خذ هذه الجاربه، و جميع ما كان سلّم إليها فى حجرتها من جوار، و قماش، و احمله إلى دار ابن ميمون، كاتب ابنى إبراهيم،

ص: ٣١٤

[٢٦٦ ر] أو أقره سلامي، و عرّفه أنّي قد وهبت ذلك كلّ له.

فلما قمت، تصايحوا: قد جاء فرجك، و بلغت مناك، فقامت إلى حجرتي، و جمعت ما ترى، و حملته إليك.

قال: فشكرت الله عزّ و جلّ على ذلك، و جلست معها، و ما شيل (١) ما في مجلسي، حتى اجتمعنا، و جلست معها فيه، و غنّت.

و بكرت من غد نسيطا، مسرورا، أشكر السيّده، و أمّ المتّقي، و أدعو لهما، و أقامت الجاريه عندي، إلى أن ماتت.

ص: ٣١٥

١- شيل: رفع، بضم الراء و كسر الفاء، ما زالت مستعمله ببغداد.

فارق جاريته ثم اجتمع شملهما

حدّثني عبيد الله بن محمّد بن الحسن (١) الصروي، قال: حدّثني أبي، قال:

كان ببغداد رجل من أولاد النعم، ورث من أبيه مالا جليلا، و كان يتعشّق جاريه، و أنفق عليها شيئا كثيرا، ثم اشتراها، و كانت تحبّه و يحبّها، فلم يزل ينفق ماله عليها إلى أن أفلس.

فقال له الجارية: يا هذا، قد بقينا كما ترى، فلو طلبت معاشا نقتات منه.

قال: فلم يجد له صناعه غير الغناء، إذ كان الفتى من محبّته للجارية، و إحضاره المغاني إليها، ليزيدوها في صنعتها، قد تعلّم الضرب و الغناء، و خرج صالحا في طبقه الغناء و الحدق فيه.

فشاور بعض معارفه، فقال: ما أعرف لك معاشا أصلح من أن تغنّي للناس، و تحمل جاريتك إليهم فتأخذ على هذا الكثير، و يطيب عيشك.

فأنف من ذلك، و عاد إليها، فأخبرها بما أشير عليه به، و أعلمها أنّ الموت أشهى عنده من هذا، فصبرت معه على الشدّه مدّه.

ثم قالت: قد رأيت لك رأيا.

فقال: قولى.

قالت: تبعنى، فإنّه يحصل لك من ثمنى ما تعيش به عيشا صالحا، و تخلص من هذه الشدّه، و أحصل أنا فى نعمه، فإنّ مثلى لا يشتريها إلا ذو نعمه.

فحملها إلى سوق النخّاسين، فكان أوّل من اعترضها فتى هاشمى من أهل [٢٩١ غ] البصره، ظريف، قد ورد بغداد للعب و التمتع، فاشتراها بألف

ص: ٣١٤

١- فى غ و ر: ابن الحسين، و فى م: ابن اسحاق، و الصحيح ما أثبتناه.

و خمسمائه دينار عينا.

قال الرجل: فحين لفظت بالبيع، و قبضت الثمن، ندمت، و اندفعت في بكاء عظيم، و حصلت الجارية في أقبح من صورتى، و جهدت في الإقالة، فلم يكن إلى ذلك سبيل.

فأخذت الدنانير في الكيس، و أنا لا أدري إلى أين أذهب، لأن بيتى موحش منها، و ورد على من اللطم و البكاء ما هو سنى.

فدخلت مسجدا، و جلست فيه أبكى، و أفكر فيما أعمل، فحملتنى عيني، فتركت الكيس تحت رأسى كالمخذه، و نمت.

فما شعرت إلا بإنسان قد جذبته من تحت رأسى [٢٣٧ م] فانتبهت فزعا، فإذا بإنسان قد أخذ الكيس، و مرّ يعدو، فقمت لأعدو و راءه، فإذا رجلى مشدوده بخيط فى وتد مضروب فى آخر المسجد، فإلى أن تخلصت من ذلك، غاب الرجل عن عيني.

فبكيت، و لطمت، و نالنى أمر أشد من الأول، و قلت: قد فارقت من أحب، و بعته، لأستغنى بئنه عن الصدقه، فقد صرت الآن فقيرا، مفارقا لمن أحب.

فجئت إلى دجله، و لففت وجهى برداء كان على راسى، و لم أكن أحسن أسبح، و رميت بنفسى فى الماء [٨٩ ن] لأغرق.

فظنّ الحاضرون أنّ ذلك لغلط وقع على، فطرح قوم نفوسهم خلفى، فأخذونى، و سألونى عن أمرى، فأخبرتهم، و بقيت منهم بين راحم و مستجهل.

إلى أن خلا بى شيخ منهم، فأخذ يعظنى، و يقول: يا هذا، ذهب مالك، فكان ما ذا حتى تتلف نفسك، أو ما علمت أنّ فاعل هذا فى نار جهنم، و لست أول من افتقر بعد غنى، فلا تفعل، و ثق بالله تعالى.

ثم قال لى: أين منزلك؟

ص: ٣١٧

فقلت: في الموضوع الفلاني.

فقال: قم معي إليه، و ما فارقتني حتى حملني إلى منزلي، و ما زال يؤنسنى، و يعظني، إلى أن بان له السكون في، فشكرته.

و انصرف، فكادت أن أقتل نفسي لوحشه منزلي عليّ، ثم ذكرت [٢٦٧ ر] النار و الآخرة، فخرجت من بيتي هاربا، إلى بعض أصدقائي القدماء في حال سعادتى، فأخبرته خبرى، فبكى رقة لي، و أعطاني خمسين درهما.

و قال: اقبل رأيي، و اخرج الساعه من بغداد، و اجعل هذه نفقه لك إلى حيث وجدت قلبك يساعدك إلى قصده، و أنت من أولاد الكتاب، و خطك جيّد، و أدبك صالح، فاقصد بعض العمّال، و اطرح نفسك عليه، فأقلّ ما في الأمر أن تصير محرّرا بين يديه، و تعيش معه، و لعلّ الله أن يصنع لك صنعا.

فعملت على هذا، و جئت إلى الكتبيين (١)، و قد قوى في نفسي أن أقصد واسط، و كان لي فيها أقارب، فأجعلهم ذريعه لي إلى التصرف مع بعض عمّالها.

فحين جئت إلى الكتبيين، إذا بزلال مقدّم، و خزانه كبيره (٢)، و قماش كثير ينقل إلى الزلال، و إلى الخزانه.

فسألت: من يحملني إلى واسط؟

فقال أحد ملاحى الزلال: نحن نحملك بدرهمين إلى واسط، و لكن هذا

ص: ٣١٨

١- يلاحظ أنّ موقف وسائل النقل النهريه في بغداد، كان في مشرعه سوق الكتبيين، و كذلك الحال في واسط (القصّه ٤٥٢ من هذا الكتاب)، و هذا يعنى أنّ سوق الكتبيين في واسط، و في بغداد، على النهر، و أنّ في كلّ واحد منهما فرضه تتسع لجميع هذه الوسائل التي كان عليها المعوّل في الانتقال في ذلك العصر بين مدن العراق، و تسمّى تلك الفرضه التي ببغداد «فرضه البصريين» راجع الطبرى ١١٨/١٠ و [١] حاشيه القصّه ٣٠٠ من هذا الكتاب.

٢- الخزانه: سفينه تقطر مع الزلال و يحفظ فيها، ما يحتاج إليه راكبوا الزلال، من طعام و شراب، و لباس و متاع، و قد أهدي على بن هشام، قائد المأمون، لعلويه المغنّى حراقتة، بخزانتها، و جميع آلاتها فباعها بمائه و خمسين ألف درهم (الأغانى ٣٤٩، ٣٤٨/١١).

الزَّلَال لرجل هاشمى من أهل البصره، و لا يمكنا من حملك معه على هذه الصوره، و لكن تلبس ثياب الملاحين، و تجلس معنا كأنك [٢٩٢ غ] واحد منا.

فحين رأيت الزَّلَال، و سمعت أنه لرجل هاشمى، من أهل البصره، طمعت أن يكون مشترى جاريتى، فأتفرج بسماعها إلى واسط. فدفعت الدرهمين إلى الملاح، و عدت فاشتريت لى جبّه من جباب الملاحين فلبستها، و بعث تلك الثياب التى كانت علىّ، و أضفتها إلى ما معى من النفقه، و اشتريت خبزاً و إداماً، و جلست فى الزَّلَال.

فما كان إلا ساعه حتى رأيت جاريتى بعينها، و معها جاريتان تخدمانها، فحين رأيتها سهل علىّ ما كان بى، و ما أنا عليه.

و قلت: أسمع غناءها، و أراها، من ها هنا إلى البصره، و اعتمدت على أن أجعل قصدى إلى البصره، و طمعت فى أن أداخل مولاها، فأصير أحد ندمائه.

و قلت: و لا تخلىنى هى من المواد، فإنى واثق بها.

و لم يكن بأسرع من أن جاء الفتى الذى اشتراها راكباً، و معه عدّه ركباً، فنزلوا فى الزَّلَال و انحدروا.

فلما صاروا بكلواذى، أخرج الطعام، فأكل هو و الجاربه، و أكل الباقون على سطح الزَّلَال [٢٣٨ م]، و أطعموا الملاحين.

ثم أقبل على الجاربه، فقال لها: إلى كم هذه المدافعه عن الغناء، و هذا الحزن و البكاء، ما أنت أوّل من فارق مولاها، فعلمت ما عندها من أمرى.

ثم ضربت ستاره فى جانب الزَّلَال، و استدعى الذين فى سطحه، و جلس معهم خارج الستاره، فسألت عنهم، فإذا هم إخوته، و أخرجوا الصوانى، ففرقوها عليهم، و أحضروا النبيذ.

و ما زالوا يترفقون بالجاربه، إلى أن استدعت العود، فأصلحته، و جسّت

أوتاره، ثم اندفعت تغني، [من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى] (١) بان الخليط بمن عرفت فأدلجوا عمدا لقتلك ثم لم يتحرّجوا

و غدت كأنّ على ترائب نحرها جمر الغضا في ساجه (٢) يتأجج

قال: ثم غلبها البكاء، و قطعت الغناء، و تنغص على الفتيه سرورهم.

و وقعت أنا مغشياً على، فظن القوم أنّي قد صرعت، فأذن بعضهم في أذني (٣)، و صب على الماء، فأفقت بعد ساعه.

و ما زالوا يداورونها، و يرفقون بها، و يسألونها الغناء، إلى أن أصلحت العود، و اندفعت تغني [في الثقيل الثاني] ٤:

فوقفت أنسب بالذين تحمّلوا و كأنّ قلبي بالشفار يقطع

فدخلت دارهم أسائل عنهم و الدار خاليه المنازل بلقع

ص: ٣٢٠

١- ساقطه من غ.

٢- في م: في ساعه، و في ر: في ساجته، و في غ: في ساجتيه، و قد رجحت كلمه: ساجه، و يراد بها الأداة المدوّره يحفظ فيها الجمر و غيره.

٣- كان الناس، في ذلك العصر، يعتقدون أنّ المصروع يصرعه الشيطان، فإذا أذنه أحد في إذنه، تركه الشيطان، و فرّ هاربا من ذكر الله، و كانوا يعتقدون أيضا أنّ المصاب بمرض عقلي، يحلّ الشيطان في بدنه، و ما زالت رواسب هذا الاعتقاد، مستقرّه في أذهان العامه ببغداد، و في المناطق المجاوره لها، إلى الآن، فهم يتكتمون في بيان مرض مريضهم، إذا كان مصابا بمرض عقلي، و إذا اضطروا إلى ذكره، قالوا إنّ مريض بالأعصاب، و كان يتصدى لمعالجه المرضى بالأمراض العقلية، دجالون، يزعمون أنّ في إمكانهم طرد الأرواح الشريره من بدن المصاب، فكانوا يقيّدون المريض، و يضربونه، و يكونون بدنه بالنار، فيشتدّ مرضه، و ربّما مات، و أذكر أنّ أحد هؤلاء الدجالين، قتل شابا يتيما، كان من طلاب المدرسه الثانويه، أصيب بالحمى التيفوئيدية، و أصيب على أثر شفائه منها بعارض عقلي، و كان وحيد أمه، فاضطربت خوفا عليه، و أحضرت له هذا الدجال، فحبسه في سرداب، و قيده، و جلده، و كواه، فمات، و حوكم هذا الدجال أمام محكمه الجنايات ببغداد في السنه ١٩٣٢، و كنت كاتباً في المحكمه، فحكمت بحبسه أربع سنوات.

ثم شهقت فكادت تتلف، وارتفع لها بكاء عظيم، و صعقت أنا، فتبرّم بي الملاحون، وقالوا: كيف حملنا هذا المجنون معنا.

فقال بعضهم: إذا بلغتم بعض القرى فأخرجوه و أريحونا منه.

فجاءني أمر عظيم، أعظم من كلّ شيء دفعت إليه، و وضعت في نفسي التصبّر، و الحيله في أن أعلمها بمكانى من الزلّال، لتمنع من إخراجى.

و بلغنا إلى قرب المدائن، فقال صاحب الزلّال: اصعدوا بنا إلى الشطّ [٢٦٨ ر]، فطرحوا إلى الشطّ، و خرج الجماعه، و قد كان المساء قد قرب، و صعد أكثر الملاحين يتغوّطون (١)، فخلا [٢٩٣ غ] الزلّال، و كان الجوارى فيمن صعد إلى مستراح ضرب لهنّ.

فمضيت سارقا نفسي حتى صرت خلف الستاره، فغيّرت طريقه العود عمّا كانت عليه، إلى طريقه أخرى، و رجعت إلى موضعى من الزلّال.

و فرغ القوم من حاجاتهم في الشطّ، و دفعوا (٢) و القمر منبسط.

فقالوا لها: بالله ياستى غنينا شيئا، و لا تنغصى علينا عيشنا.

فأخذت العود فجسيته، فشهقت شهقه كادت تتلف، و قالت: و الله، قد أصلح هذا العود مولاي، على طريقه من الضرب كان بها معجبا، و كان يضربها معى، و و الله إنّه معنا فى الزلّال.

فقال لها صاحبها: و الله، لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته، فلعلّه أن يخفّ بعض ما بك، فننتفع بغنائك.

فقلت: ما أدرى ما تقولون، هو- و الله- معنا.

ص: ٣٢١

١- الغائط: الموضع المنخفض من الأرض، و لمّا كان الاعرابى إذا أراد قضاء حاجته قصد الموضع المنخفض، فقد كنى عن قضاء الحاجة، بكلمه التغوّط أو الذهاب للغائط، و ما زال القرويّون فى وسط العراق و جنوبه، يكتّون عمّن ذهب لقضاء حاجته، بقولهم: راح للوهاد، جمع وهده، و هى الموضع المنخفض.

٢- دفعوا: يعنى حرّكوا السفينه للمسير، ما زال مستعملا فى بغداد.

فقال الرجل للملاحين: ويحكم، حملتم معنا إنسانا غريبا؟

فقالوا: لا.

فأشفقت أن ينقطع السؤال، فصحت: نعم، هو ذا أنا.

فقلت: كلام مولاي، والله، وجاء بي الغلمان إلى الرجل.

فلما رأني عرفني، وقال: ويحك، ما هذا الذي أصابك؟ وما أذاك إلى هذه الحال؟ فصدقته عن أمري، و بكيت، و علا نحيب الجارية من خلف الستاره، و بكا هو و إخوته بكاء شديدا، رقه لنا.

ثم قال: يا هذا، والله، ما وطئت هذه الجارية، و لا سمعت منها غناء قبل هذا اليوم، و أنا رجل موسع عليّ و الحمد لله، و قدمت إلى بغداد لسماع الغناء، و طلب [٩٠ ن] أرزاقى من الخليفة، و قد بلغت من الأمرين ما أردت.

فلما عوّلت على الرجوع إلى وطني، أحببت أن أستصحب معي مغنيه من بغداد، فاشتريت هذه الجارية، لأضممها إلى عدّه مغنيات عندي بالبصره.

و إذ كنتما على هذه الحاله، فأنا -و الله- أغتتم [٢٣٩ م] المكرمه و الثواب فيكما، و أشهد الله تعالى على أني إذا صرت إلى البصره أعتقها و أزوجك إياها، و أجرى عليكما ما يكفيكما، على شريطه إن أجبتني إليها.

قلت: و ما هي؟

قال: أن تحضرها عندي متى أردنا الغناء، تغنى بحضورك و تنصرف بانصرافك إلى دار أفرغها لكما، و قماش أعطيكما إياه.

قلت: يا سيدي، و كيف أ منع من هو المعطى، و أبخل على من يردّ حياتي عليّ، بهذا المقدار، و أخذت أقبل يده، فمنعني.

ثم أدخل رأسه إلى الجارية، و قال: يرضيك هذا؟ فأخذت تدعو له، و تشكره.

فاستدعى غلاما له، و قال له: خذ بيد هذا الرجل، و غير ثيابه، و بخّره،

ص: ٣٢٢

و قدّم له ما يأكله، و جئنا به، فأخذني الغلام، و فعل بي ذلك، و عدت، فتركت بين يديّ صبيته.

فاندفعت الجارية تغمّي بنشاط، و استدعت النبيذ، و شربت، و شربنا، و أخذت أقترح عليها الأصوات الجياد، فتضاعف سرور الرجل بها.

و ما زلنا على ذلك أيّاماً، حتى وصلنا نهر معقل، و نحن سكارى، فشدّ الزلّال في الشطّ.

و أخذتني بوله الماء في الليل، فصعدت على ضفه نهر معقل (1) لأبول، فحملني السكر على النوم.

و دفع الزلّال و أنا لا أعلم، و أصبحوا فلم يجدوني، و دخلوا البصره، و لم أنتبه أنا إلا بحمي الشمس (2)، فجئت إلى الشطّ، فلم أر لهم عينا و لا أثرا.

و كنت قد أجلت الرجل أن أسأله بمن يعرف؟ و أين داره [٢٩٤ غ] من البصره؟ و احتشمت غلمانه أن أسألهم، فبقيت على شاطئ نهر معقل، كأول يوم بدأت بي المحنه، و كأنّ ما كنت فيه منام.

فاجتازت بي سماريّه، فقعدت فيها، و دخلت إلى البصره، و ما كنت دخلتها قط، فنزلت خانا، و بقيت متحيراً، لا أدري ما أعمل، و لم يتوجّه لي معاش.

إلى أن اجتاز بي إنسان أعرفه، [٢٦٩ ر] فتبعته لأ-كشف له حالى، ثم أنفت من ذلك، و دخل الرجل إلى منزله، فعرفته، و جئت إلى بقّال كان على باب الخان الذي نزلته، فأعطيته دانقا، و أخذت منه ورقه، و جلست أكتب رقعته إلى الرجل.

ص: ٣٢٣

١- نهر معقل: نهر معروف بالبصره، ينسب إلى معقل بن يسار الصحابي، حفره بالبصر بأمر الخليفة عمر (معجم البلدان ٤/٤٨٥).

٢- حمى الشمس: حرّها، و يقال أيضاً: حمو الشمس، و التعبيران ما زالا مستعملين ببغداد.

فاستحسن البقال خطى، و رأى رثائه زيبى (1)، فسألنى عن امرى، فأخبرته أنى رجل ممتحن (2) فقير، قد تعذر على التصرف، و ما بقى معى شىء، و لم أشرح له أكثر من هذا.

فقال لى: تعمل معى كل يوم بنصف درهم، و طعامك و كسوتك على، و تضبط حساب دكانى؟

فقلت: نعم.

فقال: اصعد.

فخرقت الرقعه، و صعدت، فجلست معه، أدبر أمره، و ضبطت دخله و خرجه، و كان غلما نه يسرقونه، فأديت له الأمانه.

فلما كان بعد شهر، رأى الرجل دخله زائدا، و خرجه ناقصا، فحمدنى.

و بقيت معه كذلك شهرا آخر، ثم جعل رزقى فى كل يوم درهما.

و لم يزل حالى معه يقوى، إلى أن حال الحول، و قد بان له الصلاح فى أمره، فدعانى إلى أن أتزوج بابنته، و يشاركنى، ففعلت.

و دخلت بزوجتى، و لزمتم الدكان، و حالى يقوى، إلا أننى فى خلال ذلك، منكسر النفس (3)، مئيت النشاط، ظاهر الحزن.

و كان البقال ربما شرب فيجزنى إلى مساعدته، فأمتنع، و أظهر له أن ذلك بسبب حزنى على موتى لى.

و استمرت بى الحال على هذا سنتين و أكثر.

فلما كان فى بعض الأيام، رأيت الناس يجتازون بفاكهه، و لحم، و نبيذ، اجتيازا متصلا، فسألت عن ذلك؟

ص: ٣٢٤

١- فى غ: و رآنى ببزّه حسنه.

٢- الممتحن: المصاب بالمحنه أى البليّه.

٣- فى غ: منكسر القلب.

فَقِيلَ لِي: الْيَوْمَ الشَّعَانِينُ (١)، يُخْرَجُ فِيهِ أَهْلُ الظَّرْفِ وَاللَّعْبِ، بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالْقِيَانُ إِلَى الْأَبْلَةِ، فَيُرُونَ [٢٤٠ م] النَّصَارَى، وَيَشْرَبُونَ، وَيَفْرَحُونَ.

فَدَعَتْنِي نَفْسِي إِلَى التَّفَرُّجِ، وَقُلْتُ: لَعَلِّي أَصِلُ إِلَى أَصْحَابِي، أَوْ أَقْفَ لَهُمْ عَلَى خَيْرٍ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ مِظَانِهِمْ (٢).

فَقُلْتُ لِحَمِي (٣): أُرِيدُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى هَذَا الْمَنْظَرِ.

فَقَالَ: شَأْنُكَ وَمَا تَرِيدُ، فَأُصَلِّحُ لِي طَعَامًا، وَشَرَابًا، وَسَلِّمَ إِلَيَّ غُلَامًا وَسَفِينَةً.

فَخَرَجْتُ وَرَكِبْتُ السَّفِينَةَ، وَبَدَأْتُ بِالْأَكْلِ، ثُمَّ قَدَّمْتُ آتِيَهُ الشَّرَابَ، وَجَلَسْتُ أَشْرَبُ حَتَّى وَصَلْتُ الْأَبْلَةَ، وَأَبْصُرْتُ النَّاسَ وَقَدْ ابْتَدَأُوا يَنْصَرِفُونَ.

فَإِذَا بِالزَّلَالِ بَعِينَهُ، فِي أَوْسَاطِ النَّاسِ، سَائِرًا فِي نَهْرِ الْأَبْلَةِ، فَتَأَمَّلْتُهُ، فَإِذَا أَصْحَابِي عَلَى سَطْحِهِ، وَمَعَهُمْ عَدَّةٌ مَغْنِيَاتٍ.

فَحِينَ رَأَيْتَهُمْ لَمْ أَتَمَّالِكْ فَرَحًا، فَطَرَحْتُ إِلَيْهِمْ، فَحِينَ رَأَوْنِي عَرَفُونِي، فَكَبَّرُوا، وَأَخَذُونِي إِلَيْهِمْ، وَسَلَّمُوا عَلَيَّ.

وَقَالُوا: وَيَحْكُ، أَنْتَ حَيٌّ؟ وَعَانَقُونِي، وَفَرَحُوا بِي، وَسَأَلُونِي عَنِ قِصَّتِي، فَأَخْبَرْتَهُمْ بِهَا، مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا، عَلَى أَتَمِّ شَرْحٍ.

فَقَالُوا: إِنَّا لَمَّا فَقدْنَاكَ [٢٩٥ غ] فِي الْحَالِ، وَقَعْنَا لَنَا أَنْتَكَ بِالسُّكْرِ وَقَعْتَ فِي الْمَاءِ فَغَرَقْتَ، وَلَمْ نَشْكُ فِي ذَلِكَ، فَخَرَّقْتَ الْجَارِيَةَ ثِيَابَهَا، وَكَسَرْتَ الْعُودَ، وَجَزَّتْ شَعْرَهَا، وَبَكَتْ، وَلَطَمْتَ، فَمَا مَنَعْنَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا.

ص: ٣٢٥

١- الشَّعَانِينُ، وَالسَّعَانِينُ: عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِ النَّصَارَى، يُحَلُّ يَوْمَ الْأَحَدِ الَّذِي قَبْلَ الْفِصْحِ، وَالْكَلِمَةُ عِبْرَانِيَّةٌ: هُوَ شَيْعِيَّةٌ نَائِيَةٌ خَلَّصْنَا (الْمَنْجِدَ).

٢- الْمِظَانُ، وَالْمَفْرَدُ مِظَنَةٌ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُظَنَّ وَجُودَهُ فِيهِ.

٣- الْحَمُو، أَبُو زَوْجِ الْمَرْأَةِ، وَأَبُو امْرَأَةِ الرَّجُلِ، وَحَمُو: مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي تَعْرَبُ بِالْوَاوِ رَفْعًا، وَبِالْفَاءِ نَصْبًا، وَبِالْيَاءِ خَفْضًا، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مُضَافًا، تَقُولُ: هَذَا حَمُوهُ، وَرَأَيْتُ حَمَاهُ، وَمَرَرْتُ بِحَمِيهِ.

و وردنا البصره، فقلنا لها: ما تحبين أن نعمل معك؟ فقد كنا وعدنا مولاك وعدا، تمنعنا المروءه من استخدامك بعده في حال أو سماع.

فقلت: يا مولاى لا تمنعنى من القوت اليسير، و لبس الثياب السواد، و أن أصنع قبرا فى بيت من الدار، و أجلس عنده، و أتوب من الغناء، فمكناها من ذلك، فهى جالسه عنده إلى الآن.

و أخذونى معهم، فحين دخلت، و رأيته بتلك الصوره، و رأتهنى، شهقت شهقه عظيمه، فما شككت فى تلفها، و أعتقتها، فما افترقنا ساعه طويله.

ثم قال لى مولاها: خذها.

فقلت: بل تعتقها و تزوجنى بها، كما وعدتني.

ففعل ذلك، و دفع لنا ثيابا كثيره، و فرشاً، و قماشاً، و حمل إلى خمسمائه دينار.

و قال: هذا قدر ما أردت أن أجريه عليكم فى كل شهر [٢٧٠ ر] من أول شهر دخولى إلى البصره، و قد اجتمع فى طول هذه المدّه، و الجرايه فى كل شهر غير هذا، و شىء آخر لكسوتك، و كسوه الجاربه، و الشرط فى المنادمه و سماع الجاربه من وراء الستاره باق، و قد وهبت لك الدار الفلانيه، و هذه مفاتيحها.

فأخذت المفاتيح، و أتيت إلى الدار، فوجدتها مفروشه بأنواع الفرش، و إذا بذلك الفرش و القماش الذى أعطيته فيها، و الجاربه.

فسررت بذلك سرورا عظيما، و جئت إلى البقال، فحدّثته حديثي، و طلّقت ابنته، و وقّيتها [٩١ ن] صداقها.

و أقمت مع الجاربه سنين (١)، و صرت ربّ ضيعه و نعمه، و صار حالى إلى

ص: ٣٢٦

١- فى غ: و أقمت على تلك الحال سنين.

قريب مما كنت عليه أولاً.

و أنا أعيش كذلك مع جاريتي، إلى الآن (1).

ص: ٣٢٧

١- وردت القصة في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضي التتوخي، برقم القصة ١٣٩/٥.

أمير البصره يجمع بين متحايين

روى أبو روق الهزاني، عن الرياشي (١): أن بعض أهل النعم بالبصره، اشترى جاريه، و أحسن تأديبها و تعليمها، و أحبها حبًا شديدًا، و أنفق عليها حتى أملق، و مسهما الضّر الشديد، [و الفقر المبيد.

فقال لها يوما: قد ترين ما صرنا إليه من الفقر، و الله، لموتى و أنت معى، أهون علىّ مما أذكره لك، و يسوءنى أن أراك على غير الحاله التى تسرّنى فيك، و نهايه الأمر بنا، أن تحلّ بأحدنا مئته، فيقتل الآخر نفسه عليه، فإن رأيت أن أبيعك لمن يحسن إليك، فيغسل عنك ما أنت فيه، و أتفرّج أنا بما لعلّه يصير إلىّ من الشىء من ثمنك، و لعلّك تحصلين عند من تتوصّلين إلى نفعى معه.

فقال: و الله لموتى و أنا علىّ تلك الحاله، أهون علىّ من انتقالى إلى غيرك، و لكن افعل ما بدا لك] (٢).

و قالت له الجاريه: إنى لأرثى لك يا مولاي، مما أرى بك من سوء الحال، فلو بعتنى فانتفعت بثنى، فلعّلّ الله أن يصنع لك صنعا جميلا، و أفع أنا بحيث يحسن حالى، فيكون ذلك أصلح لكّل واحد منّا.

فخرج، و عرضها للبيع، فأشار عليه أحد أصدقائه، ممن له رأى، أن

ص: ٣٢٨

١- فى غ: روى أبو روق الرياشي، عن الهزاني، و هو غير صحيح، فإنّ أبا روق الهزاني هو الراوى عن الرياشي، راجع القصّه ٧٢/٥ من كتاب نشوار المحاضره، و الرياشي هو أبو الفضل العباس بن الفرج ابن على بن عبد الله البصرى (١٧٧-٢٥٧) المعروف بالرياشي، نسبه إلى رياس، رجل من جذام (اللباب ١/٤٨٤) و [١] الرياشي، لغوى، راويه، عالم بتاريخ العرب و أيامها، قتل بالبصره، أيام فتنه صاحب الزنج (الأعلام ٣٧/٤).

٢- الزيادة من غ.

يحملها إلى عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، و كان أمير البصره (١) يومئذ، فأعجبه.

فقال لمولاها: كم شراؤها عليك؟

قال: بألف دينار (٢)، و قد أنفقت عليها أكثر من [٢٩٦ غ] مائه ألف درهم (٣).

قال: أما ما أنفقت عليها، فغير محتسب لك، لأنك أنفقته في لذاتك، و أما ثمنها، فقد أمرنا لك بمائه ألف درهم، و عشره سفاط

ثياب، و عشره رؤوس من الخيل، [و عشره من الرقيق] (٤)، أَرْضَيْتَ؟

قلت: نعم، رضيت، فأمر بالمال فأحضر.

فلما قبض المولى الثمن، و أراد الانصراف، استعبر كل واحد منهما إلى صاحبه باكيا، و أنشأت الجارية تقول: [٢٤١ م]

هنيئا لك المال الذي قد حويته و لم يبق في كفي إلا التفكير (٥)

أقول لنفسى و هى فى كرباتها أقلى فقد بان الحبيب أو اكثرى

إذا لم يكن للأمر عندى حيله و لم تجدى شيئا سوى الصبر فاصبرى

قال: فاشتد بكاء المولى، و علا نحيبه، ثم أنشأ يقول:

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاعذرى

أروح بهم فى الفؤاد مبرح أناجى به قلبا طويل التفكير (٦)

ص: ٣٢٩

١- فى غ: أمير العراق، و هو عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشى (٢٢-٨٢): قائد، شجاع، جواد، ولى البصره، و ولى فارس، و حارب الخوارج (الأعلام ٥/٢١٤).

٢- فى غ: بمائه ألف درهم.

٣- فى غ: مائه ألف دينار.

٤- الزيادة من غ.

٥- فى المستجد: و لم يبق فى كفي غير التحسر.

٦- فى المستجد: أروح بهم من فراقك موجه أناجى به قلبا قليل التصبر

عليك سلام، لا زياره بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر: قد شئت يا هذا، خذ جاريتك، بارك الله لك فيها و فيما صار إليك من المال، وانصرفا راشدين، فوالله، لا كنت سببا في فرقه محبين.

فأخذها و أخذ المال و الخيل و الرقيق و الثياب، و أثرى و حسنت حاله (١).

[و أخبرني الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، خليفه أبي رحمه الله على القضاء بها، قال: حدّثنا أحمد بن سعيد، أنّ الزبير حدّثهم، قال:

حدّثني ابن أبي بكر المؤملي، قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيده بن محمد بن عمّار بن ياسر، قال: كانت لفتى من لعرب جاريه جميله، و كان بها معجبا، يجمد بها وجدا شديدا، فلم يزل ينفق عليها حتى أملق و احتاج، و جعل يسأل إخوانه، فقالت الجاريه... و ذكر بقيه الخبر على قريب مما رواه الرياشي، و الألحان في الشعر على ما رواه الزبير] (٢).

[و وجدت هذا الخبر مذكورا بقريب من هذه الالفاظ، في كتاب أخبار المتيمين للمدائني، و قد زاد فيه: أنّ الجاريه كانت قينه، و لم يذكر الشعر الأوّل] (٣).

ص: ٣٣٠

- ١- وردت القصّه في نشوار المحاضره برقم ٧٢/٥، و في الأغاني ٣٨٩/١٥ و [١] في المستجد للتّوخي ١٦٠-١٦٢.
- ٢- الزيادة من ن، و يظهر أنّ القصّه ناقصه، إذ لم يرد في القصّه ذكر للألحان التي أشار إليها المؤلّف في آخر الفقره.
- ٣- وردت هذه الفقره في م و في ن، و لم ترد في ر، و لا في غ.

من مكارم جعفر بن يحيى البرمكى

و حَدَّثَنِي أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفُ بِالْأَصْبَهَانِيِّ، إِمْلَاءً مِنْ حَفْظِهِ (١)، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْمُرْدَاسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ:

لَمَّا دَخَلَ الرَّشِيدُ الْبَصْرَةَ حَاجًّا (٢)، كُنْتُ مَعَهُ، فَقَالَ لِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى:

يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، قَدْ وَصَفْتَ لِي جَارِيَهُ مَغْتِيَهُ حَسَنَاءَ مَحْسَنَةٍ، تَبَاعٌ، وَذَكَرَ أَنَّ مَوْلَاهَا مَمْتَنَعٌ مِنْ عَرْضِهَا إِلَّا فِي دَارِهِ، وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَرْكَبَ [٢٧١ ر] مُسْتَخْفِيًا، فَأَعْتَرِضُهَا، أَمْ تَسَاعِدُنِي؟

فَقُلْتُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ.

فَلَمَّا كَانَ فِي نِصْفِ النَّهَارِ (٣) حَضَرَ النَّخَّاسُ (٤)، فَأَعْلَمَ بِحُضُورِهِ، فَخَرَجَ جَعْفَرُ بَعْمَامَهُ وَطَيْلِسَانَ وَنَعْلَ عَرَبِيَّةٍ، وَأَمَرَنِي فَلَبِستُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَكَبْنَا حَمَارِينَ قَدْ أُسْرَجَا بِسُرُوجِ التَّجَارِ، [وَرَكِبَ النَّخَّاسُ مَعَنَا، وَطَلَبْنَا الطَّرِيقَ] (٥).

فَلَمْ يَزَلِ النَّخَّاسُ يَسِيرُ بَيْنَ أَيْدِينَا، حَتَّى أَتَيْنَا أَبَا شَاهِقًا يَدُلُّ عَلَى نَعْمَةٍ قَدِيمَةٍ، فَفَرَعَ النَّخَّاسُ الْبَابَ، وَإِذَا بِشَابٍ حَسَنِ الْوَجْهِ، عَلَيْهِ أَثَرُ ضَرْبٍ بَادٍ، وَقَمِيصٍ غَلِيظٍ خَشَنٍ، فَفَتَحَ لَنَا الْبَابَ، وَقَالَ لَنَا: انزِلُوا يَا سَادَةَ، فَدَخَلْنَا.

فَأَخْرَجَ لَنَا الرَّجُلَ قِطْعَةَ حَصِيرٍ خَلَقَ، ففَرَشَهَا لَنَا، فَجَلَسْنَا عَلَيْهَا.

ص: ٣٣١

١- في غ: من لفظه.

٢- كان ذلك في السنة ١٧٩ (العيون و الحداثق ٣/٢٩٧).

٣- كذا في م و في غ، و في ر: في نصف الليل.

٤- النخّاس: بائع الرقيق.

٥- ساقطه من غ.

فقال له النّخاس: أخرج الجارية، فقد حضر المشتري.

فدخل البيت، وإذا الجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذى كان على الفتى بعينه، وهى فيه -مع خشونته- كأنّها فى الحلّى والحلّ، لحسن وجهها، وهى يدها عود.

فأمرها جعفر بالغناء، فجلست، وهى ضربت ضربا حسنا، واندفعت تغنى:

[٢٩٧ غ]

إن يمس جيلك بعد طول تواصل خلقا و يصبح بيتكم مهجورا

فلقد أرانى و الجديد إلى بلى دهرا بوصلك (١) راضيا مسرورا

جدلا بمالى عندكم لا أبتغى بدلا بوصلك خله و عشيرا

كنت المنى و أعزّ من وطىء الحصى عندى و كنت بذاك منك جديرا

ثم غلبها البكاء حتى منعها من الغناء، و سمعنا من البيت نحيب الفتى، و قامت الجارية تتعثر فى أذيالها، حتى دخلت البيت، و ارتفعت لهما ضجّة بالبكاء و الشهيق، حتى ظننا أنّهما قد ماتا، و هممنا بالانصراف.

فإذا بالفتى قد خرج و عليه ذلك القميص بعينه، فقال: أيّها القوم، أعذرونى فيما أفعله و أقوله.

فقال له جعفر: قل.

فقال: أشهد الله تعالى، و أشهدكم، أنّ هذه الجارية حرّة لوجه الله تعالى، و أسألكم أن تزوّجونى بها.

قال: فتحيّر جعفر أسفا على الجارية، ثم قال لها: أتحبين أن أزوّجك من مولاك؟

قالت: نعم.

ص: ٣٣٢

١- فى غ: رهنا بوصلك.

فقرّر الصداق، وخطب، و زوّجها به، ثم أقبل على الفتى، و قال له:

ما حملك على [٢٤٢ م] هذا؟

فقال: حديثي طويل، إن نشطت له حدّثتك به.

فقال: لا أقلّ من أن نسمعه، فلعلنا أن نبسط عذرك.

فقال: أنا فلان ابن فلان، و كان أبي من وجوه أهل هذا البلد، و مياسيره، و هذا عارف بذلك، و أوما إلى النّحاس.

و أسلمني أبي إلى الكتاب (١)، و كانت لأمي صبيّه قريب سنّي من سنّها، و هي جاريتي هذه، و كانت معي في المكتب، تتعلّم ما أتعلّم، و تنصرف معي.

فبلغت، ثم بطلت (٢) من الكتاب، و تعلّمت الغناء، فكنّت لمحبتى لها أتعلّمه معها، و تعلقّ قلبي بها، و أحببتها حبّاً شديداً.

و بلغت أنا أيضاً، فخطبني وجوه أهل البصره لبناتهنّ، فخيرني أبي، فأظهرت له الزهد في الترويح، و نشأت متوفراً على الأدب، متقلّبا في نعم أبي، غير [٩٢ ن] متعرّض لما يتعرّض له الأحداث (٣)، لتعلقّ قلبي بالصبيّه، و رغبه أهل البلد تزاد فيّ، و عندهم أنّ عفتي لصلاح، و ما كانت إلّا لتعلقّ قلبي بالجاريه، و أنّ شهوتي لا تتعدّها لأحد.

و بلغ حدّها في الغناء إلى ما قد سمعتموه، فعزمت أمي على بيعها، و هي لا تعلم ما في نفسي منها، فأحسست بالموت، و اضطرت إلى أن حدّثت أمي عن الصورة، فحدّثت أبي، فاجتمع رأيهما على أن وهبا لي الجاريه، و جهّزاها

ص: ٣٣٣

١- الكتاب: موضع تعليم الصغار.

٢- في م: عطلت عن الكتاب، و قد اخترت التعبير الوارد في ر، لأنّ هذا التعبير ما زال مستعملا في بغداد، يقول التلميذ إذا ترك المدرسه: بطلت من المدرسه.

٣- الأحداث: الشبان الصغار، المفرد، حدث، بالفتح، و البغداديون يخصّون به الفتاه الصغيره تحبّبا، فيقولون: حديثه، بالتصغير.

كما يجهز أهل البيوتات بناتهم، و جلّيت عليّ، و عمل لنا عرس حسن، و نعمت معها دهرًا طويلًا.

ثم مات أبي، و خلف لي مالًا - كثيرًا، فلم أحسن أن أربّ نعمته (١)، و أسأت التدبير فيها [٢٧٢ ر]، و أسرع في الأكل و الشرب و القيان، و أنا مع ذلك أجذر (٢) في اليوم الواحد بخمسين دينارًا أو أكثر.

فأوجب ذلك أن تلفت النعمة، و أفضت [٢٩٨ غ] الحال إلى نقض الدار و بيع ما فيها، حتى صرت إلى ما ترى، و أنا على هذا منذ سنين.

فلما كان في هذا الوقت، و بلغني دخول الخليفة، و وزيره، و أهل مملكته، البصره، قلت لها: يا ستي، إعلمي أن شبابك قد بلى، و أن عمرك في الشقاء ينقضي، و بالله، إن نفسي تالفه من فراقك، و لكنّي أؤثر تلفها مع وصولك إلى نعمه و رفاهيه، فدعيني أعرضك، لعلّ أن يشتريك بعض هؤلاء الأكابر، فتحصلي معه في رغد عيش، فإن متّ بعدك فذاك الذي أؤثر، و يكون كلّ واحد منا قد تخلّص من الشقاء، و إن حكم الله تعالى عليّ بالبقاء، صبرت على قضائه.

فبكت من ذلك، و قلقت، ثم قالت: إفعل ما تحبّ.

فخرجت إلى هذا النّخاس، فأطلعت على أمرى، و قد كان يسمع غناءها أيام نعمتى، و عرف حالها و حالي، و أعلمته أنّي لا أعرضها إلّا عندي، فإنّها - و الله - ما طرقت رجلها خارج باب الدار قط، و قصدت بذلك أن يراها المشتري، و لا تدخل بيوت الناس، و لا إلى السوق، و إنّها لم يكن لها ما تلبسه إلّا - قميصى هذا، و هو مشترك بيننا، ألبسه أنا إذا خرجت لأبتاع القوت، و تشّح هي بأزارها، و إذا جئت إلى البيت، ألبستها إياه، و أتشّح أنا بالأزار.

ص: ٣٣٤

١- ربّ النعمة: أصلحها و زادها.

٢- الجذر: أجر المغنى.

فلما حصل من يعترضها (١)، وخرجت فغنتكم، لحقني من القلق و البكاء لفراقها أمر عظيم، فدخلت إليّ، و قالت: يا هذا، ما أعجب أمرك، أنت مللتني، و أردت بيعي و فراقى، و تبكى هذا البكاء؟

فقلت لها: يا هذه، إنّ فراق نفسي أسهل عليّ من فراقك، و إنّما أردت أن تتخلّصى من هذا الشقاء.

فقالت: و الله، لو ملكت منك ما ملكت منى، ما بعثك أبدا، و أموت جوعا و عريا، فيكون الموت هو الذى يفرّق بيننا.

فقلت: أ تريد أن تعلمى صدق قولى؟

قالت: نعم.

قلت: هل لك [٢٤٣ م] أن أخرج الساعه إلى المشتري فأعتقك بين يديه و أتزوجك، ثم أصبر معك على ما نحن فيه إلى أن يأذن الله تعالى بفرج أو موت؟

فقالت: إن كان قولك صادقا، فافعل ما بدا لك من هذا، فما أريد غيره.

فخرجت إليكم فكان منى ما قد علمتم، فاعذرونى.

فقال جعفر الوزير: أنت معذور، و نهض، و نهضت معه، و النّخاس معنا.

فلما قدّم حمارة ليركب، دنوت منه، و قلت: يا سبحان الله، مثلك فى جودك، يرى مثل هذه المكرمه، فلا- ينتهز الفرصه فيها؟ و الله، لقد تقطّع قلبى عليهما.

فقال: ويحك، و قلبى - و الله - كذلك، و لكنّ غيظى من فوت الجاربه إىّاى يمنعنى من التكرّم عليه.

فقلت: و أين الرغبه فى الثواب؟

فقال: صدقت و الله.

ص: ٣٣٥

١- اعترض: أى عرض الشىء عليه، فأبصره و شاهده، و منه اعتراض القائد الجيش، و هو ما يسمّى الآن بالاستعراض.

ثم التفت إلى النّخاس فقال: كم كان الخادم سلّم إليك عند ركوبنا، لتشتري به الجارية؟

فقال: ثلاثة آلاف دينار.

فقال: أين هي؟

فقال: مع غلامى.

فقال لى و للنّخاس: خذاها [٢٩٩ غ] و ادفعها إلى الفتى، و قولاً له:

يكتسى و يركب و يجيئنى، لأحسن إليه و أستخدمه.

فرجعنا إلى الفتى، فإذا هو يبكى، فقلت له: قد عجزل الله فرجك، أعلم أنّ الذى خرج من عندك هو الوزير جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى، و قد أمر لك بهذا، و هو يقول لك كذا و كذا.

قال: فصعق، حتى قلت قد تلف، ثم أفاق، فأقبل يدعو لجعفر، و يشكرنى.

و كنت قد ركبت فلحقت بالوزير، و أعلمته، فحمد الله عزّ و جلّ على ما وهبه له، و عاد إلى داره و أنا معه.

فلَمّا كان وقت العشاء، جئنا إلى الرشيد، فأقبل يسأل جعفر خبره فى يومه، و هو يخبره، إلى أن قصّ عليه حديث الفتى [٢٧٣ ر] و الجارية.

فقال له الرشيد: فما عملت معه؟ فأخبره.

فاستصوب رأيه، و قال: وقع له برزق [سلطانى] (١) فى رسم أرباب النعم (٢)، فى كلّ شهر كذا و كذا، و اعمل به بعد ذلك ما شئت.

فلَمّا كان من الغد، جاءنا الفتى راكباً بثياب حسنه، و هيأه جميله، فإذا

ص: ٣٣٦

١- الزيادة من م و غ.

٢- الرزق السلطانى: رزق يشبه الراتب التقاعدى، يخصّص لأرباب النعم الذين فقدوا نعمهم، من أجل معونتهم على العيش.

به من أحلى الناس كلاماً، وأتمهم أدباً.

فحملته إلى جعفر، وأوصلته إلى مجلسه، فأمر بتسهيل وصوله إليه، وخلطه بحاشيته، ووقع له عن الخليفة بما رسم له، و عن نفسه بشيء آخر.

و شاع حديثه في البصره، و في أهل العسكر، فلم يبق فيهم متغزل، و لا متظرف، إلا أهدى له شيئاً جليلاً، فما خرجنا من البصره إلا و هو ربّ نعمه صالحه.

و وجدت هذا الخبر، على خلاف هذا، ما ذكره أبو علي محمّد بن الحسن ابن جمهور العمى البصرى الكاتب (١)، في كتاب «السّمّار و الندامى» (٢):

أنّ الرشيد لما حجّ و معه إبراهيم الموصلى،... فأخبرنا بالخبر على قريب ما روينا و ذكرناه، و أنّ الجارية بدأت و غنّت بصوت من صناعه إبراهيم، و هو:

نمت على الزفرة الصاعده و ملنى العائد و العائده

يا ربّ كم فرّجت من كربه عنى فهذى المرّه الواحده

و أنّ الذى حضر لتقليب الجاربه (٣)، الرشيد و جعفر بن يحيى متكرين (٤)، و معهما إبراهيم الموصلى و النّخّاس، و أنّهم انصرفوا، و قطعوا الثمن بمائه ألف درهم،

ص: ٣٣٧

١- أبو علي محمد بن الحسن بن جمهور العمى، الكاتب، الصلحى، البصرى: وصفه التّوخى فى نشوار المحاضره، [١] فى القصّه ١٦٥/٣ بأنّه صاحب الستاره، المشهور بالأدب و الشعر، و تصنيف الكتب، و ذكره فى القصّه ٥٢/٤ فقال عنه: إنّ من شيوخ الأدب بالبصره، راجع بشأنه كتاب الديارات للشابشتى ٢٦٦ و [٢] حكايه أبى القاسم البغدادى ٧١-٧٥ و معجم الأدباء ٤٩٨/٦، و عن سبب تسميته بالعمى، راجع الأغانى ٢٥٧/٣.

٢- فى ن: كتاب السّمّار و الندماء.

٣- تقليب الرقيق: فحصه و الكشف عنه عند شرائه.

٤- التّنكر: تغيير الزىّ و الهياه، كى لا يعرف المتنكر من يراه، و البغداديون يسمّون التّنكر: التبديل، يعنى إبدال الملابس، و يقولون عن الحاكم الذى يخرج متنكراً: طلع بالتبديل.

ثم عادوا و المال معهم، فأمروا بإعادة التقلب، فخرجت الجارية، فغنت بصوت، الغناء فيه لإبراهيم، و هو:

و من عادة الدنيا بأنّ صروفها (١) إذا سرّ منها جانب ساء جانب

و ما أعرف الأيام إلاّ ذميمه و لا الدهر إلاّ و هو للثأر طالب

ثم ذكر بقيه الحديث على قريب من هذا، و فى الخبر الأوّل زيادات، ليست فى خبر ابن جمهور (٢).

ص: ٣٣٨

١- فى غ: و من عادة الأيام أنّ صروفها.

٢- هذه الفقرة لا توجد فى ر.

من مكارم يحيى بن خالد البرمكى

[و بلغنى خبر لجعفر بن يحيى، مع جاريه، يقارب هذا الخبر، أخبرنى [٩٣ ن] به أبو محمّد الحسن بن عبد الرحمن بن [٢٤٤ م] خلاد الرامهرمزي (١)، خليفه [٣٠٠ غ] أبى رضى الله عنه، على القضاء بها، قال: أخبرنى أحمد بن الصلت الحماني (٢)، قال: حدّثنا مفلح و سنبر النخاسان] (٣)، قالوا:

أرسل إلينا جعفر بن يحيى البرمكى، يطلب جاريه قوّاله (٤)، ذات أدب و ظرف، على صفه ذكرها و حدّها، فما زلنا نحرص على طلبها، و نتواصف من يعرف عنها مثل ذلك.

و إلى جانبنا شيخ من أهل الكوفه يسمع كلامنا، فأقبل علينا، و قال:

عندى بغيه الوزير، فانهضوا إن شئتم لتنظروا إليها.

قال: فنهضنا معه، حتى إذا وصلنا إلى داره، وجدناها ظاهره الإختلال، و وجدنا فيها مسحا خلقا (٥)، و ثلاث قصبات عليها مسرجه (٦)، فارتبنا بقوله لنا،

ص: ٣٣٩

١- أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي: ترجمته فى حاشيه القصّه ٢٦ من الكتاب.

٢- أبو العبّاس أحمد بن الصلت بن المغلس الحماني: ترجم له الخطيب فى تاريخه ٢٠٧/٤ و قال: إنّه كان ينزل فى الشريقيه، توفى سنه ٣٠٨.

٣- كذا ورد فى ن، و فى م: صالح و شير، و اقتصر فى ر على ما يلى: حكى صالح النخاس... الخ.

٤- القوّاله: حدّثنا التّوخى فى القصّه ١٦/٧ من نشوار المحاضره و أخبار المذاكره، عن جماعه حضروا مجلس تحفه القوّاله، و أورد فى القصّه ١٨٠/٢ من نشوار المحاضره: أنّ أبا القاسم بن بنت منيع المحدث، كان- و قد تجاوز المائه- يذهب إلى مجلس سّتى خاطف، و يتواجد من «قولها»، و الذى يظهر لى أنّ من يغنى فى أبيات الرقائق و الغزل الصوفى، يسمّى غناؤه «قولاً»، و موضع الاجتماع عنده «مجلساً»، و يسمّى هو: قوّال.

٥- المسح: كساء من الشعر، و الخلق: الرثّ البالى.

٦- المسرجه: بكسر الميم، هى السراج، و بفتح الميم: القائمه التى يوضع عليها السراج، و يتخذها الأغنياء من الفضّه أو الذهب، و متوسّطوا الحال من المعدن كالحديد أو النحاس، أو من الخشب، أمّا الفقراء الذين لا حيله لهم، فيتخذون المسرجه من قصبات ثلاث تجمع رؤسها بقطعه من الطين، كما فى هذه القصّه.

لما ظهر من سوء حاله.

ثم أخرج إلينا جاريه كأنها-و الله-فلقه قمر، تشنى كالقضيبي، فاستقرأناها، فقرأت آيات من القرآن، حرّكت منا ما كان ساكنا، و أتبعها بقصيده مليحه، شوّقتنا، و أطربتنا.

فقلنا لها: أصانعه؟ و أشرنا إلى يدها.

فقلت: نعم، تعلّمت العمل بالعود و أنا صغيره.

فقلنا: فغنيينا به.

فقلت: سبحان الله، هل يصلح أن أستجيب لذلك إلا لمولى مالك إن دعاني إليه أجبته.

قال: و راح الرسول إلى جعفر، فأخبره بما شاهده.

فلم يتمالك جعفر، لما سمع بصفه الجاربه، حتى استنهض الرسول إلى مجلس الشيخ، و هو يتبعه، حتى عاينه، و سأله إخراجها إليه.

فلما رآها جعفر أعجب بها قبل أن يستنطقها، ثم إنّه استنطقها، فأخذت بمجامع قلبه.

فقال لمولاها: قل ما شئت؟

فقال الشيخ: لست أحدث أمرا حتى أستأذنها، و لو لا الضرّ الذي نحن فيه لما عرضتها، لكنّ حالي كما يشاهده الوزير من فقر، و

ضرّ، و دين كثير قد فدحني (1)، و من أجله فارقت وطني، و عرضت على البيع ثمره فؤادي.

فقال له جعفر: ما مقدارها في نفسك إن أردت بيعها؟

ص: ٣٤٠

١- الفادح: الصعب المثقل.

فقال: ثلاثون ألف دينار (١).

فقال جعفر: فهل لك أن تأمرها بأن تغنينا؟

فأقبل الشيخ عليها فاستدناها، وأمرها أن تغنى، فأخذت العود، وأصلحته، ثم استعبرت، وغنت بصوت، الغناء من صنعه إبراهيم:

و من عادة الأيام أن صروفها إذا سرّ منها جانب ساء جانب

و ما أعرف الأيام إلا ذميمة و لا الدهر إلا و هو بالتأثر طالب

قال: ثم أنها ألقت العود من يدها، و صرخت، و صرخ الشيخ، و جعلاً ينتحبان.

ثم إن الشيخ أقبل على جعفر و من معه، و قال: أشهدكم أنني قد أعتقتها، و جعلت عتقها صداقها، و الله، لا ملكها أحد أبدا.

فغضب جعفر، و أقبل من حضر على الشيخ يؤنّبونه و يستجهلونّه، و يقولون له: ضيعت هذا المال الجليل، و عجلت، و جهلت.

فقال الشيخ: النفس أولى أن يبقى عليها من المال، و الرازق الله سبحانه و تعالى، و عاد جعفر إلى أبيه فأخبره بما كان من الرجل و الجارية.

فقال [٣٠١ غ] له أبوه: فما صنعت بهما؟

قال: تركتهما و انصرفت.

فقال له: ويحك، ما أنصفت يا ولدي، أو ما أنفت على نفسك أن تفرّق بين متحابين مثلهما، مقتربين [٢٧٤ ر]، فقيرين، أو تنصرف عنهما، و لا تجبر حالهما؟ أرضيت أن يكون الكوفيّ أسمح منك.

و دعا بغلام، فحمل معه إلى الشيخ ثلاثين ألف دينار (٢) على بغال.

ص: ٣٤١

١- في م: عشرون ألف دينار.

٢- في م: عشرين ألف دينار.

فلما وصل المال إلى الشيخ قبله و أخذه، و حمد الله عزّ و جلّ، و دعا لجعفر و لوالده، و عاد بالمال و الجارية إلى منزله بالكوفة، [و هو فرح مسرور، و قد فرّج الله عنه] (١).

ص: ٣٤٢

١- الزيادة من ر و غ.

أين نوال ابن جعفر من نوال ابن معمر

و وجدت في بعض كتبي: أن عمر بن شبة، قال: حدثني أبو غسان (١)، قال: أخبرني بعض أصحابنا، قال:

إشترى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنهما جاريه من مولمات أهل مكه، كان يتعشقه غلام من أهلها، و قدم في أمرها إلى المدينة، فنزل قريبا من منزل عبد الله بن جعفر، ثم جعل يلطف عبد الله بطرائف مكه، حتى عرفت الجاريه أنه ورد.

و جعلت [٢٤٥ م] الجاريه ترأسله، فأدخلته ليله في إصطبل دواب عبد الله بن جعفر، فعثر عليه السائس، فأعلم عبد الله بن جعفر، و أتاه به.

فقال له: مالك، قبحك الله، أبعد تحرّمك بنا تصنع مثل هذا؟

فقال له: إنك ابتعت الجاريه، و كنت لها محبًا، و كانت تجد بي مثل ذلك.

قال: فدعا بالجاريه، و سألها، فجاءت بمثل قصه الفتى.

فقال له: خذها، فهى لك.

فلما كان بعد ذلك بقريب، عشق عبد السلام بن أبي سليمان، مولى مسلم (٢)، جاريه لآل طلحه، يقال لها: رواح، و رجا أن يفعلوا به مثلما فعل ابن جعفر بالفتى المكى، فلم يفعل الطلحيون ذلك، فسأل في ثمنها، حتى اجتمع له، فاشتراها منهم.

فقال عبد السلام في ذلك:

ص: ٣٤٣

١- أبو غسان محمّد بن يحيى: من رجال سند الأغانى ٢٤٨/١ و الموشح للمرزبانى ٤٧.

٢- فى غ: مولى أسلم.

و أين-فلا تعدل-نوال ابن جعفر و أين لعمرى،من نوال ابن معمر

يطير لدى الجنّات هذا لفضله و يرفضّ (١) هذا فى الجحيم المسعّر (٢)

ص: ٣٤٤

١- إرفض: ذهب.

٢- لم ترد هذه القصّه فى ر.

ابن أبي حامد صاحب بيت المال

يحسن إلى رجل من المتفقهه

و قد كان فيما يقارب عصرنا مثل هذا، و هو ما حدّثني به أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ (١)، قال: حدّثني أبو أحمد محمّد بن أحمد الجرجاني الفقيه، قال:

كنا ندرس على أبي إسحاق المروزي الشافعي (٢)، و كان يدرس عليه معنفتي من أهل خراسان، له والد هناك، و كان يوجه إليه في كل سنه، مع الحاجّ، قدر نفقه السنه.

فاشترى جاريه، فوفقت في نفسه، و ألفها، و ألفته، و كانت معه سنين.

و كان رسمه أن يستدين في كل سنه، ديناً، بقدر ما يعجز من نفقته، فإذا جاء ما أنفذه أبوه إليه، قضى دينه، و أنفق الباقي مدّه ثم عاد إلى الاستدانه.

فلما كان سنه من السنين، جاء الحاجّ، و ليس معهم نفقه من أبيه.

فسألهم عن سبب ذلك، فقالوا له: إنّ أباك أعتلّ علّه عظيمه صعبه، و اشتغل بنفسه، فلم يتمكّن من إنفاذ شيء إليك.

ص: ٣٤٥

١- أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ المحدّث (٣٠٦-٣٨٥): نسبته إلى دار القطن، محلّه كبيره ببغداد، ترجم له صاحب اللباب ١/٤٠٤ و [١] قال إنّّه كان عالماً بالفقه، و اختلاف الفقهاء، و له كتاب في السنن، و تفقّه على مذهب الشافعي، و كان يحفظ كثيراً من دواوين العرب، مات ببغداد و دفن بالقرب من معروف الكرخي.

٢- في غ: علي أبي أحمد المروزي الشافعي، و هو خطأ، و الصحيح إنّّه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي الشافعي، الفقيه، ولد بمرو الشاهجان، قصبه خراسان، و أقام أكثر أيامه ببغداد، و إليه انتهت رئاسه الشافعيه بالعراق، و توفّي بمصر سنه ٣٤٠ (الاعلام ٢٢/١).

قال: فقلق الفتى قلقا شديدا، و جعل غرماؤه يطالبونه كالعاده، في قضاء الدين وقت الموسم، فاضطرّ، و أخرج الجاربه [٣٠٢ غ] إلى النّخاسين، فعرضها.

و كان الفتى ينزل بالقرب من منزلي، و كُنّا نضطحب إلى منزل الفقيه، و لا نكاد نتفارق.

فباع الجاربه بألف درهم و كسر (١)، و عزم على أن يفرّق منها على غرمائه قدر مالهم، و يتمون بالباقي.

و كان قلقا، موجعا، متحيّرا، عند رجوعنا من النّخاسين.

فلما كان الليل إذا ببابي يدقّ، فقمت ففتحته، فإذا بالفتى.

فقلت: ما لك؟

فقال: قد امتنع عليّ النوم، و قد غلبتني وحشه الجاربه، و الشوق إليها.

و وجدته من القلق على أمر عظيم، حتى أنكرت عقله، فقلت: ما تشاء؟

فقال: لا أدري، و قد سهل عليّ أن ترجع الجاربه إلى ملكي، و أبكر غدا فأقرّ لغرمائي بمالهم، و أحبس في حبس القاضى، إلى أن يفرّج الله تعالى عني، و يجيئني من خراسان ما أفضى به ديني في العام المقبل، و تكون الجاربه في ملكي.

فقلت له: أنا أكفيك ذلك في غد إن شاء الله، و أعمل في رجوع الجاربه إليك، إذا كنت قد وطّنت نفسك على هذا.

قال: فبكرنا إلى السوق، فسألنا عمّن اشترى الجاربه.

فقالوا: أمراه من دار أبي بكر بن أبي حامد [٩٤ ن]، صاحب بيت المال (٢).

ص: ٣٤٤

١- الكسر: و جمعه: كسور، و جمع الجمع: كسورات، العدد الذي يكون أقلّ من العدد المعطوف عليه، فان قلت: واحدا و كسر، فالكسر هو أقلّ من الواحد، كالثلث و الربع، و إن قلت: عشره و كسر، فالكسر هو أقلّ من العشره كالواحد و الإثنين.

٢- أبو بكر أحمد بن موسى بن النضر بن حكيم، المعروف بابن أبي حامد، صاحب بيت المال: ترجم له ابن الجوزى في المنتظم ٢٥٠/٦، و [١] قال عنه: كان ثقه، صدوقا، جوادا، راجع في تكمله الطبرى ص ١٥ قصّه ورد ذكره فيها.

فجئنا إلى مجلس الفقيه، فشرحت لأبي إسحاق المروزي بعض حديث الفتى، و سألته أن يكتب رقعه إلى أبي بكر بن أبي حامد، يسأله فيها فسخ البيع، والإقالة، و أخذ الثمن، و ردّ الجاربه، فكتب رقعه مؤكده فى ذلك.

فقلت، و أخذت [٢٤٦ م] بيد الخراسانى صديقى، و جئنا إلى أبى بكر بن أبى حامد، فإذا هو فى مجلس حافل، فأمهلنا حتى خفّ، ثم دنوت أنا و الفتى، فعرفتى، و سألتنى عن [أبى إسحاق] المروزى، فقلت: هذه رقعته خاصّه فى حاجه له.

فلما قرأها، قال لى: أنت صاحب الجاربه؟

قلت: لا، و لكنّه صديقى هذا، و أمأت إلى الخراسانى، و قصصت عليه القصّه، و سبب بيع الجاربه.

فقال: و الله، ما أعلم أنّى ابتعت جاربه فى هذه الأيام، و لا ابتعت لى.

فقلت: إنّ امرأه جاءت و ابتاعتها، و ذكرت أنّها من دارك.

قال: يجوز.

ثم قال: يا فلان، فجاهه خادم، فقال له: امض إلى دور الحرم، فاسأل عن جاربه اشترت أمس، فلم يزل يدخل و يخرج من دار إلى دار، حتى وقع عليها، فرجع إليه.

فقال له: أعثرت عليها؟

فقال: نعم، فقال: أحضرها، فأحضرها.

فقال لها: من مولاك؟ فأومأت إلى الخراسانى.

فقال لها: أفتحّبين أن أردّك عليه؟

فقلت: و الله، ليس مثلك يا مولاى من يختار عليه، و لكن لمولاى على حقّ التريبه [٢٧٥ ر].

فقال: هى كيسه عاقله، خذها.

ص: ٣٤٧

قال: فأخرج الخراساني الكيس من كَمِّه، و تركه بحضرتة.

فقال للخادم: إمض إلى الحرم، و قل لهم: ما كنتنّ وعدتنّ به هذه الجارية من إحسان، فَعَجَلَنه الساعه.

قال: فجاء الخادم بأشياء لها قدر و قيمه، فدفعها إليها.

ثم قال للخراساني: خذ كيسك فاقض منه [٣٠٣ غ] دينك، و وسّع بياقيه على نفسك و على جارتك، و الزم العلم، فقد أجريت عليك في كلّ شهر قفيز دقيق، و دينارين، تستعين بها على أمرك.

قال: فو الله ما انقطعت عن الفتى، حتى مات أبو بكر بن أبي حامد (١).

ص: ٣٤٨

١- وردت القصة في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضي التتوخي برقم القصة ١٥٤/٧.

ابن أبي حامد صاحب بيت المال

يحسن إلى صيرفي

[قال مؤلف هذا الكتاب: وجدت هذا الخبر مستفيضا ببغداد، وأخبرت به على جهات مختلفه، وهذا أبينها، وأصحها إسنادا، إلا أنني أذكر بعض الطرق الأخرى التي بلغتني] (١): حدّثني أحمد بن عبد الله، قال: حدّثني شيخ من دار القطن ببغداد، قال:

كان لأبي بكر بن أبي حامد مكرمه طريفه، وهى أنّ رجلا يعرف بعبد الواحد ابن فلان الصيرفي، باع جاريتيه، وكان يهواها، على أبي بكر بن أبي حامد - يعنى صاحب بيت المال - بثلاثمائة دينار.

فلما جاء الليل، استوحش لها وحشه شديده، ولحقه من الهيمان، والقلق، والجنون، والأسف على فراقها، ما منعه من النوم، ولحقه من البكاء والسهر، ما كادت تخرج نفسه معه.

فلما أصبح خرج إلى دكانه يتشاغل بالنظر فى أمره، فلم يكن له إلى ذلك سبيل.

وزاد عليه القلق والشوق، فأخذ ثمن الجارويه، وجاء إلى أبي بكر بن أبي حامد، فدخل عليه، ومجلسه حافل، فسلم، وجلس فى أخريات الناس، إلى أن تقوّضوا (٢).

ص: ٣٤٩

١- الزيادة من غ.

٢- تقوّض البناء: تهدّم، وتقوّض المجلس: تفرّق المجلساء.

فلما لم يبق غيره، أنكر ابن أبي حامد حاله، [فقال له: إن كانت لك حاجة فاذكريها.

فسكت، و جرت دموعه، و شهق.

فرفق به ابن أبي حامد، [١] و قال له: قل، عافاك الله، و لا تستح.

فقال له: بعث أمس، جاريه كانت لي، و كنت أحبها، و اشتريت لك -أطال الله بقاءك- و قد أحسست بالموت أسفا على فراقها.

و أخرج الثمن فوضعه بحضرتة، و قال له: أنا أسألك أن تردّ عليّ حياتي، بأخذ هذه الدنانير، و إقالتى من البيع.

قال: فتبسّم ابن أبي حامد، و قال له: لئما كانت بهذا المحلّ من قلبك لم بعثها؟

فقال: أنا رجل صيرفي، و كان رأس مالي ألف دينار، فلما اشتريتها، تشاغلّت بها عن لزوم الدكان، فبطل كسبي، و كنت أنفق عليها من رأس المال نفقه لا -يحتملها حالي، فلمّا مضت مدّه، خشيت الفقر، و نظرت، فإذا أنا لم يبق معي من رأس المال إلاّ الثلث أو أقلّ، و صارت تطالبني من النفقه، بما لو أطعتها فيه، ذهبت هذه البقيّه، و حصلت على الفقر.

فلما منعته، ساءت أخلاقها [٢٤٧ م] و نغصت عيشي، فقلت أبيعها، و أدير ثمنها فيما أختلّ من حالي، و تستقيم عيشتي، و أستريح من أذاها، و أتصبر على فراقها، و لم أعلم أنّه يلحقني هذا الأمر العظيم، و قد آثرت الآن الفقر، و أن تحصل الجاريه عندي، أو أن أموت، فهو أسهل عليّ مما أنا فيه.

فقال ابن أبي حامد: يا فلان، فجاء خادم أسود.

فقال له: أخرج الجاريه التي اشتريت لنا بالأمس.

قال: فأخرجت جاريّتي.

ص: ٣٥٠

١- ساقطه من غ.

فقال: يا بنى، إن مثلى لا- يظأ قبل الإستبراء، و والله، ما وقعت عيني على الجارية- منذ اشتريت- إلا الساعة، وقد وهبتها لك [٣٠٤] غأفخذها، و خذ دنانيرك، بارك الله لك فيهما.

ثم قال للخادم: هات ألف درهم، فجاء بها.

فقال للجارية: قد كنت عوّلت على أن أكسوك، فجاء من أمر مولا-ك ما رأيت و لم أر من المروءه منعه منك، فخذى هذه الدراهم، و اتسعى بها فى نفقتك، و لا تحملى مولاك ما لا يطيق، فتحصلين عند من لا يعرف قدرك كمعرفته، و لك على ألف درهم فى كل سنه، يجىء مولاك فىأخذها لك، إذا شكرك، و رضى طريقتك.

قال: فقام الرجل، و قبّل يديه، و جعل يبكى، و يدعو له.

و لم يزل المال و اصلا إليه فى كل سنه، حتى مات ابن أبى حامد. [٢٧٦ ر]

ص: ٣٥١

الحسن بن سهل

يحسن إلى الفسطاطى التاجر

و يشبه هذا الحديث، ما وجدته فى كتاب أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز ابن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان، و هو يومئذ كاتب الوزير المهلبى على ديوان السواد (١)، و ذكر إنه نسخه من كتاب أعطاه إتياه أبو الحسين الخصبى (٢)، و كان فيه إصلاحات بخط ابن مابندا (٣).

اشترى الحسن بن سهل، من الفسطاطى التاجر، جاريه بألف دينار، فحملت إلى منزل الحسن، و كتب للفسطاطى بثمنها (٤).

فأخذ الكتاب إلى من أحاله [٩٥ ن] عليه بالمال، و انصرف إلى منزله، فوجده مفروشا نظيفا، و فيه ريحان قد عبى تعبیه حسنه، و نبذ قد صفى.

فقال: ما هذا؟

ص: ٣٥٢

١- أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان: كان أبوه حاجب النعمان بن عبد الله الكاتب (راجع القصة به ٦١/١ و ٦٢/١ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التتوخى)، و كان أبو الحسين أحد أفراد الزمان فى الفضل و النبيل، و معرفه كتابه الدواوين، و كان إليه ديوان السواد أيام معز الدوله (القصة ٢٨/١ من كتاب نشوار المحاضره)، و لم تشاهد خزانه كتب أحسن من خزانتة، و له ستّة مؤلفات (الفهرست ١٣٤).

٢- أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصبى: ترجمته فى حاشيه القصة ٨٢ من الكتاب.

٣- أبو الحسن أحمد بن محمّد بن مابندا: كان من كبار العمّال فى الدوله العبّاسيّة، (تجارب الأمم ١٤٤/١) قلده الوزير على بن عيسى فى السنه ٣١٥ أعمال الخراج بالأهواز (تجارب الأمم ١٥٧/١ و ١٨٦ و تكمله الطبرى ص ٥٠).

٤- فى غ: و أخذ الفسطاطى ثمنها.

فقيل له: جاريتك التي بعثها الساعة، قد أعدت لك هذا لتصرف إليها، فبعثها قبل انصرافك.

قال: فقام الفسطاطي، فرجع إلى الحسن.

[و أحضر الحسن الجاربه، فرأى زيبًا حسنا، و نظافته، و تزینت بزینة لم تر من مثلها، مع ما رأى فيها من الحسن و الجمال، و البهاء و الكمال، فهو يجیل الفكر و النظر فيها، إذ رجع الفسطاطي إليه، و هو كالمجنون المخبول] (١)، و قال:

أقلنى بيع الجاربه، أقالك الله فى الدنيا و الآخرة.

فقال: ما إلى هذا سبيل، و ما دخلت قط دارنا جاربه، فخرجت منها.

قال: أيها الأمير، إنه الموت الأحمر.

قال: و ما ذاك؟

فقص عليه قصته، [و حبه لها، و تلهفه عليها، و أنه لم يقدر على فراقها و أن الندم قد لحقه، و الشوق قد تمكن من فؤاده، و أنه إن دام ذلك عليه، كان فيه تلف نفسه] ٥، و بكى، و لم يزل يتضرع له.

فرق له الحسن، [و أحضر الجاربه من ساعته، و قال لها: هل لك فى مولاك رغبة؟

فقلت: أيها الأمير، فى مثله يرغب] ٥، فرد الجاربه عليه.

و قال له: خذ هذه الألف دينار، لك هبه، لا يرجع إلى ملكى منها دينار واحد.

فأخذ الفسطاطي الجاربه و الدنانير، [و قال: الجاربه حره لوجه الله تعالى، و هذه الألف دينار صداقها، ثم كتب كتابها] ٥.

و عاد إلى منزله، و جلس مع جاريتها على ما أعدته له (٢).

ص: ٣٥٣

١- الزيادة من غ.

٢- لم ترد هذه القصة فى ر، و وردت مضطربة فى م.

أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني، قال: حدّثني جعفر بن قدامه (١)، قال: حدّثني أبو العيناء، قال:

كنت أجالس محمّد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسين ابن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين (٢)، وكان قد حمل إلى [غ ٣٠٥] المتوكّل أسيراً، فحبسه مدّه، ثم أطلقه المتوكّل، وكان أعرابياً فصيحاً، فحدّثني يوماً قال: [م ٢٤٨] حدّثني نمير بن مخلف الهلالي (٣)، وكان حسن الوجه جدّاً [٤]، قال:

كان منّا فتى يقال له بشر بن عبد الله، ويعرف بالأشتر، وكان يهوى جاريه من قومه، يقال لها: جيداء، وكانت ذات زوج.

و شاع خبره في حبّها، فمَنع منها، و ضيق عليه، حتى لم يقدر أن يلتمّ بها.

فجاءني ذات يوم، و قال: يا أخي، قد بلغ منّي الوجد، و ضاق عليّ سبيل الصبر، فهل تساعدني على زيارتها؟

قلت: نعم فركبت، و سرنا، حتى نزلنا قريباً من حبّها، فكمُن في موضع.

فقال لي: اذهب إلى القوم فكن ضيفاً لهم، و لا تذكر شيئاً من أمرنا،

ص: ٣٥٤

١- جعفر بن قدامه بن زياد: أحد مشايخ الكتّاب و علمائهم، وافر الأدب، حسن المعرفة، له مصنّفات في صناعه الكتابه و غيرها (تاريخ بغداد للخطيب ٢٠٥/٧).

٢- محمّد بن صالح بن عبد الله بن موسى الحسنى العلوى: ورد ذكره في القصّه ١٧٦/٦ و القصّه ١٥٣/٧ من كتاب نشوار المحاضره، راجع أخباره في الأغاني ٣٦٠/١٦-٣٧٢.

٣- في نشوار المحاضره، [٣] رقم القصّه ١٧٦/٦: نمير بن قحيف الهلالي.

٤- ساقطه من غ.

حتى ترى راعيه لجيداء صفتها كذا و كذا، فأعلمها خبري، و واعدتها بوعد.

فمضيت و فعلت ما أمرني به، و لقيت الراعيه فخاطبتها، فمضت إلى جيداء، و عادت إلى، فقالت: قل له: موعدك الليلة عند الشجيرات.

فلما كان الوقت الذي وعدتنا فيه، إذا بجيداء قد أقبلت، فوثب الأشر إليها، فقبل بين عينيهما.

فقمتم مؤلّيا عنهما، فقالا: نقسم عليك إلا ما رجعت، فوالله، ما بيننا ما نستره عنك، فرجعت، و جلسنا نتحدّث.

فقال لها: يا جيداء، أما فيك حيله لتتعلّل الليله؟

فقالت: لا و الله، إلا أن نعود إلى ما تعرف من البلاء و الشده.

فقال: ما من ذلك بدّ، و لو وقعت السماء على الأرض.

فقالت: هل في صاحبك هذا من خير؟

فقلت: إي و الله.

فخلعت ثيابها، و دفعتها إلى، و قالت: البسها، و أعطني ثيابك، ففعلت.

فقالت: إذْهَبْ إلى بيتي، فإنّ زوجي سيأتيك بعد العتمه، و يطلب منك القدح ليحلب فيه الإبل، فلا تدفعه إليه من يدك، فهذا فعلى به، و دعه بين يديه، فإنّه سيذهب و يحلب، ثم يأتيك به ملآن لبنا، و يقول: هاك غبوقك (١)، فلا تأخذه منه، حتى تطيل نكدك (٢) عليه، ثم خذه، أو دعه حتى يضعه هو، ثم لست تراه حتى تصبح.

قال: فذهبت، و فعلت ما أمرتني به، و جاءني بالقدح، فلم آخذه منه،

ص: ٣٥٥

١- الغبوق: ما يشرب في العشي، و كان السيد خيرى الهنداوى، الشاعر العراقى المشهور، رحمه الله عليه، إذا انتشى، يكثر الترنّم بهذا البيت: يضاع فينشد قعب الغبوق و قلبى يضاع فلا ينشد

٢- النكد: الشده و العسر.

و أطلت عليه النكد، ثم أهويت لآخذه، و أهوى ليضعه، فاختلفت أيدينا، فانكفاً القدح.

فقال: إنَّ هذا لطماح (١) مفرط، و ضرب بيده إلى سوطه، ثم تناولني به، و ضرب ظهري، فجاءت أمه، و أخته، فانترعوني من يده، بعد أن زال عقلي، و هممت أن أجأه (٢) بالسكين.

فلما خرجوا من عندي، لم ألث إلا يسيرا، حتى دخلت أمَّ جیداء، تؤنّبني، و تكلمني، فلزمت الصمت و البكاء.

فقال: يا بتيه، اتقى الله، و أطيعي بعلك، و أما الأشر فلا سبيل لك إليه، و ها أنا أبعث إليك بأختك لتؤنسك، و مضت.

ثم بعثت إليّ بالجارية، فجعلت تكلمني (٣)، و تدعو على من ضربني، و أنا ساكت، ثم اضطجعت إلى جانبي.

فشددت يدي على فمها، و قلت: يا جاريه، إنَّ أختك مع الأشر، و قد [٣٠٦ غ] قطع ظهري بسببها، و أنت أولى بسترها مني، و إن تكلمت بكلمه فضحتها، و أنا لست أبالي.

فاهتزت مثل القضيب فزعاً، فطمنتها، و طيبت قلبها، فضحكت، و بات معي منها أظرف الناس، و لم نزل نتحدّث حتى برق الصبح، فخرجت، و جئت إلى صاحبي.

فقال جیداء: ما الخبر؟ [٢٧٧ ر]

فقلت: سلى أختك عن الخبر، فلعمري إنَّها عالمة به، و دفعت إليها ثيابها،

ص: ٣٥٦

١- الطماح: الجماع، يقال: طمحت المرأة على زوجها: جمحت.

٢- الوجأ: الطعن في أيّ موضع كان.

٣- في نشوار المحاضر، القصة ١٧٦/٦ و في المستجاد ص ٥٢: فجعلت تبكي.

و أريتها ظهري، فجزعت، و بكت، و مضت مسرعه، و جعل الأشر بيكي، و أنا أحدثه بقصتي، و ارتحلنا (١).

ص: ٣٥٧

١- وردت القصيه في نشوار المحاضره برقم ١٧٦/٦ و في المستجاد للتوخي ٤٩-٥٣ و في الأغاني ٣٢٧/٤ قصه لطريح بن إسماعيل الثقفي مشابهه لهذه القصه.

أقسم أن يغسل يده أربعين مرّة

إذا أكل زير باجه

حدّثني أبو الفرج أحمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي المعروف بابن النرسی [من أهل باب الشام ببغداد، وقد كان خلف أبا الحسن علي بن أبي طالب بن البهلول التنوخي (١) على القضاء بهيت، وما علمته إلاّ ثقته، قال: سمعت فلان التاجر، يحدث أبي - و أسمى التاجر، و أنسيته أنا] (٢)، قال:

حضرت عند صديق لي من البرّازين، و كان مشهوراً، في دعوه، فقدّم في جملة طعامه، زير باجه (٣)، و لم يأكلها [٢٤٩ م]، فامتنعنا من أكلها.

فقال: أحبّ أن تأكلوا منها، و تعفوني من أكلها، فلم ندعه حتى أكل.

فلما غسلنا أيدينا، انفرد يغسل يده، و وقف غلام يعدّ عليه الغسل، حتى قال له: قد غسلت يدك أربعين مرّة، فقطع الغسل.

ص: ٣٥٨

١- أبو الحسن علي بن أبي طالب محمّد بن أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي (٣٠١-٣٥٤): [١] تقلّد القضاء بالأنبار و هيت، ثمّ وليّ القضاء بطريق خراسان، ثمّ صرف، ثمّ قلّد قضاء الأنبار و هيت، ثمّ أضيف إليهما الكوفه، ثمّ صرف (المنتظم ٣٠/٧).

٢- هذه الفقرة ساقطه من ر.

٣- وردت القصّة في نشوار المحاضر ج ٤ ص ١٧٧ [٣] رقم القصّة ٨٨/٤ و قد ورد فيها أنّ الطعام الذي امتنع من أكله، كان (ديكبريكه) و قد وصفناها هناك، أمّا الزير باجه: فهي طعام يصنع من اللحم، و يطبخ بالدارصيني و الخلّ، و يضاف إليه الحمص و الكسبره و الفلفل و المصطكى و اللوز المقشور، و يقطر عليه ماء الورد، و يذرّ عليه الزعفران، أنظر التفصيل في كتاب الطبخ للبغدادي ص ١٦ و أنظر في الأغاني ٣٤٢/١١ سبب تفضيل عبد الله بن طاهر للزير باجه على بقيّة ألوان الطعام، و قد ورد اسم هذا اللون من الطعام في غ: داجبراجه، و أحسب أنّها الديكبريكه نفسها، إحداها منسوبة للذاجه، و الثانيه للديك.

فقلنا له: ما سبب هذا؟ فامتنع، فألححنا عليه.

فقال: مات أبي و سئى نحوا من عشرين سنه، و خلف علىّ حالا صغيره (١)، و أوصانى قبل موته بقضاء ديون عليه، و ملازمه السوق، و أن أكون أول داخل إليه، و آخر خارج منه، و أن أحفظ مالى.

فلما مات، قضيت دينه، و حفظت ما خلفه لى، و لزمت الدكان، فرأيت فى ذلك منافع كثيره.

فبينما أنا جالس يوما و لم يتكامل السوق، و إذا بامرأه راكبه على حمار، و على كفله (٢) منديل ديبقى (٣)، و خادم يمسك بالعنان، فنزلت عندى.

فأكرمتها، و وثبت إليها، و سألتها عن حاجتها، فذكرت ثيابا.

فسمعت -و الله- نغمه، ما سمعت قط أحسن منها، و رأيت وجهها لم أر مثله، فذهب عنى عقلى، و عشقتها فى الحال.

فقلت [٩٧ ن] لها: تصبرين حتى يتكامل السوق، و آخذ لك ما تريد، ففعلت، و أخذت تحادثنى، و أنا فى الموت عشقا لها.

و خرج الناس، فأخذت لها ما أرادت، فجمعته، و ركبت و لم تخاطبنى فى ثمنه بحرف واحد، و كان ما قيمته خمسه آلاف درهم.

فلما غابت عنى أفقت، و أحسست بالفقر، فقلت: محتاله، خدعتنى بحسن وجهها، و رأيتنى حدثا، فاستغرتنى (٤)، و لم أكن سألتها عن منزلها، و لا طالبتها بالثمن، لدهشتى بها.

فكنمت خبرى لثلاث أفتضح، و أتعجل المكروه، و عوّلت على غلق دكاني،

ص: ٣٥٩

١- فى غ: و خلف لى مالا عظيما.

٢- الكفل، بالفتح: العجز.

٣- الديقى: ثياب تنسب إلى ديبق، مدينه بمصر (معجم البلدان ٥٤٨/٢)، راجع لطائف المعارف ص ٢٢٧.

٤- الغرّ: الشاب الذى لا خبره له، و الإستغرار: الخديعه باستغلال الغرّه و الجهل.

و بيع كل ما فيها، و أوفى الناس ثمن متاعهم، و أجلس في بيتي مقتصرًا على غله يسيره من عقار كان خلفه لى أبى [٣٠٧ غ].

فلما كان بعد أسبوع، إذا بها قد باكرتنى، و نزلت عندى، فحين رأيتها أنسيت ما كنت فيه و قمت لها.

فقلت: يا فتى، تأخرنا عنك، و ما شككنا أنا قد روّعناك، و ظننت أنا قد احتلنا عليك.

فقلت: قد رفع الله قدرك عن هذا.

فاستدعت الميزان، فوفّنتى دنانير قدر ما قلت لها عن ثمن المتاع، و أخرجت تذكره (١) بمتاع آخر.

فأجلستها أحادتها، و أتمتع بالنظر إليها إلى أن تكامل السوق، و قمت، و دفعت إلى كل إنسان ما كان له، و طلبت منهم ما أرادت، فأعطونى، فجيّتها به، فأخذته و انصرفت، و لم تخاطبنى فى ثمنه بحرف.

فلما غابت عنى ندمت، و قلت: المحنة هذه، أعطتنى خمسة آلاف درهم، و أخذت منى متاعا بألف دينار، و الآن إن لم أقع لها على خبر، فليس إلا الفقر، و بيع متاع الدكان، و ما قد ورثته من عقار.

و تطاولت غيبتها عنى أكثر من شهر و أخذ التجار يشددون على فى المطالبه، فعرضت عقارى، و أشرفت على الهلكه.

فأنا فى ذلك، و إذا بها قد نزلت عندى، فحين رأيتها زال عنى الفكر فى المال، و نسيت ما كنت فيه، و أقبلت على تحادثنى، و قالت: هات الطيار (٢)، فوزنت لى بقيمه المتاع دنانير.

ص: ٣٦٠

١- التذكرة: قائمه تسجل فيها الأشياء المطلوبه، و العامه ببغداد يسمونها «تسكرة».

٢- الطيار: ميزان لطيف توزن به الأشياء الدقيقه كالدنانير.

فأخذت أطاؤها (١) في الكلام، فسطنتني، فكادت أموت فرحا و سرورا، إلى أن قالت: هل لك زوجة؟

فقلت [٢٧٨ ر]: لا والله يا سيدتي، و ما أعرف امرأه قط، و بكيت.

فقلت: ما لك؟

قلت: خير، و هبتها ثم قمت و أخذت بيد الخادم الذي كان معها، و أخرجت له دنانير كثيرة، و سألته أن يتوسط الأمر [٢٥٠ م] بيني و بين سته.

فضحك، و قال: إنها هي -و الله- أعشق منك لها، و ما بها حاجة إلى ما اشترته منك، و إنما تجيئك محبة لمطاولتك، فخاطبها بما تريد، فإنها تقبله، و تستغني عني.

فعدت، و كنت قلت لها: إنني أمضي لأنقد الدنانير، فلما عدت، قالت:

نقدت الدنانير؟ و ضحكت، و قد كانت رأتنى مع الخادم.

فقلت لها: يا ستي، الله، الله، في دمي، و خاطبتها بما في نفسي منها، فأعجبها ذلك، و قبلت الخطاب أحسن القبول.

و قالت: الخادم يجيئك برسالتى بما تعمل عليه، و قامت و لم تأخذ منى شيئا، فوفيت الناس أموالهم، و حصلت ربحا و اسعا، و اغتممت خوفا من انقطاع السبب بيني و بينها، و لم أنم ليلتى قلقا و خوفا.

فلما كان بعد أيام جاءني الخادم (٢)، فأكرمه، و وهبت له دنانير لها صورته، و سألته عنها.

فقال: هي -و الله- عليه من شوقها إليك.

فقلت: فاشرح لي أمرها؟

ص: ٣٤١

١- المطاولة: إطالة الحديث و الانبساط في الخطاب.

٢- في غ: و لم يقر لي قرار، و كنت لا أعرف النوم مدة عشرين يوما، فلما كان الحادي و العشرين جاءني الخادم.

فقال: هذه صبيته ربّتها السيّده أمّ أمير المؤمنين المقتدر بالله، و هي من أخصّ جواريتها عندها، و أحضانها، و أحبهنّ إليها.

و إنّها اشتهدت رؤيه الناس، و الدخول [٣٠٨ غ] و الخروج، فتوصّلت حتى صارت القهرمانه (١)، و صارت تخرج في الحوائج، فترى الناس.

و قد- و الله- حدّثت السيّده بحدِيثك، و سألتها أن تزوّجها منك، فقالت:

لا أفعل، أو أرى الرجل، فإن كان يستحقّك، و إلا لا أدعك و اختيارك.

و تحتاج إلى أن تتحيّل في إدخالك إلى الدار (٢) بحيله، إن تمّت وصلت إلى تزويجها، و إن انكشفت ضربت عنقك، فما تقول؟
فقلت: أصبر على هذا.

فقال: إذا كان الليله، فاعبر إلى المخزّم (٣)، و ادخل المسجد الذي بنته السيّده على شاطئ دجله، و على حائطه الأخير مما يلي دجله، اسمها مكتوب بالأجر المقطوع، فبت فيه.

قال أبو الفرج بن النرسي: و هو المسجد الذي قد سدّ بابه الآن سبكتكين، الحاجب الكبير، مولى معزّ الدوله، المعروف بجاشنكير (٤)، و أضافه إلى ميدان

ص: ٣٤٢

١- القهرمانه: أنظر الشرح في آخر القصّه.

٢- الدار: دار الخلافه.

٣- المخزّم: قال ياقوت في معجم البلدان ٤/٤٤١ إنّ محلّه المخزّم كانت بين الزاهر و الرصافه، و كانت تضمّ دار الوزاره إبان وزاره ابن الفرات، ثمّ صارت دار المملكه في عهد سلاطين الدوله البويهيه و السلجوقيه، و قد حلّ محلّها الآن: محلّه العلوازيه، و المستشفى التعليمي، أو مدينه الطبّ الآن، جزء من محلّه المخزّم.

٤- سبكتكين: القائد التركي، مولى معزّ الدوله، و حاجبه، المعروف بجاشنكير: كان معزّ الدوله يعتمد عليه في أمر الجيش، فلما مات، و خلفه بختيار، و كان سيّء السياسه، أو حش سبكتكين، فنفر منه، و اضطرّ آخر الأمر إلى مجاهرته بالخصومه، فسيطر على بغداد، و خلع المطيع، و نصب الطائع بدلا منه، ثم خرج مع الطائع ليحارب بختيار، و لكنّه مات في دير العاقول في السنه ٣٦٣، و خلف ألف ألف دينار، و عشره آلاف ألف درهم، و صندوقين من الجواهر، و خمسّه و أربعين صندوقا، من آنيه الذهب، غير

داره، و جعله مصلى لغلمايه.

قال الرجل: فلما كان قبل المغرب مضيت إلى المخزّم، فصليت في المسجد العشاءين، وبتّ فيه.

فلما كان وقت السحر، إذا بطيار لطيف قد قدّم، وخدم قد نزلوا و معهم صناديق فارغه، فجعلوها في المسجد، و انصرفوا، و بقي واحد منهم، فتأملته، فإذا هو الواسطه بينى و بينها.

ثم صعدت الجاربه و استدعنى، فقمّت، و عانقتها، و قبلت يدها، و قبلتني قبلاّت كثيره، و ضمّنتى، و بكيت، و بكت.

و تحدّثنا ساعه، ثم أجلسنتى فى واحد من الصناديق، و كان كبيرا، و أقفلته.

و أقبل الخدم يتراجعون بثياب، و ماء ورد، و عطر، و أشياء قد أحضروها من مواضع، و هى تفرّق فى باقى الصناديق، و تقفل، ثم حملت الصناديق فى الطيار، و انحدر.

فلحقنى من الندم أمر عظيم، و قلت: قتلت نفسى لشهوه لعلّها لا تتم، و لو تمّت ما ساوت قتل نفسى، و أقبلت أبكى، و أدعو الله عزّ و جلّ، و أتوب، و أنذر النذور، إلى أن حملت الصناديق بما فيها، ليجاز بها فى دار الخليفه، و حمل صندوقى [خادمان أحدهما الواسطه بينى و بينها] (١).

و هى كلّما اجتازت بطائفه من الخدم الموكّلين بأبواب الحرم، قالوا: نريد نفتّش الصناديق، فتصيح على بعضهم، و تشتم بعضهم، و تدارى بعضهم.

إلى أن انتهت إلى خادم ظننته رئيس القوم، فخاطبته بخضوع و ذلّه، فقال لها: لا بدّ من فتح الصناديق [٢٥١ م] و بدأ بصندوقى فأنزله.

ص: ٣٦٣

١- الزيادة من غ.

فحين أحسست بذلك ذهب عقلي، و غاب [٢٧٩ ر] عليّ أمرى، و بليت فى الصندوق فرقا، فجرى بولى حتى خرج من خلله (١).

فقال: يا أستاذ (٢)، أهلكتى، و أهلكت التجار، و أفسدت علينا متاعا بعشره آلاف دينار فى الصندوق ما بين ثياب مصبغات، و قاروره فيها أربعه أمان من ماء زمزم، قد انقلبت و جرت على الثياب، و الساعه تستحيل ألوانها.

فقال: خذى صندوقك، أنت و هو، إلى لعنه الله، و مرى.

فحمل الخادمان [٩٨ ن] صندوقى، و أسرعا به، و تلاحت الصناديق [٣٠٩ غ].

فما بعدنا ساعه حتى سمعتها تقول: ويلاه، الخليفه، فعند ذلك متّ، و جاءنى ما لم أحتسبه.

فقال لها الخليفه: والك (٣)، يا فلانه، أى شىء فى صناديقك؟

ص: ٣٦٤

- ١- الخلل، و جمعه خلال: المنفرج بين الشيتين، و خلل الصندوق: الفرجات بين ألواح، و الخلل كذلك، جمع خلّه، و هى الثقبه.
- ٢- الأستاذ: المعلم و الرئيس، أصلها فارسى: أستاذ، و بالتركيه و الكردية: أستا، (الألفاظ الفارسيه المعربه ١٠)، و العامه ببغداد يلفظونها: أسطى (بالمقصوره) أو (أسطه) بالهاء الساكنه، و كانت كلمه الاستاذ تطلق على الخدم الطواشيّه، السود منهم و البيض، و منهم كافور الإخشيدي، فكان يسمّى: الاستاذ كافور.
- ٣- والك: أصلها و يلك، خففت إلى والك، و قد يقال: واك، و العامه الآن ببغداد، يقولون: و لك، بكسر الواو، و فتح اللام، أو: لك، بفتح اللام و سكون الكاف، يقولونها عند الخصومه و التحدى، بخلاف اللبنايين فإنهم يقولون: و لك، للتحبب، و قد يقولون: و لك يا حبيبي، و كان الوزير أبو الحسن على بن عيسى، قد تعود أن يقول: والك، حتى أنه قالها للخليفه الراضى، فحقدتها الراضى عليه، و أراد أن يبطش به، راجع القصة رقم ٣٧/٥ فى كتاب نشوار المحاضر، و التكملة ص ٤٦، و فى معجم الأدباء ٣٨٨/١ عن جحظه البرمكى، قصه عن الوقاد الذى تغنى بأبيات من الشعر، فيها كلمه: والك، و هى: أنا أهواك و نور ال له فافعل ما بدا لك

فقال: ثياب للسَّيِّده.

فقال: افتحها حتَّى أراها.

فقال: يا مولاي، الساعه تفتحها ستنا بين يديك.

فقال: مرّى، هو ذا أجي (١).

فقال للخدم: أسرعوا، ودخلت حجره، ففتحت صندوقى، وقالت:

اصعد تلك الدرجه (٢)، ففعلت، وأخذت بعض ما فى تلك الصناديق، فجعلته فى صندوقى، وأقفلته.

و جاء المقتدر، فحملت الصناديق إلى بين يديه، ثم عادت إلى، فطَّيبت نفسى، وقدمت لى طعاما و شرابا، و ما يحتاج إليه، و أقفلت الحجره، و مضت.

فلما كان من غد جاءتنى، فصعدت إلى، وقالت: الساعه تجىء السيده لتراك، فانظر كيف تكون؟

فما كان بأسرع من أن جاءت السيده، فجلست على كرسى، و فرّقت جواريتها، و لم يبق معها غير واحده منهنّ، ثم أنزلتنى الجاربه.

فحين رأيت السيده قبلت الأرض، و قمت فدعوت لها.

فقال لجاريتها: نعم ما اخترت لنفسك هو -و الله- كيس، عاقل، و نهضت.

[فقامت معها صاحبتي و تبعتها] (١٦)، و أتت إلى بعد ساعه، و قالت:

ص: ٣٦٥

١- هو ذا: تعبير بغدادى، معناه: ها أنا، أو: الآن.

٢- الدرجه، و جمعها درج: المرقاه.

أبشر (١) فقد -و الله- وعدتني أن تزوجني بك، و ما بين أيدينا عقبه إلا الخروج.

فقلت: يسلم الله تعالى.

فلما كان من غد حملتني في الصندوق، و خرجت كما دخلت، و كان الحرص على التفتيش أقل، و تركت في المسجد الذي حملت منه في الصندوق، و قمت بعد ساعه، و مضيت إلى منزلي، و تصدقت، و وفيت بنذري.

فلما كان بعد أيام، جاءني الخادم برقتها، بخطها الذي أعرفه، و كيس فيه ثلاثه آلاف دينار عينا، و هي تقول في رقتها: أمرتني السيده بإنفاذ هذا الكيس من مالها إليك، و قالت: اشتر ثيابا، و مركوبا، و غلاما يسعى بين يديك، و أصلح به ظاهر ك، و تجمل بكل ما تقدر عليه، و تعال يوم الموكب (٢) إلى باب العامه (٣)، و وقف حتى تطلب، و تدخل على الخليفه، و تزوج بحضرتة.

فأجبت على الرقعه، و أخذت الدنانير، و اشترت منها ما قالوه، و احتفظت بالباقي.

و ركبت بغلتي يوم الموكب إلى باب العامه، و وقفت، و جاءني من استدعاني، فأدخلني على المقتدر، و هو على السرير، و القضاء، و الهاشميون، و الحشم، قيام، فداخلتني هييه عظيمه، فخطب بعض القضاء، و زوجني، و خرجت.

فلما صرت في بعض الممرات، عدل بي إلى دار عظيمه، مفروشه بأنواع الفرش الفاخر، و الآلات، و الخدم، فأجلست، و تركت وحدي، و انصرف من أجلسني.

ص: ٣٦٦

- ١- أبشر: أي استمع إلى بشرى، و من ظريف تعابير العامه ببغداد، أنك إذا ناديت أحدهم، أجب بقوله: إبشر (بكسر الهمزه).
- ٢- يوم الموكب: اليوم الذي يجلس فيه الخليفه جلوسا عاما، و قد أفرد هلال الصابي في كتابه رسوم دار الخلافه، فصلا خاصا ص ٩٠-٩٢ فصل فيه كيفيه جلوس الخليفه، و وصف مجلسه و لباسه، و ملابس الذين يدخلون عليه.
- ٣- باب العامه: أحد أبواب دار الخلافه، و كانت في شرقي الدار، و هي أقرب أبواب الدار إلى جامع الخلفاء.

فجلست يومى لا- أرى من أعرف، و خدم يدخلون و يخرجون، و طعام عظيم ينقل، و هم يقولون: الليله تزفّ فلانه- اسم زوجتى - إلى زوجها، ها هنا.

فلَمّا جاء الليل أثر الجوع فتي، و أفتلت الأبواب، و أيست من [٢٥٢ م] الجاربه، فبقيت أطوف [٣١٠ غ] فى الدار، إلى أن وقعت على المطبخ، فإذا قوم طبّاخون جلوس، فاستطعمت منهم، فلم يعرفونى، و ظنّوا أنّى بعض الوكلاء، فقدّموا إلىّ زير باجه، فأكلت منها، و غسلت يدى بأشنان (١) كان فى المطبخ، و أنا مستعجل لئلا يفطن بى، و ظننت أنّى قد نقيت من ريحها، و عدت إلى مكاني.

فلَمّا انتصف الليل إذا بطبول، و زمور، و الأبواب [٢٨٠ ر] تفتح، و صاحبتى قد أهديت إلىّ (٢)، و جاءوا بها فجلوها علىّ (٣)، و أنا أقدر أن ذلك فى النوم، و لا أصدّق فرحا به، و قد كادت مرارتى تنشقّ فرحا و سرورا، ثم خلوت بها، و انصرف الناس.

فحين تقدّمت إليها و قبلتها، رفستنى فرمت بى عن المنصّه، و قالت: أنكرت أن تفلح يا عامى، أو تصلح يا سفله (٤)، و قامت لتخرج. فتعلّقت بها، و قبلت يديها و رجليها، و قلت: عزّفينى ذنبى، و اعملى بعده ما شئت.

ص: ٣٦٧

١- الأشنان: و يلفظ بكسر أوّله أو بضّمّه، أعواد صغيره بيضاء أو صفراء، تدقّ و تستعمل فى تنقيه الأيدى من الوضر، و لها إذا بلّت بالماء رغوه مثل رغوه الصابون، و كان يخلط بأنواع عديده من الطيب، تدقّ معه، و تحفظ فى وعاء يسمّونه الأشناندان، له غطاء يحفظ رائحته، و يتناول منه بملقه، لكى لا يتسخ الباقي بملامسه الأيدى، و كان الأشنان الذى يصنع لهارون الرشيد يشتمل على ثلاثة عشر جزءا، راجع مطالع البدور ٦٦/٢.

٢- إهداء العروس إلى بعلها: زفّها إليه.

٣- جلّيت العروس على زوجها: عرضت عليه مزينته مصقوله.

٤- السفله: السقط و الغوغاء من الناس.

فقلت:ويلك، تأكل، و لا تغسل يدك؟ و أنت تريد أن تختلي بمثلي؟

فقلت:اسمعي قصتي، و اعملي ما شئت بعد ذلك.

فقلت:قل.

فقصصت عليها القصه، فلما بلغت أكثرها، قلت: و عليّ، و عليّ، و حلفت بإيمان مغلظه، لا أكلت بعد هذا زير باجه (١)، إلاّ غسلت يدي أربعين مرّه.

[فأشفقت (٢)، و تبسّمت، و صاحت: يا جواري، فجاء مقدار عشر جواري و وصائف] (٣) فقلت: هاتم (٤) شيئاً للأكل.

فقدّمت إلينا مائده حسنه، و ألوان فاخره، من موائد الخلفاء، فأكلنا جميعاً، و استدعت شراباً، فشربنا، أنا و هي، و غنّى لنا بعض أولئك الوصائف.

و قمنا إلى الفراش، فدخلت بها، و إذا هي بكر، فافتضضتها، و بتّ بليله من ليالي الجنّه، و لم نفترق أسبوعاً، ليلاً- و نهارة، إلى أن انقضت وليمه الأسبوع (٥).

فلما كان من غد، قالت لي: إنّ دار الخليفه لا تحتمل المقام فيها أكثر من هذا، و ما تمّ لأحد أن يدخل فيها بعروس غيرك، و ذلك لعنايه السيده بي، و قد أعطتني خمسين ألف دينار، من عين و ورق، و جوهر، و قماش، و لي بخارج القصر أموال و ذخائر أضعافها، و كلّها لك، فاخرج، و خذ معك مالا، و اشتر لنا داراً حسنه، عظيمه الاتساع، يكون فيها بستان حسن، و تكون كثيره الحجر،

ص: ٣٦٨

١- في غ: دجبراجه.

٢- أشفق: حنا و عطف.

٣- الزيادة من كتاب نشوار المحاضره ج ٤ ص ١٨٩ [١] رقم القصه ٨٨/٤.

٤- هاتم: لغّه بغداديه في هاتوا.

٥- يظهر أنّه كان عندهم تقليد يقضى بإقامه وليمه في نهايه الأسبوع الأول من الزواج، و لا يوجد ببغداد الآن مثل هذا التقليد.

و لا- تضيق على نفسك، كما تضيق نفوس التجار، فإنني ما تعودت أسكن إلا في القصور، و احذر من أن تتباع شيئاً ضيقاً، فلا أسكنه، و إذا ابتعت الدار، فعزفني، لأنقل إليك مالي، و جوارى، و أنتقل إليك.

فقلت: السمع و الطاعة.

فسلمت إليّ عشرة آلاف دينار، فأخذتها، و أتيت إلى داري، و اعترضت الدور، حتى ابتعت ما وافق اختيارها، فكتبت إليها بالخبر، فنقلت إليّ تلك النعمة بأسرها، و معها ما لم أظنّ قط أنني أراه، فضلاً عن أنني أملكه، و أقامت عندي كذا و كذا سنة، أعيش معها عيش الخلفاء، و أتجر في خلال ذلك، لأنّ نفسي لم تسمح لي بترك تلك الصنعة، و إبطال المعيشه، فتزايد مالي و جاهي، و ولدت لي هؤلاء [غ] [٣١١] غ [الشباب (١)]، و أوماً إلى أولاده، و ماتت رحمها الله، و بقي عليّ مضرّه الزير باجه (٢)، إذا أكلتها، غسلت يدي أربعين مرّه (٣).

ص: ٣٦٩

١- كذا ورد في ر، و في غ، و ما تزال كلمه الشباب تطلق في بغداد على الفتيان فردا أو جماعه.

٢- في غ: الدجبراجه.

٣- وردت القصّه في نشوار المحاضره ٨٨/٤ و [١] في نهايه الأرب ١٦٥/٢.

القهرمان: و جمعه قهارمه: مدبر البيت، أو أمين الدخل و الخرج، يونانيه (تفسير الألفاظ الدخيله فى اللغة العربيه ٥٩)، و أصل عمل القهرمانه فى بلاط الخليفه، أن تؤدى الرسائل عن الخليفه، و لكن ضعف الخلفاء، و احتجاجهم فى قصورهم، و تسلط النساء، أدى إلى سيطره القهرمانه.

و كانت خالصه جاريه الخيزران، لها فى البلاط العباسى مقام منذ أيام المنصور، فكانت تدخل على المنصور، و هو فى مخدعه (الطبرى ٧٢/٨) و كانت ترسل بين سيدتها الخيزران و الخلفاء (الطبرى ٢٠٥/٨) و كانت الخيزران تستشيرها فى ما يجد لها من أمور (الطبرى ٢٠٦/٨) و كانت مدله على سيدتها، جريئه عليها (الطبرى ٢١٢/٨) و كان مال الخيزران فى حوزتها (الطبرى ٢١٣/٨) كما كان مال المهدي و هو ولى عهد فى حوزتها أيضا (الطبرى ٧٢/٨).

و كان للمكتفى، دايه اسمها فارس، نصبها قهرمانه لما استخلف، و كانت تتدخل فى نصب الوزراء و عزلهم (القصة ١٧١/٣ من نشوار المحاضره) و فى دوله المقتدر، و كانت دوله السيده أمه (كتاب الوزراء للصابي ٣٠٨) أصبح للقهرمانه سيطره تامه على أمور الدوله، بحكم صلتها بالخليفه و السيده، فكانت القهرمانه تتدخل فى ترشيح الوزراء و كبار العمال (تجارب الأمم ٢١/١ و ٢٤) و فى عزلهم و اعتقالهم (تجارب الأمم ٤٠/١) و قد تحضر القهرمانه عقوبه الوزير المعزول (٩٠/١ تجارب) أو يعهد إليها الخليفه بتعذيب من يريد تعذيبه (٨٤/١) أو يعتقل لديها من يريد اعتقاله (٤٠/١ تجارب) و من شهيرات القهرمانات فى الدوله العباسيه، فاطمه القهرمانه، غرق بها طيارها فى يوم ريح عاصف، تحت جسر بغداد فى السنه ٢٩٩ (٢٠/١ تجارب) و أم موسى الهاشميه، عينت قهرمانه فى قصر الخليفه فى السنه ٢٩٩ (٢٠/١ تجارب) و سيطرت سيطره عظيمه، بحيث أن صاحبها فرج النصرانيه كان تحمل خاتم الخليفه لمن يعده بتوليته وزاره (الوزراء ٢٩٣) و انتهى أمر أم موسى بالاعتقال و المصادره (تجارب الأمم ٨٣/١)، و زيدان القهرمانه، اعتقل عندها الوزير على بن عيسى لما عزل عن وزاره (٤٠/١ تجارب)، و بلغ من سطوتها، أن الوزير ابن الفرات كان يعنون رسائله إليها: يا أختي (الوزراء ١٧٢)، و ثمل القهرمانه، و كانت موصوفه

بالشر و الإسراف فى العقوبه (تجارب الأمم ١/٨٤) و كانت تجلس للمظالم، و تنظر فى رفاع الناس، فى كلّ جمعه، و تصدر عنها التوقيعات (المنتظم ١٤٨/٦).

و كانت للقاهره قهرمانه اسمها اختيار، كانت هى السبب فى استيزار محمّد بن القاسم ابن عبيد الله (تجارب الأمم ١/٢٦٠).

و علم، قهرمانه المستكفى، و كان اسمها حسن الشيرازيه، أغرت أمير الأمراء توزون، فخلع الممتقى و سمله، و نصب المستكفى خليفه بدلا منه، و أصبحت علم، قهرمانه الخليفه الجديد، فسيطرت على جميع مرافق الدوله و أمورها (تجارب الأمم ٢/٧٥)، و عند ما اعتقل المستكفى اعتقلت علم معه (تجارب ٢/٨٦) و سملت عيناها، و قطع لسانها (تجارب ٢/١٠٠).

و كان لعزّ الدوله، بختيار البويهى، قهرمانه اسمها تحفه، تعقد المحالفات مع كبار الموظفين، لتحميمهم، ثم يرشوها خصومهم، فتركهم إلى غيرهم (تجارب الأمم ٢/٣٢١-٣٢٣).

و كانت للأخشيد بمصر، قهرمانه اسمها (سمايه)، بلغ من تأثيرها أن خصومه حصلت بين خليفه قاضى مصر الذى نصبه المطيع، و بين أحد الشهود، فأسقط القاضى شهادته، و أسجل بذلك، فشكا إليها الشاهد ذلك، فأحضرت القاضى، و أمرته بإحضار السجل، فأحضره، فمزقت الحكم الذى أسجل فيه إسقاط شهاده الشاهد، و أصلحت بينهما، راجع ذلك فى أخبار القضاة فى كتاب الولاه للكندى ص ٥٦٨.

و كانت «وصال» قهرمانه الخليفه القائم، تشترك فى اختيار الوزراء (المنتظم ٨/٢١١ و ٢٥٢).

و من القهرمانات، نظم القهرمانه، التى ذكرها القاضى التنوخى، فى القصّه ٧٠/٤ من نشوار المحاضره.

و منهنّ الجاربه، صاحبه هذه القصّه، و كانت مملوكه للسيدّه أم المقتدر، و اشتهت أن تتصرّف، و أن تخرج إلى خارج القصر، فقهرمتها السيدّه، مما يدلّ على أنّ مبارحه قصر الخلافه محرّم على الحرّيم، إلاّ على القهرمانه.

إسحاق الموصلي يتطفل و يقترح

حدّثني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني رحمه الله تعالى، إملاء من حفظه، و كتبتّه عنه في أصول سماعاتي منه، و لم يحضرني كتابي فأنقله منه، فأثبتته من حفظي، و توخّيت ألفاظه بجهدى، قال: حدّثني محمّد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: حدّثني أبي، قال: [١].

غدوت يوماً، و أنا ضجر من ملازمه دار الخلافه، و الخدمه فيها، فركبت بكره، و عزمت على أن أطوف الصحراء، و أتفرّج بها.

فقلت لغلماني: إن جاء رسول الخليفه، فعرفوه أنّي بكرت في مهمّ لي، و أنّكم لا تعرفون أين توجّهت.

و مضيت، و طفت ما بدا لي، ثم عدت و قد حمى النهار، فوقف في شارع المخرم، في الظلّ، عند جناح رحب في الطريق، لأستريح.

فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارهاً، عليه جاريه راكبه، تحتها منديل ديبقي، و عليها من اللباس الفاخر ما لا غايه وراءه، و رأيت لها قواماً حسناً، و طرفاً فاتناً، و شمائل ظريفه، فحدّست أنّها مغنّيه [٢].

فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها، و علقها قلبي في الوقت علوقاً شديداً، لم أستطع معه البراح.

فلم ألبث إلاّ يسيراً، حتى أقبل رجلان شابان جميلان، لهما هياه تدلّ على قدرهما، راكبان، فاستأذنا، فأذن لهما، فحملني حبّ الجاريه على أن نزلت

ص: ٣٧٢

١- كذا ورد في ن، و في بقيه النسخ: و عن حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: ...الخ.

٢- في الأغاني ٤٢٤/٥: و [١] طرفاً فاتراً، و شمائل حسنه، فخرصت أنّها مغنّيه.

معهما، و دخلت بدخولهما، فظننا أنّ صاحب الدار دعاني، و ظنّ صاحب الدار أنّي معهما.

فجلسنا، فأتي بالطعام فأكلنا، و بالشراب فوضع، و خرجت الجارية، و في يدها عود، فأيتها حسناء، و تمكّن ما في قلبي منها، و غنّت غناء صالحا، و شربنا.

و قمت قومه للبول، فسأل صاحب المنزل من الفتيين عنّي، فأخبراه أنّهما لا يعرفاني، فقال: هذا طفيلي، و لكنّه ظريف، فأجملوا عشرته. و جئت، فجلست، و غنّت الجارية في لحن لي:

ذكرتك إذ مرّت (١) بنا أمّ شادن (٢) أمام المطايا تستريب و تطمح (٣)

من المولعات (٤) الرمل أدماء (٥) حرّه شعاع الضحى في متنها يتوضّح (٦)

فأذته أداء صالحا، ثم غنّت أصواتا فيها من صنعتي:

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس

أوحشت بعد أهلها فهي قفر بسابس

فكان أثرها فيه أصلح من الأوّل، ثم غنّت أصواتا من القديم و المحدث، و غنّت في أضعافها من صنعتي، في شعري:

قل لمن صدّ عاتبا و نأى عنك جانبا

ص: ٣٧٣

١- في الأغاني ٤٢٤/٥: [١] أن مرّت.

٢- أمّ شادن: الظبيّه.

٣- في الأغاني: [٢] تشرّب و تسنح، و كلاهما صحيح، فإنّ تستريب: تتخوّف و تخشى أن يقع ما يريها، و تطمح: ترفع بصرها و تستشرف، و تشرّب: ترفع رأسها، و تسنح: تعرض سانحه أي على يسار الناظر.

٤- كذا في الأصل، و في الأغاني: [٣] من المؤلفات الرمل، من الإلفه.

٥- الأدماء: البيضاء التي تلوها غيره، فإن كانت خالصة البيضاء، فهي: ريم.

٦- يتوضّح: يبرق و يلمع.

قد بلغت الذى أردت و إن كنت لاعبا

و اعترفنا بما ادعى ت و إن كنت كاذبا (1)

فكان أصلح ما غنّته، فاستعدته منها لأصححها لها، فأقبل على رجل منهم، فقال: ما رأيت طفيلينا أصفق منك وجهها، لم ترض بالطفيل حتى اقترحت، و هذا تصديق للمثل: طفيلى و يقترح، فأطرقت، و لم أجبه، و جعل صاحبه يكفّه عنى، فلا يكفّ.

ثم قاموا إلى الصلاة، و تأخرت، فأخذت العود و شددت طبقته، و أصلحته إصلاحا محكما، و عدت إلى موضعى، فصليت، و عادوا، و أخذ الرجل فى عربده على، و أنا صامت.

و أخذت الجارية العود، و جسّته، فأنكرت حاله، و قالت: من مسّ عودى؟

فقالوا: ما مسّه أحد.

قالت: بلى، و الله، قد مسّه حاذق متقدم، و شدّ طبقته، و أصلحه إصلاحا متمكّن من صنعته.

فقلت لها: أنا أصلحته.

قالت: بالله عليك، خذه، فاضرب به.

فأخذته، و ضربت به مبدأ عجيبا، فيه نقرات محرّكه، فما بقى فى المجلس أحد إلا وثب فجلس بين يدى.

و قالوا: بالله عليك يا سيّدنا، أ تغنى؟

قلت: نعم، و أعزّفكم نفسى أيضا، أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلى، و إنى -و الله- لأتية على الخليفة، و أنتم تشتمونى اليوم، لأننى تملّحت معكم بسبب

ص: ٣٧٤

١- لم يرد هذا البيت فى الأغانى.

هذه الجارية، ووالله، لا نطق بحرف، ولا جلست معكم، أو تخرجوا هذا المعاند (١).

ونهدت لأخرج، فتعلقوا بي، فلم أرجع، فلحقني الجارية، فتعلقت بي، فلنت، وقلت: لا أجلس، حتى تخرجوا هذا البغيض.

فقال له صاحبه: من هذا كنت أخاف عليك، فأخذ يعتذر.

فقلت: أجلس، ولكني، والله، لا أنطق بحرف وهو حاضر، فأخذوا بيده، فأخرجوه.

فبدأت أعني الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي، فطرب صاحب البيت طرباً شديداً، وقال: هل لك في أمر أعرضه عليك؟

فقلت: وما هو؟

قال: تقيم عندي شهراً، والجارية لك بما لها من كسوه.

فقلت: أفعل.

فأقمت عنده ثلاثين يوماً، لا يعرف أحد أين أنا، والمأمون يطلبني في كل موضع، فلا يعرف لي خبراً.

فلما كان بعد ذلك، سلم إلي الجارية والخادم، وجئت بها إلى منزلي، وكان أهل منزلي في أقبح صورته لتأخرى عنهم.

وركبت إلى المأمون من وقتي، فلما رأني، قال لي: يا إسحاق، ويحك، أين كنت؟ فأخبرته بخبري.

فقال: علي بالرجل الساعة، فدللتهم على بيته، فأحضر، فسأله المأمون عن القصه، فأخبره بها.

فقال: أنت ذو مروءة، وسيلك أن تعان عليها، فأمر له بمائة ألف درهم.

ص: ٣٧٥

١- في الأغاني ٤٢٥/٥: [١] هذا المعربد.

و قال: لا تعاشر ذلك المعربد السفل.

فقال: معاذ الله يا أمير المؤمنين [٩٦ ن].

و أمر لى بخمسين ألف درهم، و قال لى: أحضر الجاربه، فأحضرتة إياها، فغنته.

فقال لى: قد جعلت لها نوبه كل يوم ثلاثاء، تغني من وراء الستاره، مع الجوارى، و أمر لها بخمسين ألف درهم.

فربحت - و الله - بتلك الركبه، و أربحت (١).

ص: ٣٧٦

١- لم ترد هذه القصه فى م و لا فى ر و لا فى غ، و قد أثبتناها من ه، و قد وردت فى كتاب الأغاني ٤٢٣/٥-٤٢٦.

أنت طالق إن لم تكوني أحسن من القمر

و وجدت في بعض الكتب:

أن عيسى بن موسى (١)، كان يحب زوجته حبًا شديدًا، فقال لها يوما:

أنت طالق، إن لم تكوني أحسن من القمر.

فنهضت، واحتجبت عنه، وقالت: قد طلقنتي، فبات بليله عظيمه.

فلَمَّا أصبح غدا إلى المنصور، وأخبره الخبر، وقال: يا أمير المؤمنين، إن تم طلاقها، تلفت نفسي غمًا، و كان الموت أحب إلي من الحياه.

و ظهر للمنصور منه جزع شديد، فأحضر [٢٥٣ م] الفقهاء، واستفتاهم، فقال جميع من حضر، قد طلفت، إلا رجلا من أصحاب أبي حنيفة، فإنه سكت.

فقال له المنصور: ما لك لا تتكلم؟

فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم، و التين و الزيتون، و طور سينين، و هذا البلد الأمين، لقد خلقنا [٩٩ ن] الإنسان في أحسن تقويم) (٢)، فلا شيء أحسن من الإنسان.

فقال المنصور لعيسى بن موسى: قد فرج الله تعالى عنك، و الأمر كما قال، فأقم على زوجتك.

و راسلها أن [٢٨١ ر] أطيعي زوجك، فما طلقك.

ص: ٣٧٧

١- أبو موسى عيسى بن موسى بن محمد: ترجمته في حاشية القصة ١٥٦ من الكتاب.

٢- (١-٤) كك التين ٩٥.

ما ثمانية و أربعة و اثنان

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني، قال: أخبرني أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشار الأنباري (١)، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني أحمد بن عبيد (٢)، عن الهيثم بن عدّي (٣)، عن عبد الملك بن عمير (٤)، قال:

قدم علينا عمر بن هبيرة (٥) الكوفه، فأرسل إلى عشره، أنا أحدهم، من وجوه أهل الكوفه، فسمرنا عنده.

ثم قال: يحدّثني كل رجل منكم أحدوثه، و ابدأ أنت يا أبا عمرو.

فقلت: أصلح الله الأمير، أ حديث الحق، أم حديث الباطل؟

فقال: بل حديث الحق.

فقلت: إنّ امرء القيس بن حجر الكندي، آلى أليه (٦)، أن لا يتزوّج بامرأه حتى يسألها عن ثمانية، و أربعة، و اثنين، فجعل يخطب النساء، فإذا سألهنّ عنها، قلن: أربعة عشر.

ص: ٣٧٨

١- أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشار الأنباري (٢٧١-٣٢٩): كان من أعلم الناس بالنحو و الأدب، و أكثرهم حفظا له، و صنّف كتابا كثيرا في علوم القرآن و غريب الحديث، و ذكر عنه أنّه كان يحفظ ثلثمائة ألف بيت من الشواهد في القرآن، و كان زاهدا متواضعا (المنتظم ٣١١/٦).

٢- أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح بن بلنجر، المعروف بأبي عصيده النحوي، مولى بني هاشم: ترجم له الخطيب في تاريخه ٢٥٨/٤.

٣- أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدّي بن عبد الرحمن الثعلبي الطائي البحتري الكوفي (١١٤-٢٠٧): ترجمته في حاشيه القصّه ١٧٥ من الكتاب.

٤- أبو عمرو عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي الفرسى: ترجمته في حاشيه القصّه ٣٠٩ من الكتاب.

٥- أبو المثنى عمر بن هبيرة بن سعد بن عدّي الفزاري، أمير العراق: ترجمته في حاشيه القصّه ١٩١ من الكتاب.

٦- آلى أليه: أقسم قسما.

فينا هو يسير في الليل، وإذا هو برجل يحمل ابنه له صغيره، كأنها القمر لثمه، فأعجبتة.

فقال لها: يا جاريه، ما ثمانيه، و أربعه، و اثنان؟

فقلت: أمّا الثمانيه: فأطباء الكلبه (١)، و أمّا الأربعه: فأخلاف الناقه (٢)، و أمّا الاثنان: فثديا المرأه.

فخطبها من أبيها، فزوجه منها، و اشترطت هي عليه، أن تسأله ليله يأتيها، عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، على نفسه، و على أن يسوق لها مائه من الإبل، و عشره أعبد، و عشر و صائف، و ثلاثه أفراس، ففعل ذلك.

ثم إنّه بعث عبدا له إلى المرأه، و أهدى إليها نحيا من سمن (٣)، و نحيا من عسل، و حلّه من قصب (٤).

فتزل العبد ببعض المياه، فنشر الحلّه، و لبسها، فتعلقت بشجره فانشقت، و فتح النحيين، و أطعم أهل الماء منهما.

ثم قدم على حىّ المرأه و هم خلوف (٥)، فسألها عن أبيها، و أمّها، و أخيها، و دفع [٣١٢ غ] إليها هديتها.

فقلت: أعلم مولاك، أنّ أبى ذهب يقرب بعيدا، و يبعد قريبا، و أنّ أمى ذهبت تشقّ النفس نفسين، و أنّ أخى يراعى الشمس، و أنّ سماء كم

ص: ٣٧٩

١- الأطباء، مفردا طبي، بضم الطاء: حلّمت الضرع فى ذوات الخفّ و الظلف و الحافر و السباع.

٢- الأخلاف، مفردا خلف، بكسر الخاء: ضرع الناقه.

٣- النحى: الزرقّ يوضع فيه السمن أو العسل، راجع فى الأغاني ٢٧١/١٣ و ٢٧٢ [١] قصّه ذات النحيين.

٤- الحلّه، بالضم، و جمعها حلل: الثوب الساتر لجميع البدن، و الحلّه لا تكون إلّا ثوبين، راجع التلخيص لأبى هلال العسكري ٢١٦/١ و ٢١٧، و [٢] المقصّبه أى المطرّزه بشرائط الذهب المطروق، و هو المسمّى فى بغداد: كلبدون.

٥- الحىّ خلوف: أى أنّ رجالهم غيب (أساس البلاغه للزمخشري ٢٤٧/١).

انشقت، و أن وعائكما نضبا.

فقدم الغلام على مولاه، و أخبره بما قالت.

فقال: أما قولها: ذهب أبى يقرب بعيدا، و يبعد قريبا، فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه.

و أما قولها: ذهبت أمى تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقبل امرأه.

و أما قولها: إن أخى يراعى الشمس، فإن أخاها فى سرح (١) له يرهاها، فهو ينتظر وجوب الشمس (٢) ليروح.

و أما قولها: إن سماء كم انشقت، فإن الحله التى بعثت بها معك انشقت.

و أما قولها: إن وعائكما نضبا، فإن النحيين الذين بعثت بهما نقصا، فأصدقنى.

فقال: يا مولاي، إنى نزلت بماء من مياه العرب، فسألونى عن نسبى، فأخبرتهم أنى ابن عمك، و نشرت الحله فلبستها، و تجملت بها، فعلقت بشجره، فانشقت، و فتحت النحيين، فأطعمت منهما أهل الماء.

فقال: أولى [١٠١ ن] لك (٣).

ثم ساق مائه من الإبل، و خرج نحوها، و معه الغلام، فنزلا منزلا.

فقام الغلام ليسقى، فعجز، فأعانه امرؤ القيس، فرمى به الغلام فى البئر، و انصرف حتى أتى المرأه بالإبل، فأخبرهم أنه زوجها.

ف قيل لها: قد جاء [٢٥٤ م] أزوجك.

ف قالت: و الله، لا أدرى أ هو زوجى أم لا، و لكن انحروا له جزورا (٤)،

ص: ٣٨٠

١- السرح، مفرده السرحه: الماشيه.

٢- وجوب الشمس: غيابها.

٣- أولى لك: كلمه تقال للوعيد أو التهديد.

٤- الجزور: ما أعد للجزر أى الذبح من النوق أو الغنم.

و أطعموه من درشها و ذنبها، ففعلوا، فأكل ما أطعموه.

فقال: اسقوه لبنا حازرا (١) و هو الحامض، فشرب.

فقال: أفرشوا له عند الفرث (٢) و الدم، ففرشوا له، فنام.

فلما أصبحت، أرسلت إليه: إنني أريد أن أسألك.

فقال: سلى عمّا بدا لك.

فقال: ممّ تختلج شفتاك؟

فقال: لتقبيلي فاك.

فقال: ممّ يختلج كشحاك؟

قال: لالتزامي إياك.

فقال: ممّ يختلج فخذاك؟

فقال: لتورّكي إياك.

فقال: عليكم بالعبد، فشدّوا أيديكم به، ففعلوا.

قال: و مرّ قوم، فاستخرجوا امرء القيس من البئر، فرجع إلى حيّه، و استاق مائه من الإبل، و أقبل إلى امرأته.

فقال لها: قد جاء زوجك.

فقال: و الله، ما أدرى أ هو زوجي أم لا، و لكن انحروا له جزورا، و أطعموه من كرشها و ذنبها، ففعلوا، فلما أتوه بذلك، قال: أين الكبد و السنام (٣) و الملح، و أبي أن يأكل.

ص: ٣٨١

١- اللبّ الحازر: فوق الحامض (لسان العرب: حزر)

٢- الفرث: السرجين ما دام في الكرش.

٣- السنام: الحذب في ظهر البعير، و هي أطيب ما فيه، قال النابغة: فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس و البلد الحرام و نمسك بعده بذناب عيش أجبّ الظهر ليس له سنام

فقلت: أسقوه لبنا حازرا، فأبى أن يشرب، وقال: أين الضرب (١) والزيد؟

فقلت: افرشوا له عند الفرث و الدم، فأبى أن ينام، وقال: افرشوا لى فوق التلعه (٢) الحمراء، و اضربوا لى عليها خباء.

ثم أرسلت إليه تقول: هات شرطى عليك فى المسائل الثلاث، فأرسل إليها سلى عمّا شئت.

فقلت: ممّ تختلج شفتاك؟

قال: لشربى المشعشات [٣١٣ غ].

قلت: ممّ يختلج كشحاك؟

قال: للبسى الحبرات.

قلت: فممّ يختلج فخذاك؟

قال: لركوبى السابقات.

فقلت: هذا هو زوجى، فعليكم به، و اقتلوا العبد، [٢٨٢ ر] فقتلوه، و أقبل امرؤ القيس على الجاربه.

فقال ابن هبيرة: لا خير فى سائر الحديث الليله، بعد حديثك يا أبا عمرو، و لن يأتينا أحد بأعجب منه، فقمنا، و انصرفنا، و أمر لى

بجائزه (٣).

ص: ٣٨٢

١- الضرب: العسل الأبيض.

٢- التلعه: ما علا من الأرض.

٣- وردت القصه فى نهايه الأرب ١٥٥/٣-١٥٧.

أخبار قيس و لبنى

وجدت فى كتاب الأغانى الكبير، لأبى الفرج المعروف بالأصبهانى، الذى أجاز لى روايته، فى جملة ما أجاز لى، أخبار قيس بن ذريح اللبى، فقال فى صدرها:

أخبرنى بخبر قيس بن ذريح و لبنى امرأته، جماعه من مشايخنا، فى قصص متّصله و متقطّعه، و أخبار منظومه و منثوره، فألفت جميع ذلك ليّسّق حديثه، إلّا ما جاء منفردا، و حسن إخراجِه (١) عن جملة النظم، فذكرته على حدّته.

فممن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدّثنا عمر بن شبّه، و لم يتجاوزّه إلى غيره، و إبراهيم بن محمّد بن أيّوب عن ابن قتيبه.

و الحسن بن على عن محمّد بن أبى السرى، عن هشام محمّد الكلبي، و على روايته أكثر المعوّل.

و نسخت أيضا من أخباره المنظومه، أشياء ذكرها القحذمي، عن رجاله، و خالد بن كلثوم عن نفسه، [و من روى عنه، و خالد بن جميل] (٢).

و نتفا حكاها اليوسفى صاحب الرسائل، عن أبيه، عن أحمد بن حمّاد، عن جميل (٣)، عن ابن أبى جناح الكعبيّ، و حكيت كلّ متّفق فيه متّصلا، و كلّ مختلف فى معانيه منسوبا إلى راويه، قالوا جميعا:

ص: ٣٨٣

١- فى الأغانى ١٨١/٩: و [١] عسر أخرجِه.

٢- فى الأغانى ١٨١/٩: [٢] عن محمّد بن موسى بن حماد البربرى عن أحمد بن القاسم بن يوسف، عن جزء بن قطن، عن جسّاس بن محمّد.

٣- فى غ: خالد بن جميل.

كان منزل في ظاهر المدينة لذريح، وهو أبو قيس، وكان هو وأبوه من حاضره المدينة (١).

فمرّ قيس في بعض حوائجه، ذات يوم، بحَيٍّ من بني كعب بن خزاعه، والحَيُّ خلوف، فوقف على خباء لبني بنت الحباب الكعبيّه، واستسقى ماء، فسقته، وخرجت إليه به، وكانت امرأه مديده القامه، شهلاء (٢)، حلوه المنظر والكلام، فلما رآها وقعت في نفسه، وشرب من الماء.

فقال له: أتزل عندنا؟

قال: نعم، فنزل بهم، وجاء أبوها، فنحر له وأكرمه.

وانصرف قيس، وفي قلبه من لبني حرّ لا يطفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع خبره، وروى شعره فيها.

وأناها يوماً آخر، وقد اشتدّ وجده بها، فسلم، فظهرت له، وردّت سلامه، ورحبت به، فشكى إليها ما يجد بها، وما يلقي من حبّها، فبكت وشكت إليه [٢٥٥م] مثل ذلك، فعرف كلّ واحد منهما، ما له عند صاحبه.

ثم انصرف إلى أبيه، فأعلمه بحاله، وسأله أن يزوجه إياها، فأبى عليه، وقال له: يا بنيّ عليك بإحدى بنات عمّك، فهنّ أحقّ بك، وكان ذريح كثير المال، وأحبّ أن لا يخرج ماله إلى غريبه.

فانصرف قيس، وقد ساءه ما خاطبه به أبوه، فأتى أمه وشكى ذلك إليها، واستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحبّ.

ص: ٣٨٤

١- في الأغاني ١٨١/٩ [١] إضافة: وذكر خالد بن كلثوم أنّ منزله كان بسرف، واحتجّ بقوله: الحمد لله قد أمست مجاوره أهل

العقيق وأمسينا على سرف

٢- الشهلاء: التي يخالط سواد عينيها زرقه.

فأتى الحسين بن علي، سلام الله عليهما (١)، فشكى ما به (٢)، فقال له الحسين: أنا أكفيك.

فمضى معه إلى أبي لبني، فلما بصر به، وثب إليه، وأعظمه، وقال: يا ابن رسول الله، ما جاء بك إلي؟ ألا بعثت إلي فأتيتك؟

قال: قد جئتكم خاطبا ابنتك لبني، لقيس بن ذريح، وقد عرفت مكانه مني (٣) [٣١٤ غ].

فقال: يا ابن بنت رسول الله، ما كنت لأعصى لك أمرا، وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحب الأمرين إلينا، أن يخطبها ذريح علينا، وأن يكون ذلك عن أمره، فإننا نخاف أن يسمع أبوه بهذا (٤)، فيكون عارا ومسبّه علينا.

فأتى الحسين سلام الله عليه ذريحا، وقومه مجتمعون، فقاموا إليه و قالوا له مثل قول الخزاعي.

فقال: يا ذريح، أقسمت عليك بحقي، إلا خطبت لبني لابنك قيس.

فقال: السمع والطاعة لأمرك.

و خرج معه في وجوه قومه، حتى أتى حبي لبني، فخطبها ذريح من أبيها على ابنه قيس، فزوجه بها، وزفت إليه.

فأقام معها مده، لا ينكر أحدهما من صاحبه شيئا.

ص: ٣٨٥

١- أبو عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٤-٦١): الإمام الشهيد، سبط رسول الله صلوات الله عليه، وابن فاطمة الزهراء، ولد بالمدينة، ونشأ في بيت النبوة، أبي أن يبايع يزيد بالخلافه، فقتله عبد الله بن زياد، بأمر من يزيد، في موقعه كربلاء، و دفن في موضع قتله، و كان مقتله السبب الأول في انقراض دوله الأمويين (الاعلام ٢/٢٦٤).

٢- في الأغاني ١٨٢/٩: [٢] فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب و ابن أبي عتيق، فشكا إليهما ما به، و ما ردّ عليه أبوه.

٣- كان قيس بن ذريح أخو الحسين عليه السلام من الرضاعة.

٤- في الأغاني: [٣] فإننا نخاف إن لم يسمع أبوه في هذا.

و كان قيس أبرّ الناس بأمّه، فألهته لبنى و عكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت أمّه فى نفسها، و قالت: لقد شغلت هذه المرأه ابنى عن برى.

و لم تر للكلام موضعا حتى مرض قيس مرضا شديدا، فلما برئ، قالت أمّه لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيس و لم يترك خلفا، و قد حرم الولد من هذه المرأه، و أنت ذو مال، فيصير مالك إلى الكلاله (١)، فزوجه غيرها، لعلّ الله عزّ و جلّ يرزقه ولدا، و ألحّت عليه فى ذلك.

فأمهل ذريح حتى اجتمع قومه، ثم قال له: يا قيس، إنك اعتللت هذه العله و لا ولد لك، و لا لى سواك، و هذه المرأه ليست [١٠٢ ن] أبولود، فتزوج إحدى بنات عمك لعلّ الله تعالى أن يهب لك ولدا تقرّ به عينك و أعيننا.

فقال قيس: لست متزوجا غيرها أبدا.

فقال أبوه: يا بنى، فإنّ مالى كثير، فتسرّ بالإماء.

فقال: و لا أسوؤها بشيء أبدا.

قال أبوه: فإنى أقسم عليك إلا طلقتها.

فأبى، و قال: الموت - و الله - أسهل علىّ من ذلك، و لكننى أخيرك خصله من خصال.

فقال: و ما هى؟

قال: تتزوج أنت، فلعلّ الله عزّ و جلّ أن يرزقك ولدا غيرى.

فقال: ما فى فضل لذلك.

قال: فدعنى أرحل عنك بأهلى، و أصنع ما كنت صانعا، لو كنت متّ فى علتى هذه.

فقال: و لا هذا.

قال: فادع لبنى عندك، و أرتحل عنك إلى أن أسلوها، فإنى ما تحبّ

ص: ٣٨٦

١- الكلاله: من ليس بذى نسب لاصق بالانسان، و ذو النسب اللاصق الأب و الإبن و الأخ الشقيق.

نفسى أن أعيش، و تكون لبنى غائبه عنى أبدا، و أن لا تكون فى حبالى.

فقال: لا أرضى بذلك، أو تطلقها، و حلف لا يكته سقف بيت أبدا، حتى يطلق لبنى.

و كان يخرج فيقف فى حرّ الشمس، و يجىء قيس فيقف [٢٨٣ ر] إلى جانبه، فيظله بردائه، و يصلى هو بحرّ الشمس، حتى يفىء الفىء عنه، و ينصرف إلى لبنى، فيعانقها، و يبكى، و تبكى معه.

و تقول له: يا قيس، لا تطع أباك، فتهلك، و تهلكنى معك.

فيقول لها: ما كنت لأطبع أحدا فيك أبدا.

فيقال: إنّه مكث كذلك سنه (١)، ثم طلقها لأجل والده، [فلم يطق الصبر عنها].

قال ابن جريح: أخبرت أن عبد الله بن صفوان لقى ذريحا أبا قيس، فقال له: ما حملك على أن فرقت بين قيس و لبنى، أما علمت أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: ما أبالى فرقت بين الرجل و امرأته، أو مشيت إليهما بالسيف.

و روى هذا الحديث، إبراهيم بن يسار الرمادى، عن [٣١٥ غ] سفیان بن عيينه، عن عمرو بن دينار، قال:

قال الحسين بن عليّ عليهما السلام لذريح بن سنه، أبى قيس: أحلّ لك أن فرقت بين قيس و لبنى، أمّا أنى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يقول:

ما أبالى فرقت بين الرجل و امرأته، أو مشيت إليهما بالسيف [٢].

[قال أبو الفرج: أخبرنى محمّد بن خلف، و كيع، قال: حدّثنى محمّد بن زهير، قال: حدّثنا يحيى بن معين، قال: حدّثنا عبد الرزاق، قال: حدّثنا

ص: ٣٨٧

١- فى م: يسيرا، و فى ر و غ: إنّه مكث أربعين يوما، و التّصحیح من الأغانى ١٨٤/٩.

٢- الزيادة من غ.

ابن جريج، قال: أخبرنا عمر بن أبي نصر (١)، عن ليث بن عمرو، أنه سمع قيس بن ذريح يقول ليزيد بن سليمان: هجرني أبواي، إننتي عشرة سنة، أستأذن عليهما، فإرداني، حتى طلقتهما [٢].

قالوا: فلما بانت لبني منه، بطلاقه إياها، و فرغ من الكلام، لم يلبث حتى استطير عقله، و لحقه مثل الجنون، و جعل يبكي و ينشج أحراً نشيج، و بلغها الخبر، فأرسلت إلى أبيها ليحملها، و قيل: أقامت حتى انقضت عدتها، و قيس يدخل إليها، فأرسلت إلى أبيها ليحملها، فأقبل أبوها بهودج على ناقه، و معه إبل، ليحمل أاثها.

فلما رأى قيس ذلك، أقبل على جاريتها، و قال: ويحك، ما دهاني فيكم؟

فقال: لا تسألني، و سل لبني.

فذهب ليلىم بخبائنها، فمنعه قومها، و أقبلت عليه امرأه من قومها، و قالت:

ويحك تسأل، كأنك جاهل أو متجاهل، هذه لبني ترحل الليله أو غدا.

فسقط مغشياً عليه، ثم أفاق، و بكى بكاء كثيراً، ثم أنشأ يقول:

و إنى لمفن دمع عيني بالبكا حذار الذي قد كان أو هو كائن

و قالوا غدا أو بعد ذاك بليله فراق حبيب لم بين و هو بائن

و ما كنت أخشى أن تكون متيتي بكفتيك إلا أن ما حان حائن

قال أبو الفرج: في هذه الأبيات غناء، و لها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون قيس بن الملوّح، مجنون بني عامر، ثم ذكر أبو الفرج بعد هذا عدّه قطع من شعر قيس بن ذريح.

ثم قال: قالوا: فلما ارتحل بها أبوها إلى قومها، أتبعها ملياً، ثم علم أنّ

ص: ٣٨٨

١- في الأغاني ١٨٤/٩: [١] عمر بن أبي سفيان.

٢- الزيادة من م.

أبأها يسوءه أن يسير معها، و يمنعه ذلك، فوقف ينظر إليها و يبكي، حتى غابوا عن عينيه، ففكر راجعا، فنظر إلى أثر خفّ
بعيرها، فأكبّ عليه يقبله، و رجع يقبل موضع مجلسها، و أثر قدميها، فليم على ذلك، و عنّفه قومه في تقبيل التراب، فقال:

و ما أحببت أرضكم و لكن أقبل إثر من وطىء الترابا

لقد لاقيت من كلفى بلبنى بلاء ما أسيغ له شرابا

إذا نادى المنادى باسم لبني عييت فما أطيق له جوابا (١)

ثم ذكر أبو الفرج قطعا من شعر قيس، و أخبارا من أخباره منشوره، بأسانيد مفردة على الإسناد الذي رواه عنه ههنا، ثم رجع إلى
مواضع من الحديث الذي جمع فيه من أسانيد، و أتى بسياقه يطول على أن أذكرها في كتابي هذا، جمعتها عظيم ما لحق قيس
من التلمل، و السهر، و الحزن، و الأسفار، و البكاء العظيم، و الجزع المفرط، و إصااق خدّه بالأرض على آثارها، و خروجه في
أثرها، و شمّ رائحتها، و عتابه نفسه في طاعه أبيه على طلاقها.

ثم اعتلّ علّه أشرف منها على الموت، فجمع له أبوه فتيات الحى يعلّنه، و يحدّثه، طمعا في أن يسلو عن لبني، و يعلق بواحدة
منهنّ، فيزوجه منها، فلم يفعل، و قصّه له مع طبيب أحضر له، و قطع شعر كثيره لقيس في [٣١٦ غ] خلال ذلك [٢٥٧ م].

ثم إنّ أبا لبني شكّا قيسا إلى معاويه بن أبي سفيان، و ذكر تعرّضه لها بعد الطلاق.

فكتب معاويه إلى مروان بن الحكم بهدر دمه إن تعرّض لها، فكتب مروان بذلك إلى صاحب الماء.

ص: ٣٨٩

١- هذا البيت زيد من الأغاني ١٨٦/٩.

ثم إنَّ أباهما زوّجها، فبلغ ذلك قيساً، فاشتدَّ جزعه، و جعل يبكي أشدَّ بكاء، و أتى حلّه (١) قومها، فنزل عن راحلته، و جعل يتعمّد (٢) في موضعها، و يمرغ خدّه على ترابها، و يبكي أحرّ بكاء، ثم قال قصيدته التي رواها أبو الفرج، التي أولها:

إلى الله أشكو فقد لبني كما شكا إلى الله فقد الوالدين يتيم

و ذكر بعد هذا أخباراً له معها، و اجتماعات عفيفه كانت بينهما، بحيل طريفه، و وجدها به، و بكاءها في طلاقها، و إنكار زوجها- الذي تزوّجها بعد قيس- ذلك عليها، و مكاشفتها له، و علّه أخرى لحقت قيساً، و اشتهاهما، و افتضاحهما، و ما لحق قيساً و لبني من الخبل، و اختلال العقل، و قطع شعر كثيره لقيس أيضاً في خلال ذلك، و أنّ قيساً مضى إلى ابن أبي عتيق (٣)، فمضى به إلى يزيد بن معاوية، و مدحه و شكى إليه ما جرى عليه، فرقّ له، و رحمه، و أخذ له كتاب أبيه بأن يقيم حيث أحبّ، و لا يعترض له أحد، و أزال ما كتب به إلى مروان، من هدر دمه، و قطع شعر كثيره لقيس في خلال ذلك، و أخبار مفردة، و مفضّله.

ثم قال: و قد اختلف في أكثر أمر قيس و لبني و ذكر كلاماً يسيراً في ذلك، و الجميع في تيف و عشرين ورقه.

ص: ٣٩٠

١- الحلمه، بكسر الحاء، و جمعها حلال و حلالل: القوم النزول فيهم كثره، إذا كانت بيوتهم من القصب، و كلّ بيت ليس من الحجارة، فهو خيمه، فان كان من السعف، فهو صريفه، و إن كان من الخرق، فهو فازه، و إن كان من القصب، فهو حلّه، و منه مدينه الحله المشهوره في العراق، كانت معسكراً لجند ملك العرب ديبس بن صدقه الأسدي، و هي إلى الآن تعرف بحله ديبس.

٢- عمد الثرى: بلله المطر، يريد أنّه بلل موضعها بدموعه.

٣- ابن أبي عتيق، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: راجع القصه ٢٧٧.

و ذكر القحذمي (١): أن ابن أبي عتيق، صار إلى الحسين بن علي، وجماعه من قريش (٢) [١٠٣ ن] و قال لهم: إن [٢٨٤ ر] إلى حاجه أحب أن تقضوها، و أنا أستعين بجاهكم و أموالكم عليها.

قالوا: ذلك مبذول لك منّا، فاجتمعوا بيوم و عدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لبنى، فلما رأهم، أعظم مسيرهم إليه، و أكبره.

فقالوا: قد جئناك بأجمعنا في حاجه لابن أبي عتيق.

فقال: هي مقضيّه كائنه ما كانت.

فقال له ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنه ما كانت؟

قال: نعم.

قال: تهب لي اليوم لبنى زوجتك، و تطلقها ثلاثا.

قال: فإني أشهدكم أنها طالق ثلاثا.

فاستحيا القوم، و اعتذروا، و قالوا: و الله، ما عرفنا حاجته، و لو علمنا أنها هذه، ما سألناك إيها.

قال ابن أبي عائشه: فعوضه الحسين بن علي عليهما السلام عن ذلك مائه ألف درهم.

و حمل ابن أبي عتيق، لبنى معه، فلم تزل عنده، حتى انقضت عدتها، و سأل القوم أباهما، فزوجها قيسا، و لم تزل معه حتى مات.

فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق:

جزى الرحمن أفضل ما يجازى على الإحسان خيرا من صديق

فقد جرّبت إخواني جميعا فما ألفت كابن أبي عتيق

ص: ٣٩١

١- في م: إن ابن أبي عتيق صار إلى الحسين و إلى أخيه الحسن و إلى عبد الله بن جعفر الطيّار عليهم السلام، و إلى جماعه من قريش، و كذلك الأغانى ٢١٩/٩.

٢- من ابتداء هذه الجملة، إلى نهاية القصّه، ووردت في المستجد للتّوخي ٢٣٧-٢٣٨.

سعى فى جمع شملى بعد صدع و رأى حدث فىه عن الطريق

و أطفأ لوعه كانت بقلبى أغصتنى حرارتها بريقى

قال: فقال له ابن أبى عتيق: يا حبيبي، أمسك عن هذا الحديث، فما سمعه أحد إلا ظننى قوادا (١).

ص: ٣٩٢

١- راجع فى الأغانى ١٨٠/٩-٢٢٠ [١] أخبار قيس بن ذريح و زوجته لبنى، وهى أكثر تفصيلا ممّا ورد فى هذا الكتاب.

عشق جاريه زوجته فوهبتها له

و وجدت في بعض كتبى: قال أبو عبد الله محمد بن علي بن حمزه:

كانت لزوجتى جاريه حسنه الوجه، فعلقتها، و علمت زوجتى بذلك، فحجبتها عنى، فاشتد ما بي من الوجد عليها [٣١٨ غ]، و قاسيت شده شديده.

فيينا أنا ذات ليله نائم، و مولاتها زوجتى إلى جانبي، إذ رأيت فى منامى كأن الجاريه حياالى، و أنا أبكى، إذ لاح لى إنسان فأنشدنى:

وقفت حياالك أذرى الدموع و أخلط بالدمع منى دما

و أشكو الذى بي إلى عاذلى و لا خير فى الحب أن يكتما

رضيت بما ليس فيه رضا بتسليم طرفك إن سلما [١٠٤ ن]

فتهت على و أقصيتنى و أعزز على بأن أرغما

قال: فانتهت فرعا مرعوبا، و دعوت بدواه و قرطاس، و جلست فى فراشى، و كتبت الشعر.

فقال لى زوجتى: ما ذا تصنع؟ فقصصت عليها القصة و الرؤيا.

فقال: هذا كله من حب فلانه؟ قد وهبتها لك.

بالله يا طرفى الجانى على كبدى

أخبرنى أبو الفرج الأصبهاني إجازة، قال: أخبرنى عمى الحسن بن محمّد، قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد، قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك الخزاعي، قال: حدّثنا معبد الصغير المغنّي، مولى على بن يقطين (١)، قال:

كنت منقطعا إلى البرامكة، فبينما أنا ذات يوم فى منزلى، وإذا بابى يدقّ، فخرج غلامى ثم رجع إلى.

فقال: على الباب فتى ظاهر المروءة، يستأذن عليك.

فأذنت له، فدخل على شاب، ما رأيت أحسن منه وجهاً، ولا أنظف ثوباً، ولا أجمل زياً، عليه أثر السقم ظاهر.

فقال لى: يا سيدي أنا منذ مدّة أحاول لقاءك، ولا أجد إليه سيلاً، ولى إليك حاجه.

قلت: ما هي؟ فأخرج إلى ثلثمائة دينار، فوضعها بين يدي.

ثم قال: أسألك أن تقبلها، وتصنع فى بيتين قلتها لحنا تغنّينى به.

فقلت له: هاتهما، فأنشدنى:

بالله يا طرفى الجانى على كبدى (٢) لتطفئنّ بدمعى لوعه الحزن [٢٨٥ ر]

أولا تؤخّر (٣) حتى يحجبوا سكنى (٤) فلا أراه و لو أدرجت فى كفى

ص: ٣٩٤

١- معبد الصغير [١] المغنّي: خلاسى من مولدى المدينة، نشأ بها، وأخذ الغناء عن أهلها، واشتراه بعض ولد على بن يقطين، فأخذ عن جماعه من المغنّين بالعراق مثل إسحاق و ابن جامع، و خدم الرشيد، و مات فى أريامه، و كان أكثر انقطاعه إلى البرامكة (الأغانى ١١٦/١٤).

٢- فى غ: على بدنى، و كذلك فى الأغانى ١١٦/١٤.

٣- كذا فى ر و غ، و فى م: و لا ترضى، و فى الأغانى ١١٧/١٤ [٤] أو لأبوحنّ حتى يحجبوا سكنى.

٤- سكنى: حبيبي الذى أسكن إليه.

قال: فصنعت فيهما لحنًا، ثقيلًا أولًا، مطلقًا في مجرى الوسطى، ثم غنّيته إياه، فأغمى عليه، حتى ظننته قد مات.

ثم أفاق، فقال: أعد فديتك.

قلت: أخشى أن تموت.

فقال: هيهات، هيهات، أنا أشقى من ذلك، فأعد عليّ.

وما زال يخضع ويتضرّع، حتى أعدته، فصعق صعقه أشدّ من الأولى، حتى ظننت نفسه قد فاضت، فلمّا أفاق، رددت عليه الدنانير.

و قلت له: خذ دنانيرك، وانصرف عني، فقد قضيت حاجتك، و بلغت و طراما أردته، و لست أحبّ أن أشارك في دمك.

فقال: لا حاجة لي في الدنانير، و هذه مثلها لك، و أخرج ثلثمائة دينار أخرى.

و قال: أعد عليّ الصوت مرّة أخرى، و حلال لك دمي.

فقلت: لا و الله، إلاّ على شرط.

قال: و ما هو؟

قلت: تقيم عندي، و تتحرّم بطعامي و تشرب أقداحا من النبيذ تشدّ قلبك، و تسكن بعض ما بك، و تحدّثني بقصّتك.

فقال: أفعل.

فأخذت الدنانير، و دعوت بطعام، فأصاب منه، و بالنبيذ، فشرّب أقداحا، و غنّيته بشعر غيره في معناه، و هو يشرب و يبكي.

ثم قال: الشرط، أعزّك الله، فغنّيته صوته، فجعل يبكي أحزّ بكاء، و ينتحب.

فلمّا رأيت ما به قد خفّ عمّا كان يلحقه، و النبيذ قد شدّ من قوّته، كررت عليه صوته مرارا، ثم [٣٢٣ غ] قلت له: حدّثني حديثك.

فقال: أنا رجل من أهل المدينة، خرجت يوماً متنزّها في ظاهرها، وقد سال العقيق (١)، في فتيه و أقران، فبصرنا بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا نحن له، فجلسن قريبا منّا.

و نظرت بينهنّ إلى فتاه كأنّها قضيب بان قد طّله الندى، تنظر بعينين، ما ارتدّ طرفهما إلّا بنفس من يلاحظهما، [فأطلنا و أطلن] (٢)، حتى تفرّق الناس.

و انصرفنا، و قد أبت بقلبي جرحا بطيئا اندماله، فسرت إلى منزلي و أنا و قيذ (٣).

و خرجت من غد إلى العقيق، و ليس فيه أحد، فلم أر لها أثرا، ثم جعلت أتبعها في طرق المدينة و أسواقها، فكانّ الأرض ابتلعتها، و سقمت، حتى يئس منّي أهلي.

فأعلمت زوجه أبى بذلك، فقالت: لا- بأس عليك، هذه أيام الربيع قد أقبلت، و هي سنه خصب، و الساعه يأتي المطر، فتخرج و أخرج معك، فإنّ النسوه سيجنن، فإذا رأيتها أتبعها، حتى أعرف موضعها، ثم أصل بينكما، و أسعى لك في تزويجها.

قال: فكانّ نفسى اطمأنت، و رجعت، و جاء المطر، و سال العقيق، و خرجت

ص: ٣٩٦

١- العقيق: كلّ مسيل ماء شقّه السيل في الأرض، فأنهره، و وسّعه، فهو عقيق، و في بلاد العرب أربعة أعقّه، أشهرها العقيق بالمدينة، و أكثر ما يجيء ذكره في الشعر، فإياه يعنون، و عقيق المدينة على ثلاثة أميال منها، ممّا يلي الحزّه إلى منتهى البقيع، و عليه دور، و قصور، و منازل، و قرى، فإذا كان وقت الربيع، و أمطرت السماء سال العقيق، فكان منتجج أهل الظرف و الأدب و الشعر راجع معجم البلدان ٦٩٩/٢-٧٠٣، [١] أقول: و قد حرصت على أن أراه لَمّا حججت في السنه ١٩٦٤، و زرت قبر النبي صلوات الله عليه، فاستأجرت سياره و خرجت أسأل الناس عن العقيق، فلم أوفق إلى من يعرفه، أو يدلّني عليه.

٢- الزيادة من الأغاني.

٣- الوقيذ: الصريع، أو المشرف على الموت من شدّه الضرب.

مع إخواني إليه، و زوجته أبي معنا، فجلسنا مجلسنا الأول، فما كنا و النسوة إلا كفرسى رهان (١)، فأومأت إلى زوجة أبي، فجلست قريبا منها.

و أقبلت على إخواني، فقلت لهم: أحسن و الله القائل، إذ يقول:

رمتني بسهم أقصد القلب و انثنت و قد غادرت جرحا به و ندوبا

فأقبلت على صويحباتها، و قالت: أحسن و الله القائل، و أحسن من أجابه حيث يقول:

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا نرى فرجا يشفى السقام قريبا [٢٦٣ م]

قال: فأمسكت عن الجواب، خوفا أن يظهر مني ما يفضحني و إياها، و انصرفنا.

و تبعته زوجته أبي، حتى عرفت بيتها، و صارت إلي، و أخذت يدي، و مضينا إليها، و تراورنا، و تلاقينا على حال مراقبه و مخالسه.

حتى ظهر ما بيني و بينها، فحجبها أهلها، و تشدد عليها أبوها، فلم أقدر عليها.

فشكوت إلى أبي شدة ما نالني، و شدة ما ألقى، و سألته خطبتها.

فمضيت أنا و أبي و مشيخه قومي إلى أبيها، فخطبوها، فقال: لو كان بدأ بهذا من قبل أن يشهرها، لأسعفناه بحاجته و بما التمس، لكنه قد فضحها، فلم أكن لأحقق [٢٨٦ ر] قول الناس فيها بتزويجه إياها، فانصرفت على يأس منها و من نفسي، قال معبد: فسألته أن ينزل بقربي، فأجابني، و صارت بيننا عشرة.

ثم جلس جعفر بن يحيى يوما للشرب، فأتيته، فكان أول صوت غيبيته بشعر الفتى، فطرب عليه طربا شديدا، و قال: ويحك لمن هذا الصوت؟

ص: ٣٩٧

١- فرسارهان: تقال للمتساويين في المرتبه، المتقاربين في الفضل، و إيرادها هنا يعني أنهما جاءا في وقت واحد.

فحدّثه فأمر بإحضار الفتى، فأحضر في وقته، فاستعاده الحديث، فأعاده.

فقال له: هي في ذمتي، حتّى أزوّجك بها [٣٢٤ غ] فطابت نفسي و نفس الفتى، و أقام معنا ليلتنا حتّى أصبح.

و غدا جعفر إلى الرشيد، فحدّثه الحديث، فعجب منه، و أمر بإحضارنا جميعا، و أمر بأن أغنّيه الصوت، فغنّيته، و شرب عليه، و سمع حديث الفتى.

فأمر من وقته، بأن يكتب إلى عامل الحجاز، باشخاص الرجل و ابنته، و سائر أهله إلى حضرته.

فلم تمض إلاّ مسافه الطريق، حتّى أحضر، فأمر الرشيد بإحضاره إليه، فأوصل، و خطب إليه الجارية للفتى، فأجابته، فزوّجه إيّاها، و حمل الرشيد إليه ألف دينار مهرها (١)، و ألف [١٩٥ ن] دينار لجهازها، و ألف دينار لنفقته، في طريقه، و أمر للفتى بألفى دينار.

و كان المدينيّ بعد ذلك من جمله ندمائه (٢).

ص: ٣٩٨

١- في ن: و حمل إليه الرشيد ثلاثة آلاف دينار لمهرها.

٢- راجع القصّه في الأغاني ١١٤/١٤-١٢٠.

به من غير دائه و هو صالح

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني، قال: حدّثني محمّد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، قال: حدّثني أبي، قال:

سرت إلى سرّ من رأى بعد قدمي من الحجّ، فدخلت إلى الواثق بالله، فقال: بأبي [٢٥٨ م] شىء أظرفتنى من الأحاديث التي [٣١٧ غ] استفدتها من الأعراب و أشعارهم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين جلس إليّ فتى من الأعراب فى بعض المنازل، فحاورني، فرأيت منه أحلى ما رأيت من الفتيان، منظرًا، و حديثًا، و ظرفًا، و أدبًا.

فاستنشدته، فأنشدني:

سقى العلم الفرد الذى فى ظلاله غزالان مكتّان مؤتلفان

إذا أمتنا التفا بجيد تواصل و طرفاهما للريب مسترقان

أردتهما ختلا فلم أستطعهما و رميا ففاتاني و قد قتلاني

ثم تنفّس تنفّسا، ظننت أنه قد قطع حيازيمه (١).

فقلت له: ما لك بأبي أنت؟

فقال: وراء هذين الجبلين شجني، و قد حيل بيني و بين المرور بهذه البلاد، و نذروا دمي، فأنا أتمتع بالنظر إلى هذين الجبلين، تعلّلا بهما، إذا قدم الحاجّ، ثم يحال بيني و بين ذلك.

فقلت له: زدني مما قلت، فأنشدني:

ص: ٣٩٩

إذا ما وردت الماء فى بعض أهله حضور فعرض بى كأنك مزح

فإن سألت عني حضور فقل لها: به غير (١) من دائه و هو صالح

فأمرنى الواثق، فكتبت الشعرين.

فلما كان بعد أيام دعانى، فقال لى: قد صنع بعض عجائز دارنا فى أحد الشعرين لحنا، فاسمعه، فإن ارتضيته أظهرناه، وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحناه.

ثم غنى لنا به من وراء الستاره، فكان فى غايه الجوده، و كذلك كان يصنع إذا وضع لحنا.

فقلت له: أحسن -و الله- صانعه، يا أمير المؤمنين.

فقال: بحياتى؟

فقلت: إى و حياتك، و حلفت له بما وثق به.

فأمر لى برطل، فشربته، ثم أخذ العود، فغناه ثلاث مرّات، و سقانى عليه ثلاثة أرطال، و أمر لى بثلاثين ألف درهم.

فلما كان بعد أيام، دعانى فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا فى الشعر الآخر لحنا، و أمر فغنى به، فكان حالى مثل الحال فى الشعر الأول، و حلفت له على جودته، فغناه ثلاث مرّات، و سقانى ثلاثة أرطال، و أمر لى بثلاثين ألف درهم.

ثم قال: هل قضيت حقّ حديثك (٢)؟

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاءك، و أتمّ نعمته عليك.

فقال: و لكنك لم تقض حقّ الأعرابى، و لا سألتنى معونته على أمره؟ و قد سبقت مسألتك، و كتبت بخبره إلى صاحب الحجاز، و أمرته بتجهيزه، و خطبه

ص: ٤٠٠

١- الغير: بكسر الغين و فتح الياء، تغير الحال و انتقالها من الصلاح إلى الفساد، و غير الدهر: أحداثه.

٢- فى غ: حق هديتك.

المرأه له، و حمل صداقها إلى قومها عنه من مالنا، ففعل.

فقبلت يده، و قلت: السبق إلى المكارم لك، و أنت أولى بها من غيرك من سائر الناس (١).

قال: أبو الفرج: و صنعه الواثق في الشعرين جميعا من الرمل.

ص: ٤٠١

١- هذه القصه لم ترد في ر.

عمر بن أبي ربيعة

و الجعد بن مهجع العذري

و حدّثني أبو الفرج القرشي، المعروف بالأصبهاني، قال: نسخت من كتاب [٢٥٩ م] محمّد بن موسى بن حمّاد، قال: ذكر الرياشي قال: قال حمّاد الراويه:

أتيت في مكّه، إلى حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي، فتذاكرنا العذريين، و قال عمر بن أبي ربيعة:

كان لي صديق من بني عذره يقال له: الجعد بن مهجع، و كان أحد بني سلامان، و كان يلقي من الصبابة، مثل الذي [ألقاه] بالنساء، على أنّه كان لا عاهر الخلوّه، و لا سريع السلوه.

و كان يوافي الموسم في كلّ سنه، فإذا غاب (١) عن وقته، ترجّحت (٢) عنه الأخبار، و توكّفت (٣) له الأسفار (٤)، حتى يقدم.

فغمّني ذات سنه إبطاؤه، حتى قدم حاجّ عذره، فأتيت القوم أنشد صاحبي، فإذا غلام قد تنفّس الصعداء، و قال: عن أبي المسهر تسأل؟

قلت: نعم، و إيّاه أردت.

ص: ٤٠٢

١- في الأغاني ١١/١٦٩: [١] راث، و معناها: أبطأ.

٢- الرجم: التكلّم بالظنّ، و الرجم بالغيب: الكلام بما لا يعلم، قال الشاعر: كم بالدروب و أرض السند من جدث و من جماجم قتلى ما بها قبروا بقندهار و من كانت منيته بقندهار يرجم دونه الخبر

٣- التوكّف: التوقّع و الانتظار.

٤- الأسفار: جماعه المسافرين.

فقال: هيهات، هيهات، أصبح -و الله- أبو المسهر، لا ميؤوس منه فيهمل، و لا مرجو فيعلل، أصبح -و الله- كما قال القائل:

لعمري ما حَبِي لأسماء تاركى أعيش و لا أفضى به فأموت

فقلت: ما الذى به؟

فقال: مثل الذى بك، من تهتككما (١) فى الضلال، و جرّ كما أذيال الخسار، كأنكما لم تسمعا بجنه و لا نار.

فقلت: و من أنت منه، يا ابن أخى؟

قال: أخوه.

فقلت له: يا ابن أخى، ما منعك أن تسلك مسلكه من الأدب، و أن تركب منه مركبه [إلا أنك و إياه كالبجاد و البرد، لا ترقعه و لا يرقعك] (٢).

ثم صرفت وجه ناقتى، و أنا أقول:

أرائحه حجاج عذره و وجهه و لَمَّا يرح فى القوم جعد بن مهجع

خليلان نشكو ما نلقى من الهوى متى ما يقل أسمع و إن قلت يسمع

ألا ليت شعرى أى شىء أصابه فلى زفرات هجن ما بين أضلعي

فلا يبعدنك الله خلاً فإننى سألقى كما لاقيت فى الحبّ مصرعى

ثم انطلقت حتى وقفت موقفاً من عرفات، فبينما أنا كذلك، و إذا بإنسان قد تغير [٣١٩ غ] لونه، و ساءت هيأته، فأدنى ناقتة من ناقتى، ثم خالف بين أعناقهما، و عانقنى و بكى، حتى اشتدّ بكاؤه.

فقلت: ما وراءك؟

فقال: برح العذل، و طول المطل، ثم أنشأ يقول:

ص: ٤٠٣

١- فى الأغاني ١٧٠/١١: [١] من تهوّر كما.

٢- الزيادة من غ، و من الأغاني ١٧٠/١١.

لئن كانت عدِيه ذات لبٍ لقد علمت بأن الحبّ داء

ألم تنظر إلى تغيير جسمي و أنّي لا يفارقني البكاء

و أنّي لو تكلفني سواها لخفّ الكلم و انكشف الغطاء ٧

و أنّ معاشري و رجال قومي حتوفهم الصبابه و اللّقاء

إذا العذريّ مات خلى ذرع فذاك العبد يبكيه الرشاء

فقلت: يا أبا المسهر، إنّها ساعه تضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض و غربها، فلو دعوت الله تعالى، كنت مؤملاً لك أن تظفر بحاجتك.

قال: فتركني، و أقبل على الدعاء، فلما تدلّت الشمس للغروب، و همّ الناس أن يفيضوا، سمعته يتكلّم بشيء، فأصغيت إليه، فإذا هو يقول:

يا ربّ كلّ غدوه و روحه من محرم يشكو الضنا ٨ لو حه

أنت حسيب ٩ الخطب يوم الدوحه

فقلت: و ما يوم الدوحه؟

فقال: و الله لأخبرنّك و لو لم تسألني، ثم أقبل عليّ، و قال: أنا رجل ذو مال من نعم و شاء، و ذو المال لا يصدره القلّ، و لا يرويه الثماد.

و أنّي خشيت عام أوّل على مالي التلف، و قطر الغيث أرض كلب، فانتجعت أحوالا لي منهم، فأوسعوا لي عن صدر المجلس، و سقوني جمّه الماء ١٠، و كنت معهم في خير أحوال.

ثم إنني عزمت على مرافقه إبلى بماء لهم، فركبت فرسي، وسمطت خلفي شرابا كان أهدها إليّ بعضهم، ثم مضيت.

حتى إذا كنت قريبا من الحَيِّ و مرعى الغنم، رفعت لي [٢٦٠ م] دوحه عظيمه، فنزلت عن فرسي، و شددته ببعض أغصانها، و جلست في ظلها.

فبينما أنا كذلك إذ سطع غبار في ناحيه الحَيِّ، ثم رفعت لي شخوص ثلاثه، ثم نظرت فإذا بفارس يطرد مسحلا و أتانا (١)، فتأملتة، فإذا عليه درع أصفر، و عمامه خزّ سوداء (٢)، و إذا فروع شعره تضرب خصره (٣)، فقلت: غلام، حديث عهد بعرس، أعجلته لذه الصيد، فترك ثوبه، و لبس ثوب امرأته.

فما كان إلا يسيرا، حتى طعن المسحل، و ثنى بطعنه للأتان، فصرعهما، و أقبل راجعا نحوي، و هو يقول:

نطعنهم سلكى (٤) و مخلوجه (٥) كرك لأمين (٦) على نابل

فقلت: إنك تعبت، و أتعبت فرسك، فلو نزلت.

فثنى [٣٢٠ غ] رجليه، فنزل، و شدّ فرسه بغصن من أغصان الشجره، و ألقى رمحه، و أقبل حتى جلس، فجعل يحدثني حديثا ذكرت به قول أبي ذؤيب:

و إن حديثا منك لو تبدلينه جنى النحل في ألبان عوذ مطافل (٧)

ص: ٤٠٥

١- المسحل: الحمار الوحشي، و الأتان: أنثى الحمار.

٢- في غ: عمامه خزّ بيضاء.

٣- في غ: تضرب فخذه.

٤- الطعنه السلكى: المستقيمه.

٥- الطعنه المخلوجه: المعوجّه من يمين أو شمال.

٦- اللأمان: السهمان عليهما ريش.

٧- العوذ: جمع ع [أ] ائذ، و هى الحديثه النتاج إلى خمسه عشر يوما، و المطافل، مفردھا مطفل: ذات الطفل

و قمت إلى فرسى، فأصلحت من أمره، ثم رجعت و قد حسر العمامه عن رأسه، و إذا غلام كأنّ وجهه الدينار المنقوش.

فقلت: سبحانك اللهم، ما أعظم قدرتك، و ما أحسن صنعتك؟

فقال لي: ممّ ذلك؟

فقلت: لما راعني من جمالك، و ما بهرني من نورك.

فقال: و ما الذي يروعك من حبيس التراب، و أكيل الدوابّ؟ و ما يدري أ ينعم بعد ذلك، أم يبتئس.

قلت: لا يصنع الله بك إلا خيرا.

ثم تحدّثنا ساعه، فأقبل عليّ، فقال: ما الذي سمطت في سرجك؟

قلت: شرابا، أهدها إليّ بعض أهلي، فهل لك فيه من أرب؟

فقال: أنت و ذاك.

فأتيت به، فشرّب منه، و جعل -و الله- ينكت بالسوط أحيانا على ثناياه، فيتبين [١٠٦ ن] إلى أثر السوط فيهنّ (١).

فقلت: مهلا، إنني أخاف أن تكسرهنّ.

فقال: و لم؟

قلت: لأنهنّ رقاق عذاب.

قال: ثم رفع صوته يغني:

إذا قبل الإنسان آخر يشتهي ثناياه لم يأثم و كان له أجرا

فإن زاد زاد لله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

قال: ثم قام إلى فرسه، فأصلح من أمره، ثم رجع، فبرقت له بارقه تحت

ص: ٤٠٦

١- في الأغاني: ظلّ السوط فيهنّ.

الدرع، فإذا ثدى كأنه حقّ عاج.

فقلت: ناشدتك الله: أمراه أنت؟

فقلت: نعم و الله، إلا أنها تكره العار (١)، و تحبّ الغزل، ثم جلست، فجعلت تشرب معي، و ما أفقد من أنسنا شيئاً، حتى نظرت إلى عينيها، كأنهما عينا مهاه مدعوره، فو الله، ما راعني إلا ميلها تحت الدوحه سكرى.

فزین الشيطان لي - و الله - الغدر، و حسنه في عيني، ثم إن الله عزّ و جلّ عصمني منه، فجلست منها حجره (٢).

ثم انتبعت فرعه مدعوره، فلائت عمامتها برأسها، و جالت في متن فرسها، و قالت: جزاك الله عن الصحبه خيرا.

فقلت: أ لا تزوديني منك زادا؟

فناولتني يدها، فقبلتها، فشممت - و الله - منها ریح الشباب المطلول (٣)، فذكرت قول الشاعر:

كأنها إذ تقضى النوم و انتبعت سيابه ما لها عين و لا أثر

فقلت: و أين الموعد؟

فقلت: إن لي أخوه شوسا (٤)، و أبا غيوراء، و و الله، لأن أسرك، أحبّ إليّ من أن أضرك، و انصرفت.

فجعلت أتبعها بصرى حتى غابت، فهي - و الله - يا ابن أبي ربيعه، أحلتني هذا المحل، و أبلغتني هذا المبلغ.

ص: ٤٠٧

١- في الأغاني ١١/١٧٣: [١] تكره العشير.

٢- الحجره: الناحيه.

٣- في الأغاني ١١/١٧٣: [٢] ریح المسك المفتوت.

٤- الأشوس، و جمعه شوس: الشديد، الجرىء في القتال.

فقال: يا أبا المسهر، إنَّ الغدر بك مع ما تذكر لمليح، فبكي، و اشتدَّ بكاؤه.

فقلت: لا تبك، فما [٢٤١ م] قلت لك [٣٢١ غ] ما قلت إلاّ - مازحا، و لو لم أبلغ حاجتك إلاّ بمالي و روي لسعيت في ذلك حتى أقدر عليه.

فقال لي: جزيت خيرا.

فلَمَّا انقضى الموسم، شددت على ناقتي، و شدَّ على ناقته، و دعوت غلامي فشدَّ على بعير له، و حملت عليه قتيه من آدم حمراء، كانت لأبي ربيعه المخزومي، و حملت معي ألف دينار، و مطرف خزّ، و انطلقنا، حتى أتينا بلاد كلب.

فسألنا عن أبي الجاربه، فوجدناه في نادي قومه، و إذا هو سيّد القوم، و الناس حوله، فوقف على القوم، و سلّمت، فردّ الشيخ السلام.

ثم قال: من الرجل؟

قلت: عمر بن أبي ربيعه المخزومي.

فقال: المعروف غير المنكر، فما الذي جاء بك؟

قلت: جنّت خاطبا.

قال: الكفو و الرغبه.

قلت: إنّي لم آت لنفسي من غير زهاده فيك، و لا جهاله بشرفك، و لكنّي أتيت في حاجه ابن أختكم (١) هذا العذريّ.

فقال: و الله، إنّه لكفّي الحسب، رفيع النسب، غير أنّ بناتي لم ينفقن إلاّ في هذا الحيّ من قريش، فوجمت لذلك.

و عرف التغيّر في وجهي، فقال: إنّي صانع بك ما لم أصنع بغيرك.

قلت: مثلي من شكر، فما ذاك؟

قال: أخيرها، و هي و ما اختارت.

ص: ٤٠٨

١- في غ: ابن أخيكم.

قلت: ما انصفتني، إذ تختار لغيري، و تولى الخيار غيرك.

فأشار إليّ العذريّ، أن دعه يخيّرهما، قال: فأرسل إليها: أنّ من الأمر كذا و كذا.

فأرسلت إليه: ما كنت أستبدّ برأى دون القرشيّ، و الخيار فى قوله و حكمه.

فقال لى: إنّها قد ولّتك أمرها، فاقض ما أنت قاض.

فقلت: اشهدوا أنّى قد زوّجتها من الجعد بن مهجع، و أصدققتها هذه الألف دينار، و جعلت تكرمتها العبد، و البعير، و القبّه، و كسوت

الشيخ هذا المطرف، و سألته أن يبنى الرجل عليها من ليلته.

فأرسل إلى أمّها، فأبت، و قالت: أ تخرج ابنتى كما تخرج الأمه؟

قال الشيخ: فعجّلنى فى جهازها.

فما برحت، حتى ضربت القبّه فى وسط الحريم، و أهديت إليه ليلا، و بتّ أنا عند الشيخ.

فلما أصبحت، أتيت القبّه، فصحت بصاحبى، فخرج إليّ، و قد أثر السرور فيه.

فقلت: إيه.

فقال: أبدت- و الله- كثيرا مما كانت تخفيه عنى يوم لقيتها، فسألتها عن ذلك، فأنشأت تقول:

كتمت الهوى لَمّا رأيتك جازعا و قلت فتى بعض السرور يريد

و أن تطرحنى أو تقول فتية يضرب بها برح الهوى فتعود

فوريت عمّا بى و فى داخل الحشا من الوجد برح فاعلمنّ شديد

فقلت: أقم على أهلِكَ، بارك الله لك فيهم، و انطلقت، و أنا أقول:

كفيت الفتى العذريّ ما كان نابه و إنّى لأعباء النوائب حمّال [٣٢٢ غ]

أما استحسنت منى المكارم و العلى إذا طرحت أنى لمالى بئال (١)

فقال العذرى:

إذا ما أبو الخطاب خلّى مكانه فأفّ لدينا ليس من أهلها عمر

فلا حىّ فتيان الحجازين بعده و لا سقيت أرض الحجازين بالمطر (٢)

ص: ٤١٠

١- فى الأصل: إنى مع القوم حمّال، و التصحيح من الأغانى ١١/١٧٥.

٢- لم ترد هذه القصّه فى ر، و وردت فى الأغانى ١١/١٦٩-١٧٥ و [٢] فى العقد الفريد ٦/٤٥٠-٤٥٦.

رضى أن يموت

بعد أن يتمتع بحبيبته أسبوعاً واحداً

أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن جعفر البصرى، المعروف بابن لنكك (١)، فى رساله له، فى فضل الورد (٢) على النرجس (٣)، فقال فىمن سمى بنته

ص: ٤١١

١- أبو الحسين محمد بن محمد بن جعفر البصرى الشاعر، المعروف بابن لنكك: شاعر مجيد، أثنى عليه الثعالبي فى اليتيمه، و [١]أورد طائفه من شعره ٣٤٨/٢-٣٥٨، وقال عنه: إنه فرد البصره، و صدر أدبائها، و بدر ظرفائها، و أكثر شعره ملح و طرف، و جلها فى شكوى الزمان و أهله، و من رائق قوله فى شكوى الزمان: يا زمانا ألبس الأح رار ذلاً و مهانه لست عندى بزمان إنمبا أنت زمانه و قال فى أهل زمانه: لا تخذعنك اللحى و لا الصور تسعه أعشار من ترى بقر فى شجر السرو منهم مثل له رواء و ما له ثمر و جاء فى وفيات الأعيان ٣٨٢/٥: [٢]إن لنكك، لفظ أعجمي، معناه: أعيرج، تصغير أعرج، لأن كلمه لنك، معناها أعرج، و الكاف الثانيه للتصغير.

٢- الورد: راجع التفصيل فى آخر القصه.

٣- النرجس، بفتح النون و كسرهما: نبت من الرياحين، طيب الرائحه جداً، أصله بصل، زهره مستدير أبيض أو أصفر، تشبه به الأعين (المنجد)، قال محمد بن أبى أميه، يصف روضه [الديارات ٣١]: [٣] فى جنان كأنما نشرت فوق ثراها حريره خضراء أعين النرجس الجنى نجوم و اخضرار الرياض فيها سماء و الكلمه فارسىه الأصل: نركس، ذكر صاحب الألفاظ الفارسىه المعزبه ١٥١ أن اسم هذا الورد متشابه فى اثنتى عشره لغه، و عقد له صاحب كتاب مطالع البدور ٩٩/١-١٠٤ فصلا ذكر

من سائر العرب ورده: فمنهم شرحبيل بن مسعود التنوخي، و عائد الطائي، و هي التي كان داود بن سعد التميمي عاشقا لها، فاستقبل النعمان بن المنذر، في يوم بؤسه، و قد خرج يريد لها، و هو لا يعلم بيوم النعمان.

فقال له: ما حملك على استقبالي في يوم بؤسى؟

فقال: شدّه الوجد، و قلّه الصبر.

فقال: أو لست القائل؟

و ددت و كاتب الحسنات أني أقارع نجم ورده بالقداح

على قتلى بأبيض مشرفي و كوني ليله حتى الصباح [١٠٧ ن]

مع الحسناء ورده إن قلبي من الحبّ المبرّح غير صاح

فإن تكن القداح على تلقى ذبحت على القداح بلا جناح

و إن كانت عليه بيمن جدى لهوت بكاعب خود رباح

قال: نعم.

قال: فإني مخيرك إحدى اثنتين، فاختر لنفسك.

قال: ما هما أبيت اللعن؟

قال: أحلى سبيلك، أو أمتّعتك سبعة أيام، ثم أقتلك.

قال: بما تمتّعتني؟

قال: بورده.

قال: قبلت الثاني.

فساق النعمان مهرها إلى عمّها، و جمع بينهما، فلما انقضت الأيام، أقبل

على النعمان، و هو يقول:

إليك ابن ماء المزن (١) أقبلت بعد ما مضت لى سبع من دخولى على أهلى

مجىء مقرّ لاصطناعك شاكر مننت عليه بالكريم من الفعل

لتقضى فيه ما أردت قضاءه من العفو، أهل العفو، أو عاجل القتل

فإن كان عفو كنت أفضل منعم و إن تكن الأخرى فمن حكم عدل

فأحسن جائزته، و خلّى سبيله، و أنشأ النعمان يقول: [٢٦٤ م]

لم ينل ما نال داود بن سعد بن أنيس

إذ حوى من كان يهوى و نجا من كلّ بوس [٣٢٥ غ]

و كذاك الطير يجرى بسعود و نحوس

قال مؤلف هذا الكتاب: و وجدت كتاباً لأحمد بن أبى طاهر، سمّاه:

كتاب فضائل الورد على النرجس، أكبر قدراً، و أغزر فائده من كتاب ابن لنكك، فوجدته قد ذكر فيه هذا الخبر.

قال: و ممن سمى ابنته ورده، شرحبيل بن مسعود التنوخى، و هو صاحب العين، على مسيره يوم و ليله من تيماء اليمن.

و سليمان بن صرد، أمير الجيش الذى يقال لهم: التّوّابون، الذين تولّوا الطلب بدم الحسين عليه السلام، و قتل عبيد الله بن زياد.

و سمى عائذ الطائى بنته ورده، و هى التى كان داود بن سعد التميمى، عاشقاً لها... و ساق الخبر كما ذكره (٢).

ص: ٤١٣

١- فى غ: إليك أبيت اللعن.

٢- هذه القصّه لم ترد فى ر.

الورد: في اللغة، نور كل شجره، و زهر كل نبتة، ثم اقتصر على الورد المعروف، و قد توصل الإنسان بفضل عنايته إلى إنتاجه على أشكال و ألوان مختلفه، و بروائح عطره متنوعه (لسان العرب، المنجد).

و كانت عناية الإنسان بالورد، منذ أقدم الأزمان، و استعمله الأطباء دواء، و وصفوه لكثير من الشكايا (القانون في الطب لابن سينا ٢٩٩/١ و الجامع لمفردات الأدوية ١٨٩/٤ و ١٩٠).

و ذكر القاضي التنوخي، في نشوار المحاضر ١٩/٥ إنه أبصر وردا أصفر، عدّ ورق الورد منه، فكانت ألف ورقه، و إنه رأى وردا أسود حالك اللون، و إنه رأى بالبصره، و رده نصفها أحمر قاني الحمره، و نصفها الآخر ناصع البياض.

و كان المتوكل يقول: أنا ملك السلاطين، و الورد ملك الرياحين، فكلّ منا أولى بصاحبه، و حرّم الورد على جميع الناس، و استبدّ به، و قال: إنه لا يصلح للعامة، فكان لا يرى الورد إلا في مجلسه، و كان في أيام الورد يلبس الثياب المورده، و يفرش الفرش المورده، و يورّد جميع الآلات (مطالع البدور ٩٣/١) و أراد مرّه أن يشرب على الورد، و لم يكن الموسم موسم ورد، فأمر، فضربت له دراهم خفيفه، مقدارها خمسة آلاف ألف درهم، و لونت بألوان الورد، و نثرت في مجلسه كما ينثر الورد، و شرب عليها (الديارات ١٦٠).

و ذكر التنوخي في نشوار المحاضر، في القصّه ١٦٣/١ إنه شاهد الوزير المهلبى اشترى في ثلاثه أيام متتابعه وردا بألف دينار، فرشه في مجالسه، و طرحه في بركه أمامه، و شرب عليه، و ذكر في القصّه ١٦٤/١ أن أبا القاسم البريدى، شرب بالبصره في يوم واحد على ورد بعشرين ألف درهم.

و أولم الوزير أبو الفضل الشيرازى، لمعز الدوله البويهى، وليمه في داره الكائنه على ملتقى نهري دجله و الصراه، موضعها الآن في رأس الجعيفر بالكرخ، فشدّ حبالا- مفتوله على وجه الماء بين الشاطئين، ثم نثر الورد بكميات غطت وجه النهر، و منعت الحبال المعترضه من الانحدار، فاستقرّ في موضعه، راجع وصف الوليمه و ما صرف عليها في كتاب الملح و النوادر للحصرى ٢٧٦ و ٢٧٧.

و كان الورد يتخذ للتحيّيات في مجالس الشراب، بأن يقدّم الساقى للنديم ورده، أو غصن آس، أو تفّاحه، مما له منظر جميل، و رائحه عذبه، و قد أفرد صاحب الموشى بابا في الورد (٢٠٤-٢٠٦)، و ما قيل في تفضيله و مدحه من الأشعار، ثم قال: إنّ فضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها، أو يبلغ أمدها، و أنّه أفرد لذلك كتابا، بوّيه أبوابا، و ترجمه بكتاب العقد، و شحنه بفضل الورد (الموشى ٢٠٦)، كما ذكر أنّ بعض المتظرّفين، كان يفضّل الآس على الورد، لأنّ الورد موسميّ، و الآس دائم الخضره، (الموشى ٢٠٥)، قال ابن زيدون:

لا يكن عهدك وردا إنّ عهدى لك آس

و أشهر أنواع الورد، الجورى، نسبه إلى جور، مدينه بفارس (معجم البلدان ١٤٧/٢) و منه يستخرج ماء الورد.

و فى بغداد أغنيه قديمه، ما زالت شائعه، تقول:

أحبك، أحبك و أحبّ كلّ من يحبّك

و أحبّ الورد جورى لأنّه بلون خدك

لاحظ أنّ المتعارف أن يشبّه خدّ المحبوب بالورد، أمّا شاعرنا العامى البغدادى، فقد عكس الوضع، و شبّه الورد بوجهه المحبوب، فجاء نهايه فى حسن التعبير.

إبراهيم بن سيّابه يشكو فلا يجاب

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني، قال: أخبرني حبيب بن نصر المهلبى، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني عبد الله بن نصر المروزى، قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله الطلحي، قال: حدّثنا سليمان بن يحيى بن معاذ، قال:

قدم على نيسابور إبراهيم بن سيّابه، يعنى الشاعر البصرى (١)، الذى كان جدّه حجّاما، فأعتقه بعض بنى هاشم، فصار مولى لهم، فأنزلته على، فجاءنى ليله من الليالى و هو مكروب، و قد هام، فجعل يصيح بى، يا أبا أيوب؟ فخشيت أن يكون قد غشيته بلّيه، فقلت له: ما تشاء؟ فقال:

أعيانى الشادن الريب.

فقلت له: ما ذا يقول؟ فقال:

أشكو إليه فلا يجيب.

فقلت: داره، و داوه، فقال:

من أين أبغى شفاء دائى و إنّما دائى الطيب

ص: ٤١٦

١- إبراهيم بن سيّابه: مولى بنى هاشم، كان خليعا، ماجنا، طيب النادره، و كان منقطعا إلى إبراهيم الموصلى، و ابنه إسحاق، توفى سنه ٢٧٨، و من نوادره، أنّه قيل له: ما نظنّك تعرف الله، فقال: كيف لا أعرف من أجاعنى، و أعرانى، و أدخلنى فى حر أمى (البصائر و الذخائر م ٢ ق ٢ ص ٣٥٩)، و عوتب مرّه على مجونه، فقال: ويلكم، لأن ألقى الله بذلّ المعاصى، فيرحمنى، أحبّ إلّى من أن ألقاه أتبختر إدلالا بحسناتى، فيمقتنى (الأغانى ١٢/٨٩)، [١] راجع ترجمته مفصّله فى الأغانى ١٢/٨٨-٩٢ و [٢] قد ورد ذكره فى المنتظم ١١٩/٥ و [٣] فى الأعلام ١/٣٦ [٤] بأنّه إبراهيم بن شبابه، و هو تصحيف، و قد تابعتهما فى ذلك التصحيف، فى نشوار المحاضره، [٥] رقم القصّه ٥٦/٤ حتى تبين لى الصحيح، فأثبتته.

فقلت: فلا، إذن، إلى أن يفرّج الله تعالى، فقال:

يا ربّ فرّج إذن و عَجَل فإِنَّكَ السامع المجيب

ثم انصرف (١).

ص: ٤١٧

١- لم ترد هذه القصّه في ر، و لا في غ، و قد وردت في كتاب نشوار المحاضرهِ للتّوخي برقم القصّه ٥٦/٤، و وردت في الأغاني ٩٢/١٢ و [١] في نهايه الأرب ١٥٤/٢ و ١٥٥ و ٥٧/٤.

عزل عن الرافقه، فولّى دمشق

[قال محمّد بن عبدوس، فى كتاب أخبار الوزراء و الكتّاب، أخبرنى جعفر ابن أحمد، قال: حدّثنى أبو العبّاس بن الفرات، قال: حدّثنى محمّد بن علىّ بن يونس] (١)، قال:

لما سلّمت عمل دمشق إلى أبى المغيث الرافقى (٢)، سألتنى أن أكتب له عليه، ففعلت، فلما تأنست أنا و هو، حدّثنى أوّل خبره فى تقلّد الناحيه.

فقال لى: كنت قصدت عيسى بن موسى (٣)، [ابن عمّى، و هو] (٤) يتقلّد حمص، فقلّدتنى ربع فاميه (٥)، فأقمت إلى أن قدم ابن عمّ له، و هو أقرب إليه منى، فصرفنى، فانصرفت عنه إلى الرافقه (٦)، و معى شىء مما كسبته.

و كانت لابنه عمّ لى، جاريه نفيسه، قد ربّتها، و علّمتها الغناء، و كنت

ص: ٤١٨

١- الزيادة من ن، و فى بقيه النسخ: عن محمّد بن يونس.

٢- أبو المغيث موسى بن ابراهيم الرافقى: ولى دمشق فى السنه ٢٢٧، و صلب من قيس خمسه عشر رجلا، فخرجوا عليه، و زحفوا على دمشق، فاستعان بجيش من العراق حاربهم و أخضعهم (شذرات الذهب ٥٩/٢)، و [١] فى السنه ٢٤٠ كان أميرا على حمص، و قتل رجلا من رؤسائهم، فقتلوا جماعه من أصحابه، و أخرجوه و طردوا معه عامل الخراج، فعزله المتوكّل (الطبرى ١٩٧/٩ و [٢] ابن الأثير ٧٣/٧) و [٣] فى معجم الأدباء ٤٧٩/٦ إنّ محمّد بن حسان الضبّى قدم عليه، و مدحه، فوعده بثواب، و تأخّر عنه، فعاتبه، فاعتذر منه، و عجل صلته.

٣- عيسى بن موسى الرافقى: من رجال الدّوله العبّاسيه، ذكره صاحب معجم الأدباء ٣٨٦/٥.

٤- الزيادة من ن.

٥- فاميه: مدينه كبيره، و كوره من سواحل حمص (معجم البلدان ٨٤٦/٣).

٦- الرافقه: بلده على الفرات، كانت متّصله بالرقّه، بينهما ٣٠٠ ذراع، و خربت الرقّه، فغلب اسمها على الرافقه، فصار اسمها الرقّه، و هى من أعمال الجزيره، مدينه كبيره، كثيره الخير (معجم البلدان ٧٣٤/٢).

أدعوها، فألفتها، و وقعت من قلبي موقعا عظيما، و اشتدَّ حبِّي لها، فعملت على أن أبيع منزلي و أبتاعها، و ناظرت مولاتها في ذلك، فحلفت أنها لا تنقص ثمنها عن ثلاثة آلاف دينار.

فنظرت، فإذا أنا أفتقر، و لا تفي حالي بثمانها، فقامت قيامتي، و اشتدَّ وجدى، و انحدرت إلى سرّ من رأى، أطلب تصرّفا، أو ما به شراؤها.

و كان محمّد بن إسحاق الطاهري (١)، و أبوه (٢)، يرجيان لى (٣)، فقصدت محمّدا، و معى دواب، و بقيه من حالي، فأقمت عليه مدّه لم يسنح لى فيها تصرّف، فاشتدّت بى رقه الحال، فانحدرت إلى بغداد، أقصد إسحاق بن إبراهيم الطاهري، فوردت فى زورق.

و فكّرت فى أمرى، و على من أنزل، فلم أثق بغير محمّد بن الفضل الجرجرائى (٤)، لمودّه كانت بينى و بينه، فقصدته، و نزلت عليه، و وقع ذلك منه أجلّ موقع، و فاتشنى عن أمرى، و سألتنى عن حالى، فذكرت له قصّتى مع الجاربه.

فقال: و الله، لا- تبرح من مجلسك حتى تقبض ثمنها، و أمر خادمه، فأحضر كيسا فيه ثلاثه آلاف دينار، و سلّمت إلى، و تأيبت عليه، فحلف أيماننا مؤكّده أن أقبلها.

و قال: إن اتّسعت لقضائه، و احتجت إليه، لم أمتنع من أخذه منك،

ص: ٤١٩

١- محمّد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبى: كان أبوه إسحاق أمير بغداد، أمّا هو فكان خليفه أبيه بباب الخليفه بالحضره سامراء، فلما مات إسحاق سنه ٢٣٥، قلّد المتوكّل ولده محمّدا أعمال أبيه كلّها، و عقد له المنتصر على اليمامه و البحرين و طريق مكّه، و عقد له المعتز على فارس (ابن الأثير ٥٤٧).

٢- أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبى، أمير بغداد: ترجمته فى حاشيه القصّه ٧٣ من الكتاب.

٣- كذا وردت الكلمه فى ن، يريد أنّه يؤمّل منهما العون.

٤- أبو جعفر محمّد بن الفضل الجرجرائى الكاتب: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٥٧ من الكتاب.

فأخذت الكيس و شكرته، و تشاغلنا بالشرب.

فلما كان من الغد، أتى رسول إسحاق بن إبراهيم الطاهري يطلبني، فصرت إليه، فاحتفى به، و أكرمني، و قال: ما ظننت أنك توافي بلدا أحله، فتنزل غير داري.

فقلت: و الله، ما وافيت إلا قاصدا الأمير، و لكنّ دوايتي تأخرت، فتوقّعت ورودها، لأصير إلى باب الأمير عليها.

فدعا بكتب وردت من محمّد بن عبد الملك (١)، و فيها كتاب من أمير المؤمنين المعتصم، بولايته دمشق، و أراني كتابا يعلمه فيه، ما جنى عليّ بن إسحاق من قتل رجاء بن [أبي] الضحّاك (٢) بدمشق، و أنّ أمير المؤمنين رأى تقليدك، و طلبت بسرّ من رأى، فذكر له أنك انحدرت إلى إسحاق بن إبراهيم، فأمر بتسليم كتبك إليّ، و دفع مائه ألف دينار لك معونه على خروجك، و أحضر المال، و وكلّ بي من يستحثني على البدار.

فورد عليّ من السرور ما أدهشني، و ودّعته، و خرجت إلى محمّد بن الفضل، فعزّفته ما جرى، و ودّعته أيضا، و أخرجت دنائره، فرددتها عليه، فحلف بأيمان غليظه عظيمه، لا عادت إلى ملكه أبدا.

و قال: إن جلست في عملك و اتّسعت، لم أمتنع أن أقبل منك غير هذا.

ص: ٤٢٠

١- أبو جعفر محمّد بن عبد الملك الزيات، وزير المعتصم: ترجمته في حاشية القصّه ٦٦ من الكتاب.

٢- رجاء بن أبي الضحّاك: ابن عم الفضل بن سهل (الطبري ٥٤٠/٨) و [١] والّد الحسن بن رجاء الكاتب (الطبري ١١١/٩)، و [٢] كان من رجال الدّولة العبّاسيّة، عهد إليه المأمون في السنه ٢٠٠ بأن يسافر إلى المدينه و أن يحضر معه الإمام علي بن موسى الرضا ليعهد إليه بولايه العهد من بعده (الطبري ٥٤٤/٨) و [٣] ابن الأثير ٣٨٩/٦) و [٤] ولآه المعتصم الخراج بدمشق، و كان علي المعونه صول أرتكين، خليفته علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ، فوثب علي، علي رجاء فقتله، في السنه ٢٢٦، فاعتقل عليّ، و مكث حيناً محبوساً بسامراء، و تظاهر بالجنون، فأطلق (الطبري ١١١/٩)، [٥] اراجع في العقد الفريد ١٥٥/٢ [٦] ما قاله سعيد بن سلم لما بلغه أنّ المأمون غضب علي رجاء بن أبي الضحّاك و أمر بأخذ ماله.

فشخصت، و مررت بالرافقه و ابتعت الجارويه، و بلغت مناي بملكها، و اجتزت [١٧٣/٢ هـ] بحمص، بابن عمي، و أنا أجلّ منه عملا، و دخلت عملي، فصنع الله سبحانه، و وسّع (١).

ص: ٤٢١

١- لم ترد القصه في م و لافي ر و لافي غ، و أثبتناها من ن و ه.

أين اختبأ الأسدى

و وجدت فى كتاب المّتمين (١) للمدائنى:

أنّ رجلا- من بنى أسد، علق امرأه من همدان بالكوفه، و شاع أمرهما، فوضع قوم المرأة عليه عيوننا، حتى أخبروا أنّه قد أتاها فى منزلها، فأتوا دارها، و احتاطوا بها.

فلما رأت ذلك، و لم تجد للرجل مهربا، و كانت المرأة بادنه، فقالت له:

ما أرى لك موضعا أستر لك من أن أدخلك خلف ظهري، و تلزمنى، فأدخلته بينها و بين القميص، و لزمها من خلفها.

و دخل القوم، فداروا فى الدار، حتى لم يتركوا موضعا إلاّ فتشوه، فلما لم يجدوا الرجل، استحيوا من فعلهم، و أغلظت المرأة عليهم، و عنفتهم، فخرجوا.

و أنشأ الرجل يقول:

فحبّك أشهاني و حبّك قادنى لهمدان حتى أمسكوا بالمخنق

فجاشت إلىّ النفس أوّل مرّه فقلت لها لا تفرقى حين مفرقى

رويدك حتى تنظري عمّ تنجلي عمايه هذا العارض المتألّق (٢)

ص: ٤٢٢

١- كذا ورد فى ن، و هو الصحيح، و ورد الاسم فى ه: السمير، و لم أعثر بين مصنّفات المدائنى على كتاب باسم: السمير، و أحسب أنّ ما ورد فى ه تحريف عن المّتمين.

٢- لم ترد هذه القصّه م، و لا فى ر، و لا فى غ، و أثبتناها من ن و ه.

ذكر الهيثم بن عدى، أن جماعه من بنى عذره حدّثوه:

أن جميل بئنه (١) حضر ذات ليله عند خباء بئنه (٢)، حتى إذا صادف منها خلوه تنكّر، و دنا منها، و كانت الليله ظلماً، ذات غيم و رعد و ريح.

فحذف بحصاه، فأصابت بعض أترابها، ففزعت، و قالت: ما حذفنى فى هذه الليله إلا الجنّ.

ففظنت بئنه أن جميلاً - فعل ذلك، فقالت لربها: ألا - فانصرفى يا أخيّه إلى منزلك حتى تنامى، فانصرفت، و بقيت مع بئنه أمّ الحسين - و يروى أمّ الجسير - بنت منظور (٣)، و كانت لا تكتمها.

فقامت إلى جميل، فأدخلته الخباء معها، و تحدّثوا جميعاً، ثم اضطجعوا، و ذهب به النوم حتى أصبحوا.

و جاءهم غلام زوجها بصبح من اللبن، بعث به إليها، فرآها نائمه، و نظر جميلاً، فمضى لوجهه، حتى خبر سيده.

ص: ٤٢٣

١- أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر العذرى القضاعى: من الشعراء العشاق، افتتن ببئنه، و شبّب بها، و تناقل الناس أخبارهما، و فد على عبد العزيز بن مروان بمصر، و مات عنده سنه ٨٢ (الاعلام ١٣٤/٢)، [١] راجع أخبار جميل فى الأغانى ٩٠/٨-١٥٤.

٢- بئنه بنت حبا بن ثعلبه العذريه: شاعره من بنى عذره، من قضاعه، اشتهرت بأخبارها مع جميل بن معمر العذرى القضاعى، و هو من قومها، و كانت منازلهم بوادى القرى، بين مكّه و المدينه، فى شعرها رقّه و متانته، مات جميل قبلها، فرثته، و لم تعش بعده طويلاً، و ماتت فى نفس السنه التى مات فيها جميل أى فى السنه ٨٢ (الاعلام).

٣- فى الأغانى ١١٥/٨: [٤] بقيت مع بئنه أمّ الجسير، و أمّ منظور.

و كانت ليلي (١)رأت الغلام و الصبوح معه،و قد عرفت خبر جميل و بثينه، فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله،و طاولته الحديث،و بعثت بجاريه لها،و قالت:

حذري جميلا و بثينه.

فجاءت الجارية و نبهتها،فلما تبينت بثينه أن الصبح قد أضاء،و الناس قد انتشروا،ارتاعت لذلك.

و قالت:يا جميل نفسك،فقد جاء غلام بعلى بصبوح من اللبن،فرآنا نائمين.

فقال جميل،و هو غير مكترث:

لعمرك ما خوفتني من مخافه عليّ و لا حذرتني موضع الحذر

و أقسم ما تلفي لي اليوم غزّه و في الكفّ مني صارم قاطع ذكر

فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت النّضد،و قالت:إنما أسألك خوفا على نفسي من الفضيحة،لا خوفا عليك،ففعل ذلك،و نامت،و أضجعت أمّ الحسين (٢)إلى جانبها [١٠٠ ن]،[و ذهبت خادم ليلي إليها،فأخبرتها الخبر، فتركت العبد يمضي إلى سيده،فمضى و الصبوح معه،و قال له:إنّي رأيت بثينه مضطجعه،و جميل إلى جنبها] (٣).

فجاء زوجها [١٧٤/٢ هـ]إلى أخيها و أبيها،فعرّفهما الخبر،و جاءوا بأجمعهم إلى بثينه،و هي نائمه،فكشفوا عنها الثوب،فرأوا أمّ الحسين ٥إلى جانبها نائمه.

فخجل زوجها،و سبّ عبده،و قالت ليلي لأبيها و أخيها:تبحكما الله،

ص: ٤٢٤

١- ليلي و أمّ الحسين و نجينا،بنات خاله بثينه(الأغاني ١٠٧/٨).

٢- في الأغاني: [٢]أمّ الجسير.

٣- الزيادة من الأغاني ١١٦/٨.

فى كلّ يوم تفضحان المرأه فى فنائكما، ويلكما، هذا لا يجوز.

فقالا: إنما فعل هذا زوجها.

فقالا: قبحه الله و إياكما، فجعلنا يسبان زوجها، و انصرفوا.

و أقام جميل تحت النضد إلى الليل، ثم ودّعها و انصرف (1).

ص: ٤٢٥

١- لم ترد القصه فى ر، و لا فى م، و لا فى غ، و أثبتناها من ه، و وردت فى الأغانى ١١٥/٨ و ١١٦.

العمر أقصر مدّه من أن يضيّع في الحساب

[حدّثني الحسن بن صافي [مولي] ابن المتوكّل القاضي، قال: حدّثنا [١] أبو القاسم علي بن أحمد الليثي الكاتب المعروف بابن كردويه، قال: كان لي صديق من أهل راذان [٢]، عظيم النعمه و الضيعه، فحدّثني، قال:

تزوّجت في شبابي امرأه من آل وهب، ضخمه النعمه، حسنه الخلقه و الأدب، كثيره المروءه، ذات جوار مغنيّات، فعشقتها عشقا مبرّحا، و تمكّن لها من قلبي أمر عظيم، و مكث عيشي بها طيّبا مدّه طويله.

ثم جرى بيني و بينها بعض ما يجرى بين الناس، فغضبت عليّ، و هجرتني، و أغلقت باب حجرتها من الدار دوني، و منعتني الدخول إليها، و راسلتني بأن أطلقها.

فترضيتها بكلّ ما يمكنني، فلم ترض، و وسّطت بيننا أهلها من النساء، فلم ينجع.

فلحقني الكرب و الغمّ، و القلق و الجزع، حتى كاد يذهب بعقلي، و هي مقيمه على حالها.

فجئت إلى باب حجرتها، و جلست عنده مفترشا التراب، و وضعت خدي على العتبه، أبكي و أنتحب، و أتلافها، و أسألها الرضا، و أقول كلّما يجوز أن يقال في مثل هذا، و هي لا تكلمني، و لا تفتح الباب، و لا تراسلني.

ثم جاء الليل، فتوسّدت العتبه إلى أن أصبحت، و أقمت على ذلك ثلاثه

ص: ٤٢٤

١- الزيادة من ن، و في ه: و عن أبي القاسم... الخ.

٢- راذان الأعلى، و راذان الأسفل: كورتان ببغداد تشتملان على قرى كثيره (مراصد الاطلاع ٥٩٣/٢).

أيام بليلتها، وهي مقيمه على الهجران.

فأيست منها، و عدلت نفسى، و وبختها، و رضتها على الصبر، و قمت من باب حجرتها، عاملا على التشاغل عنها.

و مضيت إلى حمام دارى، فأمطت عن جسدى الوسخ الذى كان لحقه، و جلست لأغير ثيابى و أتبخّر.

فإذا بزوجتى قد خرجت إلى، و جواربها المغنّيات حوالها، بالآتهنّ يغنين، و مع بعضهنّ طبق فيه أوساط، و سنوسج (1)، و ماء ورد، و ما أشبه ذلك.

فحين رأيتها استطرت فرحا، و قمت إليها، و أكببت على يديها و رجليها.

و قلت: ما هذا يا ستى؟

ص: ٤٢٧

١- الأوساط، و اللّفات، و البزماورد، و السنوسج، يشملها الطعام الذى كان يسمّى: المعجّل، أو الميسّر، أو المهّيّ، و نسّميه اليوم: الساندويچ sandwich، راجع ما كتبه أحد تيمور فى مجلّه المجمع العلمى العربى ج ١١ م ٣ و قد بحثنا عن الوسط، فى حاشيه القصّه ١٨٥ من هذا الكتاب، أما اللّفات، و مفردها: لفّه، فقد ورد ذكرها فى القصّه ١١٩/٥ من كتاب نشوار المحاضر، و ما زال هذا اسمها فى بغداد، و قد وصفتها فى حاشيه تلك القصّه، و فصّلت كيفيّة صنعها، و أشرت إلى تعلق البغداديين بها، و أمّا البزماورد، فكيفيّة صنعه: أن يؤخذ الشواء الحار، و يجعل عليه ورق النعنع، و قليل من الخلّ، و الليمون الحامض المملوح، و لبّ الجوز، و يرشّ عليه قليل ماء ورد، و يدقّ بالساطور دقّا ناعما، و يسقى خلال ذلك خلاّ ثم يؤخذ الخبز السميذ الفائق الملبّب، فيخرج لبابه، ثم يحشى من ذلك الشواء حشوا جيّدا، و يقطع بالسكين قطعا متوسّطه مستطيله، و يترك ساعه، و يؤكل، لزياده التفصيل راجع كتاب الطبخ للبغدادى ص ٨٥، و أمّا السنوسج أو السنوسك، أو السنوسق، و أصل الكلمه: سنوسه، فارسىّ (الألفاظ الفارسىّ المعرّبه ٩٥)، و كيفيه صنعه أن يدقّ اللحم بالساطور، ثم بالهاون، و يجعل فى مصفى ماء السماق، و يسلق، و يرش عليه ماء الليمون الحامض، و يبسط حتّى ينشف، ثم تذر عليه الكسفره، و الكمون، و الفلفل، و الدارصينى، و يفرك عليه النعنع اليابس، و يضاف اليه الجوز المجروش، ثم يقطع الخبز الرقيق و يحشى به اللحم المذكور بعد أن يقطع سيورا، و يعمل مثلثا، لزياده التفصيل راجع كتاب الطبخ للبغدادى ص ٥٧، و أنظر فى وصفه أرجوزه من نظم إسحاق بن إبراهيم الموصلى فى مروج الذهب ٥٩١/٢ و قد سمّاه فى آخر بيت منها: المأكّل المعجّل.

فقلت: تعال، حتى نأكل و نشرب، و دع السؤال.

و جلست و قدّم الطبق، فأكلنا جميعاً، ثم جىء بالشراب، و اندفع الجوارى بالغناء، و أخذنا فى الشراب، و قد كاد عقلى يزول سروراً.

فلَمّا توسّطنا أمرنا، قلت لها: يا سَتّى، أنت هجرتينى (١) بغير ذنب كبير أوجب ما بلغته من الهجران، و ترصّيتك بكل ما فى المقدره، فما رضيت، ثم تفضّلت إبتداء بالرجوع إلى وصالى بما لم تبلغه آمالى، فعزّفينى ما سبب هذا؟

قالت: كان الأمر فى سبب الهجر ضعيفا كما قلت، و لكن تداخلى من التجنّى ما يتداخل المحبوب، ثم استمرّ بى اللجاج، و أرانى الشيطان أنّ الصواب فيما فعلته، فأقمت على ما رأيت.

فلَمّا كان الساعه، أخذت دفترًا كان بين يديّ [١٧٥/٢ هـ] و تصفّحته، فوقع عيني منه على قول الشاعر:

العمر (٢) أقصر مدّه من أن يضيّع فى الحساب

فتعنّى ساعاته فمروها مرّ السحاب

قالت: فعلمت أنّها عظه لى، و أنّ سببى أن لا- أسخط الله عزّ و جلّ بأسخاط زوجى، و أن لا أستعمل اللجاج، فأسوءك، و أسوء نفسى، فجتتلك لأترصّاك، و أرضيتك.

فانكبت على يديها و رجليها، و صفا ما كان بيننا (٣).

ص: ٤٢٨

١- لا- يزال التعبير البغدادي، كما كان فى القرن الرابع الهجرى، فالبغدادي، لا يقول: هجرتنى، و إنّما يقول: هجرتينى، و رميتينى، و تركتيني، و ظلمتيني، و على ذلك فقس.

٢- فى الأصل: الدهر.

٣- لم ترد هذه القصّه فى م، و لا فى ر، و لا فى غ، و قد أثبتناها من ن، و ه.

٣٦٩/٥/ اسحاق المصعبى تحرّكه رفاع أصحاب الأرباع ببغداد

٣٧٠/٨/ ما خاب من استشار

٣٧١/١٠/ منصور بن زياد يجحد نعمه يحيى البرمكى

٣٧٢/١٣/ درس فى المروءه و الكرم

٣٧٣/١٦/ القدره تذهب الحفيظه

٣٧٤/١٧/ ما صحب السلطان أخبث من عمر بن فرج الرخجى

٣٧٥/٢٠/ مصعب بن الزبير يعفو عن أحد أسراه و يجعله من ندمائه

٣٧٦/٢٢/ عماره بن حمزه فى كرمه و كبريائه

٣٧٧/٢٥/ الهائم الراويه يقتل أسودا مصابا بداء الكلب

٣٧٨/٢٨/ ابو جعفر بن شيرزاد كان لداره أربعة عشر بابا

٣٧٩/٤٣/ تعذيب العمال المطالبين بضرهم بالمقارع و وضع الحجاره على أكتافهم

٣٨٠/٤٦/ الله يجزى سعيد الخير نائله

٣٨١/٤٩/ فان نلتنى حجاج فاشتف جاهدا

٣٨٢/٥١/ أسود راجل رزقه عشرون درهما يبرّ فى كرمه معن بن زائده الشيبانى

٣٨٣/٥٤/ سبب رضا المنصور عن معن بن زائده

٣٨٤/٥٦/ قطن بن معاويه الغلابى يستسلم للمنصور

٣٨٥/٦١/ المأمون يغضب على ابراهيم الصولى ثم يرضى عنه

٣٨٦/٦٣/ الأمير سيف الدولة يصفح عن أحد أتباعه و يعيد إليه نعمته

٣٨٧/٦٩/ ربما تجزع النفوس من الامر له فرجه كحلّ العقال

٣٨٨/٧٣/ الوليد بن عبد الملك يعفو عن القمير التغلبي

٣٨٩/٧٥/ مزنه امرأه مروان الجعدي تلجأ إلى الخيزران جاريه المهدي

٣٩٠/٨٣/ فز من اسحاق المصعبى فوجد كنزا

٣٩١/٨٦/ أبو أمية الفرائضي يخلص رجلا من القتل

٣٩٢/٨٧/ المهدي يحتج على شريك برؤيا رآها في المنام

٣٩٣/٨٩/ إن من البيان لسحرا

٣٩٤/٩١/ سقى معن بن زائده أسراه ماء فأطلقهم لأنهم أصبحوا أضيافه

٣٩٥/٩٢/ فتى بغدادى قدم للقتل و سئل ما يشتهي، فطلب رأسا حارًا و رقاقا

٣٩٦/٩٤/ أشرف يحيى البرمكى على القتل فخلصه إبراهيم الحرّاني وزير الهادي

٣٩٧/٩٧/ رمى من أعلى القلعه أوّلا و ثانيا فنجا و سلم

٣٩٨/١٠٢/ سقط من علوّ ألف ذراع و نهض سالما

٣٩٩/١٠٤/ بين المهدي و يعقوب بن داود

٤٠٠/١٠٧/ جزاء الخيانه

٤٠١/١٠٨/ الخائن لا يؤتمن

٤٠٢/١١٠/ أراد ابن المعتز قتل يحيى بن المنجم فلم يمهله القدر

٤٠٣/١١٣ الحجاج بن خيثمه ينصح الحسن بن سهل

٤٠٤/١١٦ يحيى البرمكى يغرى الرشيد بجعفر بن الأشعث

٤٠٥/١١٩ هب مجرم قوم لوافدهم

٤٠٦/١٢١ ضراوه الحجاج على القتل

أ- قتل الحجاج عامه يومه الأسرى من أصحاب ابن الأشعث

ب- قتل جميع أسراه إلا واحدا

ج- احتج لقتله بأتفه حجّه فخلّصه الله منه بأهون سبيل

٤٠٧/١٢٥ أمر الخليفة بضرب عنقه ثم لم يلبث أن عفا عنه

٤٠٨/١٢٦ حسن ظنه بالله أنجاه من القتل و أطلقه من السجن

الباب التاسع: من شارف الموت بحيوان مهلك رآه، فكفّ الله ذلك بلطفه و نجاه

٤٠٩/١٢٩ آلى على نفسه أن لا يأكل لحم فيل أبدا

٤١٠/١٣٣ القمه بلقمه

٤١١/١٣٥ كفى بالأجل حارسا

٤١٢/١٣٩ ألجأته الضرورات إلى ركوب الأسد

٤١٣/١٤٦ القرد و امرأه القراد

٤١٤/١٤٨ تمكّن منه السبع ثم تخلّص منه بأهون سبيل

٤١٥/١٥٠ قتل فيلا بالقبض على خرطومه

٤١٦/١٥٢ قتلوا شبلا فاجتمع عليهم بضعه عشر سبعا

٤١٧/١٥٤ افترس السبع صاحب الدين و سلم الغريم

٤١٨/١٥٦/ الأفعى التى أخربت الضيعة

٤١٩/١٦٠/ مفلوج لسعته عقرب جرّاره فعوفى

٤٢٠/١٦٢/ قضى ليله فى الجب بجوار أفعى

٤٢١/١٦٦/ سقط طفل من القنطرة فالتقطه العقاب ثم نجا سالما

٤٢٢/١٦٨/ قضه ابن التمساح

٤٢٣/١٧٠/ أبو القاسم العلوى يواجه الأسد

٤٢٤/١٧٤/ أعان الفيله على قتل ثعبان فكافأوه بما أغناه

٤٢٥/١٧٧/ حلف بالطلاق أن لا يبيت بمناذر فكان ذلك سببا لإنقاذ شخص من براثن الأسد

٤٢٦/١٧٩/ حيله ابن عرس فى قتل الأفعى

٤٢٧/١٨١/ ألقى نفسه على نبات البردىّ فوقه على أسد

٤٢٨/١٨٥/ كيف نجا من الأسد و الثعبان

٤٢٩/١٨٦/ قضى ليله مع الأسد فى حجره مغلقه الباب

٤٣٠/١٨٨/ أخذه الأسد فى المكان الذى أخذ فيه أباه

٤٣١/١٩٠/ نجا من الأسد و افترس مملوكه

الباب العاشر: فيمن اشتدّ بلاؤه بمرض ناله فعافاه الله سبحانه بأيسر سبب و أقاله

٤٣٢/١٩٢/ دعاء يشفى من الوجع

٤٣٣/١٩٤/ وجأ نفسه بسكين فعوفى من مرضه

٤٣٤/١٩٦/ يا قديم الإحسان لك الحمد

٤٣٥/١٩٩/ أبرأ أبو بكر الرازى غلاما ينفث الدم بإطعامه الطحلب

٤٣٦/٢٠١/ أصيب بوجع فى المعده و شفاه لحم جرو سمين

٤٣٧/٢٠٤ ذكاء طيب أهوازي

٤٣٨/٢٠٦ شج رأسه فمرض ثم شج بعدها فصلح

٤٣٩/٢٠٨ القطيعي الطيب و ذكاؤه و مكارم أخلاقه

٤٤٠/٢١٠ مريض بالاستسقاء تشفيه أكله جراد

٤٤١/٢١٣ مريض بالاستسقاء يبرأ بعد أن طعم لحم أفعى

٤٤٢/٢١٥ القاضي أبو الحسين بن أبي عمر يحزن لموت يزيد المائي

٤٤٢/٢١٨ زمنه مقعده يشفيها الحنظل

٤٤٤/٢١٩ اشترى الرشيد لطيبه ضياعا غلّتها ألف ألف درهم

٤٤٥/٢٢٢ لسعته عقرب فعوفى

٤٤٦/٢٢٣ أبرأته مضيره لعقت فيها أفعى

الباب الحادى عشر: من امتحن من اللصوص بسرقة أو قطع فعوض من الارتجاع و الخلف بأجمل صنع

٤٤٧/٢٢٧ قاطع طريق يردّ على القافلة ما أخذ منها

٤٤٨/٢٣١ قاطع طريق يتفلسف

٤٤٩/٢٣٤ القاضي التتوخى والد المؤلف و الكرخى قاطع الطريق

٤٥٠/٢٣٨ ابن حمدى اللصّ البغدادى و فتوته و ظرفه

٤٥١/٢٤١ قطع عليه الطريق فتخلص بخاتم عقيق

٤٥٢/٢٤٤ سرق ماله بالبصره و استعاده بواسط

٤٥٣/٢٤٨ وضع السيف على عنقه ثم نجا سالما

٤٥٤/٢٥١ كيف استعاد التاجر البصرى ماله

٤٥٥/٢٥٦ صادف درء السيل درءا يصدعه

٤٥٦/٢٥٩ قصه الأخوين عاد و شداد

ص: ٤٢٣

٤٥٧/٢٦٤ قارع سبعين من قطاع الطريق و انتصف منهم

الباب الثاني عشر: فيمن ألجأه الخوف إلى هرب و استتار فأبدل بأمن و مستجد نعمه و مسار

٤٥٨/٢٦٨ يحيى بن طالب الحنفى يبارح وطنه مدينا و يعود إليه موسرا

٤٥٩/٢٧٠ العتّابى يؤدّب الأمين و المأمون

٤٦٠/٢٧٢ لماذا قتل أبو سلمه الخلال

٤٦١/٢٧٨ أمير البصره العباسى يحمى أمويًا

٤٦٢/٢٨١ عبد الملك بن مروان يؤمن ابن قيس الرقيّات و يحرمه العطاء

٤٦٣/٢٨٧ هشام بن عبد الملك و حمّاد الراويه

٤٦٤/٢٩١ أكل على مائدته فأمضى له الأمان

٤٦٥/٢٩٣ الفضل بن الربيع يتحدّث عما لاقى أيام استتاره من المأمون

٤٦٦/٣٠٠ و ما قتل الأحرار كالعفو عنهم

الباب الثالث عشر: فيمن نالته شدّه فى هواه فكشفها الله عنه و ملكه من يهواه

٤٦٧/٣٠٦ رأى القطع خيرا من قضيبه عاتق

٤٦٨/٣٠٩ من مكارم المقتدر

٤٦٩/٣١٦ فارق جاريته ثم اجتمع شملهما

٤٧٠/٣٢٨ أمير البصره يجمع بين متحابين

٤٧١/٣٣١ من مكارم جعفر بن يحيى البرمكى

٤٧٢/٣٣٩ من مكارم يحيى بن خالد البرمكى

٤٧٣/٣٤٣ ابن نوال ابن جعفر من نوال ابن معمر

٤٧٤/٣٤٥ ابن أبى حامد صاحب بيت المال يحسن إلى رجل من المتفقهه

٤٧٥/٣٤٩ ابن أبى حامد صاحب بيت المال يحسن إلى صيرفى

٤٧٦/٣٥٢ الحسن بن سهل يحسن إلى الفسطاطى التاجر

٤٧٧/٣٥٤ الأشر و جيداء

٤٧٨/٣٥٨ أقسم أن يغسل يده أربعين مره إذا أكل زير باجه

٤٧٩/٣٧٢ اسحاق الموصلى يتطفل و يقترح

٤٨٠/٣٧٧ أنت طالق إن لم تكونى أحسن من القمر

٤٨١/٣٧٨ ما ثمانيه و أربعه و اثنان

٤٨٢/٣٨٣ أخبار قيس و لبنى

٤٨٣/٣٩٣ عشق جاريه زوجته فوهبتها له

٤٨٤/٣٩٤ بالله يا طرفى الجانى على كبدى

٤٨٥/٣٩٩ به غير من دائه و هو صالح

٤٨٦/٤٠٢ عمر بن أبى ربيعه و الجعد بن مهجع العذرى

٤٨٧/٤١١ رضى أن يموت بعد أن يتمتع بحبيته أسبوعا واحدا

٤٨٨/٤١٦ ابراهيم بن سيّابه يشكو فلا يجاب

٤٨٩/٤١٨ عزل عن الرافقه فولى دمشق

٤٩٠/٤٢٢ ابن اختبأ الأسدى

٤٩١/٤٢٣ جميل و بثينه

٤٩٢/٤٢٦ العمر أقصر مدّة من أن يضيّع في الحساب

ص: ٤٣٥

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

